

٤٣ تاريخ المصريين

رحلة في عقول مصرية

إبراهيم عبد العزيز



Bibliotheca Alexandrina



0003047



رحلة في عقول مصرية

إبراهيم عبد العزيز



الجمعية المصرية لكتاب

١٩٩٠



رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:
عبد العظيم الشنبل

الاخراج الفنى وتصميم الغلاف : أسامة سعيد

٤٣

تاريخ المصريين

تقديم

الأعمال الفكرية نوعان : نوع يملكه صاحبه ، ونوع يستولده آخرون !! والنوع الأول يصدر في كتب تحمل اسم مؤلفها ، والنوع الثاني يصدر في تحقيقات صحفية تحمل أسماء أصحابها .

والكتاب الذى بين أيدينا ينتهى الى النوع الثانى ، فهو يشتمل على عدد كبير من المقابلات الفكرية التى قام بها الصحفى النابه ابراهيم عبد العزيز ، مع مفكرين وكتاب وعلماء ، استنطقهم فيها ، واستولد منهم أفكارا لم يكونوا ليلدوها بمحض ارادتهم ، لأنها كامنة فى فكرهم ووجدانهم تنتظر من يتقدم ليخرجها الى النور .

وقد كان من الطبيعى أن أطلب من ابراهيم عبد العزيز أن يجمع لى هذه المقابلات الفكرية الثمينة ، من مواقعها فى مجلة الاذاعة والتليفزيون ، لتصدر بين ضفتى كتاب فى سلسلة «تاريخ المصريين» حتى لا يضيع ما فيها من فكر سدى ، أو على الأقل يتجمد فى مجلدات المجلة ، التى لا ينتظر أن يطلع عليها أحد غير المختصين والباحثين .

وقد كان ما دفعنى الى ذلك ما أعرفه عن ابراهيم عبد العزيز من مهارة فى الاستنطاق والجدل والحوار ، ويقينى بأن مقابلاته ذات أهمية فكرية خاصة .

وهذا الكتاب يشتمل على مقابلات فكرية جرت مع عمالقة من أمثال توفيق الحكيم والشيخ الشعراوى ونجيب محفوظ ويحيى حقى وحسين فوزى وخالد محمد خالد وأمينة السعيد ومهدى علام وإبراهيم مدكور ، وأحمد بهاء الدين ، ومصطفى أمين ، والشيخ الغزالى ، ويوسف ادريس ، والباقورى ، ومصطفى محمود ، ولويس عوض ، وأنيس منصور ، وآخرون من أهل الفكر والقلم .

ومن هنا فانى سعيد أن أقدم للقارئ هذه الباقية الفكرية الذكية فى هذه السلسلة التاريخية عن تاريخ المصريين .

رئيس التحرير

أ.د. عبد العظيم رمضان

المقدمة

من العجيب أن بعض نجوم حياتنا الثقافية والأدبية والصحفية قد تعرفت عليهم في بداية عهدي في شارع الصحافة عن طريق توفيق الحكيم الذي لم أتعرف عليه نفسه إلا عن طريقه هو بتواضعه وبساطته المعهودة عندما اتصلت به تليفونيا لأجرا حديث معه ، وكان في فترة من فتراته التي يعتصم فيها ببرجه العاجي لا يكتب ولا يتكلم ولكنه يفكر ويتأمل ويرصد ما حوله ، فقال ان الحديث غير ممكن ، وأما المقابلة فممكنة بعد شهر ، ولما لم تكن رأس السنة الجديدة لم يبق عليها إلا أسبوع فقد اقتنع بالتعجيل بالمقابلة لكي أهنته بمطلع عام جديد ، ولم يرض أن أخرج من عنده بخفي حنين فقال لي ان بعض الأدباء يجتمعون عنده بمكتبه في الأهرام ، ويمكنني أن أظفر من مناقشاتهم بشيء أراه صالحا للنشر ، وذهبت الى الأديب الكبير وأنا مصمم على أن أظفر منه هو نفسه بحديث كبير فأعددت شرائطى والتسجيل ٠٠ وبعد تمنع لم يطل وافق توفيق الحكيم أن يمنحني كلمة لا تزيد عن العمود وأن يملئها على لأنه يخاف من التسجيل ويصاب بالرعب منه لأنه يخشى أن يقول كلاما في

البداية يناقضه كلامه فى النهاية فطمأنته أن التسجيل «على ساحة»
به للذكرى ولا يمكننى أن أكتب على لسانه كلاما مناقضا ، وما إن
بدأ توفيق الحكيم حديثه حتى مضى فيه دون توقف الا لأفانج الوجه
الآخر للبشرى ، وعندما قال لى : ما دمت قد أخذنى فى اللام
فلنتكلم .

ثم نظر الى فنجان القهوة الذى طلبه لى وقال :
اشرب قهوتك .

وعندما أمسكت بالفنجان قال : أشربها وهى باردة ؟ !

فوضعت الفنجان مرة أخرى ومضيت فى التسجيل مع توفيق
الحكيم الذى أحاطنى بدفء العلاقة مع أننا كنا فى يوم من أيام
الشتاء البارد ، رغم أنها كانت أول مرة أتحدث إليه وأقبله دون
أن يعرفنى أو أعرفه الا من كتبه ، ولم يصدق مجلس تحرير مجله
المصور التى بدأت فيها حياتى الصحفية ، التى قابلت توفيق
الحكيم وأنه أعطانى هذا الحديث الذى قالوا أننى « فبركته » ،
وقرات الحديث على توفيق الحكيم ووقعه بأعضائه مع كتاب جديد
أعاد طبعه عن « التعدادية » أهواه لرئيس التحرير مكرم محمد
أحمد ، زيادة فى توثيق صدقى وأمانتى ، كما أهدانى نسخة من
كتابه ، وعندما نشر الحديث بغير اسمى بحجة أننى لم أستأذن
رئيس التحرير أولا وأننى لا زلت مبتدئا ولا يجوز وضع اسمى
على حديث أجريته مع شيوخ المفكرين !

واسأنى يومها توفيق الحكيم وقال لى : مهما حدث فإن ذلك
رصيد لك . وتوطدت علاقتى مع الرجل العظيم منذ ذلك الوقت .
وكان كلما أخرج كتابا جديدا جعلنى أحمله لمن يريد أهواههم ،
ولا أنسى عظمة هذا الرجل عندما طلب منى أن أشرح له أسماء يهدبها
كتابه الذى أصدره فى ذلك الوقت وهو « مصر بين عهدين »
وفوجئت بأنه يخرج ورقة من مكتبه سجل فيها أسماء الكتاب الذين

قرر اهداءهم كتابه ، وطابقتها على الأسماء التى طلب منى ترشيحها ،
وكم كان سروره بتطابقها الى حد كبير . وان كنت فى الأسماء التى
اخترتها تعمدت أن أختار من أريد أن أقابلهم من نجوم حياتنا
الثقافية والأدبية والصحفية .

وكان من هؤلاء النجوم مصطفى أمين الذى انفتح لى الطريق
اليه لأننى قادم له برسالة من توفيق الحكيم ، هى الكتاب الذى أهداه
الى صديقه القديم ، ولكن فى المرة التالية وكنت قد انتقلت للعمل
بمجلة الاذاعة والتليفزيون اعتذر لى سكرتيره ، فكتبت اليه ورقة
أوصلها اليه قلت له فيها انه ان لم يسمح لى بأجراء حديث معه
فسيرفتنى رئيس التحرير ، وجاء لى سكرتير مصطفى أمين يخبرنى
بموافقته ، وفى نهاية الحديث وأنا أصافحه قال لى :

ان هذه الحركات كنا نفعلها ونحن صحفيين فى مثل سنك !

أما الكاتب الساخر أحمد رجب فقد أعطانى موعدا آخر غير
الموعد الذى جئت له فيه وكانت حجته أننى تأخرت عن موعدى
دقيقة واحدة ، بدأ فيها فى كتابة كلمته اليومية (٧ كلمة) بصحيفة
الأخبار ، وكانت الساعة الحادية عشرة صباحا ، وكان تعليقه على
اهداء توفيق الحكيم ، هو دهشته من أنه لم يصبح عبقريا مثله مع
أنه يجلس فى نفس المكتب الذى كان يجلس فيه حينما كان كاتباً
بالأخبار ، ولكنه اكتشف أن مكتبه قد وضع فى المكان الذى كان
توفيق الحكيم يربط فيه حمارة !



أما النجم الكبير الآخر الذى وددت أن أقابله فقد كان فضيلة
الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ولسنا اجتنى ذهبنا اليه فى مسجد
سيدنا الحسين حين كان يسجل خواطره القرآنية للتليفزيون ، وفى
الاستراحة ما بين الحلقتين اللتين كان يسجلهما ، مدت يدي اليه
بخطاب أردت فيه أن أدفعه لمقابلتى حين قلت له فيه ، ان الكاتب

الكبير توفيق الحكيم قد قابلني وأعطاني حديثا كبيرا وأتعشم أن يفعل مثله ويقابلني فضيلته ، ولم أدرك وقتها أن ذكرى لاسم توفيق الحكيم يفضبه ويجعله يعرض عني وبرفض مقابلتى ، لأن الرجلين كانا خارجين من معركة شهيرة بسبب أحاديث توفيق الحكيم مع الله ، والذي أجرى معه الحكيم حوارا تخيل فيه أن الله يجيبه ، مما اعتبره الشعراوى ضلالا واضلالا .

وبطبيعة الحال لم تتم المقابلة مع الشيخ الشعراوى ، حتى جاءت الفرصة على يد رجل عظيم بسيط آخر هو يحيى حقى الذى كان يفعل معى نفس ما كان يفعله توفيق الحكيم ، حين كان يريد أن يهدى مؤلفاته ، وذات مرة قال لى يحيى حقى :

هل تستطيع أن تهدى هذا الكتاب للشيخ الشعراوى ؟

وكان الكتاب هو « من فيض الكريم » ، الذى حملته ليكون مفتاح دخولى للشيخ الشعراوى ، الذى تعجبت كيف أنه لا يعرف أديبا كبيرا كىحيى حقى ، ولكنه أعجب بكتابه وهو ينتقل بين عناوين صفحاته :

لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما

فى مولد الرسول

فى سماء المدينة

..... الخ .

ومع كل عنوان كان الشيخ الشعراوى يقرؤه كان يقول ما شاء الله .. اللهم صلى على النبى . وطلب منى تليفون يحيى حقى فسجله فى نوتة صغيرة أخرجها من جيبه ثم وضعها فيه ، وراح يدير قرص التليفون على أرقام يحيى حقى ، من الذاكرة ، فقد حفظ الرقم فى

التو واللحظة • وقال للطرف الآخر على سماعة التليفون : هل هذا منزل الأستاذ يحيى حقى ؟

وكان المتحدث هو نفسه ، فقال له الشيخ : أنا محمد الشعراوي • وصلتني رسالتك الكريمة من رسولك الكريم وأسأل الله كما سعدت بالاسلام أن يسعد بك الاسلام •

وفي هذا اللقاء الأول مع الشيخ الشعراوي لاحظت غضبه بعد قراءة مجموعة من الرسائل التي وصلته ، سلمها الى أحد حراسه وهو يقول له مستنكرا :

كلهم عايزين معونات ا • • حولهم للشئون الاجتماعية !

وتمنى الشيخ الشعراوي لو سألته الناس أسئلة دينية أو استفسروا منه عن قضايا اسلامية • وفي لقاء آخر حدثني الشيخ الشعراوي عن النصابين الذين يأتونه طالبين المال والمعونة ومنهم من أمات أباه وأمه مرات للحصول على تكاليف الجنازة ، فيقول الشيخ لأحد حراسه أن يذهب معه ليقوم بكافة الاجراءات • فتكون النتيجة أن النصاب يجري مهرولا تسابق قدماء الربيع • لقد كشفه الشيخ ، فالؤمن كيس فطن • • كما يقول الحديث الشريف •

أما تعرفى على يحيى حقى نفسه فقد استغرق حوالى السنتين حتى يمكننى أن أقابله ، فمنذ أن اعتزل الحياة العامة ووضع قلمه ظلنا منه أنه لم يعد عنده شيء يقدمه لقرائه ، وهو قليل الاتصال بالصحافة والصحفيين ، وقد صبرت وثابرت على الاتصال بالرجل من وقت لآخر طوال هذين العامين وأنا أبدى رغبتى فى دوام مثل هذا الاتصال الهاتفى للاطمئنان عليه والسؤال عن الأحوال والصحة ، ويبدو أنه أشفق على فقال لى :

هل تريد أن تقابلنى ؟

قلت له : هذا هو منتهى المنى والطلب .

فقال لى : اقرأ كتابى « ناس فى الظل » ثم اتصل بى فى الأسبوع القادم .

ويبدو أن عنوان هذا الكتاب ، كان أفضل تعبير عن حال يحيى حتى نفسه . الذى اختار البقاء فى الظل مع أبطال كتابه ، لاهتمامه بأن يكون محامى البسطاء ، ولذلك كان انتقاده الشديد للصنف لاحتفاظها بأسماء المشاهير وعلية القوم اذا ارتكبوا جرماً أو قاموا بعمل مشين ، بينما تقوم نفس الصحف بالتشهير ببسطاء الناس اذا ارتكبوا نفس الأفعال ، وكتابة أسمائهم وعناوينهم ونشر صورهم بحيث تكون فضيحتهم بجلاجل .

واتصلت بيحيى حتى فى الأسبوع التالى وراح يسألنى عن مضمون كتابه وكأنه يجرى لى امتحاناً قبل مقابلته .

- ويبدو أننى نجحت فى الاختبار ، فحدد لى موعداً للقائه وقال لى : اذا كنت ستركب تاكسى وأنت قادم الى فلا تات ! .

فقلت له : لا وسيلة لى سوى الأوتوبيس لأننى لا أقدر على تكاليف التاكسى . واكتشفت من يحيى حتى نفسه أنه كانت له زمان سيارة تعهد بها أوتوبيساً كان يمر من أمام بيته ، فكان يسير وراءه بسيارته ليستدل منه على منزله ، وذات يوم سار يحيى حتى وراء نفس الأوتوبيس فوجده قد غير مساره على غير العادة ، ليجد يحيى حتى نفسه فى النهاية قد سار وراء الأوتوبيس الى الجراج !



ونفس البساطة التى يعهدا الانسان فى رجل كيحيى حتى يجدها فى صديقه نجيب محفوظ الذى كان مرءوساً له فى مصلحة الفنون ، وكان نجيب محفوظ يصبر على القيام بواجبات التحية

لرئيسه يحيى حقي الذى يبدو أنه لاحظته يبالغ فيها فنهاء عن ذلك ، لأنه ليس مجرد موظف بل هو أديب له شأنه وقيمتة .

وإذا كان الشيخ الشعراوى قد تنبه للنصابين ، فان نجيب محفوظ قد وقع ضحية نصاب كبير أعطاه تحويشة عمره مقابل شقة أراد الإقامة فيها بمنطقة « المعادى » ، ولكن اختفى النصاب واختفت تحويشة العمر ، فأصيب نجيب محفوظ بمرض السكر فى مرحلة مبكرة من حياته وظل يلازمه دائماً ، ولذلك فان حصوله على جائزة نوبل كان يمثل له متعة معنوية لا مادية .

وظل نجيب محفوظ على بساطته المعهودة فيه لا يرد سائلا لحديث ولا راغبا فى مقابلته ، الى درجة أن توفيق الحكيم بنفسه قد طلب منه أن يقلل من هذه المقابلات الصحفية رفقا بنفسه وحتى لا يبتذل !

ولكن نجيب محفوظ عاشق الحارة المصرية التى أوصلته الى العالمية لم يكن يحب أن يفضب أحدا .

وعندما شعر ذات مرة أنه أغضبني حين طلبت منه حديثا أثناء هوجة نوبل فلم يوافق الا أن يكون الحديث فى الأهرام والذى لظروف الضغط الصحفى أصبح الوقت المسموح به للمقابلة محدود الزمن ، فاذا به فى اعتذار عملى يحدد لى موعدا خاصا فى قهوته المفضلة « على بابا » فى ميدان التحرير وسجلت معه لمدة ساعتين فى نفس اليوم الذى كان عليه فيه أن يسافر لاستلام جائزة نوبل فأرسل ابنتيه واعتذر لعدم قدرته على السفر ، ويوم نشرت على لسانه أنه قد يأتى يوم يكتب فيه خالد محمد خالد أو مصطفى محمود ، أو الشيخ الغزالي ، أو د. أحمد كمال أبو المجد ، مقدمة لروايته الممنوعة « أولاد حارتنا » ، أبدى خالد محمد خالد استعداده . وخالد محمد خالد هو نوع نادر من الرجال .

أذكر أن أول حديث أدلى به لصحيفة مصرية بعد فترة انقطاعه ، كان معي . حين اعتزم استئناف نشاطه بمقالات بدأها بمجلة المصور ، وأعطاني حديثاً لمجلة الإذاعة والتليفزيون ، وكان لقائى الأول بالرجل لقاء حميماً وكاننا قد تعارفنا منذ وقت طويل ، فقبل أن يوشك الوقت المسموح به لصلاة المغرب أن ينقضى قسمنى أنا لإمامته فلما أبدت دهشتى ، قال إن ذلك يجوز شرعاً ، أن يتقدم المفضل ، الأفضل ، وأن لديه عذراً يمنع من الإمامة لعدم قدرته على الصلاة واقفاً وسيضطر للصلاة جالساً بسبب ظروفه الصحية ولا تجوز الإمامة للمصلى الجالس . ووضعتنى الظروف فى هذا الموقف الرهيب وظللت أصلى بشيخنا وإمامنا خالد صلاة العشاء أيضاً !

ولا اختلاف على استنارة خالد محمد خالد وشجاعته موقفاً ورأياً ، جعله يطالب بالديمقراطية فى مواجهة عبد الناصر نفسه ويلج عليها . وينتقد التجاوزات التى وقعت دون أن يمسّه أحد لا يعتقد عبد الناصر أنه معارض بلا غرض أو منفعة ولا بغية له إلا وجه الله والحرية التى عاش لها ومن أجلها . وكم سعدت بلقاءات خالد محمد خالد خارج نطاق العمل الصحفى يتحدث فيها حديثاً لا يمل السامع ، وكانت له آراؤه الصائبة وفتاواه المقتضى ، وأرجو أن يأذن لى هنا بواحدة من الفتاوى التى يؤكد أنه يفتيها لنفسه فقط ، فلظروفه الصحية التى لا تمكنه من الذهاب لحضور صلاة الجمعة بالمسجد ، فانه لا يفوته ثواب تلك الصلاة لأنه يقيمها مع المقيمين لها أثناء إذاعتها فى التليفزيون أو الإذاعة .

وخالد محمد خالد بذلك يؤكد يسر الإسلام وسماحته حيث يقف على رأس كوكبة من أساتذتنا وعلمائنا الداعين إلى هذا اليسر وتلك السماحة ، كالشيخ الغزالي ، والشيخ الباقورى .

★ ★ ★

وإذا انتقلنا من نجوم الأدب والدين والصحافة ، الى نجوم التاريخ والسياسة . فاننى أذكر سلسلة من الأحاديث مع نجوم السياسة فى بلدنا اعتزمت القيام بها معهم بعيدا عن السياسة ، ولكنها بدأت وانتهت بفتحى رضوان ، فبعد أن قمنا بتصويره واجراء الحديث معه ، امتنع عن نشره رئيس التحرير ، وربما كانت له ظروفه كصحيفة قومية ، ولكننى لم أفهم الظروف التى منعت عادل حسين رئيس تحرير صحيفة « الشعب » المعارضة حين أهديته له بعد موت فتحى رضوان الذى كان أحد الكتاب البارزين فى نفس الصحيفة .

ولم تبدأ علاقتى بفتحى رضوان مع هذا الحديث ، فقد كان من أوائل من اتصلت بهم فى بداية عملى بمجلة « المصور » حين طلب منى استطلاع رأى بعض الشخصيات العامة فى بيان الحكومة الذى ألقاه د . فؤاد مجبى الدين رئيس الوزراء آنذاك ، وكان من تلك الشخصيات فتحى رضوان الذى اعتذر للزميل رئيس قسم الأخبار « ممدوح مهران » لاعتناعه بأن كل بيانات الحكومة منذ أول خطاب للعرش ألقى فى سنة ١٩٢٤ وكل ما تلاه من دستور ، أو بيان ٣٠ مارس ، أو ورقة أكتوبر ، أو الميثاق ، وغيرها ، لأنها كما يرى ليس فيها شيء ينفذ مما ورد بها ، ولكن الزميل رئيس القسم ألح يطلب رأى فتحى رضوان فى بيان الحكومة فطلب مهلة طويلة وافق على تقصيرها ، ووعد مضطرا بأن يبدى رأيه ملتصقا من الله العون لقراءة البيان الذى هو أطول من ليالى الشتاء ، كما قال . وظروف ما تخلف زميلى عن تلقى رأى فتحى رضوان ، فتلقيته منه تليفونيا ، حتى حضر الزميل رئيس القسم المسئول عن التحقيق الخاص ببيان الحكومة ، فوجد أن لا شيء مما قاله فتحى رضوان - وهو قطب كبير من أقطاب المعارضة - يمكن نشره فى

مجلة « المصور » القومية ، واستقر الأمر على اجتزاء رأى فتحى رضوان بحيث يتم الابقاء على أخف ما به .

وكان متعلقا بمسكلة « الفكة » سنة ١٩٨٢ ، حيث كان الباعة يتعاملون مع المواطنين بعلب الكبريت والاسبرين وقطع الحلوى كبديل للعملة التى ندرت « الفكة » منها . وفوجئ فتحى رضوان ، بنفسه فى ذيل صفحتى التحقيق عن بيان الحكومة ، واذا برده قد تقلص وانكمش فأصبح ثلاثة سطور معبونة « الوعود تتحقق » ، واذا بكل ما قاله قد سقط ما عدا حديثه عن أزمة « الفكة » ، مما جعل كثيرون يتعجبون من أمره اذ ترك الدنيا الهائجة الماثجة ولم يجد ما يستحق التعليق الا « الفكة » ، مما اضطر معه فتحى رضوان الى توضيح رأيه فيما حدث شاكيا « المصور » الى قرائه ، مما جعل رئيس التحرير يعتذر اليه شغاهة ، وبشكل عملى باعادة عرض رأيه فى العدد التالى .

ومن الأحاديث التى كان لها صدى الحديث مع المؤرخ العسكرى « جمال حماد » الذى ذكر أن المبدأ السادس لثورة يوليو الخاص باقامة حياة ديمقراطية سليمة لم يتحقق الا فى عهد الرئيس مبارك . وذكر لى أن الرئيس بنفسه قد سر لاقرار هذه الحقيقة . ولكن الحديث مع مؤرخ سياسى هو د. عبد العظيم رمضان قد أثار عليه الهجوم والشتائم لأنه لا يسلم بالشائع من المعلومات التاريخية ، بل يحققها بالوثائق ليصل الى الحقيقة التى غالبا ما تصدم الكثيرين فيلجأون لمهاجمتها هروبا من مناقشتها واستيعابها ، كذلك الحقيقة المتعلقة باتفاق أحمد عرابى مع الخديو توفيق على الثورة للتخلص من وزارة رياض التى لا يحبها الخديوى ، ولكن الثورة تطورت الى ما انتهت اليه ولم يمكن لأصحابها الامساك بزمامها أو السيطرة على قيادها .

ولم يكن الهدف من هذه المقابلات مجرد الحديث فقط بل كانت بهدف استجلاء حقيقة ، أو التعرف على شخصية معينة من خلال عرض قضايا يهم القارئ التعرف عليها من خلال هذه الشخصية أو تلك ، وقد تكون هناك بعض الشخصيات غير المعروفة أو المشهورة ، ولكن بالتأكيد لها موقف ولها دور ورأى .
 شخصية كحافظ عبد الوهاب من جيل الرواد الإذاعيين هو مؤسس أول إذاعة محلية في مصر ولذلك قصة وحكاية ، حيث أصبحت الآن في عصرنا ثورة الإذاعات المحلية تلعب دورها في عملية التنمية في العصر الحديث .

وهناك شخصيات تعمل في صمت وفي الظل كان يجب أن نستدعيها هنا الى دائرة الضوء ، كالدكتور مهدى علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية الذي اختير يوما ليكون معلم الأمير فاروق الذي صار بعد ذلك آخر ملك تشهده مصر .

والدكتور ابراهيم بيومي مذكور رئيس المجمع اللغوى والذي يطلقون عليه شيخ الفلاسفة ، والذي يصعب الحديث معه لظروف تتعلق به ، ولظروف تتعلق بإمكانية استخراج تاريخه الذي يحمله بين جنبيه ، ولذلك استغرق التسجيل معه شهورا لم يكن يوافق على ألا تزيد مدة الحديث عن ثلث ساعة ، ومع ذلك أمكن خلال عدة لقاءات أن نستخرج منه الكثير الذى ينشر لأول مرة .

والسلاح الوحيد الذى يجب استخدامه فى مثل هذه الحالات هو الصبر والمثابرة فضلا عن فهم الشخصية المطلوب التحوار معها والقراءة لها أو عنها لكى يمكن فتح مغاليقها وفك رموزها أو حل شفرتها .

وقد أتيج لمعظم هذه الأحاديث أن تنشر والفضل للأديب

الروائي محمد جلال رئيس تحرير مجلة الاذاعة والتليفزيون يوم
أن نشرت تلك الأحاديث .

وبعضها لم يتح له النشر ولذلك يصبح الفضل فضلين
للدكتور عبد العظيم رمضان الذى أتاح لما نشر وما لم ينشر فرصة
نشره فى هذا الكتاب ، وهذا فضل له ، وأما الفضل الآخر فلأنه
صاحب الفكرة التى تحولت الى واقع أرجو أن يرضى عنه القارئ
ويرضى له حين ينتهى من آخر صفحة من صفحاته .

ابراهيم عبد العزيز

● توفيق الحكيم :

اقترح للحكومة والشباب المتطرف

★★ شاهد من شهود هذا العصر • قالوا انه يعيش في برجه العاجي ، منذ بداية الطريق • يرقب كل شيء • يرقب حركة الانسان المصري ، فيكتب « عودة الروح » يسجل فيها حركته فكرا وتاريخا • يرقب حركة السلطة والمجتمع ، فيكتب « السلطان الخائر » يشغله المسرح • كأكبر رواده • فيلدم « الصلقة » كتجربة فريدة في اختصار اللغة • تؤرقه معركة اليوم وحركة الانسان داخله ، فيكتب « الطعام لكل فم » • يدخل مع المرأة في صراع ، حتى يقال أنه عدو المرأة ، فيكتب مسرحه الاجتماعي كله • لم يكن برجه العاجي ، من حديد يعزل رؤيته لبلده • انما كان مزودا « برادرات » شديدة الحساسية يسجل من خلالها كل شيء ،

هكذا ، ظل توفيق الحكيم ، شاهد عصره منذ البداية • وهو الآن ، عندما يدعى الى حديث يفضل أن يكون مستمعا ، لا متكلم ، كمن يقول • لكننا استطعنا أن نأخذ الحكيم من صمته ، ليكون متكلم ، أكثر منه مستمعا • وليقول شهادته على معركة اللحظة • المعركة الاجتماعية التي يخوضها شعبنا ، بناء من جديد : ثمرة تطرفات حدثت • وثمة محاولات ، لبث جديد ★★ •

● ● أستاذنا الحكيم •• من حيث كونك شاهد عصر ، ماذا في خاطرك الآن ، ونحن نمر بمرحلة هامة من مراحل تاريخنا المعاصر ؟ •

يقول شاهد العصر توفيق الحكيم :

● الذي يجول في خاطرنا جميعا هو بناء الانسان المصري • وبناء الانسان المصري هذا ليس في أن نخترع لعقولنا شروطا أو

مواقف معينة يكفي أن نرجع الى عصر الاسلام الأول حينما جعل النبي صلى الله عليه وسلم من قريش هذه المجموعة الصغيرة الجاهلة نواة للأمة الإسلامية التي هي « خير أمة أخرجت للناس » كما جاء في القرآن الكريم .

ونحن بالقياس الى قريش أحسن وضعاً . ولكننا في حاجة الى أن نبحث ونحلل كيف تحول الرسول بمجتمع الجاهلية الى مجتمع المدنية والحضارة من منطلق الاسلام الذي أصبح يشمل بنوره وبحضارته وبقوته المادية والروحية قطعة من الأرض تعتبر هي العالم في شموله في ذلك الوقت . بينما كانت أوروبا في القرون الوسطى غارقة في ظلمات الجهالة . ولم تستطع أن تخرج من جهالتها الا بفضل الاسلام وعلماء الاسلام ، الذين أحبوا حضارة العالم القديم بما ترجموه من كتب وما أضافوه اليها من علمهم حتى أصبح الاسلام حضارة قوية متميزة وقد تم ذلك في فترة قياسية لم تتجاوز المائتي عام . بينما كان على أوروبا أن تنتظر ألف عام حتى تتحول الى أمة ذات حضارة .

اعتقد أن ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أهم معجزاته .

● ● هل نقول اننا نحيا في عصر مختلف عن عصور الجاهلية ، كم الاسلام بعدها ؟

● نحن بالقياس الى المجتمع الجاهلي قبل الاسلام أحسن حالا . وحينما صنع الرسول من الأمة الجاهلة أمة متحضرة . لم يحقق هذا بين عشية وضحاها . ولكنه حققه بعد معارك طويلة وكفاح مرير . تعرض خلاله للقتل قبل الهجرة . وتعرض خلاله للهزيمة . بعد أن استقر في المدينة . ولكنه مع ذلك كان مصمماً على أن تنتصر مبادئه .

الاسلام التي بعثه الله بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور .
وانك لتلمس هذا الاصرار منه صلى الله عليه وسلم في قوله الرائعة
حينما حاولت قريش اغراءه بالمال والمنصب والسيادة . . . لقد رفض
كل هذا وقال : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري
على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

● ● هذا يعني أننا في حاجة الى تصور جديد ، لبناء مجتمع
جديد ؟ .

● أن نتلمس المبادئ التي جاءنا بها الاسلام ونحاول الالتزام
بها قدر الامكان . لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تركت
فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » .

خذ لذلك مثلا ، مسألة النظافة . التي قال الاسلام فيها :
« النظافة من الايمان » . فكيف نرى هذا الشعار البسيط مطبقا
الآن ؟ لقد تحول شعار النظافة من الايمان الى شعار القذارة من
الايمان . ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحاضر ماذا
كان سيقول علينا حينما يرى شوارعنا وبيوتنا وحاراتنا وما فيها
من قذارة وما يحيط بها من أكوام الزباله وأنهار المجارى !! بل لو
رأى كل ذلك من هم من غير المسلمين . لن يصدقوا ان الاسلام
فيه ذرة مما قيل عنه من أنه يعتبر النظافة من الايمان . . . وكيف
يمكن لهم أن يصدقوا ذلك وهم يروننا في سلوكنا وأفعالنا نناقض
كل ما يأمر به الاسلام .

● ● هذا التصور ، من يقدمه . ومن يحميه ، ومن المسئول
عنه ؟

● رجال الدين أولا وأخيرا هم المسئولون في الاغلب في أن

الشباب الغيور على دينه لجا الى العنف لانه وجدهم لا حول لهم ولا قوة . وقد أهملوا مسئولياتهم في توجيه الشباب والتفتوا الى الدين من حيث هو شعائر ونصوص وحلال وحرام . وكلام ليس له دخل في المهمة الحقيقية التي يجب على رجال الدين القيام بها لانهم الورثة الحقيقيون للنبي صلى الله عليه وسلم في أن يحتفظوا بالامة الإسلامية كخير أمة أخرجت للناس بعد أن ارتفع بها الرسول من محيط الجاهلية . وليس هذا تاريخا مضى وانتهى أو ان عصر الخروج من الجاهلية هو عصر واحد بل انه في كل عصر نوع من أنواع الجاهلية . ولذا يجب على رجال الدين أن يباشروا مهمتهم في الخروج بمواطنيهم من جاهلية العصر الذي يعيشون فيه .

ان عصرنا الحاضر رغم بريق الحضارة والمدنية فيه الا أنه يحمل بين طياته عوامل انهياره . فماذا يبقى لنا بعد الانهيار الا المبادئ والقيم التي نادى بها اسلامنا ، ونادى بها نبينا . لأن القيم والمبادئ لا تتغير في أى عصر من العصور . فاذا ما احتفظنا بها كان ذلك لنا حصنا يقينا من شرور العصر وجاهليته .

ان واجب رجال الدين في هذا ان يبصروا الناس خاصة الشباب . ولكن الذي حدث ان رجال الدين تناسوا مهمتهم . أو انهم أهملوها فلم يعد الدين في نظرهم الا طقوسا وشعائر وأصواتا جميلة تقرأ القرآن وأشياء أخرى ليس لها مساس بالاسلام .

نتج عن ذلك أن الشباب شعر بهذا النقص وشعر أن هذا ليس هو الاسلام . فحاول من نفسه أن يسد النقص ويصحح الأوضاع . ولكن مع الأسف الشديد . وهذه أقولها ، ان الشباب أخطأ الطريق بلجؤته الى العنف . والى عكس ما أراده الاسلام باستخدامهم القتل والارهاب وكل ما لا يقره الاسلام في صميمه وفي جوهر وفسروا الآيات على أن من واجبهم ان يغيروا بالقوة . ولكن العذر لهؤلاء،

الشباب أنهم أقل ادراكا من أن يفهموا الاسلام الفهم الصحيح . لأن أحدا لم يعلمهم ولم يوجههم التوجيه السليم . فلجأوا الى العنف متهمين الدولة بالتقصير . وأنها بما تملك من قوة السلطة قادرة على أن تحدث تغيير المجتمع الى الطريق الصحيح . مستندين فى ذلك الى الحديث الشريف القائل « بأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وأن الدولة تسير خلف المجتمع الواسع من الجهلة . ومن الناس الذين لا اهتمام لهم الا بأنفسهم وملاهيهم . مما يجعل من المجتمع أداة لهو وأداة تقصير وآداة اهمال .

• • ان على رجال الدعوة الاسلامية هنا أن يدركوا هذا . وان الدين الحقيقى هو أن يكون المجتمع أرقى مما هو . وخير أمة فعلا . وما الطقوس والشعائر الدينية الا تقوية وتدعيم للشعور بهذا الواجب . ولكنهم نظروا الى مظهر الدين وليس الى جوهره . وتركوا الشباب حائرا لا يجد من يقوده فقاد نفسه وكانت النتيجة التى يعرفها الجميع .

• • اذا كان هذا هو دور رجال الدين . فما هو دور أهل الفكر فى معركة بناء الانسان المصرى ؟

• المفكرون ليس لهم سلطة الا الكتابة . والكتابة أقل من أن تكون لها القدرة على تغيير شىء . والكتاب كبشر يقولون هل نحن سنصلح الكون ؟ ولكن الذى له القدرة على التغيير هو السلوك نفسه . والبرامج فى الاذاعة والتلفزيون . اذ يكفى أن الناس ستشاهد وتسمع ما يلقى بأذواقهم وما يقربهم من دينهم لا ما يبغضهم فيه بالنصائح والمواعظ . ان الدين أولا وأخيرا هو السلوك القويم فى البيت وفى الشارع وفى المأكل وفى المشرب وفى اللبس وفى العلاقة بين الناس . هكذا يكون الدين ، ينقل المجتمع الى مجتمع سلوكيات وليس الى مجتمع ببغاوات ينطق أفرادها ألفاظا دون أن يدركوا معناها .

والبداية من البيت • ولكن الدور الأكبر يقع كاهله على المدرسة •

غير أن المدرسة للأسف لا تقوم بدورها كما ينبغي أن يكون • ودعك مما يدرسه من مواد دينية • وأخوف ما أخافه ادخال الدين في المدارس كمادة أساسية • لأنني أسمع من أولياء الأمور انهم يجدون أولادهم في حالة خوف شديد ومشقة شديدة من ادخال الدين في المدارس كمادة أساسية • لأن المسئولين عن التعليم لا يختارون في المقرر الديني الا أصعب الآيات لغة ومضمونا • وهذا مما ينفر من الدين أكثر مما يجب فيه • بينما في جيلنا كنا نحن أنفسنا نقبل على حصّة الدين لأن الدين كان يصور لنا بصورة مبدعة • فكانت الآيات المقررة قصيرة وبسيطة تتدرج بعد ذلك مع مداركنا وأفهامنا كلما صعدنا درجة من درجات الدراسة • كما كان الاستاذ أو الشيخ الذي يدرس لنا يروي لنا قصص الأنبياء بطريقة تستهويننا • لهذا لم تكن نشعر أبدا أن الدين شيء صعب مثلما يحدث اليوم • مع أن الدين بسيط في تعاليمه • ويجب أن يكون كذلك بسيطا في طريقة تناوله للطلبة • وهذه هي البداية لتربية سلوك يتمشى مع طبيعة الاسلام وبساطته • وبهذا يكون الدين اداة للرقى • وبذلك تتخرج لدينا اجيال تفهم المعنى الحقيقي للاسلام ، ولكن ما يحدث عكس ذلك تماما فليس في برنامج المدرسة ما يدل على مباشرة هذا السلوك •

● ● هناك واقع آخر ، يفرض نفسه الآن على الانسان • بل انه يكاد يكون أشد تأثيرا • ألا وهو أجهزة الاعلام ؟

● لا شك أن الاذاعة والتلفزيون أكبر الوسائل وأقواها في توجيه السلوك الاجتماعي لانها موجودة في كل بيت • غير أن الواقع الليم يدل على استغلال هذه الأجهزة أسوأ استغلال • فتجد الاغاني

الخليعة التى لا يمكن لاي انسان يحترم نفسه أن يسمعها . وكلمة حبيبي التى أصبحت كلمة مستهلكة تتكرر دون أى داع لها . ثم نجد المبتدلات فى المسلسلات السخيفة ، وانتشار المسرحيات الهزلية ، فاجد الناس يضحكون . ولا أدري على أى شيء يضحكون . بعكس ما كان فى أيامنا حيث كانت مسرحيات شكسبير تعرض حتى فى القرى ، وكان الشيخ سلامة حجازى له فرقة يضع لها ألحانا راقية . فكان هناك الفن الراقى رغم ان الناس أيامها كانت تنتشر بينهم الأمية بطريقة لا يمكن مقارنتها بما هو موجود الآن ومن هنا يمكن أن تشعر الى أين تسير أجهزة الاعلام بهذا المجتمع .

وما أراه هو أن كل شيء يعرض على الجمهور يجب أن يكون تحت التحليل والدراسة . من واقع هل هذا يرقى بالناس أو ينحدر بهم . وليس أبدا كما نحن سائرون الآن . خصوصا الدولة التى ننظر ماذا يريد المجتمع ! وما الذى يريده الأفراد ! وما الذى يساهم فى امتاع الناس ! وهذه نقطة خطيرة . ان الدولة كلها وأدواتها تسير خلف المجتمع فى احط مظاهره . مع أن نصف الجماهير ليس لديها الوعي الكافى . وهنا يجب على الدولة بأجهزة الاعلام فيها أن تقاوم اللاوعي عند الجماهير . ولذلك أقترح تكوين لجنة من المتخصصين المثقفين ورجال الدين أو العقلاء ليقولوا لنا هل ما يسمعه ويشاهده الناس يرقى بالناس ويجعلنا فعلا خير أمة أخرجت للناس ! أو على الأقل أمة محترمة ؟ ثم تضع هذه اللجنة ما هو ضرورى للانسان المصرى الذى نريد بناءه . تماما مثل نوعية الطعام التى يجب على الانسان تناولها بالقدر الذى يمتعه ويشبع حاجاته الضرورية من جميع العناصر الغذائية التى يحتاج اليها الجسم . كذلك ننظر ما هو ضرورى للعقل فنرى ما يجب أن نصر عليه كضرورة ونقدمه للناس . ولذلك يجب وضع برامج مدروسة على أساس الدين وعقلية الناس ومستوى تعلمهم .

ولهذا يجب أن نلغى شعارا ونضع مكانه شعارا .
 نلغى شعار - « الجمهور عايز كده » ، ونضع بدلا منه شعار -
 ما الذى يرقى بالجماهير لنقدمه لها .

لانه ليس من المفروض أن نسير وراء متعة الجماهير . ولكن
 نسير وراء الارتقاء بها . مع وجود المتعة أيضا . لأن الفن الجيد
 هو الذى يجمع ما بين المتعة والارتقاء بالذوق الانسانى . وانك لتجد
 الاسلام لا يحرم الاستمتاع بملذات الدنيا . ولكن بما يرقى بهم .
 ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتسامح فى ترديد الاغاني . فقد
 مر بجارية وهى تغنى قائلة : « هل على ويحكم - ان لهوت من
 حرج » .

فقال صلى الله عليه وسلم : لا حرج ان شاء الله « ولكن اى لهو
 هذا الذى سمح به الرسول . انه اللهو البرى . كذلك عندما انتهر
 أبو بكر جاريته كانتا تغنيان وتضربان بالدف فى بيت الرسول
 قائلا : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله ؟ قال له الرسول :
 دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » . اذن فالمتعة ليست مكروهة فى
 الاسلام . ولكن المتعة الهابطة هى التى لا يرضى بها الاسلام . وهذا
 كان عاملا من عوامل سقوط الأندلس حيث انغمس الناس والحكام
 فى اللهو والملذات الى درجة أن أحد قضاة ذلك العصر كان خارجا
 الى جنازة . وفى الطريق زار أحد أصدقائه الذى أحضر له جارية
 تغنى فبلغت درجة إعجاب القاضى بهذا اللهو الى كتابة كلمات الأغنية
 على ظهر يده . ثم خرج ليصلى بالناس صلاة الجنازة وقد ظهرت
 على يديه كلمات الأغنية . فهل ينتظر من أمة بدأت تنحدر بأخلاقها
 الى هذا المستوى أن تستمر ؟ يجب أن نعتبر بالشاريخ ودروسه ،
 اذا أردنا أن نبني الانسان المصرى ، أنه مبنئ على أساس خاطئ .
 فكيف نسير وراءه بحجة الجمهور عايز كده ؟ ومن هنا حدث

التناقض . وكانت البذرة التي على أساسها نشأت الجماعات
العينية المتطرفة لأنها وجدت فعلا أشياء لا يمكن مع وجودها اصلاح
مجتمع يريد ان يرقى ، فقام الشباب يحاول الاصلاح . ولأنه لم
يجد من يحاوره بالاقناع والمجادلة الحسنة انطلاقا من الآية الكريمة :
« وجادلهم بالتي هي أحسن » فقله ساروا في طريق العنف . فكان
الرد عليهم أيضا بالعنف فأضيفت الى النار نار جديدة . ولذلك
لا ينبغي أبدا أن نزع في السجون بالالوف من الشباب بدون أن
يعرفوا لماذا هم مجرمون ؟ هل هم مجرمون لأنهم يريدون اصلاح
المجتمع ؟ يجب أن ننبههم الى أن وجودهم في السجون كان لأن
الطريق الذي أرادوا به الاصلاح يوقعهم تحت طائلة القانون !
ولذلك فان المحاكمات التي تتم لهذه الجماعات لا تقوم على أساس
موضوعي . ولكنها تتم على أساس أنهم ارتكبوا جريمة ، تخضع
للمادة كذا من قانون العقوبات !

ولذلك كانت الخطوة التي اتخذتها أجهزة الاعلام أخيرا بفتح
النوافذ أمام فكر هذا الشباب خطوة طيبة . ولكن يجب ألا تكون
هذه ظاهرة موسمية وتنتهي . والا سنعود الى نفس الحلقة المفرغة !
● ● مفكرنا الكبير توفيق الحكيم ، من حق الشباب ، أن
يسمع منه كلمة ، وسط هذه المتاهة التي تحدثت عنها !

● أقول للشباب : لا تحاول أن تقوم بأعمال توقعك تحت طائلة
قانون العقوبات أبدا . ولا تستخدم الارهاب والقتل . لان المجتمع
لن يصلح بالقوة . لأن القوة لا تصلح شيئا . بل ستكون القوة ضد
القوة . وبمجرد أن تسلك طريق العنف ، ستجد أن الدولة كلها
لديها أسلحة العنف . فيصبح الشباب حينئذ خارجا على القانون ،
ولكن اذا أراد الشباب أن تسير الدولة في ركاب الاصلاح الذي يريده
فعليه أن يقدم لها نماذج بالحسنى ولهذا أريد أن اقترح على الشباب
اقتراحا :

هو أن يطلب من الحكومة أو عن طريق التبرعات شراء قطعة أرض يبنى عليها الشباب مجتمعاً صغيراً يكون نواة لمدينة كبيرة تقوم الدولة بتجهيزها بالمرافق إذا أرادت أن تساهم ويقوم الشباب ببناء المساكن والميادين وكل الأشياء الأخرى . ويكون هذا المجتمع الصغير أو هذه المدينة الصغيرة بذرة المجتمع الفاضل الذي يريده الشباب . ويأتون في هذا المجتمع الجديد بأفضل الكتب وأحسن الفنون . وسيجدون أن رجال القانون وأصحاب الحرف وكل من يعملون من أجل الخير سوف يتجهون لتشكيل هذا المجتمع الفاضل . وأنا شخصياً مستعد للمساهمة في بناء هذا المجتمع الفاضل رغم أنني شيخ عجوز . وأقول للشباب إذا قام ببناء هذا المجتمع خذوني وابحثوا لي عن أي عمل أساهم به معكم في بناء هذه المدينة الفاضلة .

واقترح أن يبنى هذا المشروع واحدة من الجمعيات الدينية التي تحاكم اليوم . ويساهم كل مواطن ولو بطوبة ، وإذا حدث هذا أرجو ألا يكون هذا المجتمع تقليداً للمجتمع سابق . لأن الزمن متغير . فيجب أن يكون هذا المجتمع الذي اقترح على الشباب البدء في تنفيذه مجتمعاً حديثاً . يقوم على أسس إسلامية . وبذلك نضع البذرة للمجتمع الإسلامي الذي نريده . وستنمو هذه البذرة لتصبح شجرة كبيرة تظلل بفضائلها مجتمعنا كله ليس بالارهاب ولا بالقهر . ولا بالسيف . ولا بالجهاد . لأن الجهاد لم يشرع من أجل ذلك . وإنما شرع لرد الاعتداء . ولم يحدث أن الرسول بدأ بالعدوان ولم يحدث أن أجبر الناس على أن يتبعوا دينه بالقوة .

ولذلك فإن من يفسرون اليوم كيف انتصر الدين الإسلامي وأن ذلك قد تم بالسيف يقولون في خطأ كبير لأن الإسلام إنما انتشر بمبادئه وتعاليمه المقتنعة ولم يستخدم السيف إلا لرد العدوان . والآيات التي تحض على عدم الاعتداء كثيرة .

اذن فاستخدام القوة لتغيير مجتمع منحرف أمر لا يقره الاسلام .
وانما تغيير الانحراف يأتي بالاقتناع . أو بمجتمع كالذي اقترحه
على الشباب يعمل فيه كل المواطنين بالانتاج الصحيح . وبكل
ما ينبغي للمجتمع الفاضل أن يسير فيه . وسوف يأتي الناس
لمشاهدة هذا المجتمع الاسوة فتشيع الفضائل .

هذا ما يقدر الشباب أن يقوم به ، وأنا أول المتبرعين لبناء
مجتمع الفضيلة ، اذا اقدم الشباب على تنفيذ هذا الاقتراح .
وسوف يجدون ان المجتمع كله يسير خلفهم .

● ● هناك قضية نجاح شبابنا في الخارج والنماذج كثيرة .
فما هو قول الأستاذ الحكيم في ذلك ؟

● تفسير ذلك أن الشباب يذهب الى مجتمع منتج متعلم
فيأخذ وضعه بين هذا المجتمع . تماما مثلما تذهب الى حديقة مرتبة
ومنظمة مما يجبرك على أن تحترم نظامها . لأن هذا النظام يريحك .
ولهذا فان الشاب المصري اذا ذهب الى مجتمع راق فانه يصبح أرقى
ممن يعيشون في هذا المجتمع الراقى ، ولكن اذا كان يوجد مجتمع
هابط فكيف يمكن للانسان أن يرقى فيه ؟ ان الموهبة تبرز حينما
تجد العوامل المساعدة لها على الظهور في بيئة صحية . انما انت
تجد موهبة موجودة في بيئة منحطة كيف يمكن لها ان تنجح ؟!

- اننى أعرف نماذج كثيرة لشباب نبغ في الخارج . وعندما
عاد الى بلده حطمه المجتمع حينما حاول أن يفيد بلده بعلمه وبخبرته .
المجتمع ينظر اليه على أنه منحرف ، وأصبح موضع التندر
والسخرة ، وأقرب مثل الدكتور فاروق الباز الذى كانوا يريدون
له أن يعمل في قطاع البترول فترك بلده وسافر الى أمريكا .
وأصبح هناك من أعظم علماء الفضاء . . فهكذا نجد اننا في مجتمعنا
نقتل المواهب .

● ● هناك أيضا قضية لا تقل خطورة ، هي عدم ظهور أصحاب الاسماء الالامعة من المفكرين والأدباء في الاجيال الشابة . ما هو السبب !! ولماذا لم يظهر عقاد آخر ، أو طه حسين ، أو الحكيم ؟!

● انها أزمة تكوين الانسان المصرى . . انظر لهذه الأسماء التى ذكرتها وانظر الى حياة هؤلاء . . تجد أن حياتهم الأولى وكل مراحل حياتهم وقبل أن ينتجوا سطرًا واحدًا . هي حياة تكوين فنهوا من عناصر المعرفة ما أهلهم لان يكونوا روادا للفكر . فتجد مثلا أن المدارس فى ذلك الوقت كان بها أساتذة يدرسون المواد كلها دراسة تنمى العقل وتنمى حب المعرفة خارج المدرسة . وكانت البرامج التعليمية جيدة . وبعد الانتهاء من الدراسة كان هناك ما يعرف بالمصباح السحرى داخل كل مدرسة . وكان الطلبة يجتمعون بعد الدراسة ليشاهدوا فى المصباح السحرى أشياء لا بد من رؤيتها كالبهار والغابات والجبال والصور الجميلة فى المتاحف . . فكان القانوس السحرى مدعما ومكملا لما يؤخذ من محاضرات تنمى حب المعرفة .

كذلك الدين كان يتم تدريسه بطريقة تساعد على تقوية اللغة العربية ، وفى الأدب كانوا يأتون بنصوص ترقى بالذوق الأدبى للطلبة أما الآن فتجدنا نبحث عن الكم لا الكيف . ونسأل كم مدرسة بنيناها هذا العام . ولا نسأل ما الذى يمكن أن نعلمه لاولادنا فى هذه المدارس ا لا شيء سوى كلام فارغ وتدریس لاصعب النصوص . حتى فصول محو الامية . المتعلمون فيها يخرجون عن مما كانوا .

لكل هذه التعقيدات فان هذا الجيل الجديد معذور اذا لم

يظهر فيه مفكرون • لأن شباب هذا الجيل ينقصه التكوين الذى لم تكن نفتقر اليه حينما كنا شبابا •

• • ألا يرى الاستاذ توفيق الحكيم ، أن الثقافة المصرية ،

تمر بأزمة طاحنة الآن ؟!

• بعد ما كانت مصر منارة للحضارة وكتبنا تصل الى ادونيسيا • المصاحف ومعها كتب الأدب والفكر حيث كان الاسلام يتقدم ونحن وراءه بالفكر العربى واللغة العربية • أما اليوم فلا تجد شيئا من هذا • فلكى يخرج كتاب لابد من المرور بـ جمارك وضرائب وتملاً استمارات • الاستمارة «ب» والاستمارة «هـ» وهكذا عقبات حتى يخرج الكتاب كأنه مهربات ا والناشرون يشكون لنا • فأصبح الفكر يعامل كأنه تجارة • مع أن المفروض أن المسئولين فى الدولة يشعرون ان المنارة العلمية والفكرية والدينية فى مصر ، يجب تدعيمها حتى تظل مصر دائما قلعة العروبة والاسلام •

‘ واذكر اننى كنت فى زيارة على ما أظن لايطاليا وبت ليلتى فى أحد الفنادق • وفتحت أحد الادراج فوجدت كتابا بالوان زاهية • مغلفا بغلاف جميل • وهو يتحدث عن روما وآثارها وحضارتها وتاريخها • الحقيقة أعجبنى الكتاب وسألت نفسى من أين اشترى هذا الكتاب ؟ ثم قلت لنفسى بغريزة السوق ، لماذا اشترىه • ما دام موجودا هنا فى الدرج • ، واذا لم آخذه سيأخذه غيرى ، وأخذت الكتاب وماكدت أنزل من حجرتى ، حتى وجدت أن ما أفعله هو سرقة • • ولذلك ذهبت الى صاحب الفندق وقلت له : أنتم تضعون فى الحجرات كتباً بلا رقيب عليها مما يغرينا بأخذها • فقال لى صاحب الفندق : ‘ خذ الكتاب اذا كنت تريد قلى له : ‘ كيف ذلك ان هذا سرقة ؟ فقال لى : نحن نضع هذه الكتب ليسرقها من يريدنا

انه لن ياكلها ولكنه سيقروها . واذا لم يقرأها فسيعطونها لزميله
يقرأها . وبذلك يكون قد عملنا دعاية للسياحة في بلدنا .

نفس الشيء - يستطرد توفيق الحكيم - حدث معي في
انجلترا . فبحوار كل سرير في الفندق يوجد الكتاب المقدس . ولما
سألت صاحب الفندق عن ثمنه . قال : انه لا يباع ولكننا نضعه
لن يريد أن يقرأه أو يحتفظ به . وما زلت احتفظ به حتى الآن .
وهكذا تجد انهم في الخارج يعملون على نشر الدين والثقافة .

وهنا في مصر الكتب القادمة أو الداهية عليها ضرائب .
وهذا شيء غريب . لأننا بذلك نغلق أبواب الثقافة ونمنع عن البلد
كل رقى . ماذا ستستفيد الدولة من الجمارك على الكتب . كم
مليوناً ستخسرها الدولة من عدم تحصيل الضرائب على الكتب !
خمس مائة مليون جنيه مثلاً !

ولكننا في مقابلها سننشر ثقافتنا وسننشر ديننا لأن للكتاب
أثره الذي لا يمكن لسفاراتنا في الخارج أن تقوم بدوره .

لكن لمن تقول هذا الكلام ! ومن سوف يسمعك ! رغم أن هذا
كلام العقل والمنطق !! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كما قلت
وأكرر يجب على المسؤولين أن « يشطبوا » بالثلث كلمة « الجمهور
عايز كده » من كل وسائل الاعلام . ويكتبوا بدلاً منها « الثقافة
عايزه كده » ، « بناء الانسان المصري عايز كده » . . . واعلم أن
الدولة في يدها مفاتيح السلطة ومفاتيح الطرق السليمة . وعليها
أن تفتح الأبواب كي تعود مصر كما كانت قلعة الفكر والثقافة
ومنازة للعروبة والاسلام .

● هل يعنى هذا ، اننا نتهم الحكومة بأنها السبب فيما يحدث . وهل المطلوب أن تقوم الحكومة بكل شيء ، دون أية مبادرة من المواطنين ؟

● فيه حاجة غريبة . أنا مندهش لها . وهى تمثل الفرق بين جيل مضى وبين هذا الجيل . وهى أن الأجيال الماضية كانت تعمل أكثر مما تعمل الحكومة . وتفكر قبل أن تفكر الحكومة ، وعلى سبيل المثال كانت فكرة انشاء الجامعة نابعة من الشعب لا من الحكومة والذى فكر فى انشاء الجامعة رجل أذكر أن اسمه « الغمراوى » وتحمس الناس للفكرة . وتبرعوا لها . وكان هذا دافعا للحكومة انها تدفع الفكرة الى حيز التنفيذ وتساهم فيها بجهدا .

وطلعت حرب كمثال آخر للمواطن المصرى الذكى . . . فقد وجهه أن كل البنوك فى مصر أجنبية . فقال لماذا لا يكون هناك « بنك مصر » ! وطرح الفكرة على الناس وساهموا فى انشاء بنك مصر ! وكل من ساهم كان يعتبر من المؤسسين . فكان الطالب يساهم بعشرة قروش والموظف يتبرع بجنيه . وهكذا الشعب نفسه هو الذى يفكر للحكومة وليست الحكومة هى التى تفكر للشعب ، والشعب هو القادر على أن يجعل الحكومة تنفذ المشروعات التى يريدونها اذا بدأ هو تنفيذها .

لكن . . . أنت ترى اليوم وتسمع أشياء خرافية . . . انسان عنده - ١٢٠ مليون جنيه .

والمليون أسموها « أرنب » يعنى ١٢٠ أرنبا كيف حدث هذا ! ماذا أفعل حتى أصبح مثل هذا الرجل « ١٢٠ مليون جنيه » !! نحن لا نحسد أحدا ولكن لو صاحب الـ ١٢٠ مليون جنيه ساهم بخمسة ملايين فى عمل انتاجى يفيد البلد أو انشاء مستشفيات .

أو مداوس أو متاحف - أو أى شيء يُقيد البلد !! لو حدث هذا
ما تكلم أحد وما حدثت البلبله ! والضدمات التى يشعر بها
الناس . ولكن الذى عنده أرنب يريد أن يكون عنده أرنبسان
وثلاثة . وانتشرت الأرنب سواء فى الأموال أو الأولاد ولا أحد
يتقدم ويساعد ! ولذلك فلن نتقدم الا إذا غيرنا طبيعة الأناية التى
نعيشها لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وإذا كلمت أحدا يقول لك : « نحن لسنا الحكومة » .
فهل مهمتها أن تفعل كل شيء ! اذن أين أصحاب الملايين ! وما هى
مهمتهم ! هل مهمتهم استنزاف ثروات البلد ذون أن يقدموا غطاء !!
اننا فى مرحلة خطيرة يسودها الانحطاط . وكانت النتيجة أن
الانتاج تدهور ولم يعد يكفى حاجيات الناس فأصبحنا نرى طوابير
فى كل شيء حتى فى السجائر نلاحظ أشياء غريبة . وهى أنه رغم
أن السجائر مضره بالصحة العامة ، نجد أن الدولة تضع لها
دعما . . كيف يحدث هذا !! ألم يكن الدعم المقدم للسجائر
أفيد لو صرف على تحسين الخدمات الصحية !! ولكننا سنرجع مرة
الى الشعار السخيف « الجمهور عايز كده » .

● ● ثملة مسألة لأفتة للنظر ، هى عدم فوز أى مفكر
عربى ، أو أديب عربى ، بجائزة نوبل ، ما رأى الأستاذ الحكيم ؟ (*)

● جائزة نوبل لها أبعاد سياسية . بمعنى أنه عندما يتم
اختيار مفكر للحصول على هذه الجائزة يكون من شروط اختياره
أن يكون هناك احساس عالمى بدولته ودورها فى مجال السياسة
الدولية .

(*) توفى توفيق الحكيم قبل أن يشهد معنا حصول صديقه نجيب محفوظ
على جائزة نوبل .

فجلى أى أساس يعطونها لأديب عربى أو أديب مسلم ؟ وهم
يروون العرب والمسلمين يقاسون بعضهم البعض وليس عندهم
استقرار من الوجهة الحضارية . وليس لهم دور ولا وجود عالمى !
حتى الحضارة العربية الإسلامية فى العصور الوسطى وليس لدى
الأوربيين الآن الاحساس الحقيقى بقيمتها وفضلها عليهم !

ولكنك تجد احسانهم مثلا بالحضارة اليونانية ! ولذلك
أعطوا شياعرا أو اثنين من شعرائها جائزة نوبل على أساس أن
الحضارة اليونانية رضع من لبنها الأوربيون فى الشعر والفلسفة .
وكل هذا انتقل من الثقافة الاغريقية التى ورثها الرومان واستغادت
منها الحضارة الأوروبية الحديثة . ولذلك فإنهم يريدون تكريم هذه
الحضارة فى شخص شاعر أو أديب أو مفكر ينتمى لهذه الحضارة
التي لديهم احساس بقيمتها ودورها فى الحياة الانسانية . فهل
لدى القارئ على جائزة نوبل احساس بقيمة ودور الحضارة العربية
والإسلامية ؟ لا يوجد هذا الاحساس . وحتى لو وجد فإن حال
العرب والمسلمين اليوم لا يعطى فرصة لأى تقدير أو احترام . رغم
أن الحضارة العربية الإسلامية كان لها دورها الأكبر فى انتقال
أوربا من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . ومن واجبنا اليوم
أن نذكر الأوربيين بهذا أو ذاك ، بترجمة تراث العرب والمسلمين
مثل ابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، ويستطيع العرب أن
يساهموا بأموالهم فى هذا وتوضع كتب ومؤلفات هؤلاء الاعلام فى
مكتبات أوربا . . . وفى « الفاترينات » مثلما يفعلون فى أوربا
ويتركون كتبنا عن حضارتهم فى الفنادق ليطلع عليها الأجانب .

كما يجب التعريف بالاسلام . ويتعاون العرب ماديا فى
ترجمة معانى القرآن بما فيها من فكر وحضارة لا يدرکها حتى
المسلمون .

ولو استطعنا أن نعبر بفكرنا في الماضي بصرف النظر عن
فكرنا الحديث الى الأوربيين . لكان من الممكن أن نحسن الصورة
السيئة التي يدل عليها واقع حالنا اليوم ، مما لا يشجع أى أوربى
على التفكير فى منح جائزة نوبل لأى أديب عربى أو مسلم .
اذن - يضيف توفيق الحكيم - فالدور السياسى للدولة له
تأثير فى اختيار مفكرها لتكريمهم . بدليل انك تجد شخصية
من أكبر الشخصيات عندهم مثل « اندريه مالرو » لم يفكروا فيه
للاعتبارات السياسية . لأنه كان متصلا بديجول له معارضوه وله
مؤيدوه .

وهم يريدون مفكرا يبشر بشئ يفيد الإنسانية كلها . ولأنه
أن يمثل هذا الشئ فى الفكر أو الفلسفة . مثل « طاغور » شاعر
الهند . لماذا أعطوه جائزة نوبل ؟ لأنه يمثل تفكير وفلسفة آسيتا .
وكذلك يمثل روح الهند كلها ، وقد حصل عليها فى وقت اكتوت
فيه أوروبا بنار الحرب الأولى . فطاف بأوربا يبشر بروح جديدة .
ويدعو للسلام . مع الأخذ فى الاعتبار أن بلد طاغور لم تكن قد
احتدمت فيها المشاكل السياسية بعد ؟

فاذا جئت للعرب لا تجد فيهم من يمثل قيمة . ولا حتى
بالنسبة للإعلام بما يلتفت نظر الغرب ، إلا الشيخ محمد عبده الذى
دخل فى نقاش وجدل فكرى عن الإسلام مع فيلسوف فرنسى كبير
اسمه « هانوتو » . وكانت فكرته مثل مفكرى الغرب . فكرة سيئة
عن الإسلام . ولكن محمد عبده استطاع أن يحسن هذه الصورة
وأن يقنع الفيلسوف الفرنسى بحقيقة الإسلام . فهل يوجد اليوم
المفكر العربى أو الإسلامى الذى يستطيع أن يقنع كاتباً أو مفكراً
غربياً بحقيقة الإسلام ؟

لا تجد هذا . فما هو المبرر ليحصل مفكر عربى على جائزة

نوبل ؟ لأن هذه الجائزة لا تعتبر تكريماً لما فكر بقدر ما هي تكريم لبلده . فإين من دول العرب والمسلمين من يستحق التكريم ؟

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى يجب على من يعمل الا يقول ، انا عملت . وانا استحق التكريم . كما يجب أن يكون رجل العلم مثلاً يعمل فى نطاق مجموعة مشتركة لا فى نطاق نفسه . . . فتجد أن مكتشف البنسلين « الكسندر فلمنج » حصل على جائزة نوبل وشاركه فيها زميل له ساعده فى أبحاثه لأن العلم يحتاج الى روح الجماعة التى تعمل فى سبيل اثبات نظرية معينة أو الخروج بالكشف معين . فهل لدينا مثل هذه النوعية من العلماء ؟ قد لا نجد سوى « مصطفى مشرفة » .

كذلك فإن المرشحين لجائزة نوبل لا يعرفون انهم مرشحون . وإذا عرفوا لا يتقدمون عن ذلك اطلاقاً . لأن هذا يجب أن يكون سراً . وحتى اذا تم ترشيح أحد لهذه الجائزة فلا يصح أن يقال اننا رشحن فلاناً . لأن مثل هذه الأمور تعتبر دعاية تسقط المرشح من امينهم ، ولكن هنا عندنا بقولون ان فلاناً هذا يستحقها وهذا كلام فارغ . فابس عندنا من الناحية الأخلاقية ولا من الناحية العلمية ولا من ناحية الشعور بالواجب من يستحق التكريم . فهل رأيت عربياً من هؤلاء الأثرياء ببرغ لبناء مستشفى فى بلد عربى وأحسن له الأجهزة الحديثة والأطباء من بلاد العالم ليكون مركزاً علمياً عالمياً يساهم فى تخفيف آلام الانسانية ؟

لم يفكر عربى من أهل الفنى والبراه من هذا لأنه لم يخطر بباله وإنما هو يفكر فى شراء الفنادق والملاهى وبشرة الملايين من كبارهاأت أوروبا !

فأى احترام يمكن أن يكون لنا عند هؤلاء الأوربيين ؟

ومن ناحية ثالثة : تجد أننا محلون بطريقة كبيرة جدا .
وكل من كتب له قصة يقول لك أنا أستحق جائزة نوبل .
يا سيدى - هكذا يقول توفيق الحكيم - المسألة ليست بهذا الشكل
فلو كنت لبلدك المسألة ليست كده . أما اذا كنت للعالم كله
فتقدم والعالم من ورائك . تتم تنقيتكم على « الفرازة » ويجتمع
علماء متخصصون فى السويده ليجتثوا ما هى المبررات التى يقبلون
على أساسها فلانا ؟ ومن بين هذه المبررات ماذا يمثل بالنسبة
للإنسانية . لا ماذا يمثل بالنسبة لبلده . وإن كانت بلده هى
الإنسان الذى ينطلق منه الى الفكر العالمى .

● ● الآن ، ومن خلال رؤية الحكيم لحركة الانسيان
المصرى ، ما الذى يمكن ان يضاف ؟

● اننى أتمنى أن يصبح الانسان المصرى فى ذاته ، والناس
والمجتمع مقدرين مسئولياتهم . فلا ينتظرون حتى تساعدهم
الحكومة بل يجب أن يبدأوا التفكير من أجل بلدهم لأن كل فرد
مسئول عن نفسه وعن بلده .

كما أتمنى أن تسأل الحكومة نفسها . ما هى العناصر التى
تليزم لبناء مصر بناء جديدا على أساس من ديننا واسلامنا الذى
يريد منا أن نكون خير أمة أخرجت للناس ؟ وأتمنى الا نفسر كتاب
الله بشكل يبعد تماما عن الرسالة الحقيقية للإسلام . وأرجو أن
تكون هناك نظرة جديدة وجدية للدين والمجتمع والانسان .

● ● الديمقراطية المتاحة الآن فى مصر . هل هى فى وايك
لتصحيح المسار السياسى والقومى . أم ترى ان هناك اضرافات
او ضوابط أخرى ضرورية ؟

● أنا لا أعرف الشعارات .

وإذا كنت تريد ان أعرف لك الديمقراطية بالعبارات فانصح
 أى كتاب يعرف لك ما تريد . أما ما أعرفه من الديمقراطية فهي
 الممارسة فى أى مجتمع . وأنا لا أتكلم الآن عما أراه لبلدى لأنى
 لا أعرف بالضبط ظروف البلد ومطابقتها لوضع مأخوذ من الكتب .
 ولكننى أريد ان أبحث لك عن أمثلة من وضع يقال انه ديمقراطى
 فى بلاد أخرى ومنها قد تعرف الديمقراطية .

فهناك مجتمع عرفناه منذ العشرينات فى الخارج وبالتحديد
 فى فرنسا . وعرفنا منها أن الجو الذى تنفسه هناك هو جو حرية
 أو ما يقال انه ديمقراطية .

ففيما يختص بالحرية وبرزها حرية التعبير كنا نستطيع
 أن نكتب وننشر كل ما يترأى لنا ولا أحد يمنع هذا النشر . الى
 حد اننا كنا نرى كتباً تعرض فى مكتبات بعنوانين تثير دمعنا
 ورهبنا استنكارنا . مثل : هذا الرجل الذى يسمونه المسيح ، مع
 أن هذه البلاد مسيحية . وكذب أخرى عن الزعماء المعاصرين
 والأقدمين . يذكرون فيها مالا يمكن أن نجد فيه راحة أو تأديبا
 أو نحو ذلك . وكانت الأحزاب تنشأ وتمارس اعتراضاتها بدرجة
 لا نستطيع ان نقبلها فى بلادنا .

وأما الصحف فلا يستطيع أحد أن يمد يده اليها بأى إشارة
 فهي حرة تماما . ولذلك فإن حرية القول والكتابة والنشر لا تحدها
 حدود ، وبعد ذلك نجد الناحية السياسية فيها مثل هذا أيضا .
 أى من يريد ان يؤلف حزبا فليختر . ومن يريد إصدار جريدة
 " أدبية أو اجتماعية أو حتى جنسية فليختر .

بالإضافة لا يوجد دواعى على أى ممارسة أو نشاط ذهنى
 أو اجتماعى . ولا يوجد ممنوعات يحرمها القانون الا فى حدود

ضيقة معروفة في قانون العقوبات ، كذلك ما يعرض في السينما والمسرح لا يمكن أن يعترض عليه أحد .

كان هذا في فرنسا حيث الحرية أكثر من أي بلد آخر مثل إنجلترا في ذلك الوقت ، لأن كتابا انجليز عرف عنهم التطرف فكانت بعض أعمالهم تمنع من النشر فيهربون بها إلى فرنسا لأن الانجليز كان في خلقهم بعض التحفظ .

كل هذه أمثلة على بعض نواحي ما يسمى بالديمقراطية .

ويضيف توفيق الحكيم معبرا عن الوضع في مصر في نفس تلك الفترة :

— انك قد ههش اذا قلت لك أن بعض مظاهر حرية التعبير التي وجدناها في فرنسا كانت موجودة في مصر في العشرينات .
فقد كان لدينا برلمان طالب فيه بعض الأعضاء بتحديد الملكية بمائة فدان . ولم يعترض أحد في عصر الملكية الاقطاعية . ولم يكن الاقطاع مذهباً . ولكنه كان واقعا اقتصاديا نشأ عن تصرفات الرؤساء من الحكام الذين أقطعوا بعض أملاكهم لحاسبيهم . ولم يكن نظاما ثابتا موضوعا وطبعا قانونيا . كما كان الاقطاع في فرنسا وإنجلترا . منذ ثلاثمائة سنة . كما أن القوانين كانت تراجع مراجعة دقيقة بواسطة رجال القانون المتخصصين .

ويدلل توفيق الحكيم على الحرية التي كانت موجودة في مصر في العقود الأولى من هذا القرن فيقول :

— بلغ من حرية الكلمة أن مصطفى كامل كان يخطب خطبه الراهمة في المطالبة بطرد الانجليز . وكان مناخ المجتمع المصري يعول دون أن يوقفت كلامه أحد لا الانجليز ولا غيرهم .

ثم جاءت بعد ذلك ثورة ١٩ وسعد زغلول وهو الزعيم الفرد
وكان له خصوم سياسيون لهم جرائدهم . وكانوا يعارضونه بأقصى
الفاظ . ومن عارضوه بقسوة طه حسين . ولم يكن هذا معنى أنه
لم تكن هناك رقابة . بل كانت الرقابة موجودة ومحسوسة .

كما كانت الجامعة المصرية الحديثة ولم يمض عليها الا سنوات
قليل تناقش فيها أخطر الموضوعات . لأنها كانت بيئة جادة ليس
مطلوبا منها تخريج الالوف بغير نضج عامي أو ثقافي يؤهلهم ليس
لشيء الا المطالبة بحقهم في الوظائف . ولذلك لا يستغرب أن نرى
من أساتذة الجامعات من لا يؤدون رسالة حقيقية سوى تخريج دفعات
من الطلبة دون أن نسمع لهم صوتا في شؤون المجتمع المصري .

ويضع نوبيق الحكيم يده على حاضرنا مستكملا :

— وإذا كنت الآن لا نستطيع أن تصدر جريدة سياسية الا
بشروط . ولا تؤلف حزبا الا بشروط . ولا تخرج كتبا لتنتشر لك في
الخارج لنشر ثقافتنا الا بشروط . في مصر استنارات وأذونات
من الجمارك المالية ونحو ذلك .

أي أن كل حركة ثقافية أو سياسية أو اجتماعية لا بد لها
من شروط تضعها هي أضييق نطاق حسي الدين نفسه نكسر فيه
المحرمات والممنوعات . لأن المناخ كله مناخ منع وحريم .

فلا أعرف بعد ذلك لا في ماضي مصر الذي عشناه منذ أول
هذا القرن . ولا في انفسنا الآن ما يجهلني أدرك ما الذي حدث
لنا ولا ماذا يمكن عمله لتغيير ما نحن فيه .

● ● هل تصلح التعددية والاسلام . كأساس للحكم ؟

● فيما يخص التعددية لما نحن فيه الآن . فانك
تستطيع أن تستخلص بنفسك ملاحها لأنك ستري أن الاسلام

نفسه في عهده الزاهرة كان « تعادلية » . بحيث كان المجتمع متعادلا في كل شيء . فلا يوجد طغيان للغنى على الفقير ولا يوجد طغيان للعبث على العمل الجاد . ولا تجد العبادة تطغى على العلم لأن النبي صلوات الله عليه كان يقول « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » . فالاسلام وضع كل أسس المجتمع السليم .

● ● ولكن هل هناك فلسفة سياسية خاصة تنبع مما تفكر فيه الآن فيما يتعلق بالتعادلية والاسلام ؟

● لا يمكن لي أن أوصي بأي وضع سياسي يتعارف عليه من الكتب .

● ● من خلال تجربة الحكم في مصر قبل الثورة وبعد الثورة هل تستطيع أن تعدد لنا ملامح تصلح كأسس صحيحة لنظام الحكم في مصر ؟

● لقد جربنا في مصر النظام السياسي الديمقراطي قبل الثورة . وحدث من الأحزاب ما جعلني أخاصمها جميعا . لأن الأحزاب اشتغلت كلها بالبحث عن كراسي الحكم . واشتد العراك بينها على هذه الكراسي ، ناسية أو متناسية العمل على بناء مصر الحقيقية . زراعيا وصناعيا واجتماعيا وخلقيا ، ونحو ذلك . مما جعلني في كتابي « شجرة الحكم » أقول ان النظام الحزبي الذي نتج عن ديمقراطيتنا أصبح غير صالح لتخريج الحكام الصالحين .

وطالبت بثورة جديدة على هذا النظام ، تأتي بالشباب الجديد غير رجال السياسة القدامى ، الذين لا يهتمون الا بأحزابهم ومضاهيم الشخصية .

● ● هذا قبل الثورة وعندما جاءت الثورة ! يقول الحكيم :

● استبشرنا خيراً بها فعلاً . لأن الذين قاموا بها كانوا شباباً . ولكنهم لم يمارسوا ما يقال انه ديمقراطية . ولم أهتم أنا بذلك ربما لأن طبيعة الظروف والتحديات الداخلية والخارجية التي أحاطت بالثورة ، لم تدع الفرصة للثورة لتلتقط أنفاسها أو للديمقراطية أن تنمو .

ثم حدث أن تغير النظام فاذا بالنظام الجديد ينقلب الى ديكتاتورية .

● ● اذن أى نظام ترى أنه صالح أو على الأقل قريب من طبيعة مجتمعنا هل هو الاشتراكية أو الرأسمالية ؟
يقول الأستاذ الحكيم :

● أنا لا أهتم بهذه النظم التي تسمى اشتراكية أو رأسمالية أو ديمقراطية أو ديكتاتورية ، وما نحو ذلك . لأننى لا اضمن أبداً أن يتغير جلد هذه النظم بالممارسة فتتقلب الى شيء آخر عكس الذى كنا نريده .

● ● ما الذى يمكن اذن أن يكون السبيل لوجود مجتمع ذى نظام حكم مستقر اذا كانت كل النظم الموجودة لا تحقق هذا الغرض ؟

● السبيل لوجود مجتمع ذى نظام حكم مستقر يتلخص فى كلمة واحدة هى « الحضارة » والحضارة هى التي أنقذت العالم الغربى من انهيار سريع . حيث ظهر فى العالم الغربى مفكرون عظام استطاعوا أن يبنوا حضارة عظيمة كونت الفرد تكويناً متيناً . من الثقافة الواسعة والتربية المتينة وأخرجتهم من الجهل والظلام . وبعد ذلك ارتدت هذه الشعوب المتحضرة الاردية المختلفة من النظم السياسية سواء كانت اشتراكية أو رأسمالية أو غيرها . وقد عانى

الغرب من الممارسة السياسية لهذه النظم ما عانى . ولكنه خرج من كل ذلك قويا منتجا لم تؤثر فيه عيوب هذه النظم لأنه وجد في المجتمع الغربي شعبا متحضرا يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات . لذلك أقول لك باختصار أعطى شعبا متحضرا واجمله يرتدى أى نظام سياسى تريد .

● ● على أى أساس تقوم المدينة الفاضلة أو المجتمع الصغير الفاضل الذى تدعو اليه الآن . هل هو نوع من الانعزالية أو صورة مما عرفه الاسلام تحت اسم « المعتزلة » ؟

● ما أدعو اليه ليس مجتمعا مقفلا . ولا هو صورة مما عرف تحت اسم المعتزلة . وإنما الذى أدعو اليه ، هو بناء مجتمع نموذجى تجريبى . يرضى الشباب الذى يقف الآن ضد مجتمعه الذى دب فيه الانحطاط والفساد . وأوجد لنفسه مثلا أعلى هو جمع المال الى حد أن أصبح المجتمع الآن لا يرى فيه الشاب من أمثلة ينظر اليها الا كلمة « دولار ودينار » . وكيف استطاع فلان أن يحصل على المليون والآخر على البليون . . . ولا أحد يتذكر الآن الرواد الأوائل الذين عانوا من صعوبة الحياة . ومع ذلك كانوا أمثلة تقتدى فى عملهم وفكرهم وحياتهم فى الظاهر والباطن . أما الآن فالمادة أولا والمادة أخيرا ، هى مقياس البشر .

● ● هل لديكم أمثلة توضح لنا الصورة ما بين المثل الأعلى فيما مضى والمثل الأعلى اليوم ؟

● كان العالم الأزهري يعيش على « الجراية » البسيطة من الخبز التى تصرف له . ومع ذلك كان يؤلف قواميس فى اللغة لم تستطع أن تضع مثلها اليوم لجان عريضة . أما اليوم فقد سالت مرة أحد علمائنا وزملائنا الأفاضل ، وكان يقوم هو وزملاء له بوضع معجم ، بعد أن رأيتنه قد وضع معجمه على النسق القديم ،

دون تجديد فقلت له : ولماذا لا تجعل الكلمة يبحث عنها في المعجم على حسب الحروف الأبجدية تسهيلا على القارئ .

فقال ما معناه : « العمل على قدر فلو سئم » أى لماذا يتعب نفسه على القدر الضئيل من المال الذى يعطى له ؟ . وهذه هى لغة العصر فى المجتمع . لا أحد يتحرك الا بقدر المكافأة المجزية . فلم يعد العمل فى نفسه له أى قيمة أو مقام .

فى حين أن علماء الأزمان القديمة لم يكن العلم والعمل يقومان على قدر المكافأة . بل كان العلم والعمل كل منهما له مقياسه البعيد بعيدا على النقود . ولم يكن هناك اهتمام بها الا لضمان المآكل فقط . حتى لا يموت جوعا هذا العالم الجليل . أو العامل الماهر بل كان المعول عليه هو المكافأة الروحية المعنوية مع متعة العمل والعلم لذاته .

● ● المجتمع الفاضل كما يرى استاذنا الحكيم سيكون انقاذا لشبابنا من التطرف الذى أصبح سمة غالبية تطبع سلوكه ؟

● هذا هو الذى يمنع شبابنا من الاشتغال بالعنف عن طريق هدم المجتمع الحاضر ، دون أن تكون لديه خطة لمجتمع جديد . وهى ظاهرة خطيرة يجب أن نخرج منها شبابنا بأن نضئ له الطريق بأن نقول له بدلا من أن تهدم مجتمعه دون أن تكون لديك فكرة عما تتمناه . لبلدك . ابدأ أولا بأن تتصور المجتمع المثالى الذى تريده وحاول أن تصنعه بنفسك أنت ، وأصدقائك ليكون نموذجا يهتدى ويقتدى به المجتمع الكبير المنهار ، الذى يعيش بشعارات فارغة أو بسباق نحو المكافآت والثروات .

● ● هل من تفصيل توضح لنا به طبيعة هذا المجتمع الفاضل الذى تنادى بقيامه ؟

● طبيعة هذا المجتمع تجمع بين حياة العمل للدنيا وحياة العمل للآخرة . في ذلك التوازن المادى والروحى الذى يدعو اليه الاسلام . .

فيكون هناك المسجد للعبادة . وتكون هناك السينما الراقية للترفيه . وتكون هناك المكتبة التى تضم عيون الفكر تربية للعقل . وهناك الملاعب التى تربي الجسم .

كما يجب أن يكون فى هذا المجتمع نموذج مثالى للديمقراطية يضع أسس الحكم الديمقراطى . كأن يكون لهم برلمان مثالى ليس صورة مشوهة لبرلمان صورى أو مزيف . كل هذا فى اطار صغير ليس هو بالمعزول عن المجتمع الكبير . ولا هو تحد له . ولكنه صورة نموذجية لمجتمع نرجو أن يسود ليصبح مجتمعنا صالحا لوضع النظام السياسى والاجتماعى الذى يلائمه .

● ● هل نتابع ما يحدث الآن على الساحة العربية . . كيف ترى وجه مصر العربى ؟

● أنا أتفائل بالوجه العربى لمصر وللعروبة كلها . يوم يجتمع الناطقون بالعربية والكاتبون بها وينشئون الجامعة العربية الثقافية البعيدة كل البعد فى رسالتها عن الجامعة العربية السياسية . لأن قوة العرب الحقيقية هى فى تراثها الحضارى وليس فى مناقشاتها السياسية .

ولذلك فان على العرب رسالة اذا تكاتفوا كلهم فى ابراز هذا الجانب الهام من قوتهم . حتى يشعر العالم كله بأن العروبة هى ثقافة مجيدة عرفت جامعات أوروبا من قديم فى كثير من المعارف والعلوم والفنون والآداب .

وأن تكون هذه الجامعة الثقافية ملتقى المفكرين العرب . وأن

يكون لهذه الجامعة الثقافية مكتبة كبيرة تضم كل التراث العربى
لنقيم حضارة جديدة تجمع ما بين أصالة الماضى وواقع الحاضر .
ولو حدث ذلك فستشعر أوربا ويشعر العالم بنا وبقوتنا
الروحية والعقلية .

❶ ❷ ولكن اختلاف الأنظمة السياسية فى الوطن العربى يكون
فى كثير من الأحيان سببا فى فشل كل فكرة أو مشروع يهدف الى
وحدة العرب فى مجال من المجالات ؟

❸ لا بأس أن نختلف سياسيا . وهذا ما يحدث فى الحضارة
الأوربية . فأوربا كلها برغم اختلافها السياسى وخصوماتها ونحو
ذلك فإن فيها وحدة وثيقة تسمى الحضارة أو الثقافة الأوربية .
حتى مع اختلاف لغتها . فتجد الفرنسى والاسبانى والىلالى
يشاركون فى إنتاج العلم والفن والأدب فما بالك ونحن العرب فى
دول مختلفة ولكن لغتها واحدة وهى « العربية » وراثتنا
واحدة . هو ما ظهر من عبقرية العرب فى العلوم والآداب والفلسفة
ونحوها . ومع ذلك فلا يسيرنا أمام العالم الآن غير الاختلاف السياسى
فقط الذى أدى الى الخسوفات والحروب وسفك الدماء . مما يجعلنا
أشبه بنبائل مناصرة فى صحراء واسعة . أما إبراز الاتحاد العربى
فى لغة واحدة وثقافة واحدة وحضارة واحدة فهذا ما لم يحدث .
وقد آن الأوان لنفكر فيه .

❹ ما هى الصورة المستقبلية فى ذهنك للقضية
الفلسطينية ؟

❺ فى نظرى . ان الفلسطينيين فى مخيبتهم رغم كونهم شعبا
صغبرا . الا أنهم أكثر شعوبنا العربية حضارة وتعلما واستعدادا
للتقدم . ومعيشة العصر الجديد . ومنهم أساتذة وعلماء فى كثير
من أنحاء العالم وجامعاته .

● ● كيف ترى اذن مستقبل هذا الشعب الفلسطيني ؟

● مستقبل الشعب الفلسطيني يحدده الشعب الفلسطيني نفسه باتحاده على خطة واحدة وهدف واحد وسياسة واحدة . تضع في اعتبارها آمال المستقبل دون اهمال الظروف السياسية للواقع الحاضر بما يجعل هناك مرونة يستطيع من خلالها الفلسطينيون التعامل مع المتغيرات الدولية .

● ● هذه المرونة التى تحدث عنها استاذنا ويرى أن تتميز بها السياسة الموحدة للفلسطينيين ، قد ظهرت أكثر من مرة من خلال الموقف الفلسطيني . ولكن الذى يحدث وربما الى أمد طويل ، ويعرقل الوصول الى حل للقضية الفلسطينية فى وطن قومي يضمهم للفلسطينيين حق الحياة . هو التعتن وضيق الأفق الاسرائيلي ؟

● ان اسرائيل - للأسف - لا تدرك خطورة موقفها هذا وهى لو نظرت بشئ من التفكير الى حقائق التاريخ . لعرفت أن سياستها المتصلبة أشبه بتصرفات الأطفال . لأنها تتصور المستقبل تصورا صبيانيا ، يرى آماله وطموحاته فى تحقيق رغباته ولو على حساب كل من حوله . واسرائيل بهذا لا تحسب حساب شعب ، لو حاولت أن تساعد على أن يكون له حق الحياة مع وجود حقها فى الحياة ، لأمكن أن تقوم علاقة طيبة وحسن جوار بين الطرفين ، تساعد على نمو وتطور التفكير المتعاضى بينهما الى نمو منتج بين الشعبين أما اذا ظلت اسرائيل تبني سياستها على العداوة وروح الابداء فانها بهذا تقصر عمرها هى نفسها فى المنطقة .

● ● فى قضايا الواقع المصرى المثارة الآن لماذا لم نعد نسمع صوتك أو نقرأ لك . . هل هو نوع من اليأس أو هو انسحاب الى برج عاجي وابتعاد عن المشاكل ؟

● هذا صريح . فقد كانت مشاركتي في قضايا الواقع
المصرى تسبب لي المشاكل .

فلم يعجبني مثلا اتجاه هدى شعراوي في توجيه المرأة فصحت
صبيحتي معلنا خطأ هذا الاتجاه فأطلقت على لقب « عدو المرأة » .

كذلك عندما رأيت البرلمان المصرى وقد اهتمت الأحزاب فيه
بكراسى الحكم ، وكثر الصياح فيه ، وعلا دخان النقاش السياسى
الفارغ ، قلت ونشرت أن أغلقوا هذا البرلمان الذى لا يصعد منه
سوى دخان لا فائدة منه للأمة . وابنوا بدلا منه مصنعا يخرج منه
دخان مفيد ، وقد سبب لى هذا المقال مشكلات . منها أن الحكومة
وكان على رأسها محمد محمود باشا أعلنت أنه يجب أن أفصل من
وظيفة . وكنت فى ذلك الوقت مدير تحقيقات فى وزارة المعارف .
فلما علم الشيخ مصطفى عبد الرازق وكان عضوا فى الوزارة ،
وكان صديقى قال لمحمد محمد باشا الا يطردنى من وظيفتى . وأن
ينتظر حتى يجرى تحقيقا ويوقع جزاء آخر وبالفعل حاولوا أن
أن يبعدوا قضيتي عن مجلس الوزراء . ووجدوا أن يسرعوا بعقابى
اداريا كما وجدوا أن الوزير لا يملك لى عقابا سوى أن يخصم من
مرتبى خمسة عشر يوما .

ولا يزال فى ملفى حتى الآن كشف العقوبة بخصم الخمسة
عشر يوما . ورفضت أن يسحب هذا العقاب من ملفى عندما تغيرت
الظروف السياسية . لأننى وجدت أنه أشرف لى أن أنال عقابا
على رأى .

● ● ولكن الساحة المصرية الآن خلت من آرائك هذه ونحن
الآن أحوج ما نكون الى صوتك .

● الصوت ليس صوتى وحدى . ولكن هناك أصوات كثيرة .
وقد وجدت أنه من الصعب أن أطلق صيحات فى العهد الذى جـام

بعد ذلك .. وصفتنا له . وكانت هناك بالفعل أشياء يستحق أن نتكلم فيها . ولكن النظام نفسه لم يكن يسمح بوجود مثل هذه الصيحات ثم استمر الوضع الى حد أنه لم يكن من الممكن لنا أن نتصدى للقضايا المثارة في مجتمعنا دون أن نغضب حكامنا لأننا في الغالب كنا نجهم ونجدهم في حاجة الى أن تغلق أفواهنا .

① ثم لاحظ أيضا عامل السن فمن المضحك ولا أقول من المحزن أنني لم أعد قادرا على الصياح في الوقت الذي ينبغي لي فيه أن أصبح ألما لتعطل مفاصل سيقاني ، وانشغالي بالطريقة التي أستطيع أن أمشي بها على الرغم من العصا التي لم تعد تصاح لمساعدتي على المشي .

② ③ استاذنا الحكيم .. في الأربعينات كانت لك نشاطات سينمائية مع عبد الوهاب ومحمد كزيم في « رصاصة في القلب » أعدتها للسينما ، وقدمت لك السينما عددا من قصصك في أفلام .. هل تعطى للسينما اليوم بعض اهتمامك وكيف تراها الآن ؟

— في الأربعينات كان الذي جعلني أدخل السينما خاصة فيلم « رصاصة في القلب » هو محمد عبد الوهاب . وهو صديق لي . وهو الذي اكتشف هذه القصة . ووجدتها صالحة لأن تكون فيلما . فلم أعارض . ثم كثرت طلبات الأفلام من بعض قصصى . ولكن كانت هناك أشياء كثيرة شغلتنى في الأدب عن السينما . مما أفقدني الاهتمام بها اطلاقا حتى اليوم . ولذلك لا أعرف شيئا عنها الا ما يعرضه التلفزيون . وهو المكان الوحيد الذي أجلس أمامه لعدم استطاعتي المشي .

④ ⑤ الأستاذ الحكيم .. من يجهل لقب الأب الشرعى « للمبرح المصرى » ، وهناك مبرح يجهل اسمك ، وتراس المكتب العالمى للمبرح التابع لليونسكو . أين أنت اليوم من المبرح ؟ لماذا.

توقف انتاجك المسرحي ! هل هناك اسباب ! .. هل هناك أزمة مسرحية ؟

● اذا كان صحيحا ما تقوله ويقوله بعض من سمعت أو قرأت لهم اننى الأب الروحي للمسرح أو الأب الشرعى ، مع هذه الحالة فان الأب لابد أن ينتج أبناء أو أحفادا . خصوصا فى مثل سننى . وفى هذه الحالة اسألوا الأولاد والأحفاد هل استفادوا من والدهم شيئا !!

اما أنا فأقول لك مقدما أن أى شاب ناضج أو ناهض اذا قلت له مثل هذا الكلام فإنه يقول لك متى وأين ؟ !

وهكذا ترى أنه عندما يكبر الأبناء قليلا يسرون فى طريقهم مستقلين عن آبائهم ولا يذكروننا ، الا اذا كانت لهم عقبات يريدون منا تذليلها لهم ! ويستطرد توفيق الحكيم فى سخرية لاذعة :

— فانا فى الواقع فى حالة أب على المعاش . والبركة فى الأولاد الذين كلما سمعت عن واحد منهم تأثر بى فى شىء . وأصبح ناجحا أشعر أن وجودى فى هذه الحياة لم يكن عبثا . وليس لى اهتمام سوى أن أرى الناجحين من أبناء مصر يزددون كل يوم . ولعلك واحد منهم . وادعوا لهم بالتوفيق وكل متعنى هو أن أتفرج عليهم .

● ● تجربة المجلس الأعلى للثقافة . هل كانت أفضل فى السنوات السابقة ، وهل تتحقق لنا نشاطات المجلس الآن وهل الصورة الحالية لتكوينه هى الصورة المثالية ؟

● بالاختصار : هذا السؤال اذا وجه لأحد من أعضاء المجلس القدامى فإنهم سيقولون انهم لا يعرفون اليوم عملا مثيرا لهذا المجلس إلا أن يجتمع أعضاؤه من وقت لآخر لترشيح المتقدمين للجوائز التقديرية والتشجيعية ، وبقيّة المسابقات ونحو ذلك أما أن يكون

لهذا المجلس دور فعال يشعر به الأديباء الشبان أو الأديباء الناضجون أو ينشأ بجهود هذا المجلس ألوان من الفنون والآداب تحرك هذا البلد ثقافيا فليس عندي جواب لأنى لا أحد الآن له أثر يذكر .

● ● ● لهذه الأسباب قدمت استقالتك أكثر من مرة ؟

● ● ● لهذه الأسباب ، ولعدم الاعتماد على قتي الحضور في هذا المجلس نظرا لحالتي الصحية أن كانوا لم يقبلوا استقالاتي تكريرا منهم وفضلا لأنهم لا يريدون أن يقوموا هم بذلك ولا أن أختفى من مثل هذه المجالس ولكننى . من نقسى وبدافع من عدم استطاعتي السير الآن انقطعت عن الحضور في أى مجلس من المجالس .

● ● ● فى استمرارية الفكر المصرى والعربى هل تجد لنا من يمكن أن يكون امتدادا للأجيال تدخل به مصر القرن الحادى والعشرين فى مجالات : القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبى والابداع الموسيقى والغنائى والفلسفة ؟

● ● ● أنت تطلب منى الاطلاع على الغيب . وهذا ما لا أريد أن أتحمّل مسئوليته وإن كنا نرجو أن يخرج لنا الغيب جيلا نافعا يؤدى الرسالة ، وللغيب مفاجآت . فقد تفكر فى شخص فى أى مجال من المجالات التى ذكرتها فتجد أن القدر على غير علم منك قد أبرز شخصا يستحق أن تذكره .

وكل ما أستطيع أن أفعله هو الدعاء لبلادنا بظهور النماذج الطيبة التى نفخر بها .

● ● ● فى النهاية . وبعد رحلة العمر - أعطاك الله العمر والصحة - ما هى حصيلة العمر ؟

● ● ● حكمة مأخوذة من القرآن من الاعتدال فكل إنسان يجب أن يعتدل . لأن الاسلام يدعو الى الاعتدال . ولذلك فمذهبي الآن

هو « التعادلية » . لأنك تجد آيات كثيرة في القرآن تسعو الى الاعتدال وعدم الاسراف في المأكل والمشرب والأخلاق .. حيث وضع لنا الاسلام دستوراً للسلوك في الحياة علينا أن نلتزم به فانا أريد أن نكون مجتمعاً معتدلاً في كل شيء بلا تقتير ولا اسراف . فهذه هي حكمتي التي أخرجتها في كتاب أسميته « التعادلية » وأضفت اليه جزءاً جديداً تحت الطبع بحيث يكون عنوان الكتاب ، « التعادلية والاسلام » . حتى نوضح أن الاسلام هو دين الاعتدال والتسامح لا دين الغلو والاسراف .

هذه حكمتي أخرجتها في كتاب . لأنني لا أضمن لنفسي حياة غير فكري ومبادئ . . . وبعده ذلك أستريح .

محاكمة توفيق الحكيم

- ماذا تفعل لو معك مليون دولار ؟
- لماذا كتبت « عودة الوعى » عن عهد عبد الناصر ولم تكتب مثله عن العهد التالية ؟
- ما هو سر التحول والمواجهة مع السادات ؟
- لو رددت الى شبابك لماذا انت صانع ؟
- ايهما اكثر تأثيرا على ادبك • والدتك ام زوية العائلة ؟
- الم تفكر فى الحج الى الاراضى الحجازية ؟
- ماذا فعلت بالسجادة •• هدية الشيخ الشعراوى اليك ؟

- واسئلة اخرى جريئة ومباشرة جادة وطريفة ومعرجة بوجهها
كتاب مصر فى الأدب والفكر والنقد والفن والصحافة والدين ، فيما
يشبه الاستجواب الى شيخ الكتاب توفيق الحكيم بمناسبة ذكرى
ميلاده ال ٨٨ •

الذى نضى فيه شموع أسئلة كتاب مصر واجابات عملاقنا
الحكيم بادئين « بالفلس » وأشهد يا أستاذنا أمام قرائك ومحبيك
أنك لم تتقاضى ملينا واحدا حتى يعترف الجميع أن مسألة البخل
الشائعة عنك صارت موضوعة قديمة لم يكن لها أساس الا بصمتك
عنها وتشجيعك لها ، ولكن ليس معنى هذا أنك صرت تبعزق ، غير
أن صديقك الأديب الطريف يوسف جوهر سوف يمنحك الفرصة
للبعزقة افتراضا ••

• • « لو فوجئت بمليون دولار تمثل بين يديك وترجوكم

ان تتصرف فيها كيفما تشاء ، ولكن بشرطين .. الا تخص بها الورثة
والا تنام عليها فى البنك .. فكيف تبعزقها ؟

فيتبسم الحكيم قائلا : أعتقد أنه بمجرد الاعلان عن ذلك طبقا
لشروطك سيظهر لى ألف نصاب كل منهم يدعى أن عنده مشروعا
إنسانيا ينفق فيه هذا المبلغ ، لأن النصاب أولا سيدرس حالتى
ويعرف أننى لن أستطيع انفاقها على نفسى لا فى طعام ولا شراب
ولا فسح ، ولا شيء من ذلك .

واعتقد ان الأكثرية من النصابين ستكون من النساء لأنهن
خلقن لبعزقة فلوس الرجال ، وبضحكة وبتمثيل حنان مصطنع ،
سيحدث تسابق فى العنان والقبيلات لرجل مهتم متحطم يصلق كل
ذلك فى أيامه الأخيرة ، ويبعزق عليهن المليون .

لذلك فانا أحيل المسألة الى صديقنا الطريف الروائى المبدع
يوسف جوهر ليتولى كيف اختار .

● ● ولكن الأديب يوسف جوهر يتخلص من مازق الاختيار
الذى ألقاه عليه الحكيم لسؤال آخر .. لو رددت الى شبابك الأول
فماذا أنت صانع به ، وهل تختار نفس الطريق التى قطعتها فى
رحلة العمر ، أم تحب أن تحقق ذلك بصورة أخرى عملا وعقلا
وعاطفة ؟

ويجد الحكيم المخرج فيقول : هذا السؤال يقترن بالسؤال
الذى قبله ، أى أن تعطينى « الشباب » الذى تقول عنه ومعه المليون
دولار ، وهما تحل كل المشاكل ، وأترك لخيالك الروائى أن تؤلف
عن ذلك قصة ، ولكنك سترفض من الناحية الفنية لأنك ستعقد
الأمور ، فستجعلنى اما أن أكون شابا مفلئسا ، أو مليونيرا محظما .
لكن المشكلة أن تعطينى المال والشباب وتركنى فى الحياة
وعند ذلك لا أحتاج الى تأليف ولا الى تضائى الآخرين .

سرهما عند الله

وإذا كان شيخ الكتاب ينشد .. ليت الشباب يعود يوما ،
فان الشاعر يجيبه .. فان تسلى يا صاح هل يرجع الشباب ، فدونك
الايضاح يغنى عن الجواب ، ان السبا قد راح وأقفل الأبواب ..
وضيع المفتاح .

وان كان مفتاح الشباب قد ضاع فان مفتاح الحب عند توفيق
الحكيم لا يشيع ، انذاك يسأل الفكر الاسلامى والأديب د . حسين
مؤنس ..

﴿ عن سر المحبة التى وضعها الله فى قلوب الناس لتوفيق
التحكيم بحيث يندر أن نجد ندرا لك غاصلة بين الكتاب .. دلنا
على سر هذه المحبة لنعرف ونتعلم ؟ ﴾

وسؤال د . مؤنس تابع من ان الاساذ الحكيم لم يدخل ابدا
فى دمارك ، شأنا بها خدومه ، بين أقرانه مثابا كان يجلت
مثلا بين العقاد وله حسين ، وان المحبة لها يقول الحكيم : سرهما
عند الله تعالى ، والذي أعرفه فيها يخفى عن أن لا أمل نحو أحد
شعورا بالضرر والأضرار ، وإذا كان عندى نقد بالنسبة لأحد فاني
أنتقد من أساليب دود ، وأسرار الدوا ، ومن يفرس المحبة
كبدرة ، يفرس مكره حسن السمك والطيبة فانه يحصد المحبة
وليس العداوة . وأما المارك الذى انه دلر الى دخولها فانه لا تجرح
أحدا لأنى أجهلها مؤنة وعية ، وأهدد منها الواسع الى حاول
ايجابية واجابات مفيدة ، ولا نقاب معارك يقصد بها التجريح
والاساة .

أرجو دعواتك

ولكن توفيق الحكيم اذا تركنا طبيعته كانسان لا يبغى معاداة أحد الا أنه لا يستطيع أن يبعد عن نفسه غضبين ، غضب مودة من محبيه ، وغضب عدم الرضا عن بعض مؤلفاته ، والاختلاف معه في الرأي ولكن بما لا يفسد للود قضية .

● ● ومن غضب المودة عتاب الشيخ عبد المنعم النمر ، والذي لم يكن له سؤال يسأله غير السؤال عن كتاب له « الاجتهاد » أهده الى الأستاذ الحكيم وأشار اليه في أحد مقالاته ولكنه لم يكتب عنه ، ويسأل . هل قرأته أم هزلت بعيدا عن قراءته ؟

يجيب الحكيم بلباقة ودبلوماسية : قراءاتي قليلة اليوم لأنها تجهدني أشد الاجهاد ، لأن الكتابة عندي عمل يقتضى منى المجهود الذى لا أحتمله اليوم كثيرا على الرغم من أنى أتناول من الأدوية كل يوم ما يساعدنى بأمر الأطباء على التركيز الذهني الذى أستطيع به أن أكتب شيئا يمكن أن يقرأ ، وأرجو من دعواتك يا أيها الشيخ النمر أن يسمع الله دعاءك لى بتقويتى التى تساعدنى على قراءة كتابك القيم في « الاجتهاد » ، والكتابة عنه بما يستحق .

ياللمكر والخبث

وما يكاد الحكيم يخرج من سؤال الشيخ النمر له عن كتابه حتى يقفز الكاتب الأديب أنيس منصور ممسكا بدبلوماسية شيخ الكتاب « نعم ولكن ليس الآن » على طريقة الدبلوماسية الأسبانية ، لينبذ أنيس منصور استعداده للانتظار الى ما بعد « الآن » فيحجز مقبدا فصلا في كتاب لم يؤلفه الحكيم بعد . . . فيقول . . .

● ● لى ملحوظة لأستاذنا الحكيم بشموخه الفكرى والأدبى

**واستأذنته ، وهي أننى أرجو منك اذا ألقت كتابا جديدا فى الفكر
أن يكون لى فصل فيه ؟**

فيضحك الحكيم قائلا وكأنه لم يفاجأ بهذا المطلب . . .

هذا ما كنت أود أن أقيه على « العقاد » لو كان حيا : كنت
أصوغه كالآتى « لقد أرسل (أنيس منصور) بكتابه الضخم « فى
صالون العقاد » أشعة مكثفة أضاءت وجه « العقاد » ، فاذا كتب
العقاد كتابا جديدا فأى أشعة يمكن أن يرسلها الى وجه « أنيس
منصور » ، فغضب « العقاد » وقال ثائرا :

يا للمكر والخبث ! . . . تقصد أنى أنا « القمر » الذى أضاءت
وجهه أشعة الشمس ، وأن على القمر أن يرسل بدوره أشعته لتضىء
« الشمس » ؟ ! . . . قلت : وماذا فى ذلك ؟ . . . ان القمر أشعته
تضىء العشاق والحالمين ، أما الشمس فأشعتها تضىء العمالقة
والعابرة أمثال « العقاد » ، . . . فابتسم ورضى .

● ● ولكن الكاتب الأديب ابراهيم الوردانى لا يرضى الا أن
يسأل عن نفسه وزاى الحكيم فيه . . .

ما رأيك فى ابراهيم الوردانى ؟

فتكون اجابة شيخ الكتاب مدحا وعتابا ومطلبيا فيقول :
« ابراهيم الوردانى » محبوب . وله أحباب كان يجتمع بهم فى
ندوة الجمعة وانتقل منهم من انتقل الى الدار الآخرة ، ويمنعه من
ذكرهم والحديث عنهم بحثه عن أرقام تليفوناتهم هناك !

من ثروة ١٩ الى عودة الوعي

غير أن مثل هذه الدبلوماسية فى الخروج من مأزق المطالب
لا تمنقذ شيخ الكتاب حين يؤلف كتابا لا يرضى عنه المختلفون معه

في الرأي فما يكتبه وثيقة لا يمكن الاعتذار عنها مثل كتاب « عودة الوعي » وقرينه « وثائق في طريق عودة الوعي » ، التي ينتقد فيها الحكيم عصر عبد الناصر الذي طرد وزيراً من أجله وضع توفيق الحكيم في قائمة التطهير ضمن موظفي العمالة الزائدة حينما كان الحكيم رئيساً لهيئة الكتاب ، فأبقى ناصر الحكيم وأقال الوزير ، كما منح الحكيم قلادة النيل أرفع وسام لا يهدى إلا لرؤساء الدول ، ومع ذلك وضع الحكيم كتابه « عودة الوعي » انتقاداً لعصر عبد الناصر الذي وضعه في أعلى مكانة ، بينما لم يكتب شيخ الكتاب ، كتباً مماثلة ينتقد فيها ما بعد عهد عبد الناصر ، مما يراه الشاعر أحمد سويلم ملحظاً يؤخذ على الحكيم ، فيقول في سؤاله إليه ..

● ● الفنان يعبر دائماً عن رأيه من خلال فنه ولهذا يمكننا أن نتعرف على موقفه من الواقع من خلال قراءة أعماله الفنية ، أما حينما يتحول الفنان إلى مؤرخ ومنظر سياسي ، فنحن أمام تحول ظرفي من حقنا أن نواجهه بتعليق هذا الموقف .. حدث هذا مع الأستاذ الحكيم حينما فاجأنا بـ « عودة الوعي » و « وثائق في طريق عودة الوعي » ، مما جعلنا نندهش ، واندعشنا أكثر حينما لم نجده يفعل الشيء نفسه في عهود تالية مع تأكيد من تكرار نفس ما أورده في عودة الوعي ، في هذه العصور .. فلماذا وقد اتخذت هذا التحول لم تستمر في الحديث عن المهود التالية بنفس تحليلك الخاص في عودة الوعي ؟

وهل توافقني على أن « عودة الوعي » كانت كسراً في جدارك الفني حيث كنت تستطيع أن تصوغ كل انتقاداتك بأسلوبك الفني الذي استمتعنا به في عودة الروح وبنك القلق والسلطان الجائر .. وغيرها ؟

تظهر على شفهي الحكيم نصف ابتسامة وكأنه يردد « صبح

الثوم » عنوان كتاب أديبنا يحيى حقي ، مؤكداً أن مايسأله سائله
فيه قد قام به ولكن لا أحد يقرأ ٠٠

» هذا حدث بالفعل وموجود بتفاصيله في كتاب لي ضخم
» ٦٠٠ صفحة » باسم « حكم مصر » أو « شجرة الحكم السياسي من
١٩١٩ - ١٩٧٩ » تجده في المكتبات وفيه الجواب عن هذا السؤال ،
وعرضت فيه مراحل مصر السياسية من بعد ثورة ١٩١٩ وصورة
الديمقراطية المزيفة كما وصفتها ، وكما تنبأت بنهايتها بالثورة
المباركة كما سميتها لأول مرة ، ثم مجيء هذه الثورة ١٩٥٢
واستقبالها بتحمس شديد ، وما جرى فيها بالوثائق على قدر
الامكان ، فاقرا هذا الكتاب تجد الاجابة ٠ كما تجد أن أسلوبه قد
جمع كل أساليب المؤلف من سياسية وفنية « قصص ومسرح » ،
أما أن الكاتب المبدع في الرواية والمسرحية يجب عليه أن يستخدم
فقط في انتقاداته وانطباعاته الاجتماعية والسياسية أسلوبه الفني ،
فهذا ما تجده خلافاً عند « برنارد شو » في إنجلترا ، و « سارتر »
في فرنسا ، و « جوتة » في ألمانيا ، و « تولستوى » في روسيا ٠٠
فكل هؤلاء الاعلام مع شهرتهم في الابداع الفني - رواية ومسرحا
وشعرا - لهم كتب مشهورة في الاجتماع والسياسة بعيدة في
أسلوبها عن أسلوبهم الفني المبدع ٠

لم أستفد بحياتي

وإذا كان الحكيم متهماً بأنه لا يكتب عن عهد الا بعد انتهائه
كما فعل مع عهد عبد الناصر ٠ ونفي الحكيم ذلك بدليل انه انتقد
عهد السادات والسادات لا يزال حيا ، وأكبر مواجهة معه في تلك
الوثيقة التي تصدر فيها الحكيم كتاب مصر ، مطالبين السادات بأن
يحسم أمره للحرب التي طال انتظارها بينما مضر تعيش في حالة

رحلة - ٦٤

من اللاسلم واللاحرب ، ولم يكن أحد يعلم أن الرجل يعمل في وصمت من أجل الاعداد لحرب العاشر من رمضان .

فان الكاتب والروائي محمد جلال يسأل عن هذا التحول سياسة الحكيم من المهادنة مع النظام في عهد عبد الناصر الى المباشرة مع نظام السادات ، فيقول :

● لحظتان في عمر شيخنا الكبير توفيق الحكيم ..

الموقف الوسط .. التعادلية ، والبرج العاجي ، والهـ الى الرمز .. اى الوقوف على شاطئ الأمان في بحر السلطة الى حد الخوف أحيانا ، ثم اللحظة الشجاعة التي ألقى فيها المفكر الكبير بنفسه في بحر السلطة العاصف ، فكتب وثيقته الناريخية الى الرئيس السادات ..

●● فإى اللحظتين أفضل ، وهل لو عاد العمر من بالمفكر الكبير .. فهل تكتب عمرك الفكري بسطور الخطر أم بالجلوس على شاطئ الأمان في بحر السلطة العاصف ؟

ويرى الحكيم أن مسئولية اساءة فهم موقفه ترجع الى كتبه ، انها هي المسئولة عن تصوير مواقف الشخصية ، «فالتبه توحى بمعنى الموقف الوسط حرصا على الأمان ، فى حين أن الحقيقى عندى هو عدم طغيان قوة على قوة ، كما أن « البرج العاجى بمعنى الهروب من المجتمع خوفا من الزوابع ، فى حـ كان المقصود به يوم نشر فى الثلاثينات هو الارتفاع عن الخص الحزبية التى دمرت الحياة السياسية .

أما موقفى فى العريضة التى كتبتها الى السادات ، فهو أثر اعلانه عن عجزه عن الرؤية الصحيحة للموقف الحرج لمصر انه يعيش فى الضباب ، وعلى كل حال فان الذى يوضح حقيقة

السياسى هو كتابى « حكم مصر » أو « شجرة الحكم السياسى من ١٩١٩ الى ١٩٧٩ » .

أما اذا عدت الى الشباب النشيط لأسلك نفس الطريق أم لا ، فأننى أرى أن أعيش عيشة عملية نشيطة ولا أركز على حياة الفكر ، وسوف أمارس العوم فى البحر المالح وفى بحر السياسة المالحة أيضا ، وفى الواقع أننى أفضل أن يواجه الانسان أى موقف سواء كان عاصفا أو غير عاصف ، ليعرض الحقيقة التى يراها ، والا يكون قد خان مهمته فى اظهار الحقائق ، وقد فعلت ذلك مما هو واضح تفصيلا فى الكتاب الذى أشرت اليه ، ولم أهرب أبدا وان كنت قد ابتعدت عن الأحداث السياسية ، ولو كنت أنتمى لحزب سياسى لظهر وجودى فى بحر السياسة ، ولكننى ابتعدت عنه ليس خوفا من المواجهة ولكن لأن بحر السياسة كان غير صحى ، من يترده ويسبح فيه تكون له أغراض ومصالح ومطامع فى الحكم ، مما جعلنى أبتعد عنه خوفا من البلبل لأنه بحر ملوث . لا أقول ذلك اليوم وأنا فى نهاية حياتى رغبة فى أن أدافع عن نفسى لأن شعورى الآن عكس ذلك ، وهو الضيق والندم على أننى عشت طويلا بدون أى عمل ظاهر فائدته العملية للوطن ، لذا اذا كنت تجد اننى هربت وجلست على شاطئ الأمان من بحر السلطة العاصف ، لطبيعة فى النفس أو خوف ، فان ذلك لا يغضبني ، ولكنه فى الحقيقة يؤكد عنسدى الشعور . بأننى لم أستفد بحياتى الفائدة المطلوبة لأن اهتمامى بالناحية الفكرية والتأملية وإهمالى للناحية العملية لم يكن قط عن خوف لأن الخوف سهل التغلب عليه بأى شئ ، أو نحصر على الا تقع فى مضار ، ولكن الخطورة هو أن نكون قد جهلنا وضعنا ، أو أن نكون قد أمضينا حياتنا فى التطبيل لكل عهد ، أو السباحة مع التيار ، أو نميل مع كل ريح حيثما تميل .

لذلك لم أنزل بحر السياسة للسباحة فيه ، زبما هروبا أو

خوفاً لا أعرف ، وإنما الذى أعرفه أن حياتى لم تسفر عن أى شىء له أهمية فى نظرى ، لذلك أشكر الأستاذ محمد جلال لهذا السؤال الذى دلتنى على الموقف الذى أشكو منه وهو أن حياتى الطويلة قد اتجهت اتجاها بعيداً عن الصواب فى أشياء كثيرة .

إعادة كتابة عودة الروح

— وإذا كان شيخ الكتاب قد نسى مثلاً أن مؤلفاته قد أضاعت سماء جيل بل أجيال ، وقد أشعل فيها الضوء فى ظلام الفكر ووضع أساس المسرح العربى الحديث بما قد صار له بسببه من مكانة عالمية . وإذا كان الحكيم قد نسى أن كتاباً مثل « عودة الروح » قد تأثر به جيل ثورة يوليو وقائدها ، فإن أحداً لم ينس ، ولذلك تسأل د . نعمات أحمد فؤاد المترنمة بحب مصر وتاريخها .

●● كتبت بالأمس كتابك بالقلب المصرى « عودة الروح » فى مرحلة معاناة ومحنة قومية ، ومصر الآن تمر بمعاناة من لون آخر ولكنها ليست أقل عداوة وجراحات . فهل لو كتبت « عودة الروح » مرة أخرى فماذا تقول . ما هى الخطوط العامة لكتاب عودة جديدة ؟

ويشك الحكيم فى قدرته على أن يكتب عودة جديدة للروح . .

« أكتب الآن ذلك ١٩ ارجعونى عشرين سنة مرة أخرى . . أنا مخلوق متهدم فى طريقه نحو التسعين . . وقد تفككت أجزاء قواى . . وصلتى بالمجتمع لا تسمح . . وأكاد لا أفارق مسكنى ومقعدى . . البركة كل البركة فى أجيال الشباب والرجولة . . فعليها أن تنجز ما نعجز عنه نحن الآن . . وهو وصف مصر الحديثة ففيها من العيوب والمعوقات والانتكاسات ما يملأ المجلدات . .

● ولكن هذه الإجابة لا تكفى فيكرر شيخ الصحفيين حافظ محمود نفس السؤال ولكن بصيغة جديدة . .

لو أنك فكرت في إعادة تدوين كتابك العظيم « عودة الروح » سواء كان هو بذاته أو كان جزءا ثانيا له ٠٠ فما هي الفكرة الجديدة أو القديمة التي تركز عليها في هذه الحالة ؟

فيتوقف شيخ الكتاب أمام مسألة كتابة جزء ثان لعودة الروح ، ليوضح أن الجزء الثاني قد كتبه فعلا وإن لم يأخذ النقاد بالهم ، وما دام قد سئل فانه يعلن لأول مرة :

« كتابي « عودة الروح » له ما يكاد يشبه الجزء الثاني ، ولكنه ليس كذلك ، لأنه ليس استكمالا لحوادث أو لمكان ٠٠ بل هو مجرد انتقال نفس البطل « محسن » من مكان الى مكان ، ومن سن الى سن ، ومن قضية الى قضية ، وهذا ما حدث في كتابي « عصفور من الشرق » ، فالبطل فيه هو نفس بطل « عودة الروح » ، ولكن السن مختلف والمكان مختلف والقضية مختلفة ٠٠ فالبطل « محسن » في « عودة الروح » مصرى فى صباه تشغله قضية عودة الروح الى مصر ٠٠ وشعار الكتاب ما جاء فى كتاب الموتى الفرعونى « انهض يا « أوزوريس » ، أنا ولدك « حوريس » جئت أعيد اليك الحياة ، لم يزل لك قلبك الحقيقى ، قلبك الماضى » .

أما فى « عصفور من الشرق » فنفس البطل « محسن » وقضيته وانتماؤه ليس مصر فقط ٠٠ بل هو فى سن الشباب المفكر ينتمى الى الشرق العربى ، ودينه الاسلام ، وشعاره المكتوب على الكتاب هو اهداء الى « السيدة زينب » قريبة الرسول وبنت الحجاز العربية ٠٠ وقضيته بذلك أصبحت قضية الشرق العربى الاسلامى فى مواجهة أوربا بعقيدتها وحضاراتها المختلفة .

فمن الممكن إذن أن نقول ان « عودة الروح » هو الجزء الأول المصرى ، وان « عصفور من الشرق » هو الجزء الثانى العربى .

باريس تفقد شخصيتها

● ● وعن « عصفور من الشرق » يسأل الأديب الناقد خيرى

شلبى •

لو كتبت « عصفور من الشرق » مرة أخرى هل ستظل وجهة نظرك كما هى أم ستتأثر بما لحق بالحضارة الغربية والروح الشرقية • من ايجابية فى الغرب وسلبية فى الشرق ؟ •

فيقول الحكيم • • « عصفور من الشرق » لم يكن فى الحقيقة اشادة بالغرب على طول الخط ولا انتقاصا من الشرق بل العكس هو الصحيح ، فانى كتبت كل ما يمكن من تقدير صحيح للغرب فى حالة انهياره بالروح المادية ، على الرغم من إعجابى ببعض انجازاته ، ثم اشدت بالروح الشرقية وبعظمة الاسلام والدفاع عنه حتى عندما وجدت انه سيتأثر بمادية الغرب ، الى حد أن بعض الكتاب الأوروبيين عندما قرأه ونقده وصفنى بأننى مؤلف رجعى لأنى هاجمت الغرب مهاجمة شديدة • والآن عندما أرى المجتمع الغربى وخاصة باريس وقد زرتها أخيرا وأنا فى الثمانينات وجدت قد فقدت شخصيتها الذاتية التى شاهدهتها فى شبابى فى العشرينات ، وأصبحت باريس فى الثمانينات متأثرة بالحضارة المادية التى نفرتنى منها ، ولذلك لم أذهب فيها الى مسرح لأنى وجدت أغلبه « نروض » مما يعجب السائح الأمريكى ، كما لم تعجبني أصناف الطعام فى المطاعم لأنى وجدت أن الذوق الأمريكى فيها •

أما الشرق فهو مضطرب فى أفكار متناقضة دون أن يهتدى الى شخصيته الخاصة التى كنا قد بدأنا نبحث عنها من أول العشرينات فرحنا نراجع تراثنا القديم ونضعه فى القوالب الحديثة ، وما أخشاه اليوم أن الأجيال الجديدة لا تسير فى هذا المسار ، بمعنى انها

لا تحاول أن تستخلص شخصية مصر بوضع الجسور بين تراثها القديم والاردية العصرية فى الزمن الحديث .

● ● وبجنا عن موقع ثقافتنا وسط المتناقضات ، يسأل الموسيقار مدحت عاصم ، توفيق الحكيم مذكرا اياه بخطاب قديم .
كنت قد بدأت حياتك الفكرية بتوجيه خطاب الى طه حسين ، نشرته مجلة « الرسالة » وفيه تتساءل .. أين موقع ثقافتنا .. هل هي ثقافة أوروبية ، أم ثقافة اغريقية ، أم ثقافة عربية .. وإلى أين نتجه بثقافتنا كما ينبغي أن تكون ؟

وأنا أعتقد أن هذا السؤال لا يزل الى يومنا هذا مطروحا ..
فما هى هوية الثقافة فى بلدنا ، هل هى أوروبية عالمية ، أم هى عربية ، أم هى اسلامية .. أم علينا أن نقول انها ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم ؟

فيجيب شفيخ الكتاب بأن سائله قد أجاب عن السؤال « وجملت عنى مشكورا عبء الاجابة التى خلاصتها .. »

علينا أن نقول أنها ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم » .. ولقد كنت فى مبدأ الثلاثينات قد عرضت أثناء مناقشاتنا أنا وطه حسين فى موضوع « التيار الثقافى » .. الذى يجب أن تسير فيه ثقافتنا المعاصرة .. وانتهت مناقشتنا على الاتفاق بين طه حسين وبينى على أن ثقافتنا يجب أن تشمل هذه التيارات الثلاثة جميعها ، وهى ما لحصته عبارتك بقولك : ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم » .

● ● ولكن هل فى امكان المثقف المصرى المعاصر الذى عليه أن يقوم بعملية التزاوج بين ثقافته المصرية والثقافات الأخرى ، هل يصلح لقيادة حركة التنوير ؟

هكذا يسأل الأديب الناقد د. سمير سرحان ، ويجيبه شيخ الكتاب قائلا : حركة التنوير مضى عهدها ولقد كانت موجودة في العشرينات والثلاثينات لأنها كانت استجابة لرغبة المجتمع كله وهي التحرك نحو العقل والنضج العقلي والثقافة العليا . فافتتاح الجامعة المصرية في ذلك الوقت كان فتحا للعقول ، وكان الأساتذة العظام وعلى رأسهم المثقف الفيلسوف أحمد لطفى السيد ، لم يكونوا مجرد ملقن لدروس تؤدي للنجاح والوظيفة ، بل كانوا أضواء تحمل مصابيح تنير العقول سواء داخل الجامعة أو خارجها ، وكانت المؤلفات آنذاك تهدف للتنوير والتثقيف والرقى الفكرى والحضارى الذى كان مطلوبا لمصر في ذلك الوقت ، والتي كانت أهدافها أن تشعر العالم بأنها جديرة بالاستقلال التام الذى تطالب به .

اذن كان التنوير هدفا عاما ومطلبا عاما لمصر والمجتمع المصرى .

أما اليوم فقد تغيرت رغبة الجماهير لأن الجماهير اليوم ليست متجهة الا الى شيء آخر وهو « المتعة » وكيف نمضى وقتنا طيبا فى مشاهدة فيلم أو مسلسل أو شيء مما يدخل السرور والراحة والامتناع للنفس .

اذن تغير المجتمع ، من مجتمع يطلب التنوير الى مجتمع يطلب المتعة ويبحث عن الوسيلة التى تضحكه ، والوسيلة التى تأتى له بأكبر قدر ممكن من الفلوس بأقل ما يمكن من المجهود ، فالمجتمع الآن لا يريد التنوير بل يريد المتعة .

عفريت مخيف

❁ ولا شك كما يقول الشاعر محمد التهامي أن الانصراف عن التنوير الى المتعة والمادة راجع الى التغيير الذى طرأ على البنية الثقافية للانسان المصرى لذلك نريد تبينا حقيقيا للتغيير الذى طرأ على هذه البنية حتى يبدو جليا الفرق بين الجيلين . السابق واللاحق على نحو يمكن التوصل منه الى تصوير أدوات التعامل الثقافى والفكرى .

ويرى الحكيم أن « الخطر الذى يهدد الأجيال الجديدة هو عفريت مخيف اسمه « التليفزيون » وهو ما لم يكن موجودا فى الأجيال السابقة . فجيل الماضى هو جيل « الكتاب » أى القراءات ، أما جيل اليوم فهو جيل « التليفزيون » أى جيل المرئيات . وبمعنى آخر : القراءات هى الفكر والتأملات . والمرئيات هى الفرجة والمعلومات ، ولا قيمة للمعلومات اذا لم تقترن بتفكير وتأمل وبحث وهو ما يخرسه الكتاب فى العقل .

❁ ❁ ويسأل الشاعر محمد التهامي أيضا . . بمناسبة الصلة الوثيقة جدا بينكم وبين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية . . الى أى مدى يمكن المزج بين الثقافتين المتزاوجتين يأتى ثمرة عربية مصرية فى أهم خصائصها مستفيدة أكبر الفائدة من الثقافتين الطارئة ؟

يقول الحكيم : يجب أن يتم زواج مثمر ، كزواج الرجل العاقل بالمرأة العاقلة . . كلاهما مستقل بشخصيته وجسمه ولكنه قد ينتج وليدا جديدا بنخال استمدها من هذا الزواج الصالح السعيد

❁ ❁ هل يعتبر ما توصلتم اليه شخصيا هو النموذج الأمثل أم تنتظر تطورا جديدا مغايرا ؟

هكذا سأل الشعاع التهامي وأجاب الحكيم :

لا أظن أن مزجى بين ثقافتى العربية والفرنسية ، هو النموذج الأمثل ، فأنا مجرد تجربة ، وهذه التجربة تحتل الصواب والخطأ ، وأخطائي كثيرة .. وصوابي لا أعرف عنه إلا القليل .. وما أنتظره من تطوير سوف تقوم به الأجيال الجديدة بإذن الله تعالى .

أعيدونى لسن الأربعين

اذن فلا زال شيخ الكتاب عنده أمل فى الأجيال الجديدة ، ولهذا يسأل الناقد د. نبيل واغب .. وما رأيك فى كتاب المسرح والرواية الذين برزوا فى السبعينات والثمانينات ؟

يقول الحكيم : لم أحضر فى السبعينات والثمانينات أى مسرح لا فى مصر ولا فى الخارج لأن صحتى كانت قد بدأت تمنعنى من ذلك .. وهذا نفس ما حدث فى المطالعات .. كل ما أستطيع أن أقوله هو التمنى لهذه الأجيال بالتفوق بالابداع الرفيع وقد نسيحناها ونكرر النصح .. وهو الاهتمام كل الاهتمام بتشكوين القدرة على هذا الانتاج الرفيع بالثقافة الشاملة .. الثقافة .. الثقافة .. الثقافة .

● ● وما دام التشكيك لم يحضر مسرح السبعينات والثمانينات ولا قرا لجيلهما و لا يملك سوى النصح لهما بالثقافة فلا شك فى قراءته لجيل الأربعينات الذى يسأله عنه الناقد د. محمد عناني .

ما رأيك فى جيل الأربعينات من تلاميذك كتاب المسرح .. هل قرأت لنا شيئاً وما رأيك ؟

قال الشيخ الكتاب : جيل الأربعينات يعيش جيله ومجتمعه وأنا لابد أن أصدقه فى ذلك لأنى مختلف عنهم فى العمر والظروف ، فلا بد أن يكونوا هم على صواب ، الشئ الوحيد فقط الذى ممكن أن

أنصح به مما سبق أن كررته هو أن يهتموا بالثقافة الشاملة لأنها
هى ركيزة للشخصية المبدعة .

❶ ❷ ويسأل د. عناني ، الأستاذ الحكيم : ما هو الفرق
بين إبداعك في الأربعينات من عمرك وإبداعك في الثمانينات ؟

ويجيب الحكيم : الإبداع ليس مرتبطاً بالسن والعمر ولكنه
مرتبط أيضاً بظروف المجتمع الذى نعيش فيه ونتج . . . ففى
الأربعينات من عمري كان المجتمع المصري فى حالة نهضة تنوير
تحتاج الى تقوية العنصر الفكرى والعقل فى الأدب ولذلك رأيت أن
المسرح فى ذلك الوقت لا يمكن أن يحترم الا اذا دخل فى منطقة
النهضة الفكرية ، والأدب . بأن يكون فى كتاب مقروء يلتحق بالفكر
أما فى الثمانينات فقد اتجه الإبداع الفنى الى وسائل جديدة وخاصة
بدخول التليفزيون ، وأصبح العرض المسرحى أهم من القراءة فى
كتاب ، ولذلك لا يمكن أن أتكيف مع هذا المجتمع بالإبداع الفنى
الا اذا أعدتني الى سن الأربعينات من العمر وأكون شاكراً لو
استطعت ذلك .

❸ ❹ ويسأل د. محمد عناني أيضاً . . هل يا ترى لو كتبت
مسرحية الآن هل تختلف فى الروح عما لو كتبتها فى الأربعينات ؟
يقول الحكيم : طبعاً تختلف فى الروح :

لا أؤيد العمليات الجراحية

❺ ❻ ولا زال سؤال الاضافة أو التعديل ان حدث ذلك
لمؤلفات الحكيم ، يشغل بال البعض فيسأل الكاتب الأديب جمال
بدران :

- عندما يعاد طبع بعض كتب الأدباء ، يحبون الاضافة اليها

أو تعديلها .. فهل لو افترضنا أن الأستاذ الحكيم أعاد النظر في « اهل الكهف » أو أى عمل آخر تعتز به .. هل تفضل أن تبدع فيه شيئا جديدا أم تعدله أم تبقيه كما هو ؟

أجاب شيخ الكتاب : إعادة النظر في المؤلفات القديمة قد تكون ممكنة في الأفكار التي يحدث عليها المجتمع تغيرات تقتضى إعادة النظر ، أما الأعمال الإبداعية فهي كملامح الوجه .. التغيير فيها يغير ملامحها ، وهو لا يحدث كثيرا إلا بالعمليات الجراحية اذا وجدت ضرورة لذلك .

ولكن مجرد تغيير ملامح العمل الفني يفقده شخصيته لأن الشخصية لا تقاس هنا بالخطأ والصواب ، وهناك أعمال خالدة بقيت خالدة لضعفها وبعض النقص في ملامحها . لذلك فانا لست ممن يؤيدون العمليات الجراحية في الوجه الحى سواء للشخص أو للعمل الفني .

في انتظار النوم الأبدى

❁ ❁ ولا زالت العودة لـ « عودة الروح » دأبة الحكيم تحظى باكبر قدر من الاهتمام فيسأل النقاد السينمائي سامي السلاّموني - لماذا لم تتكرر طوال التاريخ المديد لمفكرنا الكبير توفيق الحكيم تجربة روائية بحجم وقيمة « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » ، فلم ترتفع الى مستواهما ، سائر أعماله الأخرى وخاصة في مجال المسرح .. فهل يرى الكاتب الكبير ان ابداعه في الرواية كان أعمق وأكثر فنية ، واذا كان هذا الافتراض صحيحا فلماذا لم تواصل العطاء في مجال الرواية ، وتركت الكتابات الصحفية - رغم قيمتها - تستغرق معظم جهده مع أنها لا تخلو خلود « عودة الروح » ، ويوميات نائب في الأرياف .. هل لأنك

رايت أن التطورات والتحولات السياسية الحاسمة في مصر بعد فترة انجازك لهدين العاملين الكبارين لم تعد تسمح بهذا النوع من الابداع الفني بقدر ما نفرض على الفنان نوعا من انتمال انفكرى أو حتى السياسى الذى غلب على معظم كتاباتك بعد ذلك ؟

قال الحكيم : الكتابة الابداعية الصادقة فى نظرى ليست فقط هى التى تصدر عن رغبة الكاتب المبدع ولكنها فى كثير من الأحيان وخصوصا اذا صدرت عن كاتب مرتبط ببلده له ظروف سياسية معينة ، فان هذه الظروف هى التى ينشأ منها الأدب الخاص به وبغيره .

كما أن النبات والزرع الذى نراه نابتا فانه يكون مرتبطا بأرض معينة لها ظروفها ، لذلك كانت « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » ، هى مجرد نبات ظهر فى أرضية واقع تاريخى اجتماعى بالذات أدى الى ظهور هذا النبات ، فذا لم يظهر شيء من ذلك بعدئذ فهو راجع لأن الأرض أو الظروف لم ترغمنى على اظهار هذا النبات وربما أظهرت ذلك عند غيرى من الكتاب فليست وحدى فى هذه الفترة .

• • ويسأل أيضا الناقد السينمائى سامى السلامونى • •

- لماذا لم يفكر الكاتب الكبير فى تسجيل معاشته انخسبة للحياة الفنية فى مصر منذ وقت مبكر جدا فى أى صورة أدبية تختارها وأنت الذى قامت صورا عميقة منها وشديدة الغدوبة وكنت أكثر قربا من فهم الحياة الفنية فى مصر بعد ذلك مما كان يتيح الفرصة لنوع من السرد الفنى الجميل كما عايشه مفكرنا الكبير • • فلم لم تسجله ؟

- يجيب الحكيم الفنان : الكتابة عن الحياة الفنية فى مصر أو غير ذلك من الموضوعات • • لم أعد أذكر • • هل كتبت ذلك فى

صفحات متناثرة أو لم أفعل .. وعلى كل حال فانا الآن بذاكرة
لا تسمح بتذكر شيء من ذلك ، أو في صحة تسمح بالبدء في عمل
جديد لم أفعله .

• وأنا في انتظار الراحة التامة بالنوم الأبدى .

تشرشل يلعب في الحرب الكبرى

⑤ ⑥ وأسكن رغم انتظار الحكيم للراحة الزبدية ، إلا أنه
لا يضيع وقتا . فهو لا يزال مستهرا في الكتابة في أهرام الاثين ،
فيسأله الكاتب الأديب جمال بدران :

— بمقارنة أستاذنا الحكيم بالمبدعين الغربيين مثل « برتراند
راسل » و « برنارد شو » ، نجد أنه مثلهم وصل لأيدى العمر ولا يزال
يكتب ويبدع ..

فما هو سر هذه الاستمرارية .. هل سبب ذلك عند المبدعين
الغربيين انهم يعيشون في مستوى معيشي مرتفع وحياة مرفهة .
وهل يمكن أن نطبق هذه الأسباب في تفسير استمرارية أستاذنا
في الكتابة والابداع رغم سنوات عمره ال ٨٨ ؟

ويؤكد الكاتب الكبير أنه لا يوجد سر في هذه الاستمرارية
في الكتابة « غير انى طوال حياتي لم أعرف لى عملا يشغل وقتي
غير ذلك ، فانا ليس لى هواية تشغل الفراغ ، وهذا خطأ كبير لم أتوقع
الحاجة اليه ، فلو كنت مثلاً أحب الرحلات ، أو لعب الشطرنج ،
أو الطاوله ، أو الاستمتاع بمشاهدة كرة القدم ، أو نحو ذلك ..
لكان ذلك أراحنى من تركيز حياتي في شيء واحد هو القراءة والكتابة
والكتابة مع الأسف مجهدة لى لأنها لابد أن تكون نتيجة قراءة أما
الكاتب الغربى فهو محظوظ لأنه ربي على شغل وقته بأشياء أخرى

غير العمل الجاد ، فلا بد له من ساعات فراغ في الرياضة والهواء
الطلق في الجبال وغير ذلك .

وليس الأدباء فقط ولكن حتى السياسيين من أمثال تشرشل
الذي كان مشغولا بالحرب الكبرى ومع ذلك لا ينسى يوم الراحة في
الأسبوع ، فيذهب ويلعب لعبة « الجولف » ليجدد فيها حيويته وهو
في أخطر ساعات تمر بها بلاده . . لأنهم تربوا هناك على احترام
وتقدير ساعات الفراغ فيما يقوى صحتهم وعقولهم ، ونحن لم نلفظ
بعد الى ذلك . لهذا فأنا نادم لأنني لم أرتب حياتي على أن تكون
ساعات الفراغ ضرورية لتجديده نشاطي في غير القراءة والكتابة
اللتين لا أحبد غيرهما أشغل بهما الفراغ ، وزادت على ذلك أعباء
الصحة الواهنة لشيخوخة تحبب الى الموت وتنقذني من الحياة .

❶ ❷ ويرتب بسؤال الاستمرارية في الكتابة مما أوضح
حكيمنا أنه لا غيرها يعرف هواية لشغل وقت فراغه ، سؤال للشاعر
فاروق شوشة . .

متى ينمحي للاديب في رأيك أن يتوقف عن الكتابة ؟

- يقول الحكيم . . يتوقف الاديب عن الكتابة عندما لا تستطيع
يده أن تحمل القلم ، وكثير من الكتاب سقط القلم من أيديهم
وبعضهم ظل يكتب الى أن مات ومنهم العقاد . . فطالما أن الفكر
متألق ، وعند الاديب ما يقوله ، ويستطيع أن يحمل القلم ، فلا بد
ان يكتبه ولا يبخل به على الآخرين ، لأنه طالما الاديب منتجا فليخرج
بانتاجه على الناس ما ظل على قيد الحياة . وكما أجعل شعار
مقالاتي بالاهرام الحديث القدسي « اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم
فسيلة فليزرعها » وهذا دليل على ضرورة العمل والانتاج حتى آخر
لحظة ، أما الذي يتوقف عن الكتابة ويقول ليس عندي ما أكتبه ،
فهذا عجز والعجز عذر .

● ولأن استاذنا الحكيم هو مؤسس المسرح العربي فإن
الناقد المسرحي جلال المشري يسأله ..

- استاذنا الحكيم أنت رائد المسرح العربي.. بلا منازع ولكن
مسرحياتك وإن وجدت صدى في نفوس المثقفين فإنها لم تجد مثل
هذا الصدى في نفوس جمهور المسرح .. فهل أنت كاتب مسرحي
للمسرحيين أم أنك لا تكتب لجمهور اثنين المسرحي ، أو بمعبارة
أخرى .. هل أنت كاتب للكاتب أم كاتب الشعب ؟

يجيب توفيق الحكيم .. حياتي المسرحية تنقسم الى
شطرين منفصلين : الشطر الأول هو الكتاب المسرحي الجماهيري
في العشرينات ، وقد بدأ العمل فيها ١٩٢٢ بعد بناء طلعت حرب
لمسرح الأزيكية بعامين ، وكان أول اتصالى بالجماهير فى مسرحيتى
التي أخرجت على هذا المسرح فى نوفمبر ١٩٢٤ ، وكان « أهل
الفن » وقتذاك أشبه بالمسولين .. فقد طلب منى الملحن المشهور
« كامل الخلعى » خمسين قرشا مكافأة له على ألحانه فى مسرحية
غنائية لى ، وكتب بخطه وامضائه ايصالا بالمبلغ يوجد محفوظا حتى
الآن فى متحف الفن .. كان هذا هو عالمنا المسرحي .. بينما كان
زملاء جيلنا طه حسين والعقاد فى عالم الكتابة السياسية والأدبية
يتمتعون بالاحترام فى المجتمع .

الى أن ذهبت الى فرنسا ١٩٢٥ فوجدت كتاب المسرح هناك
تدرس مسرحياتهم الخالدة فى الجامعات ، فعجبت وبحشت .. فأتضح
لى أن أعمالهم التى تدرس وتخلد ملتققة بالأدب والفكر .. وهنا
حدث التحول عندي وبدأ الشطر الثانى من حياتى فركزت اهتمامى
بالثقافة الشاملة المتعمقة لأنتج أدبا فكريا محترما يوضع فى كتاب ،
خصوصا وأن الذى عرفنى بشوامخ المسرح الخالدين هو الكتاب ،

وليس العرض المسرحى الذى لم أشاهد أكثره على المسرح ٠٠ ففى فرنسا قلبا يعرض « شكسبير » أو « جوته » أو « ابسن » .
فالكاتب وحده كان هو طريق معرفتى بهم وبلا احترام الذى يحيط
بأسمائهم ، لذلك جعلت هدفى منح الاحترام للفكر المسرحى بإدخاله
فى الأدب المقروء ، وأصبحت عندى عقدة من خشبة المسرح ٠٠ على
أنى حاولت أحيانا التوفيق فى بعض مسرحيات بين الكتاب والخشبة ،
ولكن الاخراج لم يساعدنى ، وفهمت لماذا كان « برنارد شو » يخاف
على مسرحياته من اخراجها ويحذر المخرجين وكيف كان « تشيكوف »
يسقط لولا أنقذه المخرج المثقف « ستانسلافسكى » .

❁ ❁ ويسأل الكاتب والناقد د. سمير سرحان عن رأى الأستاذ الحكيم فى المسرح الآن ؟

— فيجب الاستاذ : المسرح المصرى الآن كائن غريب الشكل
لا نعرف له رأسا من ذئب ، وكل اعلانات المسرحيات فى التلفزيون
تثير الالتفات ولا تدل على المستوى .

❁ ❁ ويرصد أدينا الكبير نجيب محفوظ الفرق بين مسرح الدولة ومسرح القطاع الخاص فيسأل شيخ الكتاب : هل أجد لديك تحليلا موضوعيا لازدهار المسرح الخاص وتراجع مسرح الدولة فى هذه الفترة الأخيرة من الزمن ؟

يقول الحكيم : المسرح الخاص يعرف جمهوره وماذا يريد منه
هذا الجمهور ، أما مسرح الدولة فى مصر فلم يعرف بعد ما هو
المطلوب منه ، ولا ماذا يريد منه الجمهور ٠٠ ولم يدرس ذلك أحد
دراسة عميقة موضوعية مع كثرة الاجتماعات الرسمية وغيرها ٠٠
ولكن الحاضرين من رجال المسرح كان كل منهم يبحث فيما يريده

هو تبعاً لما يناسبه هو أما عندما أنشئ المسرح القومي في الثلاثينات أيام الشاعر خليل مطران فقد قامت دراسة عميقة من كبار العقول ودعى إليها مدير المسرح القومي الفرنسي الشاعر « اميل فايز » وأنشئ المسرح « مسرح الدولة » على أساس أنه يمثل الثقافة العليا في « الأدب العربي » والآداب العالمية مع ترك المسارح الخاصة تقدم ما ينتظره جمهورها . . . ولقد قرأت بعد ذلك رأياً لأحد المتخصصين العالميين الكبار يقول : يجب أن يكون في كل دولة ثلاثة أنواع من المسارح : المسرح القومي للكلاسيكيات والمسرح العام الجماهيري لكل الألوان المناسبة لكل المشاهدين ، ثم المسرح التجريبي لاكتشاف الاتجاهات الجديدة التي لا يغامر الجمهور العادي الكبير بحضورها ، ولذلك توزع الجماهير حسب طلباتها . . من يريد الثقافة يجد أين يجدها . . ومن يريد تمضية ليلة ممتعة يعرف أين يذهب . . والباحث عن الجديد يحب استطلاع أين يجده .

أما في بلادنا فلم يحاول أحد تطبيق ذلك بجدية لسبب واحد : وهو أن كل مسرح وكل ممثل يريد اقبال الجماهير فقط بأي شكل . . ولذلك نجد حتى مسرح الدولة يمارس هذا الخلط بدون تخصص ، فظهر ضعفه الى جانب المسرح التجاري المتخصص في وسائل جذب الجماهير .

نبوءة دورينمات

⑤ ⑥ وبناء على هذا يسأل الكاتب المسرحي الكبير نعمان

عاشور :

كيف ترى مصر المسرح المصري بعد الأوضاع الحالية ؟
يقول الحكيم : لا أعرف أين يتجه لأنني لو كنت متفرجاً
لكنت في حيرة . . أين أذهب هذا المساء ، فإذا أردت أن أشاهد

مسرّحيه لنعمان عاشور فاين أجدها ، أما في البلاد المتقدمة في المسرح فلا توجد مثل هذه الحيرة ، فأنت تعرف مقدما أين تجسّد ما تريده . وفي أى المسارح تراه دائما ، وأسأل الله أن نصل لهذا الوضع .

❶ ❷ ولكن النقاد المسرحي فؤاد دواردة يلقى نبوءة أمام الحكيم ويسأله الرأى فيها قائلا . .

— ما تعليقك على النبوءة التى تنبأ بها الكاتب المسرحي السويسرى « دورينمات » أثناء زيارته لمصر ، بأن المسرح في طريقه للانقراض في مواجهة أجهزة العصر الحديث كالتلفزيون والفيديو ؟

ولكن هذه النبوءة لا يأخذها شيخ الكتاب مأخذ الجّد دائما « لأننى اذا قلت فى سنة يوم ولد المسيح ، عن المسرح الاغريقى « لنوفوكليس » و « أروبيدس » و « أرسطوفان » ، انه بعد مائة عام فقط سيكون ليس له وجود الا فى الكتب ، فقد مرت ألفا سنة لا تجد ما يمنع فى بعض المسارح المحترمة من أن تمتل هذا المسرح الاغريقى ، الذى كان أيضا الركيزة التى أقام عليها مؤلفون عظام مسرحياتهم ، وبعض هذه المسرحيات عرضت فى أفلام سينمائية ولا يستبعد بعد سنة ألفين وخمسمائة أن يبعث المسرح الكلاسيكى الاغريقى من جديد فى أثواب جديدة ، أما اليوم وبالنظرة الجديدة لعصرنا فأنى مع دورينمات تماما ، ولكن ما يدرينا فى المستقبل ألا يستمر أسلوب المراثيات من تلفزيون وفيديو الا مائة عام ثم يحدث رد فعل يجعل الناس تشفق لأن تستمتع بعقولها ومشاعرهما الكلاسيكية .

❶ ❷ ولأن النقد أساس أى نهضة فنية أو مسرحية يسأل الأديب الناقد خبرى شلبي . .

٠٠ أنت والنقد ٠٠ هل استفدت منه أم تعتقد أنك لم تنقد بعد بالشكل اللائق ؟

٠ فيما يختص بالنقد فاننا فى أدبنا القديم والحديث لا نعطي النقد أهميته التى تكشف عما يقصده المؤلف خصوصا فى اطار جيله ومن جاء بعده ٠٠ فكل ناقد يريد أولا أن يكون مبدعا كما لو كان انتقد فى ذاته لا يكفيه فى حين أن النقد مهم جدا لانه المصباح الكاشف الذى يستطيع أن يصور بدقة ملامح الحركة الأدبية فى جيل من الاجيال ٠

● ● وعن النقد أيضا يسأل الكاتب المسرحي الكبير نعمان عاشور ٠٠ ما مدى أحسنه سأت فى هذا السن بقيمة النقد الأدبي ؟

يجيب شيخ الكتاب : النقد الأدبي لا يكون له قيمة إلا اذا وجد النافع الأدبي الذى نثق بنزاهته وسعة ثقافته وهذا يتعذر وجوده فى كل زمان وخاصة فى بلادنا ، فمنذ العشرينات والناقد المسرحي على الاخص يحابى ويجمال ويهاجم تبعا لحبه أو كرهه أو علاقته بالمؤلفين والممثلين والممثلات ٠

● ● وعما يمكن أن يستفيدة جيل عن جيل من تجربة يسأل الفنان التشكيل الكبير صلاح طاهر ٠٠ فيما يختص بالتجربة الفنية للفنان التى عادة تكون المادة الخام للعمل الفنى ٠٠ هل يمكن لقيادة فنية أو استاذية فنية مرت بتجربة ما أن تعطى هذه التجربة لفنان ناشئ أو شاب لا زال فى بداية مهارسته لموهبته ٠٠ وهل تغنى تجربة الاستاذ اذا اعطاها لتلميذه عن أن يجرب ويهر فى التجربة التى هى المادة الخام للعمل الفنى ؟

يقول الحكيم ٠٠ التجربة لا تعطى ولا تستعار ، ولا بد لكل شخص من تجربته هو الشخصية ولكن الخبرة الفنية هى التى يمكن

يستفيدها التلميذ من أستاذه وهي التي انتفع بها المصور الخالد
« رفائيل » من أستاذه « بيروجيني » .

❶❷ وقبل أن يغادر محطة التجربة والنقد والمسرح يسأل
أستاذ الأدب العربي د. حسين نصار .

- تعتبر الى جانب كونك رائدا للمسرح في عمومته ، ورائدا
للمسرح الذهني خاصة . . فهل تعتقد أن في الجيل الحديث كاتباً
من المسرح الذهني في مصر ؟

- يقول الحكيم : المسرح الذهني يقوم على قضية فكرية ،
والقضية عندي كانت هي الانسان والزمن « أهل الكهف » ، والانسان
ودورة الوجود « شهر زاد » ، والانسان والحكمة والقدرة « (سليمان ،
الحكيم) الخ الخ . . وهي مما يدخل في نطاق عصر التنوير الفكري
« الثلاثينات » بإدخال المسرح في الفكر المقروء الى جانب المقال الأدبي
والدراسات الأدبية ، أما اليوم فقد انتهت مهمته ، وأصبح وجوده
تاريخياً فقط ، أما الجيل الحديث فأذكر منه « الفريد فرج » الذي
أقترب منه بخذر ، ولكن على الرغم من انتمائي للمسرح الذهني ،
أحبذ الاهتمام بالمسرح الاجتماعي الذي يصور لنا مجتمعنا أصدق
تصوير والذي يمثله « نعمان عاشور » ، ولقد صدق ذلك الناقد
الذي قال يوماً ان « نعمان عاشور » هو الذي حطم مسرح « توفيق
الحكيم » الكلاسيكي .

نجومية التليهيون

❶❷ ومن المسرح الى السينما يسأل المخرج يوسف
فرنسيس .

عن رأى الحكيم في « ايها » على الشباشو و « ايها » الحقيقية
التي كتب عنها الحكيم في « عصفور من الشرق » ؟

يقول الحكيم .. أظن على الشاشة أجمل .. لأنه مضى أكثر من ستين سنة على الاولى ولم أعد أذكرها .

● ● ولان المعروف أن نجم السينما هو النجم وما غيره الا كواكب ، يسأل الكاتب الأديب ابراهيم الورداني ..

الكتاب والأدباء أين تضعهم في قائمة النجومية المصرية الآن ؟

يجيب الحكيم : النجومية الآن أصبحت في التليفزيون وليس في الكتاب .. في المرئيات وليس في القراءات .
زوبة انهمتنى معنى الفن :

● ● ولا يمكن للحواد مع شيخ الكتاب أن يكون خلوا من المرأة .. فيسأل الكاتب .. خيري شلبي ..

- أيهما أكثر تأثيرا على أدبك .. والدتك وكانت سيادة قوية الشكيمة ، أم زوبة العالمة ؟

يقول شيخ الكتاب : زوبة العالمة .. مع أنها لم يكن لها علاقة بالثقافة كما أتصورها ، ولكنها كانت أقرب الى فنيا ، والهمتنى معنى كلمة الفن في سلوكها ومهنتها واجتهادها في تنمية موهبتها « بعودها » وبغنائها ، وقد حاولت تقليدها في ذلك ، وأرادت أن تعلمنى « العود » لولا تدخل والدتى القوية الشكيمة ، وهى بعيدة تماما عن الفن وتقديره ، فغضبت وأبعدتنى عنها ، لأن الفن والنعلق به هو شئ غير محترم فى نظرها .

● ● وتسأل الكاتبة الصحفية سناء البيسى ..

- فى صومعة راهب الفكر توفيق الحكيم هل هناك اطياف لسناء يؤنس الوحدة ؟

أجاب الحكيم : النساء لا تؤنسن الوحدة دائما ، فالمرأة تدخل وحدها أول الأمر ، وإذا دخلت تدخل خلفها كل متاعب الدنيا .

تفسير القرآن

❶ ❷ **والى حديث الدين تسأل أيضا سناء البيسى . .**
كنت قد بدأت منذ أعوام فى اجتهاد بتفسير المصحف الشريف ،
ماذا اهتمت فيه الى الآن ؟

— يستغرب الأستاذ الحكيم هذا السؤال متسائلا :
متى فعلت ذلك أو قلته ؟ لست أذكر اننى فكرت فى التفسير ولم يخطر قط يوما عندى .

❸ ❹ **ويسأل الكاتب إبراهيم الوردانى .**
— هل فكر الأستاذ الحكيم أن يتج إلى بيت الله . . ولماذا لم
ينفذ ذلك بينما كان كثير السفريات الى خارج البلاد ؟
يجيب الحكيم : لم أجد نفسى أهلا للاقتراب من الحرم الشريف ،
وليس من رأى « الحج السباحى » .
ويسال الوردانى أيضا . .

ما رأيك فى ظاهرة الحجاب التى انتشرت فى الشوارع المصرى
هذه الأيام ؟

يقول الحكيم : الحجاب المنتشر أخشى أن يكون مجرد «موضة»
كموضات السيدات .

سجادة الصلاة

● ولان العلاقة بين شيخ الكتاب توفيق الحكيم ، وشيخ المشايخ فضيلة الامام محمد متولى الشعراوى ، قد بدأت بصدام الاحاديث المشهورة للحكيم الى الله ، وانتهت بالصلح عندما رأى الاستاذ الحكيم ، الشيخ الشعراوى فى منامه ، فأراد ان تتحقق الرؤيا ، وكان لا يزال يعالج فى المستشفى ، فاستجاب الشيخ الشعراوى لرغبته وزاره هناك وأهداه سجاده ليصلى عليها . وعندما علم الاستاذ الحكيم باننى سأزور الشيخ الشعراوى لاجراء حوار معه بمناسبة عيد ميلاده الـ ٧٥ « مما نشر على حلقتين على صفحات مجلة الاذاعة والتليفزيون » حملنى تحياته لهذا الرجل واعجابه الشديد به ، ولما جاءت سيرة هدية الشيخ الشعراوى الى الاستاذ الحكيم وهى سجادة الصلاة . تمنى الشيخ الشعراوى أن يكون الاستاذ الحكيم مقدرًا للسجادة محييا عليها شعائر الصلاة ، ولما نقلت تمنيات الشيخ الشعراوى للاستاذ الحكيم ، قال : السجادة التى أهداها لى الشيخ الشعراوى عند زيارته لى فى المستشفى أيام مرضى ، لم أكن أنا وحدى الذى استعملها للصلاة . بل انى كنت أقدمها لمن يزورنى ويسمع بها . ويطلب أن يصلى عليها ، فهو اذن . . الشيخ الشعراوى - يمكن أن يطمئن الى أن هذه السجادة قد جذبت اليها الكثيرين من المؤمنين وأكرر الشكر للشيخ الشعراوى وأسأل الله له الثواب .

● الشيخ الشعراوي :

بين دقادوس والوزارة وأعدائه

• • بينما كان سائرا رأى بعض الأطفال يشيرون اليه متبهين
آباءهم الى أن هذا هو الشيخ الشعراوي مما جعله يتوقف فقال له
أحد الأطفال : أنا أجبك ، فسأله الشيخ الشعراوي : ولماذا
تجبن ؟ قال الطفل : لأنك تقول كلاما حلوا .. فقال له : وماذا
فهمت منه فاجاب الطفل ؟ بسبب حاجته وفطرته البريئة : أنا
لا أعرف .. أنا مبسوط وخالص ..

• • ولما سألت فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوي داعية
عصرنا عن سر هذا الحب من ملايين المسلمين بطول العالم الاسلامي
وعرضه ؟

قال : جزى الله المحبين عنى خيرا ، وهذه ظاهرة صحية فى
الايمان ، تدل على أن الايمان خلية موجودة فى المسلمين ، قد يكون
العطب أصابها ولكن النواة سليمة ، لهذا فهم يفرحون عندما يجدون
من يحاول احياء خلية الايمان فيهم ، وهذا دليل على أن خليتهم
الايمانية جعانة لمنهج الله .

• • هذا من ناحية المتلقين فماذا من ناحية من أدت كداعية ؟

يعلم الله أن كل كلمة أقولها بإحساس صادق مما يفيض به الله
على من خواطر يلهمنى بها الحق من خلال التأمل فى قراءة قرآنه .

• • كيف استطعت تكوين آلتك الفكرية الجبارة ؟

أنا لم أكونها وإنما كونها خالقها .

• • هذا صحيح ولكننى أقصد ان ما تخرجه أجهوورك من

علم وفكر هل كان نتيجة قراءات واسعة ؟ .

نعم ، لقد ظلمت أقرأ وأستوعب وأفكر وأحلل قبل أن أخرج للناس أنقل اليهم عصارة فكرى .

❶ ❷ ولكن تأخر ظهورك الى ما بعد سن الستين أليس لذلك سبب ؟

تأخر ظهورى حتى تم نضجى .

بين دقادوس والاذاعة

❸ وهذا النضج العقلى والفكرى الذى ظهر لنا به الشيخ الشعراوى متأخرا حينما شاء الله له أن يخرج له سببان فحين كان الشاب محمد متولى الشعراوى طالبا فى معهد الزقازيق الدينى ، كلفه شيخ المعهد بأن يلقى لأول مرة درس العصر فى رمضان بمسجد قريته « دقادوس » بمحافظة الشرقية ، فقام الشاب بمجد الشعراوى بالاستعداد بمذاكرة حديثين شريطين من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما يفعل استاذة شيخ المعهد وجلس لدرس العصر الذى انتهى منه فى وقت أقل مما يقضيه شيخ المعهد فراح يكرر ما قاله ليستوعب الوقت حتى أدركه الشيخ القائم بشعائر الصلاة فى المسجد فألقاه من وركته بتحفيظ الجالسين للحديثين الشريطين « حتى ينتهى الوقت وبعدها استفسر هذا الشاب من شيخ المسجد عن السر وراء استيعاب « الحديثين النبويين » لوقت درس العصر من شيخ المعهد بينما لم يتسع له ، فافهمه الشيخ أنه لم يقتصر على المادة المكتوبة بل استعان بما استوعبه من علم وثقافة ، ومن هنا انطلق الشيخ محمد متولى الشعراوى الى عالم الفكر والثقافة والاطلاع حتى استطاع تكوين ثقافته الموسوعية التى هى أداة آلة فكره الجبارة ، ولذلك فان الشيخ الشعراوى يقسم لك أنه لم يعد يقرأ أى شيء غير القرآن ، فقد فرغ من مرحلة القراءة الى مرحلة التأمل فى آيات الله ، لقد

أصبحت لديه الخبرة العلمية ، والماكينة القادرة على استغلال هذه الخبرة ، وكل هذا حدث على مدى خمسين سنة راحت خلالها آلة فكره تنضج ، وهذا هو السبب الأول في أن الشيخ الشعراوي تأخر عنا في الظهور الى ما بعد الستين . على أنه كان من الممكن للشيخ الشعراوي أن يظهر لنا في نهاية الثلاثينات من عمره وليس بعد الستين ، وقد ظهر فعلا لبضعة أيام خلال ما لا يزيد عن الخمسة أسابيع في الاذاعة المصرية ١٩٥٠ حيث كان له حديثان ، حديث يكتبه لاحد رؤسائه ليلقيه باسمه في الاذاعة مقابل عشرة جنيهات ، وحديث آخر كان يلقيه الشيخ الشعراوي باسمه هو مقابل « ١٧٠ » مائة وسبعين قرشا تضيع في المواصلات بين القاهرة وطنطا حيث كان يقيم شيخنا الذي كان يكتب لرئيسه الذي لا يخجل من نفسه أن يدعى حديثا باسمه يتقاضى عنه أضعاف . أضعاف ما يتقاضى كاتبه الحقيقي من أجر ، ومع ذلك فمن سخيرية الاقدار الا يستمر الشيخ الشعراوي في حديثه للاذاعة لانها أوقفت التعامل معه بعد حوالي خمسة أحاديث ، بناء على تقرير يقول عنه ان « صوته غير ميكروفوني ولا يصلح لالقاء الأحاديث » !

فماذا كان يمكن أن نستفيد من علم الشيخ الشعراوي اذا استمر منذ سنة ١٩٥٠ وحتى اليوم ، ولكن يبدو أن الاقدار لم تكن قد هيات بعد لشيخنا أن يظهر لنا الا في أوائل السبعينات حيث اكتشفه المذيع أحمد فراج الذي قدمه للجمهور من خلال برنامج التليفزيوني الشهير « نور على نور » ليلفت الشيخ الشعراوي اليه أنظار الملايين الذين مست أحاديثه شغاف قلوبهم ليملاها نورا وهدى وإيمانا .

أنا ممتون لاعدائي

ورغم هذا الحب الكبير الذي يحيط بشيخنا من محبة الا أن له معرضين عنه ومعادين له مما جعلني أسأله :

● ● أنت تدعو لمحبيك أن يعزيتهم الله عنك خيرا فيماذا تدعو
على مهاجميك ؟

فقال الامام الفاضل : أنا لا أدعو على أحد وانما أدعو الله لمن
يهاجمونني ويعادونني أن يهديهم الله ، ولكنني ممنون لهم لانهم ان لم
يهاجمونني فكأنتني لم أفعل شيئا ولكن مهاجمتهم لى دليل على أننى
صنعت شيئا .

والذى يدعو الى الله وليس له أعداء يبقى نقص ميراثه من النبوة ،
لان الحق يقول « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن » .

فللانبياء اعداء ، وللعلماء أيضا اعداء لانهم كما قال صلى الله
عليه وسلم « العلماء ورثة الانبياء » ، ورثتهم فى ماذا ؟ ورثتهم فى
الدعوة الى الله وورثتهم بالتالى فى اكتساب الأعداء لأنه ان لم يكن
لليبي أعداء فلماذا جاء ؟ لقد جاء لاصلاح ما أفسدته المنحرفون
والمفسدون والمستمنعون المستفيدون من الفساد ، لذا فهم أول ناس
يحاربون النبي ودعوته .

وكذلك الداعية لما تجد انهم يشتموه ويهاجموه يبقى له ميراث
كثير من النبوة .

لقد قال أعداء محمد عنه أنه ساحر ومجنون ، وقالوا عن موسى
الكثير لدرجة أنه سأل ربه « اللهم أسالك بعزتك وذاتك وجلالك
ألا يقول الناس فى ما ليس فى » ، أى يارب لا تجعلهم يهتموننى بما
ليس فى ، فقال له الحق « يا موسى كيف أجعل لك مالم أجعله لنفسى »
الم يقولوا عن الله انه ثالث ثلاثة ، وقالوا عنه ما لا يعلمون .
اذن فمعاداة الناس شىء منطقي لصاحب الدعوة الى الله لانها
شهادة له انه نجح فى أداء مهمته كداعية .

فلا يزعجني أبداً أى هجوم أو تطاول والحمد لله أن أحبابي وأعدائي مستفيدون منى ، فأما أحبابي فمستفيدون منى الهدى وأما أعدائي فمستفيدون ممن يؤجرونهم لمهاجمتى .

ولكن اليسوا يتراجعون ، وآخرهم يوسف ادريس الذى هاجمنى فى « فقر فكره وفكر فقره » كتابه الأخير ثم اعتذر . ومهما تكن حجج اعتذاره واهية الا أن المهم أنه تراجع وأرجو أن يكون ذلك اقتناعاً بالحق لا خوفاً أو هروباً منه .

أسباب بعيدة وأسباب غريبة :

❊ ❊ ❊ وبمناسبة الهروب سألت الشيخ الشعراوي عن أسباب هروب الشباب من العمل فى بلده بينما يرتضى العمل فى بلاد أجنبية أعمالاً لا تكون مهينة ؟ .

فقال فضيلته : لقد كنت فى « النمسا » واستوقفتنى مجموعة من الشباب ليلاً والدينا مطرة وهم واقفون يبيعون « الصحف » . فقلت لهم « لو رضىتم بمثل هذا العمل فى بلادكم لاغتنيتم » .
إنما هم يستنكبون أن يعملوا مثل هذه الأعمال فى بلادهم ، إذن هل هم طالبو لقمة العيش أم طالبو سعة فى العيش ، ويرفضون بكبرياء ، الامتهان ؟ .

فالشباب فاهم أنه لما يعمل أى مهنة يبقى ممتن ، أبداً الاسلام ليس فيه مهنة عيب مادامت تتطلبها حركة المجتمع ، انما البعض يريد عملاً من نوع خاص ، ولو قبلوا أن يمارسوا تلك الأعمال التي يقبلون عمالاً فى خارج بلادهم « كبيع الصحف » و « غسل الصحون » وما الى ذلك سيعيشون معيشة الوزراء .

وانظر الى العامل عندنا « يوميته » وصلت ل عشرة جنيهات

فالشباب اذن يستطيع ان يكسب فى بلده لو عمل نفس الأعمال
التي يقوم بها فى الخارج ، ولأغناهم الله من فضله .

❁ ❁ وأسأل الامام الشعراوى عن الفرق بين جيلنا وجيله .

هل هناك اختلاف ؟

فيقول بصوت عميق ونفس طويل : نختلف كثيرا . . كان
آباؤنا يتعبون من أجلنا وكنا نقدر نحن هذا التعب ، أما الآن فالآباء
يتعبون من أجل أبنائهم والأبناء لا يقدرّون هذا التعب .

❁ ❁ كيف يتم اعتدال هذا الميزان بين الآباء والأبناء ؟

بان الناس يكون عندهم شجاعة ايمانية ، لما الولد يبلغ رشده
ويبقى قادر أنه يتزوج ، وهذا هو معنى أنه « يبلغ » ، يجب أن يقول
له أبوه « مهمتك معي انتهت واعتمد على ذاتيتك ، انما نحن معظما
يجعل الطفولة تمتد لسن الثلاثين ، تصور « بقى » ان الواحد من
سن ١٤ الى سن « ٣٠ » مازال « عيل » ويمد يده لأبيه وأمه ، ويريد
بده حياته بما لم ينته به أبوه ، يريد لما يتزوج يكون عنده « البيت
العصرى » فيديو وثلاجة وتليفزيون ملون وكل الأدوات الحديثة ،
وهذا غير منطقي ، ولكنه جيل مستعجل راكب أسانسير ، يريد أن
يحصل على كل شيء دفعة واحدة ، وذلك لأنه جيل لم يرب التربية
السليمة .

❁ ❁ قلت لشيخنا . . هل هذا يفسر لنا أسباب التفكك

الأسرى الموجود الآن فى مجتمعنا ؟ .

فقال الشيخ الشعراوى : التفكك الأسرى له أسبابه البعيدة

وأسبابه القريبة . أما الأسباب البعيدة فلأن الزوجين لم يدخلوا على
الزواج بمنهج الله ، فلم يختار الزوج صاحبة الدين ، ولم ترض الزوجة
صاحب الدين ، والدين هو الذى يجعل الانسبان مأمونا على حركة

حياته ، لذلك فالمقاييس التى يأخذها الزوج فى الاعتبار حين يختار الزوجة • أو الزوجة حين تختار الزوج ، مقاييس موقوتة قد تكون « جمالية » والجمال لا ثبوت له لأن له « ذبول » أما مقاييس القيم الدينية كلما مر بها الزمن تقوى ، لكن المقاييس التى يأخذونها كلما مرت بها الأيام تدبل . لذا لا تجد ألفة بين زوج وزوجته بعدما تنتهى فترة المراهقة وشهر العسل ، فيزهد كلا الزوجين فى الآخر مادام الزوج يطلب له مجالا والزوجة تطلب لها مجالا آخر : فينشأ الأولاد لا يجدون اجتماعا أسريا فلا يكون هناك التقاء بين أفراد الأسرة ، فتجد الأولاد المراهقين يطلبون لهم مجالا فى الشارع وفى الحواري وعلى المقهى ، والصغير أيضا يطلب له مجالا فى الشارع وفى اللعب ، وأيضاً شغل المرأة عن رعاية الطفولة •

لأن الطفولة فى الانسان أطول أعمار الطفولة فى الكائن الحي لأن مهمته مهمة كبيرة فيجب أن تكون مدة الطفولة على قدر المهمة التى سيضطلع بها بعد أن يبلغ ، وفى هذه المرحلة الهامة تجد الأب مشغولا والأم مشغولة ، ومن هنا ينشأ التفكك الأسرى ، ولذا قال شوقي رحمة الله عليه :

« ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلا

ان اليتيم هو الذى تلقى له أما تخلت أو أبا مشغولا » •

وهذا هو الذى حدث •• الأم متخلىة عن أمومتها فى العمل ، والأب مشغول ، وهما محور الانتقاء ، ولو كانا موجودين وفيه التقاء بينهما على أساس دينى من البداية لا تجد من الأولاد من يجترى على ارتكاب الخطأ ، فالكبير يستحي ، والصغير عندما لا يرى أحداً عمل عملاً مخالفاً ، فينشأ لا يعمل عملاً مخالفاً •

● ● فضيلة الامام ألا تجد أن تكاليف الحياة الصعبة لا يقدر عليها الزوج وحده فتشاركه زوجته بعملها بتحمل أعبائها ؟ .

فقال الشيخ الشعراوي : الرجل الذي يعتمد على المرأة في تكاليف الحياة رجل أصابه خور في رجولته ، وأيضاً لأن الزوجين فرضاً لنفسيهما مستوى معيشيا ليس على قدر الدخل ، والمفروض في كل رجل إيماني وكل أسرة إيمانية أن تفرض مستوى حياتها على قدر ما يدخل لها من طريق خلال .

على الشباب أن يتهمد على نفسه :

● ● ومادنا قد تحدثنا عن أسباب التفكك الأسري ومرجه كما قال فضيلتكم الى انعدام المقاييس الدينية في اختيار كلا الزوجين للآخر ثم انشغالهما بالعمل خارج البيت عن اولادهما فهل لنا أن نعرف طريقة تربية الشيخ الشعراوي لأبنائه حتى يكون ذلك قديوة للآباء في تربيتهم لأبنائهم ؟ .

قال شيخنا : رببت اولادى على منهج الله كما أخبرنا بذلك صلى الله عليه وسلم . رببته سبعا ، وأدبته سبعا ، وصاحبته سبعا ثم أترك له الحبل على الغارب . فالتربية فى السبع سنوات الأولى معناها أن أبين له الصواب دون أن أؤدبه على الخطأ ، انما فى السبع سنين الأخرى أؤدبه على الخطأ ، وفى السبع سنوات الثالثة أصاحبه ، وهذه هى فترة المراهقة التى يجب على كل أب أن يقلل فيها من فراغ ابنه لنفسه وفراغه الى مثله من الشباب ، تقول له : تعال معى المشوار الفلانى ، ساعدنى فى العمل الفلانى ، المهم انك تشغل ابنك دائما فيما بين سن « ١٤ » الى سن « ٢١ » حتى يكون تحت رعايتك دائما ، فلا ينشغل بشئ قد يفسده ، اذا كان يشرب سجائر ، فسيقلل بقاءه أغلب البقت معك ، من شربه من السجائر ، واذا كان يذهب لشباب فاسدين ، يبقى قللت بقاءه معك ، من وجوده معهم .

لذلك تلتفت تجد في الأسرة الواحدة ، واحد « مهلى » جدا ،
 وواحد « معفرت » جدا ، لماذا رغم أن المربي واحد ؟ ذلك لأن الأول
 السبع سنين صادفت « حادثا » في البيت ألزمه البيت . أمه ماتت ،
 أو أخوه مات ، وغير ذلك من الأحداث الصعبة ، فمرت عليه السبع
 سنين الخاصة بالمراهقة . دون أن ينشغل بشيء الا ما وقع له من
 مصاب في عزيز لديه ، وبعد أن تنتهى فترة المراهقة يظل سليما
 طوال عمره .

اذن فعلى كل أب أن يربى ابنه سبعا ، ويؤدبه سبعا ، ويصاحبه
 سبعا ، ثم يترك له الحبل على الغارب ، لأنه « خلاص بقى » ، اذا لم
 تستطع أن تقوم بتقويمه خلال الـ ٢١ سنة فلا فائدة .

● ● اذن يا فضيلة الامام هل الشباب فى تطرفه يكون
 ظالما ام مظلوما ؟ .

اجابنى الشيخ محمد متولى الشعراوى بما يشبه لغزا حل عقده
 فقال :

الشباب ظالم ومظلوم .

● ● مظلوم أولا لأن المجتمع الذى استقبله لم يأخذ بيد
 الفضائل عنده ، فهو مظلوم بذلك ، لكن هل كل واحد يقبل أن يكون
 مظلوما ؟ .

صحيح يا شباب أنت مظلوم لم ترب جيدا ، لكن هل معنى
 ذلك أنه تظل مظلوما ؟ لقد كبرت وصارت لك ذاتية ، اذا قال لك
 أبوك البس « هذا » تلبس « ذاك » . ادخل هذه الكلية ، تدخل
 كلية أخرى ، وهكذا أصبحت لك ذاتية يا شباب ، فلماذا تكون لك
 ذاتية فى مثل هذه الأشياء ولا تتمرّد على ما خلفه لك من شر ؟ .

أريد يا شباب أن تنظر الى الدين من هذه الزاوية ، وتقول أنا لم تحسن تربيتي لماذا ؟ بسبب كذا وكذا ، تقوم تتلافها في نفسك .

اذن فالشباب مظلوم في الأولى ولكنه ظلم نفسه في الثانية لأنه استمر على ما طبعه عليه مجتمعه ولم يتمرد على نفسه كما تمرد على كثير من الأشياء التي مر بها ، فيقول . . أنا كبرت ، لماذا كبرت هناك في الأمور التأقية وأصبحت لك ذاتية . وهنا في الأمور الهامة لم تكبر ، نحن نصنعك يا شباب أنت مظلوم أولاً ولكن بعد أن نضج عقلك وبلغت رشداً واستويت تبقى ظالماً لنفسك لأنك لم تتخلص مما تركته فيك بيثتك من سلبيات .

عبر . . وجعر

❁ ❁ الحديث عن الشباب يعبرنا الى الحديث عن الجماعات الاسلامية وكثرة المتدينين وانتشار الحجاب والنقاب . . ما رأى فضيلة الشيخ الشعراوي في هذه الظواهر والتي يعتبرها البعض دلالة على صحوة اسلامية ؟ .

قال شيخنا : الصحوة الاسلامية موجودة ، لكن أخشى ما أخشاه أن تكون موجة تركب لغير ذي اسلام .

❁ ❁ كيف ذلك يا امام ؟

يعنى الصحوة الاسلامية موجودة صحيح ، لكن أنا لا أحب أن يرى الناس أن الاسلام بدأ ينتعش لأن ظنه في النظم كلها قد خاب فاتجه للاسلام ، مما أخشى معه لو صح هذا الظن أن يجعل أناساً آخرين يدعون للاسلام وهم ليسوا مسلمين ، فيركبون الموجة وهذه هي الآفة .

لذا عندما ترى تجمعاً يريد أن يحكم الاسلام اتهم القائمين به ،
وقل لهم اذا كنتم تريدون أن تكونوا على حق بصحيح فكُونوا داعية
لأن تكونوا محكومين بالاسلام .

ثم مسألة أخرى وهى لماذا هذه الجماعات الاسلامية متعددة ،
لماذا لا يتفقون ، أن لكل جماعة منهم فقيها وأميرا وأتباعا ، مما يدل
على أن السلطة الزمنية مسيطرة على أفكارهم وكل واحد يريد أن
يصبح زعيما ، وأيضا كونهم يخوضون فى مسائل الدين وهم مازالوا
« عجز » فى مسائل الدين ، لم ينضجوا بعد ، مسألة غير منطقية
وكلام فارغ .

⑤ ظاهرة أخرى متعلقة بسابقتها وهى كثرة الميكروفونات
الزائدة لئلا تسمع كل مكان . هل هذا يصح يا مولانا ؟ .

اجاب الشيخ الشعراوى مستنكرا : هذا « جعر دينى » ، اسمه
جعر ، والقائمون به والمهيئون له والمساعدون له . آثمون . آثمون . آثمون .

لأنه اذا كان فى الصلاة نفسها ، قال الله لرسوله « لا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » ، فالجهر محرم ،
وقال « ودون الجهر » ، يعنى أقل من الجهر ، فما بالك « بالجعر » ،
فما بالك ليس « بالجعر » ، بل « بالمكرفة » ، ميكرفون الأصوات ،
ويطلعوها مزعجة خاصة بالليل وهناك المريض الذى يذكر .

لقد اتخذوا من الميكروفونات ليس وسيلة أذان واعلام بالصلاة ،
بل اتخذوها منابر اعلام بأصواتهم ، وهذا ليس من الدين فى شيء .

⑥ ظاهرة ثالثة هى كثرة بناء المساجد هل هى ظاهرة
صحيحة ؟ .

نفى ذلك الشيخ الشعراوى قائلا : هي ظاهرة غير صحية في
الايمان لان هذا تفتيت لجماعة المسلمين ، لان مسجدا بجوار مسجد
وهذا عامل زاوية وذاك عامل زاوية ، فتعددت المنابر وتعددت
الأحكام ، وأصبح كل مسجد وكل زاوية بضعة أفراد رغم أنه يجب
شرعا أن يجتمع المسلمون في كل حي وكل منطقة في المسجد
الجامع ، ولكن الذي حدث نتيجة كثرة الزوايا والمساجد أن تفرق
المسلمون وتفتتت جماعتهم حتى في الصلاة .

الحجاب والنقاب والمستهنئين

● ● ظاهرة متعلقة بالمرأة وهي الحجاب والنقاب وقد ثار
حولهما لفظ وجدل . ما رأى فضيلة الشيخ الشعراوى ؟ ● ●

قال : مسألة النقاب والحجاب لم تكن « تعوز » هذه النضجة ،
امرأة تريد أن تتنقب ما دخلكم أنتم . أنا قلت لهم لماذا ثرتم على
النقاب ولم تثوروا على المتهتكات . إذا وقفتم عند هذه وتركتمهم
هذه ، ونسأل هل المنتخبة فاشلة في عملها أم تؤديه ناجحة ومتقدمة
أم لا . النقاب لم يعقهن والحجاب لم يعقهن .

● ● ولكن في بعض الحالات ظهر أن رجالا من محترفي
الاجرام ارتدوا النقاب للتستر خلفه كما أنه من الممكن أن تؤدي
طالبة لزميلتها الامتحان متخفية وراء النقاب ولا أحد يدرى .
فما تعليق فضيلتكم ؟ ● ●

اجاب الشيخ الشعراوى : اذا أرادوا أن يتأكدوا من خلف
النقاب ، عندهم وظائف ليس لهن عمل ، ويمكن أن يقمن بعملية
التأكد من الشخصية ، ولكن لماذا يتأكد من شخصية المنتقبة رجل .
ان عندهم بنات كثيرات من غير عمل ، اجعلوهن يتولين هذه المسألة ،

ولن تجد المنتقبات حرجا في أن تراها فتاة مثلها ، ويوم ما تعترض
يبقى هذا تعنت منها غير مقبول .

وأنا أعلم أن مسألة النقاب هذه أثارت حولها الضجة في كلبة
الطب ، وقيل ان الطبية تتعرض للمرضى ويجب أن تظهر شكلها
لهم ، فهل يريدونها مرفهة أم طيبة ، والا علينا ألا نذهب الى
متخصص في فن وقد أصابه الكبر ووقعت أسنانه وشاب شعر رأسه
وتساقط ، ماذا ستري فيه ! .

اذن فمبررات النورة ضد النقاب مسألة كذب كلها ، ناس
عمالين يبرروا رفضهم لمنهج الاسلام .

● ● بعض الفتيات والسيدات ممن يرغبن في ارتداء الحجاب
مترددات خاصة مما يتوقعنه من مشقة السخرية ممن يعرفوهن .
فكيف يقطعن ترددهن ويثبتن على اقتناعهن بالزى الاسلامي ؟ .

ذلك بأن يجعلن سخرية الناس لهن في مقابل عقاب الله لهؤلاء
الساخرين ، ويفاضلن بين هذا وذاك ويقارن . هل السخرية أهون
أم عقاب الله أهون .

والذى يجعل الانسان يجترىء على معصية أو يمتنع عن طاعة
أنه لا يستحضر الثواب على الطاعة ولا يستحضر العقاب على المعصية ،
وكان يجب أن سخرية المجتمع تغرى المسلم على أن يتمسك بدينه ،
لأن المجتمع « متغاض » أنه لا يقدر أن يعمل مثله ، وعندما تجد واحدا
يسخر من واحد ويحتقره ليقنع عما لا يستطيع أن يفعل مثله ، فاعلم
أن هذا هو النقص ، لأنه ساعة ما واحد ناقص يشوف واحد كامل ،
يفيظه ذلك ، كيف أن هذا كامل وهو ليس كاملا فلا بد أن يأتى به
لناحيته ، فيسخر منه لينحرف مثله ، لكن المؤمن الحق هو الذى
يتمسك بإيمانه واقتناعه ، وربنا لم يترك هذه المسألة وذكر أن هذه

مرحلة من المراحل ستمر بمن يلتزم بمنهج الله بين ناس لا يلتزمون به ، فقال الحق :

ان الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون • وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم « يوم الجزاء يعنى » - الذين آمنوا من الكفار يضحكون • على الأرائك ينظرون • هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون » • • قدرنا نجازيهم ؟ •

اذن فلازم صاحب الكمال يعرف انه بين الفاسدين من سيسخر منه ويستهزئ به ، ولكن عليه أن يصبر ويسأل • • من الذى سخر • • انهم المخلوقون ، ومن الذى رضى بما فعلته وسخر بك بسببه الساخرون • • انه الله ، فزن هذه أمام هذه وخذ جانب الخالق تنصر دائما •

رضا النفس وشراحتها

❶ وسألت الشيخ الشعراوى عن قلة عبادتنا وتاديتنا لواجب الله مما يجعل اليأس احيانا يتسرب الى نفوسنا مقارنة بالمسلمين الأوائل • • فهل من باب الأهل للمسلم فى طمأننته على جدوى عباداته ؟ •

قال : البدوى الذى علمه الرسول ، الاسلام فى خمس دقائق ، حينما سأل عما افترضه عليه الاسلام ، فأخبره بأركانه الخمسة ، فقال البدوى • • هل هذه فقط ، فلما قال له الرسول انها هى فقط ، قال البدوى « والله لا أزيد ولا أنقص ، فقال الرسول « افلح ان صدق » •

فمسائل الدين مسائل مضبوطة ، أدها بقدر ما تستطيع باخلاص الوجه لله ، ثم مسألة القبول أو عدم القبول اتركها لله •

ثم ان هناك مسألة أخرى يجب أن يعيها المسلم وهي ان هناك فرقا بين التدين ، وبين علوم الدين ، فالتدين لا يعوز منك أن نتبحر فى علوم الدين ، فأقول لك ادرس الميراث ثم تمضى حياتك كلها ولا تتعرض لمسألة ميراث ، أو أقول لك من أجل أن تحافظ على صحتك تعلم الطب ، أو يمكن تبني بيتا أقول لك تعلم الهندسة ، أو يمكن تبقى لك قضية أقول لك ادرس من أجل أن تصبح محاميا ، ليس هذا المطلوب ، انما المطلوب هو أن تعرف مقومات الحياة الاجتماعية ثم تتخصص فى نوع من الحياة تنفع به نفسك وتنفع به غيرك ، واذا تعرضت لشيء لا تحسنه فاسأل أهل الذكر فيه ، فليس مطلوب الا أن يعلمها بعض المسلمين ، فالق يقول « فاولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » ، ونحن يا علماء بقى لنا خمسون أو ستون سنة ومازالت أمامنا مسائل مغمضة علينا .

فليعلم المسلم من الاسلام ما به قوام حياته الفردية ثم اذا جد لك شيء اسأل عنه أهل الذكر .

● ● ● أحيانا أيضا ما ينظر مسلم ملتزم تفسير حياته بهذه الله فيعيش نفسه يعيش فى ضائقة من العيش يسئها غيره الذى لا يعرف طريقا إلى الله يعيش فى سعة ورخاء من العيش . فهل لذلك من حكمة يا امام ؟

قال فضيلته : « عال قوى » ، ستمر بك الأيام وسترى من فى سعة العيش ربنا يخضع رقبته لواحد ممن هم فى ضيق العيش ، ويقول له : ادع لى يا عمى ، ويأتى ، يلقي بنفسه على المجاذيب والضعاف ، فلا يجد غيرهم حاجة يفيء اليها .

ثم ان فيه فرق بين رضا النفس وشراة النفس ، رضا النفس معناه انك لو دخلت ولم تجد طعاما فى البيت ، تبحت عن لقمة وحتة جبنة أو فجلة ، وتأكلها وتحمد ربنا ، ثم اذا أتوا لك بديك رومى فليس له قيمة عندك .

والشاعر يقول :

والنفس رغبة اذا رغبتها

وان ترد الى قليل تقنع

ثم هنا الغاية هي التي توضح سر ضيق عيش المؤمن وسعة عيش غيره ، فمثلا التلميذ الذي لا يزال يأخذ مصروفه ويأكل فول وطعمية ، أو « شوية » سلطة ، أو فول نابت ومخللات .. هو يتحمل ذلك ليرفه حياته فيما بعد حينما يصبح ذا قيمة في مجتمعه ، كذلك الذي يعبد الله يكفيه من الحياة « قوت يومه » ، اذا لم يكن ذا سعة ، وبعد ذلك يرفه نفسه في حياة طويلة لا تنتهي حينما يثاب على طاعته ، في الآخرة .

نحن والفلاح والموظف

● ● اذا انتقلنا من الفرد المسلم الى المجتمع المسلم وجدنا كمثال ان مصرنا الغالية رغم كثرة خيراتها فانها تعاني من ضائقة اقتصادية .. هل لذلك من تفسير يا امام ؟

قال الشيخ الشعراوي : حين يوجد خلل اقتصادي لابد ان نبحث عن السبب .. من أى شيء ينشأ الخلل ؟ هناك ثلاث حالات .. أما أننا نستهلك فوق ما ننتج فيأتي خراب ، وأما أننا ننتج مثلما نستهلك فيكون الجمود ، وأما أننا ننتج فوق ما نستهلك فيكون رواج .. فأين نحن من هذه المعادلات الثلاث ؟ أننا نستهلك أكثر مما ننتج ، فلابد أن يأتي الخلل الاقتصادي ويحدث التأخر ، وأساس هذا ناشئ من أن مقومات حضارتنا الحالية هي حضارة « تلصص » لأن الحضارة الحقيقية هي أن ننتفع بمقومات الحضارة من عملنا وجهدنا وإنتاجنا ، إنما لما ننتفع بالحضارة من أشياء نستوردها من عمل غيرنا ، فهذا يعنى أننا تجمدنا وأصبحنا عالة على غيرنا .

صحيح أننا ندفع ثمن ما نستورده ولكنه بقروض عليها

فوائد ، تتراكم حتى تثقل كاهلنا ، على ان هذه ليست هي المشكلة .
 انما المشكلة هي اننى باعتمادى على غيرى أصبحت متلصصا كسولا ،
 لا حضارة لى أعتمد عليها فى تقدمى ، لدرجة اننا ونحن بلد زراعى
 أصبحنا نستدين ثمن رغيف العيش ، ومن الغريب العجيب أن
 الفلاح الذى كنا نعتمد عليه فى رغيف العيش أصبح هو أيضا
 يشتريه مثل أهل المدينة من الطابونه ، ومع ذلك نجد عند الفلاح
 تليفزيون وثلاجة وفيديو ، وهذه رغم أنها دلائل تقدم فى ظاهرها
 الا أنها فى الحقيقة دلائل تأخر وتخلف لأن الفلاح أخذ ارتقاءات
 فى غير مجاله وليس من صنعه .

انما لو كانت القرية تنتج رغيف العيش وتكفيها وتغنيها عما
 نستورده من طعام ، فان وجود الأدوات الحديثة بعد ذلك فى القرية
 يكون تقدما وارتقاء ، لأنك اذا أردت أن ترتقى فلا بد أن يكون ذلك
 بعرقك ، فاما أن تنتج أدوات الارتقاء ، أو تستوردها مقابل ماتصدرة
 من انتاجك .. هكذا يكون ارتقاء الأمم ، انما لما استورد أدوات
 الرقى وأنا لا أنتجها ولا أصدر مقابلها فلا بد أن يوجد الحل .

ومن الغريب أنك تجد الدول النامية تعيش معيشة فى مستوى
 الدول الكبرى فنجده فيها مثلا عدد الوزارات الموجودة فى أمريكا
 الموجودة فى بريطانيا ، وأى حاجة يرونها هناك يقلدونها دون النظر
 الى أنها تناسبهم أو لا تناسبهم .

والمفروض أن كل الدول النامية تعيش على قدرها ومستواها
 وظروفها .. أما محاولتها تقليد الدول الكبرى فمساءلة غير منطقية
 لأنها بذلك تلتصص على الحضارة وليس لها ساق تمشى بها الى
 الحضارة .

●●● هل لك رأى يا فضيلة الشيخ فى قضية الدعم ؟

أجاب شيوخنا : من العجيب أن تجد رغيف العيش الذى

نستدين ثمنه يأكل منه الغنى والفقير .. مسألة عجيبة ، ولذلك
يجب تحديد من يستحق أن يأخذ رغيغ العيش بثمره الحقيقى ،
ومن يستحق أن يأخذه بثمره المدعوم ..

● ● ماذا أيضا من السليبيات التى تراها فضيلتكم ؟

قال الشيخ الشعراوى : الموظف مثلا الذى يحصل على راتبه
على أنه حق ضرورى له دون أن ينتج ، وإذا طلبت منه أن يقوم
بعمله يقبض عليه حوافز .

وهذا خطأ تتجمله الدولة لأنها عودت موظفيها على أن يأخذوا
دون أن يعطوا من منطلق أن الدولة تقوم بكل شيء ، وعلى هذا
فالموظف يتصور أنه كجزء من الدولة مقرر له المرتب بصفته منتسبا
للدولة .

لقد أصبح الناس يأخذون ولا يعطون ، وإذا أعطوا لابد أن
يأخذوا أيضا .

● ● وما رأى الاسلام فى هؤلاء الموظفين الذين يتقاضون
مرتباتهم دون أن يقوموا بواجبات عملهم ؟

أحمل شيخنا الاجابة بقوله .. مرتباتهم حرام - ثم فصل
قائلا - يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .. يعنى لازم
يتعب ، ولكن الذى يحدث أنه يأخذ « أجره » ، و « يصهين »
تاركا الثانية وهى أن « يعرق » ، والمفروض الا يأخذ موظف أو عامل
أجره قبل أن يجف عرقه ، فلازم يعرق ، وإذا لم يعرق لا يستحق
أجرا ، فإذا أخذ أجرا بغير عرق فانما يأخذ حراما وسحتا .

لماذا لم نعد خير أمة

● ● ومن الفرد والمجتمع والدولة انتقلت بالنحو مع ضعفنا
الإمام محمد متولى الشعراوي إلى العالم الإسلامي وواقع المسلمين
الذى لا يسر حبيبا وإن كان يسر عادوا ، سألت شيخنا عن قتال
الدولة الإسلامية فيما بينها وذنب المقتولين فيها وموقعهم من
الشهداء ؟

فقال فضيلته : ترى لماذا تتقاتل دولة إسلامية مع دولة
إسلامية ؟ • هل تتقاتلان على نظام إسلامي تريد أحدهما إقراره ؟
إذا صح هذا يبقى قتال مشروع ، أما إذا كان قتالا لمصالح شخصية
وأهواء حكام يبقى قتال بلا قضية تتحملها الشعوب ، ولا فائدة
إلا الضعف والخسران ، ويصبح المقتولون من الجماعتين شهداء
حكاهم لأنهم إن لم يطيعوا ويقاتلوا •• قتلوا •

● ● قلت لشيخنا •• سألني بعض الأخوة المصريين الذين
يعملون في دول إسلامية متقاتلة أن أعرف وأيكم من مدى مشروعية
عملهم في هذه الدول الإسلامية المتقاتلة ؟

فطمأنهم شيخنا قائلا : لا وزر عليهم إلا إذا كانوا مستأجرين •

● ● وسألت •• ألا يوجد أمل في تقدم المسلمين ؟

قال الشيخ الشعراوي : لا يوجد أمل في التقدم إن لم يكن
عند المسلمين منهج يوحى بالتقدم ، وإذا كان عندهم منهج ولا يعملون
به فلا قيمة له ، مثل مريض أمامه صيدلية •• فهل شرب المريض
الدواء ؟ •

والمسلمون لديهم منهج إسلامي يتمثل في القرآن والسنة
وما بقى تركه الحق لاجتهاداتهم حسبما تتطلبه حركة حياتهم ، فهل

أخذ المسلمون بالعلم الذى دعاهم اسلامهم الى طلبه ولو فى الصين ،
وهل أخذوا بما دعاهم اليه اسلامهم من اخلاص فى العمل ونظام
ونظافة ومودة وان يحب الأخ لأخيه مثلما يحب لنفسه . وغيرها من
اسس التقدم التى دعا اليها المنهج الاسلامى . . فهل أخذ المسلمون
بشئ من هذا المنهج ؟!

اذن . . فلا يلوموا الا أنفسهم .

● ● استفسرت عن معنى قوله تعالى عن الآية القرآنية
« كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، فكيف نوفق بين هذه الآية
الكريمة والواقع الذى يعيشه المسلمون بها لا يرحى بأنهم خير أمة ؟

فنظر الى الشيخ الشعراوى نظرة الواصل مما يقول متسانلا :
الا تنظر الى حيثية الخيرية هنا ، لماذا تكون خير أمة أخرجت
للناس . . اكمل الآية بعد قول الحق « كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

اذن خيرية الأمة الاسلامية ليست مطلقة ولكنها مرهونة بتحقيق
هذه العناصر ، فاذا لم تتحقق انتفت الخيرية عن أمة الاسلام ، وهذا
شئ منطقي لأن النتيجة يجب أن تكون موافقة للمقدمة ، انما لو
صلح حال المسلمين دون أن يأمرؤا بمعروف أو ينهؤا عن منكر أو
يؤدؤا واجبات الايمان بالله ، لما كان هناك ضرورة لمعنى الاسلام ،
لذلك تجد ان المسلمين لو أخذوا بأسباب القوة لانفعلت لهم وأصبحوا
أقوياء ، واذا لم يأخذوا بها ضعفوا وهانؤا على أنفسهم وعلى الناس .

فالايمان لا يعطيك ميزة الا اذا اديت مطلوباته ، والجمال فى
الكون هو أن تاتى النتيجة وفق المقدمة ، فلما تقول للطالب اذا
ذاكرت تنجح واذا لم تذاكر ترسب ، انما لو نجح المهمل فما المداعى

لأن يجتهد المجتهد ، وبذلك يشيع القبح في الكون لأن النتيجة خالفت المقصدة .

لهذا فرسوب المهمل وعقاب المقصر وقطع يد سارق ورجم زان ، ليس قسوة ولا تشويها ولا قبحا بل هو جمال تستقيم به الموازين في الكون والمجتمع .

ولذلك مثلا لما نقول لرسامي العالم سنجرى لكم مسابقة في رسم الشيطان ، فان أجمل صورة ستحصل على الجائزة هي أقبح صورة .

اذن فوجود القبح يكون وجودا جماليا لاستقرار موازين الحياة . لذلك قلنا ان هزيمة المسلمين في غزوة أحد شيء قبيح ولكن به يتحقق الجمال لأن المسلمين لو انتصروا رغم مخالفتهم لأوامر الرسول لقالوا بعد ذلك خالفناه وانتصرنا فتهون عليهم بعد ذلك التكاليف وبذلك يضيع الاسلام بينهم .

من ذلك يتضح لنا أن ضعف المسلمين اليوم ومكائهم الأدنى بين الأمم طبيعي ومنطقي لأنهم لم يحققوا مطلوبات الله منهم بأن يكونوا خير أمة ، لأنهم لم يلتزموا بشروطها نهيا عن المنكر وأمرًا بالمعروف وإيمانًا بالله .

اذن فلا تناقض مع قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ومع الواقع الذي يحياه المسلمون لأن الخيرية تنتفى مع انتفاء قيام المسلمين بتحقيق عناصر هذه الخيرية .

الزوج المسلم وشغل البيت

✽ وأسأل فضيلة الشيخ الشعراوي عن نفسه وهو يعرض عن ذلك ، فعندما طلبت منه حوارا بمناسبة عيد ميلاده الـ ٧٥ .

قال لي : « عيد ميلاد أبيه وبتاع أبيه ، اسألوا في حاجات تفيد الناس » ولكنني بعد مناقشة معه مما عرضنا له من قضايا لا تزال لها بقية في حوار آخر ممتد عبر خواطر شيخنا كل أسبوع ، فقد حاولت الاقتراب بقدر الامكان مما يخص الشيخ الشعراوي وقد وجدته يقوم بنفسه بواجبات الضيافة .

فقلت له خدمتك لنفسك هل كانت مصاحبة لعدم وجود الزوجة التي توفيت والأولاد الذين تزوجوا والأحفاد أيضا ؟ .

قال شيخنا : كانت موجودة زوجة ، وكان موجود أولاد وموجود أحفاد ، ولكنني دعوت الله سبحانه ألا يحوجني الى أولادي بل ألا يحوج بعضي الى بعضي .

●● يعني نقوم بأعمال البيت بنفسك ؟

ما أقدر عليه عمله لانه يريدني من الغضب على من يعمل لي اذا لم يحسن العمل ، انما أنا مثلا لو عملت لنفسى طعاما يطلع جيد أو غير جيد فأنا الذى آكله ، أو غيرى غسل لي شيئا وطلع غير سليم « أزعل وأعمل زيتة » ، انما أنا حاجة عملتها ان كانت حلوة واللا سيئة فأنا الذى عملتها وأتحمل مسئوليتها .. هذا أولا ، وثانيا اننى أجد لذة فى هذا ، لأن مثلى جالس فى البيت لا نشاط لي ، لذلك فنشاطي ان أتحرك وأعمل شاي أو قهوة لضيفوني ، أو طاقتي غير نظيفة أغسلها وأكويها .

ثم ان ما ندفعه للناس مقابل القيام بهذه الأعمال ، نخرجه صدقة .

●● قلت لفضيلته : هل هذه دعوة للزوج المسلم ان يساعد زوجته فى أعمال البيت ؟ .

فأكده شيخنا ذلك قائلا : يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
« انه كان فى مهنة أهله » هات لى « زوج مسلم » وهو داخل بيته
بأبوة المكتب وأبوة المنصب ، ووجد زوجته تطبخ فشم عن ساعده
وراح يقشر البصل أو ينظف الثوم أو يخرط ملوخية •

تخيل لما زوج يعمل هذا فى مساعدة زوجته « فى مهنة أهله » ،
ما الذى يمكن أن يحدثه ذلك فى الأسرة وبين الزوجين من حب
ومودة ورحمة ، فهكذا كان الرسول اذا ما دخل البيت صار فى مهنة
أهله ، هل تريد شيئا أفضل من هذا •

● ● لكن يا فضيلة الامام قد تستمرى الزوجة المسألة
وتجعلها حقا مكتسبا من الزوج لابد أن يعمل حتى ولو كان
مشغولا ؟ •

قال شيخنا : يبقى لأن الزوج أخطأ اختيار زوجته ، ليس
بمقاييس دينية ، انما لو اختارها بمقاييس دينية لقاتلته ، وهى
تراه داخل يشتغل معها شغل البيت « خليك انت يا خويا انت لسه
جاي من الشغل تعبان طول النهار ، أما احنا قاعدين نعمل أية ؟ » •

● ● ولأن شيخنا كان يقرض الشعر فقد سألته الى أين
وصلت مع الشعر ؟

فقال : شغلنا عن الشعر بالقرآن • وقديما قال الشاعر :
« اكتفيت بالبقرة وآل عمران » •

لأن الذى يقرض الشعر ويستمتع له يفتنه جمال الأداء ؛ ولكن
حين تشغل بالقرآن ترى جمالا أعلى ، الا اننا نستعين بالشعر فى
شَرْح القرآن •

● ● ومن المعروف أن الشيخ الشعراوي كان يقرض الشعر العمودي ذا الوزن الواحد والقافية الموحدة ، ولذلك سألته رأيه في الشعر الحديث ؟ .

فقال : من ليس لديه الاستعداد ، والموهبة لكتابة الشعر العمودي فلا داعي لأن يسمى ما يكتبه شعرا حرا أو حديثا أما قضية الشعر الحر فهي قضية سيتأخذ وقتها ثم تختفى مثل أى موضة ، بدليل أنك تجد فى بيوت الأزياء يعودون لما كانت تلبسه أمهاتنا وجداتنا من عشرات السنين ، والذي يؤكد لنا أن الشعر الحديث عمره مؤقت هو . . هل وجدت خطيبا أو كاتباً يستشهد ليؤيد منطقته بأبيات من الشعر الحر .

● ● واسأل شيخنا عن حكمة الاعلان فى بعض الأحيان عن تبرعاته الخيرية ؟ .

قال الشيخ الشعراوي : الحق يقول « ان تبدوا انصدقات فنعما هي ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

وإذا كانت صدقة السر تحمى عرضى عند الذى أعطيها له ، فإنها لن تحمى عرضى أمام الناس وهم يروننى راكب سيارة ولا أعطى أحدا قرشا فسيقولون أعوذ بالله على بخله . .

أذن لما قال الحق بالانفاق علانية ، كان يقصد أنه يحمى عرض من أعطاه الله من نعمته ، والمسائل بالنية ، وأيضا لكى أكون أسوة لغيرى انه يعمل مثلى .

● ● واسأل فضيلته : هل أنت نادم على فعل فعلته أو قول قلته ؟ .

يقول : أنا نادم على شىء واحد وهو أننى قبلت أن أدخل الحكم .

• • الوزارة يعنى ؟ •

نعم •• وقد سئلت مرة • لماذا لا تكتب اسمك مسبقا بلقب
« الوزير » كما يفعل غيرك ممن تسنموا الوزارة ، فقلت •• لا أحب
ذلك لأنها اسوأ شيء فى حياتى لذلك أحب أن أنساها •

• • ما هو أملك فى الحياة ؟ •

أمل ان تسير حركة الحياة على وفق من خلق هذه الحياة •

• • دعاء تردده بينك وبين نفسك ؟ •

« اللهم أبقنى ما كانت الحياة خيرا لى » ••

• • عنوان تريد أن يتصدر ملف حياتك ؟!

« هذا قدرى استقبلته » ••

● اثنا عشر رجلا وامرأة

يسالون نجيب محفوظ

● تهيئة من أعماق القلب لشخصية نجيب محفوظ .. هدم
العنصرية الفلدة ذات المعين الذي لم ينضب ولن ينضب ليشري آفاق النفس
والفكر لكل قراء العربية .. هكذا أراد الفنان التشكيل الكبير صلاح
طاهر أن يحيى صديقه عميد الرواية العربية في عيد ميلاده الـ ٧٦
هذا الشهر (ديسمبر) بدلا من أن يوجه إليه سؤالاً كما طلبنا منه ومن
التي عشر أدبيا وناقدا وصحفيا رأى بعضهم أن يحتفل بنجيب محفوظ.
بتوجيه التحية له بينما طرح البعض الآخر أسئلتهم على مائدة عيد الميلاد
الأديب الكبير ليفسر أو يحلل أو يشرح بعض الجوانب المتعلقة
بشخصيته أو بالنتاج الأدبي والثقافي العام ورغم أن بعض الأسئلة
كانت مخرجة إلا أن استاذ الرواية العربية كان يجيب عنها
بدبلوماسية ولباقة أحيانا تتبعها ضحكاته المدوية في أحسب أن
أخرى .

وقد شاء أدب فارسنا نجيب محفوظ ألا أن يرد على تحية
الآخرين بمثلها أو أفضل منها ولذلك فوجئت به بعد قراءة رسالة
الفنان صلاح طاهر يطلب الرد عليها عبر مجلة الاذاعة والتليفزيون ،
فقال : « أنا أشكر صلاح طاهر الزميل والصديق القديم في المدرسة
الابتدائية ، فقد عرفت هذا الفنان من أول نشوئه وكنت أتابعه بعد
ذلك في المعرض السنوي الذي كان يقام في « سراي » بشوارع
أبراهيم باشا ، سنة بعد أخرى ، أطلع على أعماله الأولى كما أطلعت
على أعماله الأخيرة ، ، وصلاح طاهر مدرسة وعصر .. » .

ابن حتنا

● أما الموسيقار الكبير مدحت عاصم فانه يقرن تحيته بطلب من التلفزيون فيقول : « أرجو لو أن التلفزيون عن طريق الاستاذ فاروق شوشة ، يقدم نجيب محفوظ فى برنامج « شريط ذكريات » ، لأنه من القمم الفكرية التى ينبغى أن يقدم لها ما ينبغى من تقدير . »

والاستاذ نجيب محفوظ يتميز بمصريته الحميمة فى كل ما يكتب ويقدم ، وقد أحبه المصريون لأنهم قرأوا فيما يقدمه شيئا من ذواتهم الخاصة ، فلم يشعروا بالغربة وهم يطالعون له ، فكانوا كأنهم يقرأون سفر حياتهم وتاريخهم عبر عصور قديمة وقريبة لم يستطع كاتب غير نجيب محفوظ أن يقدمها بهذا الصدق الفنى فى العبارة الرصينة واللغة السليمة الميسرة لكل القراء ، وأعتقد أن خير تكريم لنجيب محفوظ هو المكانة التى وضعه الناس فيها ، وهذا فى رأى أكبر تكريم . فتحية الى الصديق العزيز زميل الصبا والشباب وابن « حتنا » .

ويبتسم نجيب محفوظ وهو يقول « أحيى الأستاذ الكبير مدحت عاصم الذى نعتبره نحن جيلنا فى العباسية ، « عمنا » لأننا قربينا فنيا فى بيته ، فحضرنا ندواته وسمعنا عزفه وآراءه فى الفن والموسيقى ، وشهدنا الكثير من الجلسات التى كانوا يقدمون له فيها المغنيين والأصوات الجديدة ، ورأينا كيف ينقدهم ويوجههم ، وينقدنا ويوجهنا نحن أيضا ضمنا ، فهو زميل وأستاذ بدون أى مبالغة . »

أما عن طلباته التى هى فوق الرأس ، فالحقيقة أن طارق حبيب سجل لى شريط ذكريات زمان مكونا من خمسة أجزاء وأذيع فى التلفزيون فى حينه ، وقد أصبحت « أقرف » من الكلام عن نفسى فضلا عن أن الصحة والابصار لم يعودا يحتملان الأضواء

التليفزيونية ، وهذا ما يجعلنى أعتذر « مقدما » للأخ العزيز فاروق شوشة رغم مكانته الكبيرة فى نفسى ، ورغم أننى سجلت معه العديد من الجلسات أيام الصحة وحتى أيام الشيخوخة .

وأختتم كلمتى بأن أدعو للاستاذ مدحت عاصم بطول العمر ليس دعاء لأخ وصديق بل هو دعاء للثقافة .

طلب يستحق الاهتمام

● كذلك مع تحليل أستاذ الأدب الشعبى الكبير د. عبد الحميد يونس لأدب نجيب محفوظ وتحيته مطلب أيضا : الأستاذ نجيب محفوظ مبدع للفن الروائى فى أدبنا ، وهذا النوع الأدبى جعله بالفعل . . . أولا : شديد الملاحظة للواقع ، ثانيا : جعل ابداعه أقرب الى فن الهندسة المعمارية . لأنه عمل أدبى كبير ومعقد وليس مجرد شجر عاطفى أو قصة قصيرة أو تعبير عن عاطفة عابرة ، ونجد أن نجيب محفوظ واجه مشكلة اللغة أولا فى الرواية وثانيا فى الحوار ، ومن هنا نجد أنه حل مشكلة الثنائية اللغوية ، لأن حوار ه يساير الفصاحة وفى الوقت نفسه يساير الواقع الحوارى .

الحقيقة الأخرى أن نجيب محفوظ يقوم على الذاكرة الحسنة لأنه مهما كان عمله متواصلا فإنه يحتاج خصوصا فى فن الرواية الى لمحات من الذاكرة وهذا ما جعلنا نعتبره بالفعل - بالنسبة لنا - نموذجا يكاد يكون متفردا .

وما أطلبه منه : أن يكتب سيرة ذاتية لنفسه تقوم على نفس الأسلوب الخاص به بحيث أنه يعبر عن الواقع حوله وعن الواقع النفسى له ، ولذلك فنحجب محفوظ يحتاج الى أن يعطى نفسه فرصة لتسجيل ذكرياته بحيث تكون حية شيقة ، لشخصيته باعتباره نجيب محفوظ وباعتباره صاحب ملكات ابداعية .

● وجاء رد نجيب محفوظ : طبعا أنا أشكر الزميل الأديب
والأستاذ الكبير د. عبد الحميد يونس وأود أن أود له التحية في
مناسبة مماثلة لأنه يستحق منا كل اجلال وتقدير .

وعن طلبه الغالى جدا على فانه لا شك يستحق الاهتمام والتفكير
وأرجو أن أكون عند حسن ظنه .

حياتي روائية

ولا تزال محاولة اقتحام قلعة نجيب محفوظ الشخصية
مستمرة ولا يزال هو أيضا صامدا .

● تسأل الصحفية والأديبة سناء البيسى : لماذا يصبر الأستاذ
نجيب محفوظ على ستر حياته الخاصة عن الجمهور الشره الذى
لا يكتفى بخلجات الشخصيات التى على الورق وإنما يريد أن
يتعرف على حياة كاتبه . . فهل هذا الاصرار على البعد بحياتك
الخاصة عن الأضواء هو ظلال لشخصية « سى السيد » فى بيت
الأديب الكبير ؟

● وتنتقل ضحكة نجيب محفوظ مجلجلة ثم يوضح « ان
الواقع غير ذلك لأن حياتي الخاصة أذعتها فى حلقات باذاعتى
« البرنامج العام وصوت العرب » كما أذعتها فى حلقات تليفزيونية
ونشرتها فى كتاب الأخ العزيز جمال الغيطانى وغيرها من الكتب
ككتاب لأحمد عطية ، وغيره ، فلا توجد عندي أسرار تنتظر
الكشف ، لأن الحكاية كلها هى اننى من هؤلاء الناس الذين ليس فى
حياتهم الخاصة ما يستحق الرواية . . لماذا ؟ لأننى للأسف ميسال
للعزلة والاقامة فى مكان واحد ، وحياتى نمطية روتينية ليس فيها
هزات ولا مغامرات ولا أسفار مما يجعل السيرة الذاتية نفسها أهم
من الرواية .

تلميذ للحكيم

● ● وفي محاولة جديدة أخرى ظاهرها البراءة لكنها تخفى وراءها ما سوف يفهمه القارئ حينما تسأل سناء البيسي « الكاتب الصقري الساخر المرحوم محمد عفيفي كان من أقرب أصدقائك إليك واحد دعائم شلة الخرافيش ، فلماذا تترك الصديق الوفي مدفونا ، لماذا لا تعيد تعريف القارئ العربي به وأنت أكثر العارفين والمدرسين بموهبته ؟ »

● وفي هدوء وثقة يقول نجيب محفوظ : أنا في رثائي لـ محمد عفيفي أشرت إلى مكانته الأدبية وقلت رأيي فيه بالكامل ، لكن المعرفة التي هي أكثر من هذا واجب أناس غيري ، وأعتبر كلمة الزميلة العزيزة سناء البيسي وجهة للنقاد ، لأنني أعتبر محمد عفيفي من كبار الأدباء المعاصرين ومن كبار الفنانين وكان يجب أن يكتب عنه ، ويحلل أدبه ومقالاته على هذا الضوء ، وقد ابتدأ حياته بمجموعة قصصية من أجمل المجموعات وختمها بكتاب يعتبر من أروع الكتب الأدبية في أدبنا المعاصر .

● ● ومن الأسئلة المخرجة أيضا والتي استطاع نجيب محفوظ أن يجيب عليها بأدبه الدبلوماسي ، هذا السؤال لشيوخ الصحفيين حافظ محمود : أي الأسلوبين أكثر قابلية للخلود الأدبي .. أسلوب قصة « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم أم أسلوب قصة « ميرamar » لنجيب محفوظ ؟

● وبعد أن اغتسلت نفسه بضحكته المعتادة وقد أدرك أن سبائله يريد أن يوقعه في مطب قال الأديب الكبير : « في الواقع أحب أن أرى على أستاذنا الكبير حافظ محمود ، بأن العبرة ليست بهذا الأسلوب أو ذاك ، فكل أسلوب له ظروفه التي تكونه ، وكل

مدرسة لها ظروفها النفسية والاجتماعية التي تكونها ، وكل أسلوب يكتب به مئآت وكل مدرسة يكتب بها مئآت ، والذي يخلد هو الفنان ، ومادامت المقارنة بين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فمن أين سنعرف من يستحق الخلود .

وعندما سألت الأديب الكبير عن صديقه توفيق الحكيم قال لي :
« اننى لم أكن سوى تلميذ ملازم لجلسات أستاذى توفيق الحكيم » .

لماذا لم أتجه للمسرح

● ويسأل أيضا حافظ محمود فى مجال لا يبعد عن الأول :
لقد نشأنا معا فى جيل كان يمتاز روائيه بقدرتهم على كتابة المقال القصصى لكننى لاحظ على مقالاتك الآن أنها أبعد ما تكون عن فن أسلوب القصة ، وأنا لا اعتقد ذلك ولكنى أستجوب فقط .

● ويوضح نجيب محفوظ : « اننى لا أكتب مقالة ، وإنما وجهة نظر عبارة عن خاطرة مركزة فى متابعة الأحسوال لا أكثر ولا أقل ، أما المقالة فتعطى فرصة لظهور حيوية الفنان فى مجاله ، أما ما أكتبه فهى سطور مركزة أسبوعيا كأنها عناوين متلاحقة .

● واستفسار آخر من شيخ الصحفيين عن فن آخر يقول فيه لنجيب محفوظ : أنت سيد العارفين أن الجيل السابق علينا من الأدباء كانوا يتجهون دائما الى المسرح اما بالتأليف أو الترجمة أو النقد ، هكذا فعل شوقي الشاعر والحكيم الكاتب وطه حسين الناقد ، وقد كنت أمل أن يكون لك أنت وزملاؤك زعماء الرواية فى هذا العصر مثل هذا الاتجاه ، فما هو التفسير لابتعادكم عن الاتجاه للمسرح أهى أزمة المسرح أم أن أزمة المسرح جاءت من انصرافكم عنه ؟ » .

● يقول نجيب محفوظ : فى الواقع أنا عاصرنا نهضة المسرح ونحن طلبة ، ولم يكن بعيدا أبدا أن أغلب مواهب جيلنا تتجه اليه لكن لما بدأنا نكتب كانت الأزيمة العالمية قد لحقت بالمسرح وجعلته يلفظ أنفاسه ، وابتدأت تحل محله السينما فى الفنون الجماهيرية فكان اتجاهنا نحو الرواية شيئا طبيعيا ، ولا تنس أيضا أن الاستعداد والموهبة لهما دور كبير فى هذا الاتجاه .

ويسأل المخرج الكبير صلاح أبو سيف :

● أنت من أبرع من كتبوا السيناريو ومن أدق الناس الذين صنعوا البناء الدرامى السليم وتكوين الشخصيات المصرية الأصيلة كما ظهر فى « لك يوم يا ظالم ، الفتوة ، شباب امرأة ، ريا وسكينة ، بين السماء والأرض » أعمالك الخالدة حتى الآن ، والسينما فى الوقت الحالى فى حاجة الى مجهودات فليتك تستطيع إعطاؤها بعض وقتك ؟ ..

● يشكر أولا نجيب محفوظ الدعوة ويحيى الأستاذ صلاح أبو سيف فهو من زملاء العمر .

والحقيقة أننى توقفت عن السيناريو من تاريخ قديم منذ سنة ١٩٥٩ عندما عينت مديرا عاما للرقابة ، وبعدها ظللت أعمل فى وظائف تمنعنى من العمل فى السيناريو ، مثل « مؤسسة دعم السينما » و « المؤسسة المصرية العامة للسينما » ، ومؤسسة « السينما والاذاعة والتليفزيون » .. وهكذا مضت سنوات كثيرة حتى أصبح السيناريو بالنسبة لى ذكرى ، لكننى لاحظ الآن أن كتاب السيناريو قد كثروا عددا وارتفعوا كيفا ، وآثارهم تظهر سواء فى السينما أو التليفزيون ، وأنا أعتقد أننا على وشك الدخول فى عصر نسميه أدب السينما وأدب التليفزيون ، أى نجعل من

السينما فنا ربيعيا بكل معنى الكلمة وكذلك مسلسلات
التلفزيون .

هذا السؤال لا أجيب عليه

● ومن السينما الى الاذاعة والتلفزيون يسأل خير الفلسفة
بمجمع اللغة العربية د. عاطف العراقي « هل تؤدي الاذاعة
والتلفزيون في مجال القصة الى نوع من الضعف أم نوع من
القوة ؟ »

● ويرى نجيب محفوظ أن هناك بعض الأعمال التي تعرض
في التلفزيون شكلا ومضمونا على مستوى رفيع ، وبقيّة الأعمال
تكتب من أجل الملايين من العوام وتؤدي وظيفة أيضا لها خطورتها .
● ونسأل توضيحاً للإجابة : تحديدًا هل الاذاعة
والتلفزيون يضعفان القصة أم يقويانها ؟

● ويقول نجيب محفوظ : هذا يتوقف على العاملين بمعنى
إذا وجدت قصة تظهر في التلفزيون على نفس القوة تعرف أن
الذين نفذوها على نفس مستوى قوة المؤلف ، أقل يكونوا أقل ،
أحسن يكونوا أحسن .

● ويتطرق د. العراقي الى النقد « هل تعتقد بوجود حركة
نقدية أدبية في مصر الآن في مجال الرواية والقصة ، وكيف تبرر
شهرة كثير من الروايات في الوقت الذي تعد فيه غاية في
الضعف ؟ »

● ويعترف نجيب محفوظ أنه « بعد فترة موات انتعش
النقد ، فقرأ الآن للنقاد الكبار الذين كانوا قد صممتوا قبدأوا
يكتبون مرة أخرى ، نقرأ للدكاترة على الراعي ، لويس عوض ،
عبد القادر القط ، كذلك جيل النقاد من الشباب الجدد يكتبون
باستمرار ويتابعون الروايات هؤلاء يجب أن نضعهم في الاعتبار . »

اذن فالحركة النقدية عندنا لا نستطيع أن نقول عنها أنها ميتة
أو صامتة لقد جاءت فترة عليها كانت كذلك أما الآن فالنقد
نشيط . . .

أما عن تبرير شهرة كثير من الروايات الضعيفة كما يسأل
د. العراقي فهذا سؤال لا أستطيع الإجابة عليه ، لأنني أولاً
لا أعرف ما هي الروايات التي اشتهرت في مصر لذلك من أين
أعرف إذا كانت قوية أو ضعيفة ، ثم أنني حين أسأل مثل هذا
السؤال يجب أن أحدد الرواية الضعيفة وضعيفة « ليه » وشهرة
شهرة « ليه » فهذا كلام يجب أن أتأكد منه ووقت ذلك نستطيع
الكلام . . .

الحب والفلسفة

❶ ومن أسئلة أستاذ الفلسفة الى الفلسفة نفسها في روايات
نجيب محفوظ يقول الشاعر عبد الرحمن الأبنودي :

أريد أن أسأل الأستاذ نجيب محفوظ أنه حدثت بعد « اللؤلؤ
والكلاّب » انعطافة كبيرة في ابداعك إظن أنها كانت انتقالا من
التعبير الأدبي الى التعبير الفلسفي أى أن عالم التفاصيل التي يتولد
عنها القوانين الفنية التي تناطح القوانين الفلسفية ، اختفت من
أعمالك لتتعامل مع القوانين الفلسفية نفسها وتبثها من خلال
تفاصيل فكرية تأخذ شكل التفاصيل الواقعية . . . فإذا كنت مصيبا
في هذه النظرة فهل عانيت أن تميل نحو الفلسفة على حساب
الأدب ، أم أنك رأيت أن هذا يعطى الأدب جلالة وهيبة ويضمن له
الخلود ، وكيف حدث هذا ، وما هي مبرراته الفكرية إذا كنت محقا
في نظرتي وفي انقسام أدب نجيب محفوظ الى مرحلتين : مرحلة
واقعية ومرحلة فلسفية ؟ . . .

● وجاءت اجابة الروائي الكبير على هذه الملاحظة بانها
 « ملحوظة فنان اديب فهي صادقة ، لكنني احب أن أقول
 للأبنودي أن الفن يقدم تجارب الانسان كما تعتلج في وجدانه ،
 ففي هذه الناحية لا فرق كبير بين الحب والفلسفة ، الحب يأخذ منه
 ويعطي ويسعد ويتعس ، وكذلك الفكرة فهو لا يعالجها معالجة عقلية
 منطقية تسمى فلسفة ، ولكن الفلسفة تتحول عنده الى حياة ووجدان ،
 ولا يجوز أن يحرم الأدب من تقديم التجارب الفلسفية لأنها تحمل
 الأسئلة التي تؤرق الانسان من يوم مولده الى يوم وفاته ومهما
 تقدم العلم أو الفن ، وأنا أدعو للأبنودي بطول العمر حتى يقدم
 لنا شعرا فلسفيا ، وأنا واثق أنه لن يقل جمالا عن شعره الحالي
 وأنه سيفنئ أيضا »

● وبشكل آخر في نفس الاتجاه سأل جمال بدران مدير
 الطباعة والنشر بدار المعارف :

« استاذنا نجيب محفوظ أنت تمثل ثلاث مراحل : الواقعية ،
 الرمزية ، التفلسف أو المزج بين الواقعية والتفلسف .. »

ومرحتك الأخيرة تمثلك في دور الروائي الحكيم الذي يفلسف
 نظراته في أعمال روائية وأصبح فيها نوع من العمق الفكري أكثر
 من الثلاثية .. فهل لو أتاحت لك اعادة النظر في الثلاثية فهل
 تكتبها بالأسلوب الحالي تاركا الواقعية مستسلما لما أنت فيه الآن
 من نظرة فلسفية ؟

● وينفي نجيب محفوظ « أبدا لا يمكن فلكل عمر ولكل
 تجربة ولكل زمان ، طريقته ، وأنا لا أستطيع الآن أن اكتب الثلاثية
 ولا كان باستطاعتي أيام الثلاثية أن اكتب « حديث الصباح
 والمساء »

لم اكن مقصرا

● اما الشاعر فاروق شوشة فله ملحوظة اخرى :

لاحظت في روايتك الأخيرة « غلبة أسلوب السرد » على كتابتها مما يعيدني الى الأذهان فكرة القص العربي القديم وكأنك تحاكي الصيغ العربية الأولى في التكوينات القصصية التي عرفها تراثنا العربي ، فهل هذه العودة منكم مقصودة وهل تعلن أنك انتهيت من تجريب كافة الأشكال الفنية المطروحة عالميا في الصياغة الروائية والقصصية وتريد أن تقدم شكلا آخر له اتصاله الوثيق بالتراث العربي في القص احساسا منك أنك مقبل على مرحلة جديدة في كتاباتك الروائية تتجاوز الهرم الذي أنجزته في كتاباتك السابقة ؟

● ويؤكد نجيب محفوظ أن « الاتجاه للتراث أو تعمده الاستقاء منه في الأسلوب أو في غيره ليس مبدأ من مبادئ لائى . انظر للتراث كما انظر للمبادئ المعاصرة نظرة محايدة ، وما يقع في موضوعه أكثر فهو الملائم ، والى لأقاوم ابهار الغرب كما أقاوم سحر الشرق لأجل تحرير ارادتي واختياري ٠٠

والأسلوب الذى لاحظته الاستاذ فاروق شوشة بحق ، أوجبه كثرة الشخصيات في الرواية وتتابعها وما اقتفى ذلك من الإيجاز ، فيبقى هنا السرد هو الوسيلة المنقذة ، أما العرض الدرامى فقد كان سيغير الوضع تغييرا كلياً ، مثلاً رواية مثل « أحاديث الصباح والمساء » أو « صباح الورد » لو قدمتها بالطريقة الدرامية التي قدمت بها « الثلاثية » أو زقاق المدق « كانت سوف تأخذ خمسة آلاف صفحة ، بينما الفكرة هنا التي في ذهن الكاتب هي أن يقدم أسرة ومن خلالها أفراد فكان لابد من التركيز ٠٠ اذن فالذى يوحى أساساً بنوع الأسلوب هو الموضوع والهدف ، كونه بعد ذلك يأتي

متوافقا مع أسلوبنا التراثي فهذا يكون من سعادة الكاتب وحسن حظه .

● وعن الغرب والتراث ايضا يسأل النقاد الكبير فؤاد دواره :

استاذ الرواية العربية لعلك تتفق معي على أن الرواية شكل أدبي أوربي على الرغم من أن تراثنا العربي عرف بعض أشكال القصص والحكايات . فالى أى مدى كان تأثير رواياتك من حيث الشكل بالرواية الأوروبية من ناحية وبتراثنا القصصى من ناحية أخرى ، وكل سنة وأنت طيب وقلمك المعطاء طيب ؟

● فى الإجابة على هذا السؤال يرى نجيب محفوظ أن مسألة التأثير ومقداره من الصعب تحديدها ، لكن الأمر الذى لا شك فيه أننا عرفنا الشكل الروائى الحديث عن طريق كتابنا الذين سبقونا فى كتابة القصة ومما قرأناه فى صبانا من التراجم ، فى ذاك الوقت كنا قد قرأنا بعض السير الشعبية ، وقرأنا فى التراث لكن لما بدأنا نكتب عرفنا أن الكتابة يجب أن تكون بهذا المنهج الحديث الذى كتب به أستاذنا والذى عرضته الكتب المترجمة فهل كان ذلك مجرد تأثير بالغرب ، ربما لأننا فى ذلك الوقت كنا مبهورين بالغرب ، هل لأن هذا المنهج يعطى فرصة للتعبير أكثر من قصص وحكايات التراث ؟ يجوز لأن تراثنا تسلمته الحضارة الغربية وطورته الى هذا الشكل ، إذن هذه الإضافات لم تكن عبثا إنما كانت تحقق أغراضا .

لم يعد شيء يثير الدهشة

● ● وينتقل بنا د. محمد عناني أستاذ الأدب الانجليزي لالقاء نظرة عامة على المجتمع من خلال كتابات نجيب محفوظ

فيسأله « هل تحس بأن المجتمع يتغير بصورة لا تسمح لك بملاحقة هذه التغيرات وكيف تتصور المجتمع الذي تكتب فيه الآن ؟ » هل هو الماضي أو الحاضر ؟

● يؤكد نجيب محفوظ أن « المجتمع قد تغير تغيراً جذرياً ، وكذلك الناس من الصعب على الانسان أن يلاحقه على مدى العمر ، فلا بد أن يأتي له وقت ينكمش بحكم العمر والصحة ، وفي الحقيقة هناك عائق آخر يقف دون تحقيق هذا الواقع الى فن ، وأنه بحكم الظروف والديمقراطية والمعارضة والنشاط الصحفي الاعلامي عرفنا جميع ايجابيات المجتمع وسلبياته وتقررت بالدرجة التي أصبحت لا تثير اهتماماً ولا دهشة ، بمعنى أننا زمان لما كنا نتعرض لظاهرة مثل ظاهرة « القاهرة الجديدة » . كانت موجودة في حجمها فلما عالجناها حدث انزعاج كبير ، وتعرضت للمساءلة ، اليوم تحدث مصائب ولا تثير دهشتنا ، فالكتابة عن حاضرنا الآن من الصعوبة بمكان ، واختيار الموضوع خصوصاً لمن يتابع الأحداث والمجتمع شيء عسير .

الحرية والقهر

● وعن الكتابة في العهود المختلفة يسأل الروائي محمد جلال : ما رست عملك كروائي أيام الملك فاروق ، وعبد الناصر والسادات ، ومبارك ، ولا شك أنك تشعر بالحرية الآن ، فهل تأثر الروائي داخلك بالحرية ، أو بمعنى آخر هل شعرت يوماً بالخوف . وأنت تمسك القلم وتكتب رواياتك ؟

● يجيب نجيب محفوظ :

« أنا عادة أكتب في حرية تامة سواء في عصر فؤاد « الذي نسيت » أو فاروق أو عصر الثورة ، والمشكلة تأتي عند النشر ،

حكان وراء كل نشر ترقب ، انما من الواقعية أن أقول لك ، اننى كنت أتاثر بالجو رغم رغبتى غير المحدودة فى التمتع بالحرية ، يعنى مثلا الروايات التى كتبتها قبل الثورة هاجمت المجتمع و « عريته » كثيرا لكن كان فيه حدود أقف عندها ، يعنى لا أستطيع أن أهاجم هجوما واضحا وصريحا البيت المالك ، اذن كنت من غير أن أشعر ألاحظ أشياء كذلك وأنا أكتب الثلاثية وقد كتبت قبل الثورة وتجد أنه رغم أن « ثورة ١٩ » وسعد زغلول هاجموا الملك انما كان أيضا فى حدود الاحترام والقانون ، مما لا يمكننى تجاوزه ، فلا أستطيع مثلا أن أستعمل الأساليب والألفاظ التى من الممكن أن تكتب عن البيت المالك بعد ثورة يوليو . اذن كنت أكتب بحرية تامة ولكن لا شعوريا أقف عند حدود معينة ، كذلك فى نقدى بعد الثورة كان لى موضوعات اعتبرها البعض جريئة ، واعتبرها الآخرون جنونية .

● ويتابع الروائى محمد جلال بقية سؤاله :

هل يشرى العمل الروائى شعورك بالقهر أكثر من شعورك بالحرية ، وهل الكاتب فى حاجة للشعور بالقهر ليبعد أكثر وخصوصا أن كل تراث ما قبل الثورة الروسية والفرنسية لازال باقيا حتى الآن بعظمته الفنية ؟

● ولا يختلف نجيب محفوظ مع سائله « فعلا الذى يحفز الانسان دائما العوائق والقهر ، القيود هى التى تدفع الانسان أكثر من الجب السلمي ، لأن العوائق تعطيك طاقة المقاومة والمحاربة ، انما لما يكون كل شئ على مايرام فتكون أنت مرتاحا ، فتبحث عن الموضوعات ذات القيود والموانع فاذا وجدت أن المجتمع مهما فعلت يتقبل ، فتبدأ تناوش فى أشياء ما وراء المجتمع أو ما فوق المجتمع أو ما وراء المجتمع .

● ولأن نجيب محفوظ قد تناول كثيرا من أنواع الفنون بالكتابة فإن الأدبية والصحفية سناء البيسى تحاول طرق باب مجهول عند نجيب محفوظ فتسأله :

قرأنا لك الرواية والقصة القصيرة والمقال .. فهل نطقت يوما شعرا .. متى وأين ؟

● يجيب نجيب ضاحكا :

نطقت شعرا فى السن الذى ينطق فيه أغلب المراهقين شعرا ، وهذه محطة يقف فيها الجميع ولا يثبت فيها الا الشعراء الحقيقيون .

● ● ولا يمكن أن يترك ضيوف الحوار مضيغهم دون أن يسأله عن الهموم الحالية للثقافة تسأل أيضا سناء البيسى :
ما هو دور وزارة الثقافة فى رأى استاذنا نجيب محفوظ فى بلد تحتل فيه الأحذية فاترينات كانت مكتبات ويحمل فيه الفنان التشكيل أعماله بعد المعرض لبحث عن مخزن لها ؟

● يقول نجيب محفوظ :

الحقيقة أن وظيفة وزارة الثقافة الأولى فى نظرى هى انشاء المعاهد واقامة الهياكل كالمسارح والاستديوهات .. الخ ، وحماية الحرية الضرورية للفرد وخلق المناخ الصالح للإبداع ، ومهمة وزارة الثقافة أيضا لا تكتمل الا بالالتحام بجهتين خطيرتين . وزارة التعليم التى عليها أن تربي الناشئة تربية فنية الى جانب التربية الدينية والقومية ، ان حدث هذا سيخلق جمهورا لا شك مع اهتمامه بالهذاء لن يسمح بأن يحل محل الكتاب ، والجهة الأخرى التى تلتحم بها وزارة الثقافة هى التلفزيون يعنى الاعلام والصحافة والاذاعة ، هذه مهمتها من الناحية الثقافية وهى مهمة خطيرة جدا ، ووزير

الثقافة يجب أن يقيم معاينة « جنتلمان » مع وزير الإعلام على كيفية بث الثقافة، الرفيعة والثقافة التي تناسب كل انسان على أكبر نطاق .

● ● ولا يترك الروائي محمد جلال فرصة الحديث عن الثقافة دون أن يعاتب الأستاذ نجيب محفوظ وهو رائد الرواية الكبيرة « اندهش البعض من هذه السطور التي نسبت اليك في إحدى جرائد المعارضة وقالت رأيا في وزير الثقافة الجديد (*) بدون علم به . . فهل هذا صحيح ؟ وإذا لم يكن صحيحا فلماذا لم تكذب وخاصة أننا في أيام نفتقد فيها النظرة الموضوعية للأشياء وأنت رائد ينبغي أن تعطى للأجيال المثل الأعلى في الكلمة الموضوعية ؟ .

● وفي هدوئه المعتاد وبأدبه الجم يقول الأستاذ الكبير نجيب محفوظ :

أنا لم أقل كلمة واحدة ضد وزير الثقافة الجديد ، لقد سالوني عن رأيي فيه وكنت للأسف لم أسمع به فقلت : لا أقدر أقول رأيي ، وعمله سيحكم عليه ، هذا كل موقفى وليس فيه أى تحامل أو أى موقف خاص منه وما نشر خلاف ذلك غير حقيقى ولم أقل أنا لا أعرفه بمعنى أننى أتجاهله ، أبدا هكذا كانت الصدفة ، « أعمل ايه » ، يمكن هذا عيب ، لكننا وصلنا إلى درجة من السن لا نستطيع معها أن نتابع كل جديد وخصوصا أن الفن التشكيل ومتابعته تحتاج إلى حركة ، يعنى الكتاب يأتى إلى البيت ، إنما لأجل أن أعرف فنانا تشكليا جديدا فلا بد أن أذهب لمعرضه وأنا بالكاد أستطيع أن أسير خطوتين ، ليس لى موقف اطلاقا ضد وزير الثقافة الجديد ولا أرى داعيا لمثل هذا الموقف ، إنما جاء وزير ، انتظر واحكم عليه من خلال عمله مثل كل الوزراء السابقين ، ألا يجوز أن هذا الوزير الجديد هو الذى يحدد الثقافة في مصر ، أهلا وسهلا به .

(*) فاروق حسنى .

● أمنية نجيب محفوظ :

لأولاد حارتنا

بعد سنة من نوبل نجيب محفوظ ولقنا أمام الأديب الكبير وخبرناه
هل كنت تفضل نوبل التي سببت لك كل هذا الصداق أم كنت تفضل
راحة البال فاجاب على الفور اصدقكم القول . صداق نوبل افضل من
عدم الحصول عليها لأنها أصبحت ملكا للأمة وتكريما للأدب العربى
كله . . ومن هنا بدأ حديثنا مع أديب نوبل الذى استقبلنا فى مكتبه
وامامه تمثال كبير لشخصه نحتته له الفنان سعد متري فى ذكرى عيد
ميلاده الثامن والسبعين والذى يوافق الذكرى الأولى لحصوله على
نوبل .

● ● سألته : الانقلاب الذى حدث فى مجرى حياتك بعد
نوبل نتيجة مطاردة وسائل الاعلام لك فى البيت والأهرام والقاهرة .
.. لو خيرت بين الراحة وبين الحصول على نوبل بمتاعبها فايهما
ستختار ؟

— رغم أنى لم أفكر فى حياتى فى نوبل الا أنى لو خيرت بينها
ومتاعبها وبين الراحة ، كنت أيضا سأختارها ، لأن الأمانة تقتضى
أن أقول لك الصديق ، لأن جائزة نوبل شيء عظيم للإنسان كفرد
ولأمته ولأدبه ولا يجوز للإنسان أن يزهد فيها الأى سبب من الأسباب
أيا كانت المتاعب .

● ● فى عيد ميلادك ال ٧٨ ماذا يقول نجيب محفوظ لنجيب
محفوظ ؟

— والله أحمد الله وأردد مع أم كلثوم صبر ونال .

• • • حينما تقف بين يدي الخالق يوم القيامة وحدث أن خيرك بين العفو عن الذين كفروك وأهـدروا دمك وبين أن ينالوا جزاءهم العادل فماذا يكون اختيارك ؟ •

• - في مثل هذا الموقف الانبسان يطلب السلامة ، فلا يصح أن يطلب فيه غير السلامة سواء له أو لغيره •

• • • إذن أنت ترجو العفو لأعدائك ؟ •

• - نعم هو كذلك •

• • • كيف تفسر لنا موقفك هذا من الذين هاجموك وأساءوا إليك ؟ •

• - السر في ذلك أن العمر عندي أغلى من أن أضيعه في الحناق ، وأنا طول عمري تعرضت لصداقة الأصدقاء كما تعرضت لعداوة الأعداء ، فلو كنت تفرغت لعداوة الأعداء والرد عليهم والدخول معهم في معركة ، لكان نصف انتاجي قد راح في الملمات ، فأحسن شيء أنك تتوكل على الله وتعرض عما عدا ذلك •

• • • إذن أنت ترفض الشعور بالكراهية ؟ •

• - فعلاً لأنني لا أحب أن ألوث نفسي ، لأن الكراهية تلوث النفس ، والدخول في عداوات عقيمة يضيع الوقت ، والوقت أغلى من أن أنفقه في الحناق •

• • • ولكن ألا تشعر بالغضب على الأقل ممن يعادونك ويهاجمونك ؟ •

• - الشعور بالغضب أعرف كيف أهدهه وأصرفه وأبـتـمـر في طريقى •

❶ ❷ كيف تسييس غضبك ؟

— بالعقل وبقدر من الحكمة التي اكتسبتها في حياتي .

❶ ❷ الزمن ألم يعد يؤرقك مروره وأنت في مثل هذه

السن ؟

— لا بالعكس أنا عرفت طبيعة الزمن وتصلحت معه ولم يعد يؤرقني ، وليس من المحال أن يعيش الإنسان فترات طويلة ، وهناك أشجار في أمريكا الجنوبية عاصرت أوائل الفراعنة ومازالت تعيش حتى الآن ، يعني لو كان لها ادراك أو احساس كان يمكنها أن تحدثك عن تاريخ الدنيا كلها من يوم أن بدأت الحضارة حتى اليوم ، فإذا أمكن الحياة بهذا الطول بالنسبة للنبات ، وأيضا فيه حيوانات طويلة العمر جدا ، فلماذا لا يحدث ذلك للإنسان ، وهل سيكون ذلك لحيرة أم لشرة ، فإن طال عمر الإنسان من غير أن تكون امكانيات الحياة صالحة للخلود ستكون كارثة عليه .

هموم الوطن وهمومي

❶ ❷ ما هي همومك الخاصة التي تشغلك الآن ؟

— والله الحقيقة بيني وبينك أنني كما تعلم أن بصري وأذني ، الاثنين صاروا أضعف من بعض ، فحرمت من أن أشهد مسرحية أو أرى فيلما أو أشاهد تليفزيونا أو أقرأ كتابا أو مجلة .

❶ ❷ اذن كيف تنظم وقتك ؟

— ما أستطيع أن أفعله هو أن أكتب شيئا ساعة الصبح ، مثل وجهة نظر التي تنشر يوم الخميس في الأهرام ، وأن أصدقائي يشيرون لي بفصل مهم في كتاب أو مقال في مجلة فأطلب تكبير حروف

الكلمات فاقراً ساعة بعد الظهر لهذا هو الأساس في حياتي الآن
بالإضافة الى أن هذا هو ثالث موسم يدخل على وليس بجيد شيء
أكتبه .

● ● وماذا عن الهموم العامة التي تشغلك ؟

— هو فيه غير أن مصر تتغلب على مشكلاتها وأزماتها ، هذا
هو همنا الكبير بالليل والنهار .

● ● المشكلات التي تعاني منها مصر .. كيف تشخصها
وتضع العلاج لها ؟

— انها مشكلات تمثل مقدمات ونتائج حتمية والحقيقة أنه
لا خلاص لنا منها الا بالإصلاح الشامل السياسي والاقتصادي ، كلاهما
يسيران معا في وقت واحد ، ويجب أن يكون العمل والانتاج عبادة
في هذه الفترة ، حتى نستطيع التوازن ، وأقصد بالتوازن ، توازن
الميزانية وتوازن النفس .

● ● هل ترى أن ذلك يتحقق قريباً ؟

— أرى أننا نسير في هذا الطريق لكن الحقيقة لا أستطيع ان
أحدد له نهاية لأن المشكلات كبيرة ، وقديمة ، ولكن الأمل موجود
ولا شك في التغلب عليها .

نحن واسرائيل والسلام

● ● كيف ترى مستقبل السلام مع اسرائيل وهي تضيع
العراقل أمام امكانية أية تسوية سلمية للقضية الفلسطينية ؟

— والله نحن نادينا بالسلام على أمل أن يشمل الجميع ، وقد
تحقق جزئياً بيننا وبين اسرائيل ، وليس ما يمنع أن يتحقق كلياً ،

وستظل المسألة معلقة حتى يطمئن الفلسطينيون الى مستقبلهم وأنا أرجو ألا يكون الرأى الذى يقول ان الاسرائيليين يرفضون السلام ، صحيح ، فنحن نعلم أن فى اسرائيل جمهرة كبيرة تريد السلام ، وكذلك على مستوى العالم من اليهود ، والأمل أن يتم السلام الشامل قريبا ، أما اذا حدث المستحيل ولم يتم ، فطبعا يبقى مفيش خيار ويبقوا فرضوا علينا وعلى أنفسهم الهلاك .

التلفيقية والتوفيقية

● ● يسالك الناقد الأديب الكبير رجاء النقاش عن وجهة نظرك فى أكبر نظريتين تتصارعان فى المجال الدولى هما الرأسمالية والماركسية ؟

— والله شىء جيد أن يجىء هذا السؤال من رجاء النقاش لأننا من حوالى عشرين سنة تناقشنا فيه ، وكنت دائما مع الشيوعية فى عدالتها وليس معها فى فلسفتها وأسلوبها فى الحكم ، وكنت مع الرأسمالية فى احترامها لحرية الفرد وللحرية السياسية ، ولكن ليس معها فى اغفال جانب العدالة الاجتماعية ، كل واحدة تأخذ من الثانية وكنت لما أناقش زملائي فى قهوة « ريش » وأقول لهم لماذا لا تتحقق العدالة الاجتماعية مع احترام الحرية السياسية والفردية والنزول عن فرض فلسفة خاصة على الناس ، ونتركهم حرية عقيدتهم وآرائهم ، فكانوا يقولون لى ، هذه صياغة تلفيقية وغير ممكنة ، والحمد لله عشنا حتى عصر « جورباتشوف » ورأينا هذه الصيغة تتحقق فى العالم .

● ● تراجع القصة القصيرة فى العالم .. ما هو تفسيرك

له ؟ .

— الحقيقة أن القصة القصيرة بالنسبة لهذا العصر السريع والمتغير من أنسب الأشكال منطقيا وأنا أعتقد أنها فى شرقنا مزدهرة

ازدهارا كبيرا يوازي الرواية أو أكثر لكن يقال انها صارت فى الخلفية فى الخارج ، والحقيقة أننى احترت فى تفسير هذه الظاهرة ولم أدر لها سببا لأن كل الدواعى تدعو الى ازدهارها ، خصوصا أن المجلات والصحف والاذاعة والتلفزيون ترحب بها ، وهى أسهل فى التعااطى من الرواية ، فحقيقة لم أجد تفسيراً الا شيئا واحداً ، هو أن الرواية نفسها صارت نوعاً من القصة القصيرة ، فأرضت الطرفين ، يعنى الرواية فى أصلها كانت مثل المسلسلات حيث يقعد الناس بجوار المدفأة يقرأون الرواية فى أربع أجزاء وخمسة أجزاء ، وكل جزء خمسمائة صفحة ، حتى انه لما جاء « ديكنز » وعمل الرواية جزءين ، اعتبروه كاتب قصة قصيرة ، وأنت تقرأ فى العصر الحديث الروايات أو معظمها ، صغير ، وليس مثل النوع الذى كنا نسميه قصة قصيرة طويلة ، لأن الرواية بشكلها الحالى جمعت بين الرواية والقصة القصيرة ، لعل هذا هو التفسير .

● ● على ضوء هذا التفسير .. هل ترى أن القصة القصيرة فى العالم فى طريقها الى الانقراض ؟

— يمكن الرواية القصيرة أغنت عن الرواية الطويلة والقصة القصيرة .

أرشح هذه الرواية

يسألك الناقد الكبير فؤاد دواره .

● ● هل يمكن أن ترشح احدى رواياتك لكى تعد وتقديم على دار الأوبرا ؟

— يمكن أرشح « رادوبيس » لكن تكون أوبرا أو أوبريت ، وهذا مشروع حلم بتنفيذه المرحوم عبد الجليم نويرة ، ولم تسعفه الظروف .

انا والسياسة

● ● يرى الدكتور نبيل راغب أنك متهم بأنه لا لون سياسي لك فانت تجامل اليمين واليسار وصديق الكل بلا تمييز وبلا تحديد مواقف .. وقد انعكس هذا على رواياتك في بعض الأحيان ؟

- لا .. أنا كمواطن ملتزم ، ويتضح التزامي من أنه لا توجد انتخابات في مصر لم أدل فيها بصوتي اذن أنا مواطن ملتزم ، وظيفتي تلزمني أن أكون انسانا قبل أن أكون مواطنا ، وأعطي كل انسان حقه ، مثل الطبيب الذي تجده عضوا في هيئة كذا التابعة للحزب الفلاني ، لكن عيادته تستقبل جميع المرضى ، من جميع الأحزاب .. لماذا ؟ لأنه في العيادة انسان ، وفي الحزب حزبي ، ثم أن القيم التي آمن بها في حياته موزعة على أحزاب وليسست مستقرة في حزب واحد ، مثلا الحرية أو أمن بها فتظن أنني ليبرالي لكن تجد بجانبه الايمان بالعدالة الاجتماعية فتظن أنني اشتراكي ، وترى أنني مؤمن « بالصرى » فتظن أنني ضد العرب ، وهكذا ، يعز فيه قيم أنا أحبها ولا أجد ما تتعارض مع قيم أخرى ، انما كل واحد « راقد » في تيمة لا يرى من الدنيا غيرها ممكن يوجه لي هذا الاتهام .

هل يكتب هؤلاء المقدمة

● ● الذين يخاصمونك في رواية « أولاد حارتنا » .. كيف

تنظر الى رأيهم ؟

- نجيب محفوظ : أولا أنا أعتقد أن الخصومة التي بيني وبين خصوم الرواية ، وهمية وليست حقيقية .. هذا هو اعتقادي وأنهم لو قرأوها كما يجب أن يقرأوها لما وجدوا فيها ما يخالف والدليل على ذلك أنها تقرأ في جميع البلاد العربية والاسلامية ، ولم يعترض عليها أحد ، رغم أنهم مسلمون مثلهم ، لكن فيه مشثولية أخرى ، وهي بما أنه ليست هناك في الواقع معركة ، اذن فالننى أكون داخلا

فى معركة وهمية . وأنا أرفض ذلك لسببين : الأول : هو أننى أعرف أن وطنى يواجه مشكلات كثيرة ، ولذلك لا أحب أن أضيف إليه مشكلة جديدة روائية ، ثانيا : ان الأزهر وهو أساس الرفض يلعب فى حياتنا الآن دورا كبيرا وهو شرح الاسلام الحقيقى والتصدى للتعطى والانحراف ، اذن نحن معه فى هذا القارب الواحد الدينى السنى ولذلك لا يصح أن أعمل فيه خناقة ، لا تقوم على أساس ، اذن نترك الأمور حتى يأذن الله بالتفاهم والفهم الصحيح ، من يدرى لعل هذه الرواية تنشر يوما بمقدمة بقلم أزهري مثل الأستاذ خالد محمد خالد . أو مثل الشيخ الغزالى ، أو د . أحمد كمال أبو المجد ، وإذا لم يحدث ذلك فى حياتى ، فسيحدث فى يوم من الأيام .

● ● هل صحيح أنك أبعدت عن منصبك بوزارة الأوقاف ،
فلجات الى مكتبتها بحى الغورية ؟

— لا وانما كان قد تغير عهد ، وكنت فى مكتب الوزير ، فجاءوا قالوا لى : الوزير الجديد ، أتى بالطقم الخاص به ، فاختر لك مكانا غير مكتب الوزير ، وأنا لما كنت أعتبر الوظيفة قيدا مفروضا على ، وأعتبر أن الركنة الحقيقية فى وزارة الأوقاف هى المكتبة ، فقد اخترت المكتبة ، ولم يكونوا مصدقين فنقلونى إليها ، وكانت شهور من أسعد أيام حياتى وكنت مع المرحوم الأستاذ السندوبى . وقاعد وسط كتب فى الحى الذى أحبه وهو حى الغورية ، وانتزعونى منه فخرجت منلما خرج آدم من الجنة ، ولولا هذه الفترة ما كنت قد قرأت مثلا « بورست » وأثر فى ضمن من تأثرت بهم فى مكوناتى الثقافية .

● ● عنوان على الملف ؟

— اجتهد وتوكل على الله

● كلمة تقولها لحبيبك ؟

— انى أخبك كما تحبونى وأكثر .

● يتحيى حقى :

يطالب بعودة عبد الله النديم الى مصر

لا شك انني لم ادرك الحساسية الزائدة التي يشعر بها اديب مصر الكبير يحيى حقي تجاه أصله التركي عندما سأله سؤالا يتعلق بهذا الموضوع عندما قابلته لأول مرة فأبنته ينتفض. قائلا « انى وان كنت من اصل تركى الا انى احس انى شديد الاندماج بتربة مصر واهلها وفي بعض الاحيان يرجنى هذا الشعور رجاء شديدا » وشعرت ساعتها بدفء شديد رغم انه كان يوما ممطرا شديدا البرد .

● هذا رجل شديد الاندماج بتربة مصر واهلها . وهذا بطل راقته « قنديل ام هاشم » يهز شعبنا هذا غنيما ويقول له « اصح .. تحرك الجماد » ، ورغم احتكاكه بالحضارة الغربية الا انها لم تبهره فهو يقول « ان عندي حضارة ان لم تتفوق على الحضارة الاوروبية فهي تماثلها الي جانب ان عندي دين حق هو نظام متكامل » وهو بكل ذلك يؤكد انتماءه للوطن حضارة وعقيدة ، وهو يرى ان جيله لابد وان يسلم الراية الى الجيل الجديد « ليس كمسألة عاطفية بل كمسؤولية وواجب » .

والى جانب انه اديب قصصى وناقد أدبى الا أنه محارب من أجل الارتقاء باللغة العربية فيحب في المستقبل أن يذكر لا ككاتب قصة بل كخادم للغة العربية ، ثم يكشف لنا بعدا جديدا في شخصيته وهو حينه الى التاريخ ولذلك « يتمنى لو كان مؤرخا » ، وهو يحب رغم كل هذه المواهب التي يتمتع بها أن يعيش مع « ناس في الظل » لذلك كان اجتذابه الى دائرة الضوء دائما أمرا عسيرا .. ولكن كان لابد من لقائه في وقت تحتفل مصر كلها بعيد ميلاده الثمانين .

هذا هو فارسنا يحيى حقى - أطال الله عمره - الذى بدأ
حواره معنا قائلا ..

« بسم الله . اللهم وفقنى الى الصديق والخير » .
والتقطت الخيط لأسأل مفكرنا الكبير « وأى خير يشغلك
الآن ؟ » .

فاجابنى بما يكشف عما يريد أن يتحدث فيه قائلا : لا خير
فى أمة أهملت تراثها وأعرضت عن آثارها الأدبية والثقافية لأنها
جزء من شخصية الأمة وحضارتها .

● ● ولماذا تذكر هذا الموضوع الآن ؟

- لأن الحركة الأدبية لا يمكن أن تدرس فرادى أو جانب دون
جانب فهى تقيم بعضها بعضا ، وانما نطلب من بعض الشبان أن
يبدعوا ومن بعض الكتاب أن يؤلفوا ونطلب من المهتمين بالحركة
الثقافية أن يتساندوا لحياء التراث الفكرى والثقافى والأدبى .
وأن يهتم أصحاب دور النشر بذلك دون أن يسألوا كم سنكسب
من أول الأمر ، وفى الواقع أنهم سيكسبون ولكن قد يحتاج الأمر
الى شيء من الوقت .

● ● وماذا يشغلك أيضا ؟

- كثرة الكلام عن الخوف من هبوط مستوى اللغة العربية
فنجار بالشكوى ونلطم الخدود سريعا دون أن تكون هناك مجهودات
متضامنة تقيم بعضها بعضا للحيلولة دون هبوط لغتنا .

● ● وكيف يحدث ذلك ؟

— يحدث ذلك اذا دبت فى الأمة حياة تأنف أن تبقى فى الذل وتأنف أن تظل لغتها غير مخدومة تهبط هبوطا سريعا شنيعا دون أن تحرك لذلك ساكنا ، ولكن لا أحد يسمع ولا يحب أن يسمع .

● ● أنت ايضا مثل توفيق الحكيم تشكو من انعدام روح الجماعة وتجاهل كل واحد للسوة الآخر فلا يبنى طباقا فوقها بل طباقا بجوارها دون أن تكون هناك نتيجة ؟

— ان ما أشكو منه هو أننا لا نكون بحثا على بحث بل نضع بحثا بجانب بحث وضربت لذلك مثلا أكثر من مرة وهو الاحتفال بذكري رفاة الطهطاوى ، مقالات كل عام عنه متشابهة وأن تمت كتابتها بصيغة أخرى وأسلوب آخر ، ولم يحدث أن أنبرى أحد وذهب الى بلد الطهطاوى أو الى مقره فى باريس أو يبحث لنا عن مصدر جديد نستطيع أن نستكشف به رفاة أو يحاول أحد أن يدرس الحياة الاجتماعية فى عهده من نواح جديدة ، لذلك أنا أزعج لك أن أسرة محمد على لم تدرس بعد الدراسة الكافية الوافية التى تكشف لنا عن طبائع أمرائها وأسباب تصرفاتهم التى قد تبدو غريبة فى بعض الأحيان .

الحكام الفقراء

● ● مثل ماذا ؟

من ذلك السؤال : لماذا كان عباس الثانى نهما فى نهب أملاك الأوقاف ولماذا تبعه فى ذلك أحمد فؤاد ؟ وأنا عندى الجواب أريد أن أقدمه للشباب وحذا أيضا للمؤرخين . فأقول . . أنت تعلم ان الخديوى اسماعيل كان يملك ثروة طائلة عبارة عن مديريات بأكملها وكان يقال وهذا حق أنه كان من أبرع المزارعين وأقام فى هذه المديريات مصانع ، فلما غرقت مصر فى الديون وكانت هذه

خطة مدبرة، من الاستعمار الذى يهدم الاقتصاد الوطنى للبلد ثم سيادة نفوذ رأس ماله الأجنبى ثم وضع اليد على البلد كلها ثم يدخل الجيش بعد ذلك ، فلما حدثت مقدمات ذلك فى مصر فزعت أملاك الحديوى اسماعيل بأن صودرت ، وربما كان هذا هو أول نوع من المصادرة للأملاك فى تاريخ مصر الحديثة ، فنزعت أملاك اسماعيل وأصبح أفقر أفراد الأسرة المالكة ، ثم جاء الحديوى توفيق وهو رجل طيب جدا وضعيف حقيقة ولكنه كان فى غاية الذكاء وفى غاية الفقر أيضا فلم يشأ ان يكون فقيرا ويفقد العرش أيضا فكانت وقفته المزرية الى جانب الانجليز ضد عرابى ، المهم ان عباس الثانى الذى تولى العرش بعد توفيق كان أفقر أفراد أسرة محمد على رغم أنه الجالس على العرش الذى يسميه بقية الأمراء « أفندينا » ، وهؤلاء الأمراء لم يكونوا يسافرون الى أوروبا ولا يعودون منها الا باذنه ، ولا يتزوجون ولا يطلقون الا باذنه ، فكيف يكون هذا الأفندينا هو الأمر النهى الفقير فى نفس الوقت فكانت طبيعة الأشياء سواء من الوجهة السياسية أو الشخصية أو الغرائز الانسانية انه كان نهما لأن يستحوذ على أكبر قدر من المال ليكون على الأقل « أفندينا » ليس فقط من وجهة المقام بل أيضا من وجهة المال ، فنراه ينهب أموال الأوقاف ، ولحسن الحظ فقد وجد من رجالنا من وقف يواجهه وهو الشيخ محمد عبده الذى وقف فى وجه الحديو عباس ، ومن سوء الحظ أن الشيخ محمد عبده وقف موقفا حرجا بين اسماعيل والورد كرومر ، أى بين رجل ينهب أموال الدولة جالس على العرش مستبد بالحكم يكره كلمة نيابة أو برلمان أو سياسة أو أمة ، وبين عدوه الذى اسمه كرومر ، فهل عدو عدوى صديقى ؟ ظن محمد عبده أنه لن يستطيع أن يقف نى وجه عباس الا اذا وضع يده نوعا ما وهو كاره أشد الكره فى يد كرومر الذى يقف ضد عباس ، وكما جرى القدر على اسماعيل جرى القدر على عباس فصودرت أملاكه أيضا ، وخلفه على العرش حسين كمال لفترة قليلة ا ثم جاء فؤاد الى العرش

مُؤرث فقر أبيه اسماعيل لدرجة اننا كنا نتندر في ثورة ١٩ ان
فؤاد كان مفلسا وكان مديونا لسائق « عربية حنطور » أو
« للمكوجي » ، فاذا به يغيد نفس المشكلة التي وقعنا فيها مع عباس
وهي أنه كان نهما أشد النهم لاغتصاب أموال الأوقاف ، ومثل هذه
الأموال يمكن ان تفسر لنا تصرفات أسرة محمد على التي حكمت مصر
لأكثر من قرن ونصف ، فنحن نريد استفادة في الأبحاث وتعمقا
فيها وبقظة وتحفزا لحركة انبعاث ونهضة تدب في الأمة لتستكشف
أسرار تاريخها الذي لم يكتب ، وأستطيع أن أقول لك ان جرائب
كثيرة من تاريخنا الحديث لم تكتب سواء عن أسرة محمد على أو
ثورة ١٩ أو ثورة ٥٢ مما لا يزال في حاجة الى بحث ودراسة نهمة
لا تعرف الكلل ولا الملل .

• • • اراك مهتما كثيرا بالتاريخ ؟ •

— اننى وان لم أكن مؤرخا الا اننى ما زلت أسفا اننى لم
أصبح مؤرخا لأننى كنت أحب هذا .

ندوة الفيلم المختار

• • • وماذا كنت تضيف لو كنت مؤرخا ؟ •

— لم أكن سأسلك الطرق التقليدية للبحث بالذهاب الى
المكتبات للاطلاع على المؤلفات السابقة ، فهذه طريقة لا يمكن للباحث
التاريخي أن يستخلص بها جديدا ، وسأضرب لك مثلا بمسيو
« رينو » مدير المعهد الفرنسى بباريس حين يكتب عن تاريخ مصر
لا يذهب فقط الى المكتبات بل يذهب الى المحكمة الشرعية ويقول :
أرونى قسائم الزواج منذ خمسين سنة ، أرونى حجج الأوقاف منذ
خمسين سنة ويقرأها عقدا عقدا وحجة حجة ، ويستخلص من
هذه المصادر صورة للمجتمع المصرى فى ذلك الوقت ، ومثال آخر

« كراكوفسكى » المستشرق الروسى له كتاب اسمه « المخطوطات العربية » ، أقسم لك اننى ما أقرؤه الا ودمعت عينائى وبكىت فعلا لأننى لم أر حنوا وتوقيرا واعزاذا ومحبة للمخطوطات العربية وما تخفيه من جهد عظيم وثقافة حقيقية تنطق بها هذه المخطوطات كما وجدته فى كلام هذا الرجل .

• • • انك تفجر هنا قضية خطيرة تتعلق بأن الأجانب يكتبون عن مصر والتراث العربى بأفضل مما يكتبه أبناء مصر والعروبة ؟ •

— هذا الكلام قد يساء فهمه لأننى لا أريد أن أدخل فى عدا المبحث العصيب العجيب لأننى لا أريد أن أدخل فى متاهات أو أن أبحث عن قطرة سوداء فى حجرة غير موجودة ، ووبال المستشرقين والأجانب وسوء نيتهم معروف لنا وان كان هذا لا يعنى أن نقف بادية ذى بدء موقف العدا أمام كل ما يرد اليينا فهذا هو الخطأ بعينه ، ولا شك ان من المستشرقين من هم حسنو النية ومن هم سيئو النية ، ولكن اللوم علينا نحن لأنه يجب أن نكون أصحاب الخبرة بتاريخنا ، وتراثنا وما فيه من جواهر نمتحنها ونزنها ونقيسها ونعرفها ، لنوسع مجال البحث ونعمقه ، وأن يدب النشاط الى كل المشتغلين بالحركة الثقافية والأدبية استجابة لا لشعور الاستزادة من العلم فقط بل شعورا للألفة من أن يكون حالنا هكذا أو أن نظل فى هذا الوضع •

• • • وهل يعجبك الوضع الذى يعيش فيه مجتمعنا اسيرا للتلفزيون والسينما والفيديو بما تحمله هذه الأدوات من مخاطر كان يمكن تجنبها بترشيد استعمالها ؟ •

— سأضرب لك مثلا من زمان ٥٠ كان فيه واحد اسمه الأب « زهراب » وهو قسيس كاثوليكي وجد أن الوسيلة الجديدة للاتصال بالناس فى ذلك الوقت هى « السينما » فهل الكتيبة

الكاثوليكية تقف عمياء مكتوفة اليدين وتقول « ما شأنى بالسينما هذه اباحة وكلام فارغ » ، لا . الكنيسة الكاثوليكية قالت « أنا أستثمر السينما وأصل بها الى العائلات فأدعوها فى جو ألفة المحدث عن السينما ونقول لهم هذا الفيلم يحض على الرذيلة دعوكم منه وسيسمعون كلامى لأنى مثلهم مهتم ببعض الفنون الحديثة » . فكان الأب « زهراب » ، هذا مهتم بأعداد ندوات سينمائية يعرض فيها الأفلام العالمية للجمهور ويشرحها ويفسرها له ويحول السينما بذلك من متعة الى فن أو دراسة ، فأنا لما توليت مصلحة الفنون قلت لأفعل مثلما فعل الأب زهراب وأنشأنا ما يسمى « بندوق الفيلم المختار » وأحضرنا بعض الأساتذة ليتكلموا ويبصروا الناس ، فيأجبنا لو عادت مثل هذه الندوة وتبناها « الأثر » بنا له من ثقل دينى ليستثمر هذه الوسائل الحديثة وليصل بدعوه ورسالته الى كل الناس الذين سوف يستمعون اليه ما داموا يرونه مهتما مثلهم بالفنون الحديثة .

تاجر يعيد متمد فريد

● ● ماذا تطلب من المصريين ؟ .

— ما أطالب به هو أن يشعر كل مصرى بالأنفة من أن يلد متأخر ويعتبر ان هذه اهانة موجهة اليه شخصيا ولا يعتبر المسألة نظرية أو بحثا عن حداثة أو أصالة وهل نأخذ من الغرب أو لا نأخذ منه ، انما يجب أن يورق كل مصرى أن يلد لم تصبح من الدول المتقدمة ويأنف لهذا أشد الأنف ويسأل : لماذا أنا فقير ، لماذا أنا متخلف ، لماذا أنا متأخر . كيف أقبل هذه الاهانة . يجب ان أهب وأقوم وأعمل ما أستطيع لأرد عن نفسى كل عوامل التخلف ، ولا تسألنى هل هناك أسباب للشعور بهذه الأنفة ؟ . لأن هناك

أكثر من ألف سبب ، ويكفى ما حدث لبلادنا منذ الحملة الفرنسية من تكسير لأسسها وحضارتها واغتصابها بجميع الوسائل واهانتها ونحن واقفون رافعي الرأس لا نشعر بأى حرج .

● ● فماذا تريد إذن ؟

— أريد أن يتفقد فى نفوسنا وأبحاثنا شيء يشبه النار تسرى فى هذه الأمة ، وبهذا الشكل نستطيع أن نجد يوما من الأيام شاعرا يقف ريهب ويحرك هذه الأمة ، أو كاتباً قصصياً يحسن حقيقة بنبض هذه الأمة ويحاول أن يشرحه لنا ويبشر بما نريده ، حتى تدب الحياة فى أوصالنا .

● ● هل بقى شيء من همومك الفكرية التى تشغلك ؟

— أود أن أتكلم عن شيء قرأته وهو أن إحدى دور النشر ستطبع مجموعة « الأستاذ » التى كان يصدرها « عبد الله النديم » ، فى شكل كتاب . وبذلك ييسر للقارئ الاطلاع على هذا الأثر الأدبى دون حاجة الى أن يحجج الى بعض المكتبات والله يعلم أين تقع وأين تقوم .

● ● وماذا يثير فى نفسك مثل هذا الخبر ؟

— أثار فى قلبى جرحاً لأنه سبق لى زيارة قبر عبد الله النديم فى استانبول وأتمنى نقل رفاته الى مصر وبالييت مجلتيكم تتبعتى هذه الفكرة وترسل مبعوثاً صحفياً ليرى القبر الفقير الذى يدفن فيه النديم ويصوره ويكتب عنه ، وتبدأ حركة تبرعات تتولاها وزارة الثقافة وتدرس قيمة الفكرة ، هل هى فكرة وطنية ، هل يستحق عبد الله النديم نقل رفاته الى وطنه مصر التى كافح وجاهد خطيباً للثورة العربية من أجلها ، لقد فعلت أفغانستان ذلك مع رفات الأفغانى ونقلته الى وطنه ، وفعلت مصر هذا مع المجاهد الوطنى محمد

فريد الذى تبرع تاجر من طنطا بتكاليف نقل رفاته الى مصر ،
وما أجدنا بالوفاء لعبد الله النديم بأن تتضافر الجهود الشعبية
والحكومية لنقل رفاته الى مصر . ولعل هذه الدعوة تجد أذنا صاغية
وقلما يتحرك وانسانا يهتم وفاء لرجل من أبناء بلدنا كافح وجاهد
فى سبيلها .

الوصايا

ومن أضواء قنديل أدينا الكبير يحيى حقى حاولت خلال
حديثى معه ان أستفيد من خبرته وتجربته ، بما يمكن ان ينصحنى
به فى عملى الصحفى ، بعد أن كان الأستاذ الكبير قد التزم الصمت ،
فلم ييخل على بنصائحه ، فتواصل الحديث بعدما كان قد انقطع .

فقال « بلا جدال أن تعريف الصحفى مثل تعريف المتقف
الذى يأخذ من كل أدب بطرف ، أو من كل شئ بطرف .. وزمان
كان الصحفى يكتب فى كل شئ .. اليوم أصبحت فيه تخصصات ..
فيه صحفى جالس .. فيه صحفى متجول .. فيه صحفى سياسة
خارجية .. فيه صحفى سياسة داخلية .. فيه صحفى أدب ..
وحتى لو قلنا أدب ، ففى أى عصر من العصور ، فانت مثلا اذا كنت
ناويا العمل فى المجالات الأدبية فتأخذ العصر الحديث مثلا ، تحدد
من سنة كذا لسنة كذا ويكون لديك كل ما يتعلق بالفترة التى
اخترت أن تتخصص فيها ، ستقول لى - والكلام ما زال لأدينا
يحيى حقى - ان هذا شغل الناقد وليس الصحفى .. صحفى ممكن
والصحفيون كثيرون .. ولكن نريد ان نقول اننا نريد الذهاب
اليك لما نتكلم عن الأدب فى مرحلة أنت استوعبتها فى الأدب القديم
أو الحديث .

ويضيف الأستاذ يحيى حقى .. كملا نصائحه التى قد تكون

خاصة الا اننى اراها مفيدة للصحفى والأديب والقارىء أيضا . .

يقول : أيضا اللغة ، مهم جدا أن يكون لديك لغة وتجدها بالاطلاع بها باستمرار . . ثم فيه دراسة كبيرة جدا على « السيكولوجى » . علم النفس . . ضرورى جدا انك تكون عارف شخصية ونفسية الشخص الذى تتحدث اليه . . يعنى « ولا دواخذه » لما قرأت على « القائمة دى » ، أنا خفت (بقصد قائمة الأسئلة التى حملتها اليه) . . يعنى غلط كبير جدا انك تدخل على الشخص الذى سوف تسأله ومعك قائمة أسئلة بهذا الشكل (مشيرا بذلك الى كثرتها وتنوعها وشمولها) . . انها تخوف . . كأنك ستدخلنى الامتحان . . فانت خوفتنى . . وكان المطلوب انك تعجته وتحمض فى رأسك بعض الموضوعات التى تريد الحديث فيها بحيث انك تجعل الحديث ارتجاليا . . وسأحكى لك حكاية طريفة .

حكاية طريفة

هذه الحكاية كما يقول الأديب الكبير يحيى حقى . هى : انه زمان كان فيه واحد اسمه الأب « زهراب » من الكنيسة الكاثوليكية ، أراد استثمار السينما كوسيلة للوصول الى العائلات ، بدعوتها فى جو ألفة يتم فيه الحديث عن السينما خلال ندوات تعرض فيها الأفلام العالية ، ويتم شرحها للجمهور ، وتنبية الحاضرين الى أن الفيلم الفلانى « سىء » حتى لا يدخلوه ، وان هذا الفيلم جيد ليقبلوا عليه ، ولأن المتحدث هو راعى الكنيسة . . رجل دين . . فكان حديثه يجده صدى لدى الحاضرين لأنهم يرونه وهو رجل دين مهتم بالسينما مثلهم .

يضيف الأستاذ يحيى حقى - وهذا ما أريد من الأزهر أن يقوم به . ان يستثمر السينما للاقتراب من الناس ، فيهتم بالسينما مثلهم ، لتوعيتهم وتحذيرهم من السيئ من الأفلام وحشهم على

ويعود أديبنا يحيى حقى الى ذكرياته حينما كان رئيسا لمصلحة
الفنون فأراد أن يتبع تقليدا فيما أسماه « ندوة الفيلم المختار »
التي يحضرها الجمهور ليستمع الى بعض الأساتذة المتخصصين من
أجل خلق وعي سينمائي ، فكنت - والكلام لمحدثنا يحيى حقى -
أرى أن الأستاذ المتحدث الذى يدخل ومعه ورقة يتكلم منها ، لا أحد
ينصت اليه ، أما الذى يقف « يرتجل » الكلام ، فالناس تسمعه .
لذلك فنصيحتي اليك انك فى أحاديثك الصحفية تجعل كلامك
ارتجاليا وتدرس شخصية من تريد التحدث اليه دراسة كاملة ،
وبعد ذلك تمسك قضية أو قضيتين أو ثلاثا على الأكثر وتثيرها فى
حديثك معه . . . أيضا لا تحاول أن تستعرض معلوماتك بجانب
الشخص الذى تتحدث معه . . . ولا تتحدث كثيرا . . . انما أسئلتك
تكون مختصرة جدا حتى تفتح للمتحدث مجال الكلام ، لأن أنت لما
تتكلم كثيرا سيصبح فى آخر الأمر حديثا مع ابراهيم عبد العزيز
لا مع يحيى حقى . . . لأنك فى الحديث أبديت آراء لا أول لها ولا
آخر . . . أنا أكلمك فى غاية الصراحة .

الفرملة

وأطمعنى صراحة أديبنا يحيى حقى فى المزيد ، فقلت له :
زدنا يا أستاذنا ؟ فقال : الأمانة مهمة جدا . . . يعنى أنا وقعت على
مثل سيئ جدا لواحد صحفى « فبرك » . . . يعنى استمع لبعض
آرائى فأخذها ونشرها فى مجلة . . . أنا لا أعرفها ولا قال لى أنه
سينشرها فى هذه المجلة . . . لذلك الأمانة مطلوبة جدا . . . ونقل
خبر من واحد لواحد . . . لابد فيه من الحذر ، لأنه يجوز أنا أكلمك
كلام أخوى عن فلان . . . فهذا ليس للنشر . . . فيجب أن تعرف حدود

ما ينشر وما لا ينشر ، فحتى لو أردت أنا الاساءة الى فلان ، أنت لك الحق أن تفرملنى . . ولا تكتب هذا الكلام ، فانا أعطيك الحق فى المبادئ ، والمبادئ تعطيك الحق انك تفرمل محدثك فى رأيه ان وجدت فيه اساءة ، قالها ربما فى ساعة انفعال و غضب . . يعنى لا أريدك تكون آلة تسجيل ، لكن تكون حكما فى آخر الأمر .

ويستكمل الأديب الكبير يحيى حقى وصاياه : من المهم جدا أن تبتعد عن الاثارة لأنه لا لزوم لها . . قلت : انت تريد اذن ان تكون السيادة للأخلاق ؟ قال : يعنى نوع من الحياء ، لأن بعض الصحفيين يحبون استثارة الناس ، ويتلذذون ان واحدا ينطح فى واحد . . لا . . هناك كلام يقال للتسجيل والنشر ، وهناك كلام خارج الحديث . . فهذه تأخذ بالك منها ، وسيشكرك محدثك بعد ان تنشر كلامه محذوفا منه أى اساءة ، حتى لو كان ما قاله لك بحق .

قلت : ولكن بما بالنأ نرى فى بعض الأحيان ان بعض الأدياء والنقاد يخوضون معارك ضد بعضهم البعض على صفحات الصحف ؟ قال الأديب الكبير يحيى حقى : معارك أدبية لا بأس ، انما لما تصل الأمور للتعرض للمسائل الشخصية فلا بد أخذها بعذر ، وان تستعمل فى مثل هذه المسائل أن كان لابد من الحديث فيها ، كلمات مثل « ربما » ، « يجوز » ، « يبدو » ، « قد » ، « الخ » لأن الإنسان قد ينسى نفسه .

الترضى الاعود

وكلما تقدم الوقت أصبح الحديث مع أستاذنا يحيى حقى مهتما وشيقا ، فقلت له : وفى مجال قول كلمة الحق . . بماذا تنصح ؟ قال : اذا أضرت كلمة الحق ، أحدا ، فلا تقلها أبدا .

قلت : رغم أنها كلمة حق ؟ .. قال : لست موكلًا على الناس ولا على الدنيا وأنت لن تصلح العالم .

وهنا وجدتهنى أختلف مع محدثى الأستاذ الأديب يحيى حقي فقلت له : لو كل واحد سكت وقال أنا لن أصلح العالم فهذه تكون سلبية غير مطلوبة ؟ .. قال الأديب الكبير موضعًا مقصده : نحن نريد أن يقال كلمة الحق بما لا يحدث ضررًا ولا جرحًا .. فهناك مائة وسيلة للقول ، وهذا يذكرنى - يضيف الأستاذ يحيى - بقول الشاعر الذى خاطب عبادة عند ترزى أعور ، فقال : ليت عينيه سواء ، فهل هو يمدحه أم يذمه « ماتعرفش » لأنه هل يقصد بأمانيته للترزى أن عينه العورة تبقى صحيحة ، أم أن الصحيحة تصبح عورة ؟ .. فهناك اذن وسائل كثيرة لأن تقول كلمة الحق دون أن تجرح من تتحدث اليه .

● يحيى حقى

بعد ٦٥ سنة حصلت على ما أستحق

أديبنا الكبير يحيى حقي بعد حصوله على جائزة فيصل الدولية.
أوضح أهم القضايا التي تشغله وأهمها الشباب الذين أثر أن يوجه
اليهم حديثه من خلال هذا الحوار :

● قال أديبنا الكبير يحيى حقي :

— استطعت والحمد لله التخلص من بعض علل الشيخوخة ،
منها التبرع بالنصيحة ، فانا أعلم ان النصيحة تبدو دائما عطاء
من يده عليا الى يده سقلى وتخفى كثيرا من الزهو بالنفس ، ولكن لا بد
لى ان اسمح لهذه العلة بأن تمسك بى هذه المرة لأننى أشعر بحاجة
ملحة الى توجيه كلامى الى الشباب بنية خالصة بريئة لا أقصد بها
النصيحة ولكن أقصد عرض حالة تستحق منهم الاهتمام وهى ان
حصلت على جائزة الملك فيصل جاء يعته جهاد شاق دام أكثر من
خمس وستين سنة ، وكنت بعد كتابة أى قطعة أشعر بجزل روحى
لأنى دام حتى ثمانية وإحدى فانه يعتبر من أكبر نعم الله على الانسان ،
وأقوم من هذا العمل كائننى خرقه مبللة من شدة الجهد الذهنى
والعصبى بل والبدنى الذى بذلته لأنى لم أدخل الفن من باب الواسع
بل من أشد الأبواب ضيقا وهو العمل المضنى ، وكان فى ذهنى
دائما المثل العليا للابداع الفنى فى الآداب العربية والغربية ،
وكنت أحاول الاقتراب منه ليس ارضاء لنفسى وحدها بل احتراما
للبقارى .

وأقلب كل جملة أكثر من مرة لأجعلها معبرة عن غرض وتكون
فى الوقت ذاته — مهما قصدت الوصول للأعماق سهولة الوصول الى

القارىء الذى اكن له احتراماً كبيراً وكاننى أقسمت بينى وبين نفسى
الإغشه أو أموه أو أكذب عليه ، وقد تبيننت فى وقت ما انه حنى
قواعد النحو ليست مسائل جدلية أو نظرية بل المقصود بها وضوح
العبارة .

وأضرب مثلاً بذلك ضمير الغائب المفرد الذى قالوا لنا انه
يعود الى أقرب اسم ، ليس من قبيل الكذب أو « الفشر » اننى لم
أنتظر أى ثواب على عملى سواء كان مادياً أو مرضياً للنقاد أو
القراء ، بل كان همى الأوحده هو تجويد القطعة التى أكتبها ، وإذا
بى فى نهاية العمر يهبط على الجزاء كأنه رحمة الله قد أخرجت لى
خلال خمس وستين سنة . فليس من قبيل النصيحة ان أقول هذا
الكلام للكتاب الشبان ، ولكن لعرض حالة أتمنى منهم تأملها ، فإذا
هزتهم هذه الكلمات ولو بشكل طفيف فعليهم أن يحاولوا فعل
ما فعلت ، أى الاخلاص للعمل واستبعاد أى جزاء منظر فوراً ،
ومداومة العمل بدون يأس .

وأقول لهم انكم فى عمر تتمتعون فيه بتمام صحة الحواس
كالنظر والسمع واللمس والشم ، وإرادة تفوق إرادة الشيوخ فلا
تضيعوا دقيقة واحدة فى سأم وشكوى أو محاولات تصل فى بعض
الأحيان الى حد التخاضع وتبادل الاساءة .

احبوا الفن واخلصوا له وتوكلوا على الله .

نداء الى اساتذة التأريخ

● ● استاذنا الكبير : المبدعون الشبان كثيرون ولكن الملاحظ
ان الحركة النقدية واكيدة فلا تشبع بهم أو تستمع لهم حيوات ؟
قلت فى دعوة فى باريس اننى استعمر بحالة زكوة فى

النشاط الثقافى فى مصر ، فانبثرت لى دى هدى وصفى ، وكانها تنهمنى سوا يأننى لا أتابع الحركة الأدبية ، وقالت لى : كيف تقول هذا وعندنا كم كبير من شبان موهوبين تظهر لهم ابداعات كثيرة متلاحقة ؟

فقلت لها : لا قيمة لهذا اذا لم يكن فى البلد حركة نقدية علمية تلاحق هذا الانتساج وتقدره ولا تكتفى بإبداء الراى ثم الانصراف ، كأنهم ممن يقال عنهم لم يكده يسلم حتى ودع ، وقد شعرت بجنون شديد للاستاذ محمد جبريل حين سمعته فى برنامج د. مع النقاد ، فى البرنامج الثانى ، وقد ناقشه ثلاثة من النقاد ومدحوه مدحا شديدا فاذا به يقول لهم فى آخر الندوة : مريض هذا المديح فى الهواء ولكن أمل الشبان فيكم (ولست أدري هل يرضى صديقى محمد جبريل عنى ان اعتبرته من الشبان) ان تعلموا هذا الثناء فى وسائل النشر المكتوبة التى تبقى ولا تضيع فى الهواء وأضيف على كلامه بان أمل فى تبني هؤلاء النقاد لكل نابغة من هؤلاء الكتاب والأخذ بيدهم ومساعدتهم على موالاة النشر .

وربما كان فى ذهنى امتعاض مؤلم وموجع من هذا الركود الذى أشعر به حين علمت ان وزارة الخارجية التركية أفرجت أخيرا عن وثائقها قبل الستوات الخمسين الأخيرة كما تفعل إنجلترا وأمريكا ... الخ صدقونى توثيق ذهنى وقلبي وأعصابى الى أمل مسارعتنا فورا للاطلاع على هذه الوثائق لأن تاريخنا الحديث ستتكشف كثير من أسرار هذه الوثائق لسابق ارتباطنا بالباب العالي ، ثم لم أسمع ان مؤرخا واحدا فى مصر انتبه لهذا ، وبدأ يبذل جهدا لتحريك مسعى للحصول عليها ، وقد قلت أكثر من مرة اننى لا أعتبر المثقف مثقفا الا اذا كان على علم بتاريخ بلده .

وأقول للشبان لا أحيلكم الى التاريخ الفرعونى أو البطلمى أو

اليوناني أو الروماني أو حتى بدء الفتح الاسلامي ، بل تكون لحظة
الابتداء هي لحظة حملة نابليون على مصر ، وبدء هذه المشكلة التي
لا تزال تعاني منها وهي الصدام بين الحضارتين الغربية والاسلامية ،
وأطالبهم بالتعمق في دراسة هذا التاريخ ، وهذا أهم رافد لابداعهم
في الفن .

فيا استاذ فلان ، وفلان ، وفلان . . . الخ من اساتذة التاريخ
أنتم اساتذتنا الأجلاء الذين نعتز بهم ونفخر بهم ، أناشدكم التحرك
لحصولنا على هذه الوثائق ونشرها في أقرب وقت ، ولا أقبل أن
يقال انه ليس لدينا من يجيد التركية وقت ان كانت تكتب بالأحرف
العربية ، وأسأل ماذا فعلت أقسام اللغات الشرقية في جامعاتنا
وحتى اذا لم نجد من يجيد قراءة اللغة التركية أو فهمها - ففي
تركيا اساتذة أجلاء يجيدون اللغة العربية ويمكننا الاتفاق معهم على
القيام بهذا العمل سواء من جانبهم وحدهم أو بالمشاركة مع من
نعتز عليهم لدينا من الخبراء باللغة التركية .

هذا خير لكم

● ● ماذا أيضا من هموم استاذنا الكبير ؟

يقول اديبنا يحيى حقي :

- هناك هموم ثقافية أخرى لا تنفك تقض مضجعي . منها
طريقة تعليم اللغة العربية .

فخير لكم الا تحضروا مجلسي وأنا أستمع لمناقشة مسائل
الماجستير والدكتوراه من أقسام اللغة العربية في جامعاتنا ، فأجد
كثيرا من المتقدمين لهذه الشهادات العليا لا يحسنون نطق اللغية
وكتابتها ، والجميع صامتون يتقبلون هذا الوضع المهين وقد عقدوا
أذرعهم على صدورهم !!

● د • حسين فوزى :

ويلاذ الثلاث تسعات

هذا حوار مطول تم مع د. حسين فوزي على مدى عدة ساعات ويرجع تاريخه الى شهر مارس ١٩٨٣ ولقد تم للنشر في مجلة « المصور » التي كنت اعمل بها في مبتدا حياتي الصحفية ولكنه لم ينشر حتى الآن وقال لي مكرم التحرير وقتها عندما سأله عن سبب عدم النشر لهذا الحوار وحوارات اخرى « ان الموضوعات الصحفية التي اكتبها اكبر من خبرتي في الصحافة » ، وكاله من المفترض الا يتفوق الانسان الا بعد ان يتدرج ويتسلسل ، وهكذا بدأت الحوار .

● ● ما هي حكاية سنديك معك ؟

— السبب بسيط جدا .. فبعد ثلاث سنوات من اشيشتالي كطبيب عيون فكرت في المستقبل ماذا سيكون ، هل الامر مجرد مكاسب مادية وفلوس وخلاص ؟ .. وجدت ان هذا طريقا لا يجعل في قيمة ، وفي اثناء تفكيري هذا سمعت ان هناك بعثة لدراسة الاحياء المائية فأتار ذلك عندي ما اكته في نفسي من حب للبحر رغم انني مولود في حواري القاهرة ، فقررت ان اتقدم الى معهد علوم البحار الذي نظم هذه البعثة وذلك كي ادرس البحر فيما يسمى « بالكونغرافيا » ، ولما عرف زملائي الأطباء ذلك سخروا من فكري هذه ، وقالوا لي : اوتريد ان تعمل « سماكا » ؟ قلت لهم : انني ذاهب لاستكشف عالما جديدا .. فحاولوا اغرائي بانني ساكون من المرشحين في بعثة طبية الى لندن لمدة سنة ، قلت لهم ان سنة لا تكفيني ، قالوا انهم سيعملون على عدم الجاحي في الكشف الطبي

إذا تقدمت لمعهد علوم البحار ، فقلت لهم : اننى لا أقبل التهديد
وسأخلع الملابس البيضاء .

ومضيت فى طريقى لدراسة علوم البحار ، وكان ذلك من
الأشياء التى جعلتنى أميل الى قصص « سندباد » لأنها قصص بحرية
فعكفت على تحليلها فوجدت طبعاً أن شخصية سندباد خيالية قامت
ب رحلات خيالية ذات وقائع عجيبة ولكنه خيال مقبول على أية حال
يقع فى سبع قصص بعد استبعاد قصة تطرق فيها الخيال الى أكثر
ممن الخيال المقبول فى غيرها ! وقد أحببت « سندباد » وتسميت به
وضار هو مقلد ذليل فى التاريخ قديمه وحديثه والمعاصر منه ،
بمثابة السندباد القديم هو زحلة عبر التاريخ فى الزمان والمكان ،
أما سندباد الغرب فقد كان سندباداً حقيقياً لأنه أنا ، فقد ذهبت الى
الغرب فعلاً وتجولت هناك فكانت رؤيتى رؤية معاصرة .

● ● مصر بين عهد عبد الناصر وعهد السادات . كيف
يقيم لنا سندباد مصر د . حسين فوزى هذه الفترة من تاريخ
مصر ؟

— لقد قابلت عبد الناصر مع مجموعة من الأدباء والمفكرين حينما
زارنا فى الأهرام ، وقال لى : أنه قرأ كتابى « سندباد الى الغرب »
وأعجب به . فقلت له : اننى أريد أن أقول لك يا سيادة الرئيس كيف
تربى جيلنا ، كان أهلنا وأصدقاء أهلنا ومدرسوننا يقولون لنا ثقوا
بأنفسكم واحبوا بلدكم لأنها أصل الحضارات ، والأجانب يعرفون
ويعترفون بذلك ، وكانوا يقولون لنا أيضاً إذا أردتم أن تحبوا بلدكم
أنظروا الى أوروبا واعملوا على تقديم بلدكم . فقال عبد الناصر موافقاً
على ما قلته : طبعاً لا يوجد بلد يستطيع أن يفعل شيئاً من غير
تكنولوجيا . فسبكت زلم أرد ، لأننى لم أكن أقصد بكلامى أن نستورد
التكنولوجيا لأنها ليست الأساس ولكن قصدت بكلامى أن نبني الفرد
فى بلدنا ونعطيه الثقة بنفسه أمنا من الخوف لأن الخائف لن يحب

الا نفسه ولن يكون همه أن يبنى بلده بقدر ما يكون همه ضمان
لقمة عيشه .

● ● التكنولوجيا ليست ضرورية ؟

- التكنولوجيا تشتري بالمال ، ودول البترول لديها الأموال
التي تشتري المعدات الحديثة ومعها خبراؤها من الأجانب ، ولكن
التكنولوجيا في نظري هي تطبيق أحدث ما وصل إليه العلم بالإنسان
المصري نفسه والإنسان العربي نفسه والا فانه سوف يأتي يوم ينتهي
فيه البترول ، ويشح المال ، وماذا بعد هل ينتهي مع نهايته المجتمع
العربي أيضا ، ان الضمان هو الإنسان العربي نفسه .. ابنوا
الإنسان العربي وحرروه من الخوف واعطوه الثقة بنفسه كي يجب
بلده وعندئذ انظروا ماذا ستكون النتائج .

● ● نعود الى تقييمك لعهد عبد الناصر ؟

- عبد الناصر رجل همام وله طاقة جبارة ولكنه شئت هبته
الطاقة في جروبه الخارجية ، ولو وجه هذه الطاقة الى داخل مصر
لأصبحت مصر اليوم على أكبر درجة ممكنة من التقدم والازدهار
اقتصاديا على الأقل .

ولكن على أية حال فقد خرج بنا عبد الناصر من نظام حكم فاروق
الفاسد الى نظام حكم معقول ، ولكنه ألغى دستور ١٩٢٢ الذي أعاده
الشعب بمائه ، وجاءت بعد ذلك مجموعة الدساتير الباهتة .

غير أن دستور ٢٣ كان صورة من الدستور الفرنسي ولكن من
كتبوا هذا الدستور لاحظوا أن فرنسا جمهورية ومصر ملكية فعملوا
على حل هذا الاشكال بالنظر الى بلجيكا وهي ملكية مثلنا ودستورها
صورة مشابهة للدستور الفرنسي ، فأصبح الدستور الفرنسي صورة
فرنسية بشكل بلجيكي ، فلما قامت الثورة وقامت الجمهورية لجأ
العهد الجديد الى التغيير ووضع قواعد جديدة تتناسب ومرحلة التحول

فى مصر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الملك فؤاد ومن بعده فاروق لم يلتزما بدستور ٢٣ وضربا به عرض الحائط ، ولكن لماذا يضرب به عبد الناصر عرض الحائط أيضا ؟ ٠٠ ما أريد أن أقوله أنه يجب أن يكون هناك استقرار فى مصر وهذا الاستقرار لن يتحقق إلا بوجود دستور لا يخضع لهوى الحكام يقروونه من وقت لآخر حسب أظماهم وأهوائهم والا فما الحاجة إلى الدستور اذا كان سيتغير كلما جاء حاكم من الحكام ٠٠ فمن الضروري ألا يتغير الدستور الا باستفتاء الشعب استفتاء حقيقيا لا سوريا ٠

● ● ماذا تقصد بالاستفتاء الصورى ؟

— انها مشكلة أخرى من مشاكل الدول المتخلفة وهناك اصطلاح مشهور يسمى هذه الدول « بلاد الثلاث تسعات » — يقولها د. حسين فوزى ضاحكا —

● ● قلت أنه مع قيام ثورة يوليو حدثت تغييرات ٠٠ ما تقييمك لهذه التغييرات التى حدثت ؟

— لست ضد التغيير ، ولكن هل كانت ضرورة التغيير تقتضى مثلا إلغاء اسم مصر ليسمى الاقليم الجنوبى كمديرية من المديريات فى ظل الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ التى عرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة ، لقد كنت أُنجل من كتابة هذا الاسم أمام توقيعى فى سجل الزيارات فى الدول الأجنبية ، فكنت أتخلص من هذا الموقف الذى يلغى مصريتى ، بأن أكتب اسمى د. حسين فوزى — وبجواره — القاهرة ٠

● ● ماذا تهم الأسماء فى سبيل غاية عظيمة مثل الوحدة العربية ؟

— الوحدة العربية حقيقة قائمة على عاطفة لا يمكن انكارها . اما الوحدة السياسية ومحاولة قيام وحدة عربية على أساس سياسى

الجمعة يؤثر على تلك العاطفة الموجودة بين العرب ، وتتحول لفسالة الى مطامع ، واننى اتساءل .. لماذا يطالب بعضنا بالوحدة العربية بينما هم موجودة بالفعل .. بفعل الاسلام واللغة العربية :

● ● أنت اذن ضد الوحدة العربية ؟

— لم أقل بهذا ولكن تجارب الوحدة أثبتت فشلها ، فلماذا تكرر الفشل .. ونحن لا نتعلم من الفشل .. سأعود بك الى ما قبل انشاء جامعة الدول العربية نجد أن المودة بين العرب كانت موجودة ، ومنذ أن قامت هذه الجامعة بدأت الخلافات العربية تظهر بصورة واضحة ، أريد أن أقول : ان الوحدة العربية موجودة ولا تحتاج الى ابراز بالأشكال الرسمية التى تعمق جذور الخلاف أكثر مما تحلها ، فهل تريد دليلا على الوحدة أكثر من أن ما يحدث فى فلسطين أو لبنان أو أى دولة عربية أخرى تهتز له كل الشعوب العربية ؟ دعك من أنظمة الحكم فهى زائلة ولن تبقى الا الشعوب تجسد رمز الوحدة العربية بمشاعرها وأحاسيسها .

● ● بمناسبة الحديث عن الوحدة العربية .. كيهما ننظر اذن الى التكامل المصرى السودانى ؟

— لا يوجد شيء اسمه تكامل مصرى سودانى لأن مصر والسودان دائما قلب واحد وشريان حياة واحد .. هل تستطيع أن تقول عبارة التكامل المصرى ، ان مصر وحدة لا تتجزأ كذلك مصر والسودان كل منهما يشكلان كلا واحدا ، واذا قلت مصر وسودان ، تماما كأنك تقول : مصر العليا ومصر السفلى ، أو الوجه البحرى والوجه القبلى ، ولست مصر والسودان فقط بل كل الأمة العربية ، ولم يحدث انقسام وفصل شعب عن شعب آخر الا بفعل الاستعمار لأن وجود أمة عربية واحدة لم يكن من الأمور التى ينتظر إليها الاستعمار بعين الرضا ولا يزال .

● ● في مواجهة أعداء الأمة العربية المتربصين بها ألا يجب توحيد العرب للتصدي لهذه التحديات ؟

— اذا كنت تقصد بمفهوم الوحدة الشكل الرسمي بانضمام دولة الى دولة ذات رئيس واحد وحكومة واحدة فهذا خيال ويجب ألا نسير ضد طبائع الأشياء ، وخذ من التاريخ ما يدل على ذلك : هل تستطيع أن تقول انه بعد انتشار الاسلام وفتح الأندلس وسقوط الدولة الأموية ، ان الوحدة العربية ظلت قائمة ، أو بمعنى أصح هل ظلت الوحدة الاسلامية قائمة ؟ لقد قامت دولة عباسية في الشرق ، ودولة أموية في الغرب أقامها من فروا من مذابح العباسيين ، ثم وجدت دولة فاطمية ثالثة في مصر ، وبدأ العالم العربي الاسلامي ينقسم . ما أعنيه هو أن عصر الامبراطوريات قد انتهى ولن يعود .

● ● اذن كيف ترى الوحدة العربية بمفهوم هذا العصر ؟
— أن تتكفل جهود العرب لاستثمار امكانياتهم المادية والبشرية لخيرهم وخير اجيالهم القادمة لأن امكانيات العرب البشرية والمادية ضائعة ومهددة لأن العرب لا يفكرون الا في يومهم دون أن يفكروا في غدهم .

● ● صورة العرب في الخارج .. كيف تراها من خلال زياراتك المتكررة لفرنسا كواجهة للغرب الأوربي ؟

لأوروبا مصالح عند العرب فيما يتعلق بالبترول ، فماذا تنتظر ممن يكون له مصلحة عندك ، والفرنسيون — كأوربيين — أشعر من خلال معرفتي بهم كأنهم ولدوا سياسيين ، فهم لا يحبون الدم حتى لو انتقدوا العرب فهم يحترمونه على الأقل من الناحية السياسية . نظرا لمصالحهم البترولية عندهم ، وقد قرأت في جريدة « الفيجارو » الفرنسية مقالا اندهشت له : انهم ، ينزعجون كلما انخفضت أسعار البترول ، رغم أنهم من المفروض أن يبتهجوا بذلك ، ولكن اتضح

في انه كلما ظلت اسعار البترول على ارتفاعها فإن صادرات فرنسا الى دول البترول تكون في زيادة مستمرة ، فاذا ما انخفضت اسعار البترول انخفضت معها صادرات فرنسا بما يضر باقتصادها ، وقس على ذلك بقية دول الوبيا .

عصر السادات

● ● تحدثت عن عصر عبد الناصر فماذا عن عصر السادات ؟

١ - السادات « العبدان » كبير وفى غاية الذكاء والنباهة ، فحاول أن يتلاقى أخطاء عبد الناصر وسلبياته فى الوقت الذى يسمح فيه بابراز تلك الأخطاء والسلبيات لمع اظهار أنه غير موافق على هذا الأسلوب . فى الحديث عن عبد الناصر وأنه يتحمل المسئولية عن كل قرار من قراراته كما كان يعلن دائما ، وهذه هى سياسة الوجهين ، ولكن هذه السياسة « اتلخبطت » فى أواخر أيامه ولم يستطع أن يسير فيها الى النهاية ، فأفلست الأمور من يده ولم يعد يستطيع السيطرة على أعضائه ، أمام متقلبه رغم أنه رجل كتوم وأغواره عميقة ولا نستطيع أن نتبين من خلال الملامح وجهه اذا كان موافقا على الموضوع الذى اتطرحه إمامه أم لا .

● ● وكيف خرجت بهذا الانطباع عن شخصية السادات ؟

— كان ذلك أيام الضجة التى ثارت حول هضبة الأهرام عندما أرادوا تحويلها الى منطقة سياحية تستغلها شركات أجنبية ، فقد جاءته الدكتوراة نعمات أحمد فؤاد ، ومعها زوجها وهى فى غاية التأثير والانفعال طالبة منى أن أتدخل بقلمى لعمل أى شئ فى سبيل انقاذ المنطقة الأثرية بالأهرام ، قائلة : ان هذه جريمة قومية فى حق مصر والتاريخ ، فكتبت مقالا بهذا الخصوص ولكن رئيس تحرير جريدة الأهرام على حيدى الجميل رفض نشره .

وكان السادات قد دعا الى عقد مؤتمر للصحافة المصرية وبعض الصحفيين ، وقد وجهت الى الدعوة رغم أنني لست صحفيا فوجدتها فرصة اذا أثار السادات موضوع هضبة الأهرام أن أعلن عن رأيي .

وركبنا في سيارة رئيس الأهرام على حمدي الجمال والدكتورة بنت الشاطي وأنا ، وراحت بنت الشاطي تحدث على حمدي الجمال بشأن موضوع المقال الذي رفض نشره لي ، ولم أشارك في المناقشة ، ثم ساد الصمت لأكثر من منتصف الطريق حتى وصلنا الى مكان عقد المؤتمر الصحفي بالقناطر الخيرية ، وعندما شعرنا بأن هناك حركة غير عادية مما يعني قرب حضور السادات ترك على حمدي الجمال مكانه ، ويبدو أنه شعر أنني سأثير موضوع هضبة الأهرام فأراد أن ينبهني الى عدم الكلام ، وأن أدع الحديث للصحافة الأجنبية ، فكتمت ضيقي في نفسي وتظاهرت بموافقتي ، وأنا أنوي إذا جاءت الفرصة أن أعبر عما ارتأيت من رأي تعبرا عن وجهة نظري بشأن هضبة الأهرام ، وحدث بالفعل أن دافعت عن هذه الهضبة بكل ما جاء في مقالتي الذي لم يسمح رئيس تحرير الأهرام بنشره ، ولم يتكلم السادات ولم يظهر أنه موافق على ما قلته أو غير موافق ، ولكن الحملة التي قادتها الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أنت بنتائجها وتوقف المشروع السياحي الذي كان سيخرب منطقة الأهرام الأثرية .

● ● وماذا كان رد فعل رئيس تحرير الأهرام على حمدي الجمال ؟

- قال لي أنني كذبت عليه لعدم التزامي بعدم الكلام مع السادات في موضوع هضبة الأهرام . فقلت له : ألا يكفي أنك منعك نشر مقالتي وتريد أن تعرض علي ألا أتكلم أيضا ؟

❶ ❷ من من رؤساء تحرير الأهرام الذين عاصرتهم ترك في نفسك أثرا طيبا ؟ .

- الانسان موقف أولا وقبل كل شيء . اذكر الله بعد هزيمة ٦٧ توقف صدور الملحق الأدبي الأسبوعي للأهرام والذي كنت أكتب فيه ونعري من الزملاء ، فقد رأى محمد حسنين هيكل رئيس التحرير وقتها أنه نتيجة لظروف الهزيمة فلا بد من التقشف ، فشعرت أن وجودي في الأهرام يمثل عبئا خاصا واننى دون أن أكتب شيئا أتقاضى مكافأتي كاملة ، فوجدت أن هذا الأمر لا يجوز وغير مقبول فذهبت الى هيكل وقلت له هذا الرأي فغضب منى وقال : إبق مكانك يا دكتور . . أرجوك . . نحن نتشرف بكم ولا تقل مثل هذا الكلام مرة أخرى .

وفى ذلك الوقت كانت الدكتورة بنت الشاطي عائدة من المغرب حيث تقوم بالتدريس هناك ، ووجدتها مجتمعة مع توفيق الحكيم وهما يتحدثان فى موضوع عدم جواز حصولهما على مكافأتهما فى الأهرام - بعد توقفهما عن الكتابة نتيجة لالغاء الملحق الأدبي الأسبوعي الذى كانا يكتبان فيه - مراعاة لظروف البلد الاقتصادية ، فقلت لهما : لا تحاولان فقد تحدثت الى هيكل بראيكما فطلب منى عدم التحدث فى هذا الموضوع مرة أخرى .

❶ ❷ نعود الى السادات . . ما رأيك فى مبادرته السلمية ؟

- أحب أن أذكر أنه قبل مبادرة السادات السلمية بزيارة القدس كانت هناك مبادرة من المستشار الألماني « فيلي برانت » لمحاولة مد جسور السلام بين العرب واسرائيل وذلك بأن اقترح عقد اجتماع بين شباب ومفكرى العرب واسرائيل ، وأن يكون مقر الاجتماع فى برلين ، ووجه المستشار الألماني الدعوة لعقد هذا

الاجتماع وكنيت ضمن المدعوين ، ثم جاءني خطيب آخر يخبرني بتأجيل موعد الاجتماع الى حين اشعار آخر حتى تكتمل الترتيبات اللازمة لانعقاده ، وقبل أن تخرج مبادرة المستشار الألماني الى حين التنفيذ كان السادات قد قام بمبادرته الى القدس .

والسلام مع اسرائيل ناجح لولا أصوات المتطرفين الأعلى من أصوات المعتدلين ، ويشجعهم على ذلك وجود حكومة يسيطر عليها المتطرفين ، واعتقد أن المثقفين الاسرائيليين لا يحبون « مناحم بيجن - رئيس وزراء اسرائيل » عندما أجرى الحديث في مارس ١٩٨٣ - ويرون أن تصرفاته لا تخدم اسرائيل قدر ما تضر بها ، وهذا هو اقتناع الكثيرين من الآباء والأمهات والأبناء الذين يعرفون ماذا تمثل الحرب بالنسبة لهم من آلام وثقتك أسرى .

● ● كتاب قرأته ولفت انتباهك ؟

- القرآن بلغته الشعرية العجيبة التي تجد فيها توازنا بشكل مخصوص .

● ● ملاحظة عامة على العالم الذي نعيش فيه ؟

- العالم باستمرار يتقدم ، وإذا توقف تأخر .

● ● وسندباد يختم رحلاته .. كيف يلخص لنا نتائج هدم

الرحلات ؟

- كلمة واحدة هي « الانسان » لأنه أهم شيء في التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله ، مكانا وزمانا ، فهو سيد المخلوقات بخيره وشره وهو كل شيء لأنه صانع الحضارة والتاريخ فهو المبدع وهو المفكر في الفنون والآداب والفلسفة .. في العلوم وتطبيقاتها ، وفي الكشف عن قوى الطبيعة وما حققه له هذا الكشف من الهيمنة على الطبيعة .

● خالد محمد خالد :

هذا الجيل من الشباب مدلل !

● ● أعيدوا الى صمى أنه سر نجاحى - احذروا النجاح فانه
 قبر مذهب للموهبة - المفكرون مقصرون فى حق مواطنيهم - هذا
 الجيل من الشباب مدلل أكثر من أى جيل آخر - على المرأة أن تختار
 بين العمل أو الامومة - هذا العالم ان لم يستحق نعمة الحياة فمن
 حقير لنا وله أن نزول ويزول معنا - أعز أمنياتى أن أعيش وفى
 يدى قلم صادق مخلص شجاع أموت وهو فى يدى ..

.. أنها كلمات واحد ممن يعملون فى صحت بعيدا عن الاضواء
 والشهرة مصداقا لوصية يوصينا بها ويطبقها على نفسه وهى : دع
 الشهرة والاضواء وفز أنت بالمجد .. انه خالد محمد خالد المفكر
 الاسلامى الكبير الذى اثرنا معه قضايا متعددة .

سألناه : كيف يمكن للفكر أن يقود الحكم ، وهل ضاعت قيمة
 الكلمة ولم يعد لها صوت أو صدى ، ولماذا انقلبت الموازين فأصبح
 الضحك على الناس فهلوة ، والطيبة هبلا .

وأستلة كثيرة أخرى اجابنا عنها مفكرنا الكبير بعد أن ظل
 يعتذر ويعتذر حتى تم اللقاء وجرى هذا الحوار .

● ● هل تعتزل الشهرة والاضواء ياسا من أنه لا فائدة من
 أى شىء ؟ ..

اجاب المفكر الكبير خالد محمد خالد : لا ليس كذلك انما أنا
 أعنى عدم الاستسلام لغواية الشهرة .
 ان الذى يستسلم لغواية النجاح والاضواء والشهرة يفقد

الكثير - لا سيما إذا كان كاتباً أو مفكراً - يفقد الكثير من استقلاليته لأنه يتخلى عن أقدس واجباته وهو التبتل فإذا استسلم الكاتب أو المفكر لغواية النجاح وغرور الشهرة فانك تراه وقد ولى وجهه دائماً شطر هؤلاء الذين يريد عندهم الشهرة ويريد عندهم النجاح ، وأذكر بهذه المناسبة قصة فيلم سينمائي أجنبي رأيت منذ سنوات كان بطله ملاكماً أو مصارعاً ولم تشب حياته هزيمة قط وكأنه أصم ولكن المعجبين به لا سيما من ذوى اليسار والثراء قرروا أن يجزوا له عملية جراحية تزد عليه سمعه إذ كان صممه هذا طارئاً اغتوره ففى طفولته . وفعلوا وجدوا الجراح الكبير الذى رد اليه سمعه ، فإذا به يهزم هزيمة ساحقة وتأتى المباراة الثانية والثالثة ويمنى فيها بالهزائم ، وفجأة تراه ينطلق كالمجنون الى عيادة الطبيب ويأخذ بخنقه وهو يصيح رد على صمى ! ..

هذه قصة مدلولها رائع ومفيد جداً وهى تظهر كيف أن هذا البطل عندما كان يمارس موهبته بعيداً عن غواية الشهرة كان مالكا لموقفه ولزمام أمره ولقوة ارادته ، لتفرغه المطلق لما كرس له ، فلما صك التصفيق أذنيه وأدار رأسه بعد أن استرد سمعه تشمتت قواه الباطنة وأصبح موزعاً بين هذه الضوضاء الصاخبة .

وليس معنى ذلك أن كل إنسان يناله حظ كبير من الشهرة أو من النجاح يكون معرضاً للمصير المماثل .

وأنا أذكر عبارة قيّمة للأديب الفرنسى الكبير « ديهاميل » وكان مع كونه أديباً كبيراً كان طبيبياً كبيراً يقول : احذر النجاح فإنه قبر مذهب للموهبة ، وهو طبعا لا يرفض النجاح ، كمزية يستحقها من يعمل مخلصاً فى حياته ، إنما يعنى غواية النجاح ، وقلما بل نادرا ما تجد إنساناً ارتقى الى ذرى النجاح والشهرة ثم لم يستسلم

لغوايتهما . . . اذا وجدت انسانا من هذا الطراز فذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

● ● لماذا يظلم هذا العصر جيلنا في وقت غابت فيه الاسوة
الحسنة ؟

اولا انا لا ارى هذا الظلم الذي نتحدث عنه ، ان اولى من كلمة
الظلم هنا كلمة التدليل ، فشباب هذا الجيل مدلل أكثر من حظ
الاجيال السابقة :

● ● كيف يكون الشبان مدلا في ظل ازمت يعاني منها
كعدم قدرته على الزواج لعدم وجود مسكن . . . اليست مثل هذه
امور تشكل ازمت نفسية تنفي وجود أى تدليل ؟

- انا لم أقصد بكونه مدلا أنه يحيا حياة هائلة رغيدة مستقرة
فوائدا قصدت أن وسائل اللهو والتزف التي تتاح له الحياة معها
وان لم يمتلكها تجعله لا يعنى بالبحث عن تلك السكينة التي في
أطلها تتكون الشخصية المفكرة الواعية المثقفة ، أنه يعيش في وضوء
ملهية ، وحظه من العمل الجاد والهادف غير كثير .

● ● وهذا يعنى غياب الاسوة الحسنة ؟

- ليس على وجه الأرض مجتمع مؤمن أو ملحد خير أو شرير ،
صالح أو فاسد ، يخلو من القدوة الحسنة ، وقد ألهم الله كل نفس
فجورها وتقواها ، والحلال بين والحرام بين ، فأنت اذا كنت طاهر
النوايا ذكى القلب قوى الإرادة تستطيع أن تكون قدوة ذاتك اما أن
نتهم المجتمع بخلوه من القدوة الحسنة فهذا والحقيقة ضدان
ونقيضان .

● ● إذن فما سبب ضياع هذا الجيل ؟

— أولا هذا الجيل ليس ضائعا ، واذا كان هناك بعض جوانب الضمور والنقص في شخصيته فذلك راجع الى اعتبارات شتى أولها المناخ الذي ولد تحت عباءته ، وشب فيه هذا الجيل .

● ● أنكم بهذا معشر المفكرين تبرئون ساحتكم من مسئولية جيلنا ؟

— من تمام الحقيقة أن أوافقك على المسئولية التي يحملها بعض المفكرين لا جميعهم تجاه هذه القضية ، والشباب أيضا مسئول عن نفسه ، أن جيل الشباب المعاصر يقترب من الضياع بقدر ما يبتعد عن الثقافة ، فاهتماماته الثقافية ضحلة ومشكولة ، وأذكر ان جيلنا كان خيرا منه في هذا المقام ، انى أضرب مثلا عن نفسي وأنا تلميذ في الرابعة عشرة من عمري ذهبت لاشتري أول كتاب خارج عن نطاق الكتب المقررة فاتجهت الى عدة مكتبات لآتخير كتابا أطالعه مطالعة حرة أو بتعبير أصح أستهل ثقافتى العامة ، وأذكر أننى بعد استعراض العشرات من الكتب اخترت كتابا سياسيا عميقا وهو قطعا كان فوق مستوى سنى ، ذلك الكتاب هو (مذكرات لورد جراى) ولورد جراى هذا كان وزيرا لخارجية بريطانيا في الحرب العالمية الأولى ، فتصور فتى فى الرابعة عشرة من عمره يختار مثل هذا الكتاب الذى كتب لمستويات أعلى بكثير عن مستوى عمره وفكره وثقافته ، كنا فى مجموعنا أعنى مجموع جيلنا وليس كله طبعا يحدونا طموح عظيم لكى تكون لنا أفكارنا وثقافتنا وشخصيتنا ، وكان سبيلنا لهذا هو الاقبال على القراءة والازدحام حول المحاضرين فى الأندية ومدرجات الجامعات ، وكنا نتنفس هواء نقيا طلقا ، هو هواء الحرية التى هى أئمن ممتلكات البشر منذ أبيهم آدم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

● ● ولكننا افتقدنا الضمير وانقلب الامور فاصبحت الطيبة « عبثا » وسداجة ، واصبح من يضحك على الناس يسمى « فهلوى »

**وشاطر « والذي » يكشر » في وجه الناس يسمى حازما . . لماذا
انقلبت الموازين ؟ .**

— هذا يمثل اختلالا خطيرا في الموازين ، وهو لا يضنار به
الشباب وحدهم وانما يلحق الاذى بالامة كلها ودحض هذا البرهان
ونفيه عن حياة المجتمع واجب الحاكم والمفكر والكاتب والصحفي
والمذيع والمعلم ، بل يجاوز هؤلاء جميعا حتى يصبح واجبا على كل
مواطن .

**● ● ولكن أدوات الفكر والتي من المفروض ان تقود مقاومة
مثل هذه السلبيات صارت الى انحدار تعجز معه عن القيام برسالتها؟**

— لا أوافق على استخدام كلمة « انحدار » ولعل أصدق
منها ان تقول كلمة « توقف » ، وهذا التوقف كان واضحا في فترة
ماضية حيث كانت ظروف القهر تضطر كثيرا من الكتاب الصحفيين
بخاصة الى المسايرة والمجاعة ولو على حساب الصدق والحقيقة ، بيد
أنه كانت هناك قلة نادرة حفظت عهدا مع الله ومع الحقيقة ومع
الوطن فلم تسائر ولم تصمت بل جهرت برأيها وباقتناعها في غير
تهيب أو تردد .

● ● والآن هل تغيرت الصورة القائمة ؟

— الآن قد بدأ ما سميناه بالتوقف يتحرك . . صحيح ان حياتنا
الفكرية المائتة ليست بعد في المستوى الذي ينبغي أن تبلغه ولكن
فيما أظن علينا ان نتوقع حياة وخصوبة وتألقا أكثر في المستقبل
القريب ان شاء الله .

**● ● اذا كان الحكم قد قاد الفكر في فترة ما فكيف يمكن
للفكر ان يقود الحكم في هذه المرحلة ؟**

— هذا السؤال يفرض بنا إلى قضية كبيرة ففي ظل الحكم الديمقراطي الصحيح والوثيق يسهل جدا على الفكر أن يقود الحكم ذلك لانه عندئذ يملك من حرية التفكير وحرية التعبير ما يمكنه من أن يقود بفكره مجتمعه كله وليس حكومته فحسب ، هذا اذا كان فكره يتضمن الرشد والصواب لكن في ظل حكم ديكتاتوري مستبد ينكمش الفكر كثيرا لأنه حتى اذا أراد المفكر أن يدفع من حياته ثمن كلمته النزيهة وفكره المتحدى والشجاع فان نظام هذا الحكم يحول بينه وبين نشر أفكاره ، هذا اذا لم يرسله وراء الشمس كما يقول التعبير الشائع .

● ● ولماذا اعتزلت الكتابة لفترة طويلة ؟

— أولا أنا لم اعتزل الكتابة انما كنت في أجازة غير طويلة تمنحني إياها المرحل لكنني والله الحمد أكتب سواء كانت بعض المؤلفات التي كان أحدثها كتاب « الدولة في الاسلام » ، أو بعض المقالات وهي قليلة لا سيما في الفترة التي صاحبتني فيها المرض وأنا دائما أذكر أو أتطلع إلى أمنية تكاد تكون أعز أمنياتي في الحياة فأنا أريد أن أعيش وفي يدي قلم صادق مخلص شجاع وأن أموت وفي يدي هذا القلم .

● ● وماذا يكتب هذا القلم وماذا يقول في وقت أصبح فيه عمل المرأة يطغى على واجبات الأمومة الضائعة ؟

— في الحقيقة قد نلتقي بهذا العرض في حالات فردية قلت أو كثرت ، بيد ان الأمر ليس كذلك بصفة عامة فهناك الكثير جدا من الأمهات اللاتي يستطعن التوفيق بين تبعات الأمومة وبين ممارسة العمل سواء كان هذا العمل سياسيا كان تكون عضوا في البرلمان مثلا ، أو كان يندرج تحت أي من المهام كأن تكون طبيبة أو مهندسة أو معلمة إلى آخر هذه الاعمال .

● ● ولكن ثمة معان كثيرة أضاعتها المساواة بين الرجل والمرأة مما أدى الى اختلاط الأمور بين كون الرجل رجلاً في مجاله والمرأة امرأة في مجالها ؟

— ماذا تقصد بكلمة المساواة ؟ ان ما تتمتع به المرأة المصرية من حقوق هي أهل له وليس ثمة داع يحرمها منه فالمرأة كما تعلم نصف المجتمع ، وفي عصرنا الحديث يفضى عمل المرأة ومساهمتها في الحياة الى خير مفيض يعود عليها وعلى بيتها كما يعود على وطنها ، ولست أعرف حقاً نالته المرأة المصرية تحت كلمة المساواة يمكن ان يدرى بها أو يضغها موقف التحدى لدينها وأخلاقيات مجتمعتها .

● ● ألا ترى أن ما تحصل عليه المرأة بعملها لا يكاد يكفي احتياجات الشخصية من ملابس وزينة وغيرها مما يصيغ الهدف الذي من أجله قد تغزو خروجها الى العمل لمساعدة أسرته ؟

— هذا أفراط في التشاؤم وسنوء الظن فانت تستطيع أن تتعرف على سهولة ويسر الى عشرات الألوف بل مئات الألوف من السيدات النقيات اللاتي لم ينحرف بهن العمل الجاد عن طريق الاستقامة والشرف .

● ● وأين ذهب الرجال اليسوا مكلفين بنفقات الأسرة حفظاً للمرأة من كل مصاعب الحياة لتتفرغ لرسالتها كام ؟

اننا نعاني الحياة ، وليس دفع المرأة للعمل هو الرغبة في اللهو والمبت وازجاء الفراغ وانما يدفعها اليه حاجتها الملحة لأن تنمى دخل زوجها وأسرته حتى يستطيع أهل هذا البيت ان يواجهوا تلك المعاناة وان يتخففوا من بعض أعبائها .

● ● وإذا تعارض واجب العمل مع واجب الأمومة فكيف يكون الاختيار ؟

— اذا تعارض واجب الأمومة مع العمل فاننا من غير ريب
تضع مسئولية الأمومة فوق أية مسئولية أخرى .

● ● مسئولية البشر تجاه بعضهم البعض في هذا العصر
المتساوي . ألا ترى أنها مسئولية ضاعفت وأصبح مصير الانسانية
يلتصق الى القلق ؟

— أنا من طبيعتي التفاؤل وتراني دائما مع القول المأثور
(اشتدى أزمة تنفرجي ، والعالم خلال تاريخه الطويل مرت به من
الخلافات والتناقضات والحروب والاهوال والكوارث الطبيعية
والكوارث التي يصنعها لنفسه ثم نجى منها جميعا . واتخذ من بعضها
مزية وواصل سعيه الى مستقبله ومصيره ، وحتى اذا كان هذا العالم
يدنو من نهايته فليس في ذلك ما يحملنا على القنوط والتشاؤم فانه
اذا كان يستحق الحياة سيبقى واذا كان لا يستحق نعمة الحياة فمن
الخير لنا وله أن نزول ويزول .

خالد محمد خالد



يدافع عن نفسه

اتهم الناقد الأدبي مصطفى عبد الغنى في رسالته للدكتوراه الكاتب والمفكر الاسلامي الكبير خالد محمد خالد بأنه قد تحول من التمرد الى المهادنة وذلك في معرض حديثه عن مواقف خالد محمد خالد قبل الثورة وبعدها فيما تضمنته رسالته عن دور المثقفين في السياسة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٧ ، وقال مصطفى عبد الغنى في بيانه امام لجنة المناقشة عن خالد محمد خالد « انه بدأ متوردا منذ كتاباته الأولى على الثورة ، وراح يؤكد هذا الموقف طيلة الستينات بموقفه في اللجنة التحضيرية وكتايبه الهامين » في البلد كانت الكلمة « و » أزمة الحرية في عالمنا « ، ففي جميع الحالات بدأ تمردا - بالنسبة للنظام على الأقل - مشروعا داخل النظام لا خارجه ، خاصة وأنه لم ينته الى تنظيم حزبي أو أيديولوجي يخاف منه ، وعلى هذا النحو فإنه ينحسب في خانة « المؤيد » رغم « تمرد الظاهر » .

وقد قرأنا ما تضمنه البيان وما ورد في رسالة الدكتوراه خاصة فيما يتعلق بخالد محمد خالد ، فجاء هذا الحوار الذي يفند به ما جاء بالرسالة موضعا لكثير من الحقائق .

مؤرخ تحت التمريض

● ● أ. خالد : ما هو تعليقكم بشكل عام على الرسالة وكتايبها ؟

.. - أود ان اهنيء الأستاذ مصطفى عبد الغنى باجازه الدكتوراه التي ظفر بها في الموضوع الذي تطلب مني الآن مناقشته ، وكنت أود أن أهنته بالرسالة كما هنتاته بالجائزة ، ولكن للأسف لم تتح لي هذه الفرصة ، وأنا اناقش الرسالة بطبيعة الحال من خلال البيان أو

ملخص الرسالة الذي تلاه على اللجنة قبيل مناقشته ، ومن هذا البيان الذي تلوته على مشكورا أرى أن الأستاذ مصطفى عبد الغنى لم يكن ذلك المؤرخ المهيا لكتابة التاريخ ، فهو اذا أردنا انصافه نقول قد يكون مؤرخا غدا واذا أردنا انصاف الحقيقة نقول انه اليوم « مؤرخ تحت التمرين » .

ويضيف الأستاذ خالده قائلا :

« - الأغلظ التاريخية حتى الشكلي والبديهي منبأ الذي ما كان ينبغي ان يفوت مثقفا يعد رسالة تاريخية وتاريخية بصفة خاصة ان يقع فيها ، فهو مثلا يقول انني شجيت عنف الأخوان في الأربعينات ، ولم أكن خلال الأربعينات كاتباً لا في الصحف ولا مؤلفاً للكتب ، ولم أكن محاضراً ، فإين ومتى شجيت هذا العنف ، ثم يقول : ان كتاب « من هنا نبدأ » صدر عام ١٩٤٩ ، والحقيقة انه صدر في مارس ١٩٥٠ ، وقد تبدو هذه الأخطاء التاريخية يسيرة لمن يتحدث حديثاً عادياً فيتذكر وينسى ، لكن بالنسبة لمن يعد رسالة تاريخية فما كان ينبغي له أن يعجز عن استدعاء الزمن القريب الذي حمله هذه الأخطاء التاريخية ، ثم يتحدث عن الضجة الكبيرة التي أحدثها كتاب « من هنا نبدأ » في مجال الفكر فيقول ان هذه الضجة حدثت في الأربعينات ، والأربعينات تمتلئ من أربعين أو واحد وأربعين الى خمسين ، أيضا هنا منزلق تاريخي لا يقبل من رجل يعد رسالة تاريخية عن التاريخ القريب ، وما كان أيسر عليه أن يعرف المواقيت التاريخية الصحيحة لهذا الذي اشار اليه جميعه ، فما أحدثه كتاب « من هنا نبدأ » لم يكن في الأربعينات ، وانما كان في بداية الخمسينات حيث انه صدر كما قلت في مارس ١٩٥٠ ، ولبت بين المبادرة وتحقيق النيابة ونظر القضاء له ثم الافراج عنه وتبرئة المؤلف من التهم الذي أرادت لجنة الفتوى بالأزهر أن تلاحقه بها ،

وأيضاً من الاتهام بالشيوعية التي أرادت النيابة ان تطوقه بها ،
وتوج المرحوم الأستاذ حافظ سابق رئيس محكمة مصر الابتدائية
يومئذ - رحمه الله رحمة واسعة - توج وثيقة الافراج والبراءة بقوله :
ان هذا الكتاب تمجيد لدين الله ودفاع عن حقوق الشعب .

هذه الأخطاء التي تعتبر شكلية بالنسبة للانسان لا يمكن
اعتبارها كذلك بالنسبة لرسالة جامعية تعد وتوثق في اناة وبصيرة
واخاطة .

فرصة ضائعة

● ● كيف ترى اذن موقف المثقفين من الثورة ؟

منهم من اعتقل وسجن ومنهم من قال لنفسه : انج سعد فقد
هلك سعيد ، ومنهم من راح يوازن الأمور ، وكانت أخطاء الثورة
بل جرائمها لم تظهر بعد على مسرح الثورة من عدوان وتعذيب
وقسوة وكبت لحرية الرأي وحرية الكلمة وحرية المعارضة وكل
أنواع الحريات ما عدا الحرية الاجتماعية التي سارت الثورة فيها
شبوها ، وكان منهم من استقرأ التاريخ وعلم ان كل يوم يمر بشعب
قامت فيه ثورة يشرف ويهيمن عليها قادة أو ضباط من القبوات
المسلحة فان هذا اليوم يمثل فرصة ضائعة لحق الشعب في
الديمقراطية التي فيها طمأنينته وسلامه ، كما هو في نفس الوقت
فرصة هوائية لدعم الحكم العسكري الذي يهيمن على هذه الثورة ،
أما وقد تعرض الأستاذ مصطفى عبد الغنى الى الذات وانتهى بعبقريته
التاريخية الى أنني قد بدأت متمردا وانتهيت مؤيدا ، فهذه مناسبة
لأن أصحح له أخطائه .

الدين للشعب

● نبدأ بأحاديثك في الاذاعة وكتاباتك في الجمهورية ؟

— خالد محمد خالد : صاحب الرسالة يقول اننى فى الاذاعة وفى « الجمهورية » هاجمت عصر ما قبل الثورة ، ولم يحدث فى حياتى قط أن تنكرت لتاريخى وتاريخ آبائى وشعبى المجيد فى مقاومته للاستبداد وفى احتضان قضية الديمقراطية على الأقل بدءاً من سنة ١٩ حتى فجر ٢٣ يوليو ، لكن كنا ننقد الأخطاء حتى والحكومات فى الحكم قبل الثورة ، فلما بدا أن الثورة تجنح الى الديكتاتورية وكان ذلك بعيد قيامها وأدركت اننا والثورة معنا أمام خطر داهم ومزلزل ان لم يأت اليوم فسيأتى غدا ، استأنفت دورى وواجبى ومسئوليتى ككاتب ، وفى أحاديث الاذاعة بدأت تبشير هذا الاتجاه ، فبعد مقابلة مع الأستاذ محمد فتحى رحمه الله الذى كان قد اختير يومئذ مديراً للاذاعة وقال لى فى هذا اللقاء : لقد اتعبتنا ان لنا أسبوعاً كاملاً نفتش عنك فى القاهرة كلها ، وأذكر اننى أجبته باسم : لو انك بحثت فى أحياء الكادحين والبسطاء لوجدتنى من أول يوم .

قال لى : ان مجلس قيادة الثورة مهتم جداً ان يكون لك حديث اذاعى أسبوعى ورحبت قطعاً واخترت عنواناً لسلسلة أحاديث « الدين فى خدمة الشعب » الذى تحول فيما بعد الى عنوان « الدين للشعب » وانتظم كثير من مقالاتى التى تنشر تحت هذا العنوان ، وأول حديث على ما أذكر « حقوق الانسان من حقوق الله » ، ومر ، وجاء الحديث الثانى « ليس فى دين الله اقطاع » ، ومر ، وجاء الحديث الثالث « حق الشعب فى الحرية والسلام » ، ومر ، ثم حديث « حق الشعب فى المعارضة والمقاومة » . وحديثين آخرين لا أذكرها الآن ، المهم انه بعد الحديث السادس مباشرة منعت أحاديثى فى الاذاعة ، فلماذا منعت من قوم كانوا حريصين أشد

الحرص على أن يكون لي حديث أسبوعي مذاق ؟ لأنني بدأت أنبه الى أشياء لا يريدون ان ينتبه الرأي العام اليها ، هذا أول نقد لواقعة تاريخية ضل فيها قلم الأستاذ صاحب الرسالة .

أما عن الجمهورية فقد كانت لها قصة وقد ذكرتها في كتابي « دفاع عن الديمقراطية » ، وخلصتها أنني تلقيت ذات يوم مكالمة تليفونية من الأخ الأستاذ حسين فهمي ، وكان قد اختير رئيسا لتحرير الجمهورية ، وكان المشرف العام رحمه الله السيد أنور السادات ، قال لي ان البكباشي أنور السادات يسعده ان نترب معه فنجان شأى الساعة كذا ، أو الموعد الذي تختار . قلت فليكن اليوم ان شاء الله . وذهبت والتقيت بالسيد السادات رحمه الله رحمة واسعة ، أولا حمل الى رجاء أو رغبة البكباشي جمال عبد الناصر في أن أكون بين كتاب الجمهورية ، فأنا اعتذرت بأنني أحس أن دوري سيكون دور معارضة وأنا ضيق الكتابة في الصحف لأنني أؤثر أن أذكر جهدي ككاتب للكتب والمؤلفات فهي أبقي ، وأخذنا نتحاور في هذا فقال لي : هذه ليست فقط رغبة جمال ولكنه قرار اجماعي من مجلس قيادة الثورة لازم تكتب . طبعاً قالها تكريماً ودعابة ، واتفقنا على الكتابة ، وكنت أرسل لهم مقالا أسبوعياً ، وكان يشترك في مقالات الأسبوع : طه حسين ، وأظن عبد الرحمن عزام ، ومحمد خطاب عضو مجلس الشيوخ ، المهم أننا كنا سبعة نغطي أيام الأسبوع ، وطلبوا بعض المقالات تكون عندهم حتى يختاروا المقال الأول للعدد الأول ، وفوجئت بان العدد الأول يحمل مقالاً ، وليس في هذا ما يعنى تفضيلي على الدكتور طه حسين ، إنما يعنى اعتبارات ثورية وجدوها مناسبة لجريدة « الجمهورية » جريدة الثورة ، ثم علمت فيما بعد أن أنور السادات ، وحسين فهمي كان من رأيهما ان يحمل العدد الاول مقال أستاذنا طه حسين ، وهذا كان حقه طبعاً ، وعرض الأمر على جمال عبد الناصر ، وبعثوا له بسبعة مقالات فاختار مقالاً .

واذكر أن عنوانه كان « لكى نريج الثورة لا خطوة الى الوراء » ، وأظن أن هذا هو الذى رجح اختيار عبد الناصر لهذا المقال ، ومضينا نكتب عدة مقالات ، وبدأت سلسلة مقالات اظنها كانت ستكمل خمسة مقالات أو نحو ذلك ، تحت عنوان ثابت هو « الاخوان والشيوعيون والثورة » ، وكانت هذه المقالات نقدا للثورة تجاه موقفها من الاخوان وموقفها من الشيوعيين ، وهنا قيل لى « توقف » ، وكان السبب المباشر أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين باشا وتهالكت الخناجر عليه لتمزقه حتى من الذين كانوا ينعمون بظله أثناء سلطانه وأنا أذكره كوزير داخلية سنة خمسين. ٥٠ واحد وخمسين ، وأذكر معه ما اسميه ببيع الحرية الذى لا ينسى ، يقولون انه كان يصادر الصحف : نعم كان يصادها شكلا ويعلم انها بعد ساعتين من المصادرة سيطلق القضاء سراحها ، وكانت أغلب الصحف المصادرة تهاجم الملك ، وكان ينقصها فقط كلمة الملك أو كلمة فاروق ، وخذ عينة منه لأخينا الراحل رحمه الله أبو الخير نجيب فى مقاله الخالد « التيجان الهاوية » ، والقضية التى حمل لواءها اخونا عافاه الله ، واطال عمره الأستاذ احسان عبد القدوس هو والأستاذ حلمى سلام ، قضية « الأسلحة الفاسدة » والاثهام مصوب . أساسا وبطريقة مباشرة الى القصر والملك وحاشيته باعتبارهم سماسرة هذه الأسلحة الفاسدة ، وجاء وقت اتهم فيه سراج الدين بمالأة العمل ضد القصر وهو وزير الداخلية ، بل ان النحاس باشا اتهم بأنه على تفاهم مخبوء مع الاتحاد السوفييتى لتحويل مصر الى جمهورية ، أو لنشر الشيوعية فى مصر ، وقام بتوجيه هذا الاتهام الأحمق ، زعماء المعارضة وكتبوا به عريضة للملك حملها الرجل المفكر الأديب د. محمد حسين هيكل رحمه الله ، بجلالة قدره وذهب بها للقاء الملك الذى حولها للنحاس باشا ، وبالتحقيق فى هذا الاتهام اتضح ان رجلا نصابا ضحك على زعماء المعارضة وباشواتها وباع لهم وثيقة مزورة بعشرة آلاف جنيه ، وكان من الممكن ازاء مثل هذه الاتهامات أن يغطى سراج الدين موقفه

على الأقل أمام السراى ، بمصادرة الصحف التى تسبب القصر والملك ،
وللقضاء كامل حريته فى الافراج عنها ، يصادرون الصحيفة أو
المجلة ، والساعة التاسعة أو العاشرة يكون القضاء قد افرج عنها .

فأنا أذكر للرجل هذا الموقف ، ولكن ليس معنى هذا أنه لم
تكن له أخطاء ، بل كنا نناقشه فيها أولا بأول باقى الأساليب وفى
كل الصحف ، ثم رأيت كما قلت الأنياب تنهشه وهو فى سجنه ،
فقررت ان اكتب مقالا اشرح فيه وجهة نظرى تجاه هذا الرجل فى
العامين ٥١ ، ٥٢ ، فكتبت مقالا كان عنوانه « كان للحرية نصيرا »
وكان من المفروض ان ينشر غدا فلم ينشر ، فاتصل بنى الأستاذ حسين
فهيمى وقال نريد مقالا آخر للأسبوع القادم ، فقلت له : لا . فقال
لى : تعال لنجلس سويا لنتفاهم فى موضوع مقالك . وذهبت وأنا
أذكر الواقعة كأنها تحدث أمامى الآن . فتح حسين فهيمى درج
مكتبه واخرج المقال وثنى صفحاته حتى وصل الى الصفحة الأخيرة
وكان ثلثها الأدنى أبيض فارانيها من بعيد وقال لى : لا تؤاخذنى
أنا غير مسموح لى أن تقرأها أو تعرف من الذى وقعها ؟ فنظرت
الى ثلث الصفحة الأبيض وقد رأيتة مليئا بكلمات كرؤوس الدبابيس
دقيقة جدا ، ولو كتبت بخط كبير بعض الشئ أو عادى فانها تملأ
صفحة أو أكثر ، وأدركت طبعاً أن هذا تعليق أو تفسير لرفض
المقال ، وقلت له : اذن أنا لن اكتب . وأخذنى الرجل فى الحقيقة
يحاول اقناعى ، واتفقت معه على أن تكون هذه أول وآخر مرة
يعترض فيها على مقال لى ، واستأنفت الكتابة حتى جاءت مجموعة
المقالات التى ذكرت عنوانها « الأخوان والشيوعيون والثورة » وبعد
مقالين على ما أظن ، أوقفوا نشر بقية المقالات ، وانتهت علاقتى
بصحيفة « الجمهورية » .

اسقاط القيصريّة

❶ ❷ وماذا كان موقفك من قضية الديمقراطية ؟

خالد محمد خالد : أصدرت كتاب « الديمقراطية أبدا » ، جاعلا شعاره « ان أفضل علاج لأخطاء الديمقراطية هو المزيد من الديمقراطية » ، ومتحدثا عن الجيش ، والواضح من الكتاب اننى انادى بعودة الجيش الى ثكناته مشكورا على ما فعل وترك الديمقراطية السليمة تأخذ مجراها ومسارها ، وقلت ان فترات الانتقال (وكانت الثورة قد قررت فترة انتقال حكم مطلق) فى التاريخ تحذرنا من نفسها ، موسولينى طلب فترة انتقال سنة واحدة ، ولم تنته هذه السنة أبدا الا بعد أن شتفه ابناء شعبه فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، اتاتورك طلب فترة انتقال ، هتلر طلب فترة انتقال .. كل الطغاة يطلبون فترات انتقال ثم يسكرهم مذاق الحكم والسلطة فتتحول فترات الانتقال الى حياة دائمة ، فصلت هذا فى كتابى ، ثم قلت اننا كشعب لم يكن هدفنا اسقاط قيصر بل اسقاط القيصريّة أى لم يكن هدفنا اسقاط ملك انما اسقاط كل الرموز التى يرمز اليها هذا الملك من استبداد ، من سلطة مطلقة ، فالقيصريّة لا قيصر هى هدفنا ، واعتقد أن هذا الكتاب فى حينه حمل عن الأمة كلها حتى الذين كانوا يحملون فى دخائلهم وسرائرهم هذا الرأى ولا يطبقون الاقصاد عنه ، أقول ان هذا الكتاب بصورته تلك وبموضوعيته وبمواجهته حمل عن الأمة كلها خطيئة ما حدث يومها من صمت أو من حسن ظن بالثورة فى تصرفاتها الأولى تجاه الديمقراطية •

وعدت الى مؤلفاتى أكتب ، الى ان جاءت سنة ٥٦ ، وأعلن دستور ٥٦ ، فكتبت مقالا وحملته الى أخى رحمه الله الشيخ أحمد حسن الباقورى وقلت له : ان الدستور الآن يواجه مؤامرة صمت مهينة له •

● فلماذا لا يتكلم الناس بشجاعة وطمأنينة على مصائرهم ، على كل حال أنا كتبت مقالا ، وجئتك لتخبر الأخ أنور السادات أنه ليس من حقه • أن يحذف منه كلمة ، فاما أن يرفضه كله أو يقبله كله • فذهب اليه ثم ذهب اليه وأعدت عليه نفس العبارة وقلت : اذا كانت هناك وجهة نظر نتناقش فيها ولا تحذف من المقال كلمة من وراء ظهري • وأخذ السادات يقرأ المقال فلما انتهى منه ابتسم وأذكر أنه قال : يا أخى خوفتنى • • هذا المقال لو مضروب فى سبعة لازم ننشره • ونشر المقال ، وفى اليوم التالى كنت عند الشيخ الباقورى أطرى شجاعة أنور السادات فضحك وقال : يا شرقاوى يا عبيط • • هو لم ينشره الا بعد أن تلاه كلمة • • كلمة على الرئيس عبد الناصر الذى قال له : لا تحذف منه كلمة • ونشر المقال الذى كنت أركز فيه على مناقشتى للدستور والاتحاد القومى الذى اعتبرته حزبا واحدا ، فخرجت الصحف بمؤتمر صحفى للاستناد فتحى رضوان عليه رحمة الله ، تحمل مانشيت بعنوان « الاتحاد القومى ليس حزبا واحدا » •

ومضت الأمور الى أن اتصل بى الشيخ الباقورى بعد نشر المقال بشهر أو أكثر قليلا • وقال لى ان الرئيس عبد الناصر يريد أن يلقاك كصديق ، كما قال لى ، وسيكون اللقاء عندى فى البيت • وذهبتا فى الموعد المضروب ، وأخذنا نتناقش ساعتين أو ساعتين ونصف الساعة ، وكانت كل المساحة الزمنية مخصصة للديمقراطية ، وتناقشت عبد الناصر وتناقشنى فيها ، ونشرت هذا الحوار فى كتابى أيضا (دفاع عن الديمقراطية) ، وعدت لأعكف على مؤلفاتى وبالذات كانت المؤلفات الاسلامية التى تبرز نفس القيم السياسية التى أذاع عنها سواء من تاريخى للسير أو كتابتى للموضوعات ، وحتى جاءت اللجنة التحضيرية وأبليت فيها بلاء حسنا أنا وأخى الشيخ محمد الغزالي ، ودار الحوار طويلا بينى

وبين الرئيس عبد الناصر رحمه الله ، على مدى ليلتين ، ولما وجدته يتوسع فى سعى الديمقراطية ليدخل نظامه تحتها ، فقامت بتحديد علمى للديمقراطية ، قلت له : ما هى الديمقراطية ، أنها قدرة الشعب على التغيير ، تغيير حكاه وتغيير قوانينه بالاقتراع الحر .

وبعد ذلك صدر كتاب أزمة الحرية فى عالمنا ، وناقشت فيه الميثاق ، قلت فيه اننا لو أحصينا ما قاله شعراء البشر فى تمجيد ما أدركوا شأوا الميثاق ولكن هذا الكلام سيحدث ، ولكى نترجمه الى افعال ماذا نفعل ؟ ، وكنت كما قال الأستاذ مصطفى مرعى رحمه الله ، أول من نادى أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، وكنت أتصور أن وضعها هذا سيمكنها من مهمتها ويجعلها بمنأى عن تناول السلطة التنفيذية ، وحدث أنه بعد صدور الكتاب ، أن الأستاذ مصطفى مرعى ألقى محاضرة عن الكتاب فى نقابة المحامين . ثم أصدر كتابا أيضا لتفنيد فكرتى عن أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، واقتنعت برأيه وأعلنت خطتى فى المناداة بأن تكون الصحافة سلطة رابعة ، وجاء هذا الاكتشاف بعد التجربة التى وضع السادات رحمه الله ، فيها الصحافة كسلطة رابعة ، حيث وضعها كإى مصلحة حكومية وموظفوها كإى موظفين فى أى مصلحة ، فأدركت أن ما أردته من هدف فى أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، بعيد المنال ، فأعلنت خطتى. وشكرت الأستاذ مصطفى ، وكان هذا الاعلان. أظن ، فى مقال أو مقالين نشرنا فى جريدة « الشعب » .

● ● كيف اعارض ثم أؤيد ؟

— هذه القصة . أنا محتاج فيها الى منظر كبير جدا من المراسم الفلكية لكى أرى موطن التأييد ، ولكن يبدو أن أخانا مصطفى عبد الغنى لا يفهم الثورة الا تمردا بالحق وبالباطل ولا يفهم التمرده

الا « نباحا » وضوضاء ، أنا بالنسبة لهذا المفهوم لست ثائرا على الاطلاق ولم أكن كذلك ولا أود أن أكون كذلك ، لأنى بطبيعتى لست « غتري » المزاج ، ولست من يقف ليقول للناس انظرونى ، أنا أذهب الى القيام بمسئوليتى عن اقتناع بغير تردد وفى غير شراسة ، يعنى وأنا أناقش عبد الناصر فى اللجنة التحضيرية قلت كل ما كنت أريد أن أقوله وبخاصة فى الحوار الثانى معه ، عن الديمقراطية واضعا فى اعتبارى أننى أناقش رئيس دولة وأنا أعرف كيف أكون مؤدبا فى كل مواقف نقاشى وحوارى ، فإذا كانت الثورة عنده ، والحوار عنده ، أبدية التمرد ، تعنى أن يكون الانسان متوقحا ، ويكون « نباحا » فله ما يرى .

هذا مثل أضربه ويمكن أن يقاس عليه كثير من مواقف اخوانى الكتاب والمثقفين ، انما اهتمامى بموقفى بصفة خاصة يرجع الى جعلى فى قائمة الذين عادوا مؤيدين . كيف أعارض الثورة فى بداية ارهاصها بالديكتاتورية ثم أويدها وقد لبست كل دروع الديكتاتورية ، وأخذت جرائم السجون والمعتقلات والمخابرات تزكم الأنوف . بأى منطق وبأى حق يستسيغ وهو كمؤرخ لفترة لا تحتاج منه الا عشر التفاتة الى الماضى القريب والقريب جدا ليرى الحق . ناصعا ، كيف يستسيغ لنفسه أن يطلق الأحكام جزافا ؟ وقد كان بودى « لو علمت » أن أحضر مناقشة هذه الرسالة لأرى موقف اللجنة الممتحنة من هذا الهراء التاريخى الذى قيل (قلت .. لقد حضرت المناقشة وانتقدوا الرسالة بالفعل) أضاف خالد محمد خالد قائلا ولو أن من حق صاحب الرسالة أن يأخذ اذن اللجنة ، اذا نشرها فى كتاب ، لو كان ذلك من حقها لوجب عليها أن تلمزه بنشر مناقشتها له ، حتى تبرأ مما ألق هو بالتاريخ ، وباخوة أعزاء مناضلين أحرار من سوء .

الانتفاع بالمعارضة

● ● كيف تحلل ما جاء في الرسالة بشأن المثقفين والمناصب

الرسمية ؟

- خالد محمد خالد : انه كثير التناقض مع نفسه ، فبينما يشجب نضال بعض أو نضال كثير من المثقفين ، أعنى مصداقية هذا النضال ، اذا به يقول انهم زحفوا الى المناصب الرسمية ليسيطروا عليها ، طبعى أنه مادام مثقفا وبدا ولو من وجهة نظره مثقفا ثوريا ، فانه عندما تطوع له السلطة من خلال وظائف رسمية شغلها بقصد السيطرة عليها ، فلا بد أن يكون وراء سيطرته ، سيطرة أفكاره وسيطرة مبادئه من خلال هذه المناصب .

ثم قوله بأن الشيخ المرحوم أحمد حسن الباقورى أثر دور الصمت في النزاع القائم بين عبد الناصر ونجيب ، فهذا خطأ تاريخى . أسمح لنفسى أن أصفه بأنه شائن ، وبخاصة عندما يرد في رسالة جامعية تاريخية ، الشيخ الباقورى من أول لحظات الثورة واختياره بين وزرائها ، ربط مصيره تماما بجمال عبد الناصر مقتنعا بأن الثورة كلها كان مهندسها الأول والحقيقى هو جمال عبد الناصر ، فلم يلزم الصمت ولا ما يجره الصمت من مخاتلة . ثم يريبنى منه قوله بأننى كما قال « أوضع في خالة المؤيد رغم تمردى الظاهر » ماذا تعنى هذه العبارة ؟ انها بكل مقاييس اللغة بل والإنشاء ، تعنى أن تمردى الظاهر كان تمردا مصطنعا يخفى وراءه تأييدا كامنا . ما هذا المنطق وبم يجب عنه الا بأنها سقطة نغفرها لصاحب الرسالة .

أيضا ماذا يعنى بأن تمردى كان داخل النظام لا خارجه ، ما هذه المعميات والفوازير ، ما معنى أن أعارض النظام من الداخل ولا أعارضه من الخارج ، ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن أشد رحاى الى

أوروبا وأشهر هناك بالنظام وبالثورة ؟ ان كل ما كنت أستطيعه وما أملكه هو قلمي ، وكنت أقول ما أقتنع به في حدود النمط الأخلاقي الذي اخترته دائما لكتاباتى ، لعله يريد أن يتساءل وان لم يجب ، وكان من واجبه كمؤرخ أن يجيب ، عن سر الفرصة التي أعطيت لى فى حرية الكلمة أكثر مما أعطيت لغيرى والتي فاخرنى بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر رحمه الله ، أثناء حوار اللجنة التحضيرية ، عندما قال : أنت الوحيد الذى لم يقترب أحسد من حريته ، وأنت كنت تكتب فى الأهرام ما تشاء وأنت الذى خرجت من الأهرام باختيارك ولم يخرجك أحد . هذه حقيقة ، عبد الناصر كان ربما يستحي أن يقصف قلمي أو لأنه كما علمت ييقن كان من قرائى المولعين بتتبع مقالاتى وكتبى منذ صدر « من هنا نبدأ » و « مواطنون لا رعايا » ، ثم مقالاتى الأسبوعية بمجلة «روز اليوسف» الغراء ، فأنا لأنه كما أشار الأستاذ مصطفى عبد الغنى نفسه ، رأيى بعيدا عن كل تنظيم وكل هيئة وكل حزب ولست من أصحاب الشلل ، وعندما سقطت فى حجره كوزير للداخلية أسرار الكتاب والمؤلفين وجد أن موقفى معن فى الاستقلالية واننى لا يقودنى شيء قط سوى اقتناعى ، فزاده ذلك احتراما لقلمي ، وأنا شخصا كلما ذكرت عبد الناصر من خلال علاقتى بالثورة أقول انه الرجل الذى سخره الله لحمايتى . وهذا حق . ففى بعض الأحيان كان يطلب منى أن أعتقل ولو لبضعة أيام وبخاصة بعد مناقشات اللجنة التحضيرية ، حتى لا تنتقل عدوى الشجاعة لدى بعض الناس بعد حوارى ومناقشتى للرئيس عبد الناصر رحمه الله ، وقد قص على أخى الراحل الكبير الأستاذ فتحى رضوان بعد خروجه من الوزارة ، فقال ان شخصية كبيرة سياسية وقانونية اتصلت به تليفونيا وقالت له : لقد أعلنت كوزير للإرشاد أن نقد الدستور مباح ومرحب به وقد أرسلت مقالا فى نقده الى جريدة الأهرام ومضى عليه الآن

أربعة أو خمسة أيام لم ينشر ، وحين سألتهم قالوا ان الرقيب منع نشره . فقال له الأستاذ فتحي رضوان انه لأول مرة يعلم بهذا الموضوع وسيحدث فيه مع الرئيس عبد الناصر . وفعلنا تحدث فيه مع الرئيس عبد الناصر ، وقال له : لا تبال به ، قال : فقلت للرئيس : وأى بأس فى نشر مقاله لقد نشرنا مقال خالد محمد خالد . فقال له : خالد محمد خالد غير موتور . . انه يعارض الثورة ويناقشها وقلبه عليها . هذه واقعة حكاهما لى الأستاذ فتحي رضوان ، وتدل على أن الرجل لم يضق بمعارضتى ، بل جاءت فترة كان ينتفع بهذه المعارضة ، وبمقترحاتى فى كتابى « الديمقراطية أبدا » وكثيرون من عهد سلامة موسى كانوا يطالبون بالعدل الاجتماعى وبلاشتراكية ، ولكنى فيما أذكر كنت الوحيد من بين اخوانى الذى قنن هذا العدل الاجتماعى بالنسبة للعمال فطالبت فى كتاب « الديمقراطية أبدا » فى الفصل الخاص بديمقراطية المجتمع بأن يكون العمال شركاء فى الأرباح بنسبة (٢٥ ٪) وأن يكونوا شركاء فى ادارة الشركات والمصانع ، وهذا ما نفذته الثورة بالفعل فى قوانينها ، وأشياء كثيرة فى بعض كتبى الأخرى ، لم تجعل عبد الناصر فقط ، يطمئن الى معارضتى بل يأخذ بكثير منها فى بعض الأحيان ما عدا طبعاً قضية الديمقراطية تركها لى أسرح بها .

❁ ❁ وماذا كان موقف عبد الناصر منك وأنت تقف فى خاتمة المعارضة ؟ .

خالد محمد خالد : حدثنى الشيخ الباقورى رحمه الله رحمة واسعة قال لى : انه ذات يوم قال لى الرئيس جمال عبد الناصر : تعرف يا شيخ أحمد أنا كنت أضيق بخالد المعارض بعض الشيء ، أما الآن فأنا أفضل خالد المعارض على خالد المؤيد . لانه كان فعلاً قد بدأ ينتفع ببعض وجهات نظرى واقتراحاتى .

وقد قال أخونا الكبير أحمد حسين رحمه الله رحمة واسعة ،
كان يقول ويكرر أثناء زيارتي له : ان عبد الناصر في منتهى الذكاء
حينما يتركك تقول ما تشاء لأنه يعلم أن النقطة الوحيدة البيضاء
في تاريخه يشككها أن ترك خالد محمد خالد يقول ما يشاء ويعارض
كما يشاء ويشجب من الثورة ما يشاء . تلك كانت وجهة نظر أحمد
حسين ، وأنا لا أستبعد هذا خصوصا وأن المعارضة آتية من طرف
لا يريد هدما ولكن يريد تقويمها لا تهديمها وتحطيمها .

(قلت : هل يعنى هذا ان الآخرين كانوا موتورين ؟)

قال خالد محمد خالد : لا أقول ذلك ولا ألقى الله بهـذه
الشهادة ، هذا رأى عبد الناصر وتكييفه لموقفهم انهم كانوا ضده
ويحقدون عليه ويتربصون به ، وهو يتحمل مسؤولية هذا الشعور ،
أما أنا فلا أقول ذلك قط ولا أنفيه ، ربما أنفيه لبعض الأفراد الذين
أعلم أنهم لم يكونوا يحقدون عليه ولم يكونوا هدامين ، ولكنهم أخذوا
بمجرد الظن أو بالتقارير المبالغ فيها أو الزائفة لبعض رجال
المخابرات يومئذ .

صنع القرار

❶ ❷ ما تعليقك على ما قاله صاحب الرسالة حول عدم تحويل
الدولة لآراء المثقفين الى قرارات ؟

- خالد محمد خالد : نحن نأخذ على الأستاذ مصطفى
عبد الغنى : وصاحب رسالة نال بها درجة الدكتوراة أن يربط بين
ما يقوم به المثقفون من دحض ورفض وبين عزوف الدولة عن تحويل
آرائهم الرافضة والداخضة بل والبناءة المقترحة ، الى قرارات ، أي
علاقة بين واجبك كمثقف بأن تصدح بكلمة الحق اذا لم يأخذ الحاكم
بها ، أنت لست فى مكانة السلطة بحيث تحاسب على القرارات
التي تتخذها هذه السلطة ، أنت رجل لا تحمل الا سلاحا واحدا

هو قلمك ورأيك واقتناعك ، وكلما كثر عدد المخلصين الشجعان من خيلة الأفكار والأقلام كلما اقترب اليوم الذى يجعل لأقلامهم وأفكارهم كثيرا من النفوذ بين الشعب بل وبين السلطة نفسها ، وقدما قال نابليون « الأفكار أقوى من الجيوش » ، فالاستخفاف بمعارضة أو ثورية بعض المعقفين لأن ما طالبوا به لم يتحول الى قرارات سلطوية ، هذا ربط غريب جدا بين المعارضة التى لا تملك الا كلمتها ، وبين القرار الذى لا تملكه سوى السلطة بكل أجهزتها . هذا كما يقولون خلط فى الأوراق ، أيضا ما كان ينبغى أن يندخ أو يندخ له أخونا الاسناد مصطفى عبد الغنى .

حتى الرسل كان الله يقول لرسوله « عليك البلاغ » لأنه فضى ثلاثة عشر عاما لا يملك من السلطة نفيرا حتى يصنع الاتجاه أو القرار ، خلال ذلك كان يقول له « ما عليك الا البلاغ » ، فلما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة وبدأ ينشئ المجتمع ويؤسس الدولة وأصبح صنع القرار من حقه ، بدأ يصنع القرار . فالكاتب الذى كل سلاحه قلمه وفكره ليس مسئولا قط عن القرار ولا يثبط من عزمه ولا يهون من شأنه أن مقترحاته وأن طلباته لم تتحول الى قرارات .

ليتها دامت

❦ ❦ ما هى علاقتك بالاخوان وعلاقة الصوفية بهم ؟

بـ خالد محمد خالد : أما عن علاقتى بالاخوان فانا لم أكن عضوا عاملا بها فى يوم من الأيام ولكن كنت من الذين يحرصون كل الحرص على حضور درس أو محاضرة الثلاثاء التى كان يلقيها فضيلة المرشد الراحل الإمام حسن البنا .

والاخوان كدعوة اسلامية كان يسعد كل مسلم أن يكون من

جتودها وأعضائها ، ولم تبدأ مسيرتها تتعرض للمتاعب الا عندما أقحم بعض الشباب أنفسهم عليها بتكوينهم الجهاز السرى الذى قام ببعض الاغتيالات والذى أساء الى الدعوة اساءة بالغة مما جعل الأستاذ البنا رضى الله عنه ورحمه يكتب فى « المصرى » كلمة تحت عنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » .

أما ربط صاحب الرسالة بين فترة التصوف التى تعمّت بها ، والتى أقول دوما كلما ذكرتها « ليتها دامت » ، فقد كانت تغنيى عن الاستغلال بأى دعوة أخرى ، كانت تفيض علينا من الثراء الروحى الشئ الكثير من الغدق الذى لا يرغب الينا أى اتجاه آخر ، لكن لأن الاخوان فى ذلك رغم أن دعوتهم كانت دعوة شاملة تضع السياسة والعبادة فى مجال واحد ومسئولية واحدة الا أنها كانت فى كثير من مناهجها صوفية النزعة ، بل ان الأستاذ حسن البنا رحمه الله وزميل عمره الأستاذ أحمد السكرى أطل الله بقاءه ، وهما اللذان أنشأ جماعة الاخوان ، كانا صوفيّين وكانا من مريدى ومن تلاميذة الشيخ الرصافى رضى الله عنه ، فلم يكن هناك فارق بين مناخ التصوف والروحانية فى الجماعتين ، الجمعية الشرعية التى كنت أنتمى اليها وجماعة الاخوان المسلمين قبل أن يقتحمها كما قلت هذا الشباب المتطرف والعنيف .

مجهز الحقيقة

هل لكم ملاحظات أخرى ؟

خالد محمد خالد : يهمنى أن أشكر الأستاذ مصطفى عبد الغنى اذ أعلن أن تمردى كما يسميه ، بقى متماسكا طوال الستينات ، وبطبيعة الحال طوال الخمسينات التى سبقتها .

ونحن نذكر له رغبته فى الخير . ونقول نشكر له رغبته لأنها

بقيت مجرد رغبة . ولم تشهد الرسالة تنفيذها ولا انجازها على الأقل فى بعض الشواهد والوقائع .

هذا كل ما أستطيع قوله الآن فى سؤالك اياى عن رأى فيما جاء فى رسالة الدكتوراه ، بالذات فى البيان الذى ألقاه صاحب الرسالة أمام اللجنة ، وكل ما أرجوه وقد هنأت صاحب الرسالة بتيله جائزة أو شهادة الدكتوراه أن يتيح لنا الفرصة أن نهنته بالرسالة حين يهم بطبعها فى كتاب فيعطى الحقيقة التاريخية بعض وقته وبعض ذكائه وبعض حرصه على أن يقدم كما قال مفردات تاريخية صحيحة وصادقة تحت مجهر الحقيقة التى نبحث جميعا عنها ، ونولع جميعا بها . . . والله ولى التوفيق .

● أمينة السعيد وقصة الثائرة الهادئة
وهدى شعراوى والملكة فريدة

في بيت عريق في الوطنية نشأت امينة احمد السعيد الشهيرة
 بامينة السعيد التي تعتبر من اوائل الفتيات اللاتي تعلمن في مصر ..
 تعلمت من امها زينب ، الوفاء ، وتعلمت من ابيها الطبيب « احمد
 السعيد » المشاغبة والثورة التي تشربتها في جو معيا بالثورة التي
 انتشرت في مصر ١٩١٩ ، وواصلت تعليمها الجامعي وكانت من اوائل
 الفتيات اللاتي اشتغلن بالصحافة لتصبح أشهر صحفية واول سيدة
 تصل الى منصب رئيس مجلس الادارة ، لدار صحفية عريقة كدار
 الهلال التي استقرت فيها منذ زمن طويل حتى الآن في بابها الأسبوعي
 « اسألوني » بمجلة « الصور » ، وهو من اقدم الابواب الصحفية
 التي تعالج ما يرد اليها من هموم ومشاكل القراء .. وامينة السعيد
 صاحبة تاريخ سياسي فقد كان الوزراء ووزراء الوزارات اصداقها
 لوالدها الطبيب المنتهي للحزب الوطني .. ولقد شاركت في المظاهرات
 الوطنية وكانت تلميذة وفيه لهدى شعراوي وافتتها وزاملتها
 واستمرت تحاول ان تؤدي دورها في خدمة نهضة المرأة وتحريرها ..
 ومع امينة السعيد كان هذا الحوار الذي تكشف فيه عن صفحات من
 ذكرياتها الخفية بين فصول من التاريخ الذي عاشته او اقتربت منه
 او سمعت عنه ممن تثق فيهم .

● ● كيف كانت نشأتك في كنف أب كانت له شخصية
 خاصة انعكست على تربيتك ؟ .

— ولدت في أسرة متطرفة في وطنيتها ، فقد فتحت عيني على
 ثورة ١٩ وعلى والدي قائد من قوادها وكان في ذلك الوقت يعمل
 في أسبوط عاصمة الصعيد ، وان لم يكن صعيديا في نشأته
 وعينيه ، ولكنه عندما تخرج كطبيب اختار أن يمارس مهنته في

الصعيد ، وكان والدى ينتمى الى الحزب الوطنى ، فلما قامت ثورة ١٩ اشترك فيها بروحه ، وأظن أن الأستاذ فكرى أباطلة كان يعتبر نفسه تلميذا أو ابنا من أبنائه ، وذكره فى كتابه « الضاحك الباكى » الجزء الثانى وكان والدى خطيبا من الدرجة الأولى وكان كاتباً له أسلوب رائع حتى خطه كان جميلاً جداً ، فكان يجمع ما بين الروح الثورية وفى نفس الوقت كان طبيباً ممتازاً يعرفونه فى الصعيد ويحبونه ، لدرجة أنه فى حادث معين كان له تمرجى ، عزيز عليه وشاب مثله ، وحدث أنهم انتسبوا والدى كطبيب شرعى للكشف على أحد القتلى ، وكانوا يذهبون راكبين حملاً لعدم وجود مواصلات فى ذلك الوقت ، وفى منتصف الليل أثناء سيرهم وكان ذلك فى موسم الذرة ، وهو موسم القتل الذى يختبئ بين عيدانه القتلة ، أحسوا بتحريك عيدان الذرة واهتزازها فى طريق سيرهم فعرفوا ان فيه ناس يهجمهم منع الطبيب من الوصول الى جثة القتيل ، ويقضوا عليه قبل وصوله ، ففزع « التمرجى » جداً لدرجة أنه فى خمس دقائق ، انقلب شعر رأسه الى أبيض ناصع وهو فى عز الشباب ، وظل شعره هكذا حتى نهاية حياته ، فنهره والدى متعمداً أن يكون صوته غالياً لكى يسمعه المجرمون المختفون خلف أعواد الذرة ، وقال له : لماذا أنت خائف هكذا ؟ لا يوجد أحد يفكر فى قتل أحمد الصعيد « الحكيم » .

وكان والدى محبوباً جداً من الناس لأنه طيب ومحسن ، وكان يعطى للمحتاجين من جيبه ، حتى المدرسين عندما يذهبون للكشف عنده ، كان يقول لهم : وأنتم حيلتكم ايه ؟ خذوا الدواء هدية منى . بالإضافة الى رفضه أن يتقاضى أجراً عن كشفه عليهم .

فكان محبوباً لدرجة أنه عندما سمع المختفون صوته واسمته ، توقفت حركة أعواد الذرة ووصل عند الفجر وقام بمهمته ولم

هذا المثل يدل على أى حد كان والدنا يعتز ببنتاته ويحترمن ،
صحيح أن أربعة منا ماتوا فى زهرة العمر ، ولم يبق سوى كريمة ،
عزيزة ، أمينة ، عظيمة . لكن والدى فى سبيل ارضاء أمى
واسعادها ، كان يعتبرنا هدية من أمى له ، وكان يعاملنا معاملة
الصبيان وأعطانا القوة التى كان يعطيها الأب لابنه الولد بحيث
إننا طلعنا كما ترى ، أو على الأقل أنا طلعت مشاغبة مثله .
وحين أفرج عنه بعد ثلاث أو أربع سنوات من الثبوة ،
سمع أن فيه مدرسة بنات افتتحت لأول مرة فى القاهرة ، وكانت
مدرسة لغات ، فأغلق عيادته فى أسبوط وكان يكسب منها ذهابا ،
وضحي بكل هذا ورحل بنا إلى القاهرة لندخل هذه المدرسة .

روح المشاغبة

● ● هذا عن الوالد الكريم الطبيب أحمد السعيد . . فماذا

عن الأم ؟ .

— أمى كانت أصغر من والدى بخمسة وعشرين سنة ، كان
عمرها ١٢ سنة عندما رأت لأول مرة وهو طبيب ، وكانت مريضة
بالقلب ، لأنه حدث فى فرح أخيهما أن الحديو أرسل موسيقاه
الحديوية للمشاركة فى الفرع ، كتقليد متبع بالنسبة للأعيان
المرموقين ، وكانت الفتيات والسيدات يتفرجن من الشبايبك .
فوقع الكرسى بها إلى الخلف فأغى عليها ، فجاهوا لها بمياه مثلجة
رشوها عليها لكي تفيق ، فكانت النتيجة إصابتها بروماتيزم فى
القلب ، فبدأ الطبيب أحمد السعيد يعالجها ، وكان يراها ملاكا
صغيرا نائما فى السرير ، لأنها كانت رائعة الجمال ، فتعلق بها ،
ولم تكن لفروق السن فى ذلك الوقت أى اعتبار ، فلما تحسنت
صحتها على يديه ، قال لوالدها : لقد عالجتها نصف علاج . . أعطاها
لى فى بيتى أكمل العلاج .

• وكان هذا هو مدخله لخطوبتها • فقال له : خذها يا بنى على
• بركة الله •

ولأنها صغيرة أرادوا أن يخففوا عنها وطأة الانتقال من بيت الى
بيت ، فقالوا لها ان « عمو » الدكتور عنده « براد » شاي يضرب
موسيقى •• وهو يحتفظ لك به عندما تذهبين عنده •

ففرحت بالزواج لهذا السبب ، ولا أذكر فى حياتى أن والدى
قال لأمى : يا زينب • انما كان يقول لها : يا ست زينب هانم •
وأىضا عمى ما سمعت أمى تقول له : يا أحمد • بل تقول أنه :
يا دكتور أحمد بيه • هكذا كان الاحترام المتبادل بينهما ، والذى
انعكس علينا نحن أيضا ، فكان ينادينا بأسمائنا طالما لا يوجد
أحد غريب فى البيت ، وإذا وجد لا ينادينا بأسمائنا مجردة ،
فيقول لى مثلا : يا أمينة هانم • أو : يا ست أمينة • لدرجة رأنا
فى أولى جامعة ، أذكر أن « فريد زعلوك » وكان سياسيا وبطلا من
أبطال الجامعة كان يقود المظاهرات وأنا معه ، وضربت بالكرباج من
البوليس ، وحدث ذات يوم أن دق التليفون ليكلمنى ، وهذه مسألة
غير مألوفة فى ذلك الوقت سنة ١٩٣٠ ، وكان يريد الاتفاق معى
على ما سوف نفعله بالنسبة لنشاطنا السياسى ، ورد عليه والدى ،
فقال له : من فضلك ممكن أكلم زميلتى الأنسة أمينة •

فنادى على والدى : يا ست أمينة •• يا ست أمينة •• تعالى
كلمنى زميلك على التليفون •

فتعجب زميلى من أن والدى ينادينى : يا ست أمينة • فقلت
له : يعنى تريد أن يقول لى يا بنت يا أمينة ١٩ • انه لا ينادينى
وتخذى بكلمة : ست ، وانما كل اخواتى يناديهن جميعا كذلك منذ
الطفولة ، ولم يكن زميلى مصدقا •

حدث أيضا ان محمد باشا محمود رئيس الوزراء ، ورئيس حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد ، كان صديقا لوالدى ، رغم أنه حزب وطنى ، ولكن صداقته كانت تمتد لكل الأحزاب ، فجاء محمد باشا محمود الى بيتنا وكنت حصلت على الابتدائية « البناتى » التى فيها طبخ وأشياء خاصة بالبنات ، وطلب والدى من الشغال أن ينادينى لأسلم على الباشا ، الذى قدمنى والدى اليه قائلا : ابنتى أمينة السعيد حاملة الابتدائية .

فأنا لم إصدق نفسى والتفت خلفى لعل « أمينة » أخرى غيرى موجودة هى التى يتحدث عنها أبى ، وصعدت الى أمى وكانت معها أختى كريمة وقلت لهم عما حدث . فقلتا فى صوت واحد : بإيد قال كدهم للباشا ؟ . ولذلك قالوا له : ايه أمينة وايه يعنى « ابتدائية » بناتى لا طلعت ولا نزلت لكى تتحدث عنها لرجل عظيم كمحمد باشا محمود والذى وصل الى أعلى مستويات التعليم ؟ . فنظر الينا باستنكار قائلا : هو فيه كم بنت فى مصر حصلت على الابتدائية حتى لا أفخر بابنتى ؟ .

هذا الجو يوضح لك مناخ الحب الذى عشت فيه دائما من المودة والشجاعة .

ولما أنهت كريمة وعزيزة الدراسة فى مدرسة الحلمية ، ولم تكن بعدها دراسة أخرى أرسلهن على حسابه الى انجلترا لاستكمال دراستهن ودخلن الجامعة ، ولما جاء دورى أنا كانت الجامعة المصرية قد فتحت أبوابها لنا .

● ● روح المشاغبة التى تعلمتها أو ورثتها من والدى

اعتقد أنها ظهرت فى تصرفاتك مع المدرسين حين يغضبونك ؟

— كنت أهجوهم بشعر مكسر ، وحدث ذات مرة أن أحده
المدرسين ضبطني وأنا غاضبة في الحصة أكتب هجاء له ، وكنا في
نهاية السنة الدراسية ، أقول له ما معناه :

« وداعا أيها العام »

ونعما بيوم الرحيل ،

لقد كنت عاما صبت فيه علينا الرذائل ،

ولم تتق الله فينا » .

وعلى هذا المنوال مضيت أعبر عن غضبي .

فضبط المدرس ما أكتبه وقال لي : اليس من العيب أن
تكتبي هذا ؟

وأقول لك الحق : لقد كذبت وقلت له : هذا الكلام ليس
عليك يا أستاذ وإنما على أحد غيرك . قلت ذلك رغم أنني لا أحب
الكذب ، لشدة جرأتي ، فلا أخاف من الحق أو أن أقول الحق — حتى
الآن — حتى لو علقوني في المشنقة ، ولكنها قفشة المفاجأة من
المدرس وأنا صغيرة لا أدرك جيدا ، هي التي جعلتني أقول له
ما قلت رغم أنه المقصود .

لأنه رجل

● ● من العجيب أن والدك لم تحتل وفاة والدك فتبعته
إلى الرحيل ؟

— مرض والدي ، ولم يكن باستطاعة أحد خدمته شواي ،
حيث كانت أخواتي خارج البيت حيث تزوجن ، ولم يبق سوى
« عزيمة » وكانت في الطب ودراستها ومسيرتها صعبة وكبيرة ،

في حين أنني كنت بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية ، وبإمكانى أن أتغيب ، لخدمته ، وبمجرد أن مات والدى ، دخلت أُمى السرير ولم تغادره الا الى القبر ، فقد أتينا لها بطبيب القلب العظيم « أنيس سلامة » ، الذى سألناه عما جرى لها ، فقال ان حالتها الصحية لم تتقدم أو تتأخر ولكنها فقدت الرغبة فى الاستمرار فى الحياة .

فقد كان والدى بالنسبة لها هو « موتور » الحياة ، لأن قلبها المريض لم يكن يتحمل أن تنجب ثمانية بنات ، وولدا أنجبته قبل وفاة والدى بفترة بسيطة ، وهى مريضة بالقلب ، وكنت أسمع دائما . . تعالوا الست مريضة . . الست حياتها فى خطر . فلم نتمتع بأمان ، لأنها كانت دائما مريضة ، ولكنها عاشت من أجله واستمرت تنجب لعلها تأتية بالولد ، ولم تتحمل الحياة بعده ، فكان أربعين والدى هو يوم جنازتها .

وكانت تلك مأساة لنا فاضطررنا أن نربى بعضنا ، الكبيرة نربى الصغيرة ، ونحن جميعا لتربية أخونا الأصغر الذى نجح فى حياته وتزوج ، وأذكر أن والدى اذا حدث وقسا عليه كنا جميعا فحشج ، وتقول له ، كريمة : لماذا تفعل معه هكذا واذا فعلنا نفس الشئ تدللنا .

فكان يقول لنا : لأنه رجل .

فقال له كريمة ذات مرة : ربنا يعطيك طول العمر . . لكنك لن تعيش لنا طول العمر . . واذا وجدنا مفضلات عليه سيكرهنا فلازم نعيش نحب بعضنا الى أن نموت :

وهذا ما حدث فعلا

الصراخ في وجه الملك فؤاد

● ● أقاربك خاصة أخوالك لهم صفحات وطنية لا شك أنها انعكست على تكوينك بالإضافة الى تأثيرات الأب والأم ؟

- « خيلاني » اشتغلوا بالحركة الوطنية في فترة مبكرة وطرّدوا الى سويسرا ، ومنع جدي من مساعدتهم ماليا ، وكادوا يموتون من الجوع سنوات وسنوات ، وحين قامت الحرب العالمية ، انضموا للجيش التركي الذي كان ضد الانجليز ، وهربوا الى تركيا للمشاركة هناك في الحرب ، ولم يعد خالي « توفيق طلعت صبور » هو وأخيه عباس ، الا بعد ١٣ سنة من النفي ، والاثنين استقدا من دراستهما للطب ، وصارا طبيبين ناجحين .

أصغرهم كان اسمه « مختار » . كان الصديق الحميم « لبراهيم الورداني » في جمعية اسمها لا أذكر ايه . . . السوداء ، كانوا يشتركون مسدسات ، ويتمرنون في الصحراء ، على ضرب الانجليز . وفي يوم من الأيام جاء « محمود اسماعيل » أحد الثلاثة الذين أعدموا في مقتل « البردار » ، وكان صديقا حميما لخالي مختار ، وكان هذا الرجل « كمساري » في القطار المسافر من القاهرة للصعيد ، هذه مهنته ، وفي نفس الوقت هو عضو في الجمعيات السرية ، التقى بخالي في قهوة « البسفور » التي كانت موجودة بميدان الأوبرا ، التي كانوا يجتمعون في ركن منها ، وقال له : أما حصلت حاجة يا مختار ونحن ذاهبين الى الصعيد أميس وأنا أفتش على الدواوين الساعة « ١ » بالليل والقطار ماشي برقف من أحد الدواوين وأنا أفتح بابها ، رجل يجمل مسدسا اتضح لي أنه « الهلباوي » صاحب فضيحة الدفاع عن الانجليز في حادثة « دنشواي » .

وكان الهلباوى هذا معرضا للقتل من الوطنيين ، وأضاف هذا
« الكمسارى » الوطنى : لقد وجدت في يده مسدسا لم أره من قبل .
وراح يصفه له .

فقال له خالى : أنا عندي واحد مثله فى جيبى سأمرره لك من
تحت الترابيزة لترى إن كان مثله أم لا .

فقال له : أنه مثله تماما . وسأله ان كان به رصاص .
وطلب منه تفريغه منه . ففعل ، ونسى الرصاصات التى فى
الماسورة ، وراح زميله يجرب المسدس وهو معتقد أنه فارغ من
الرصاص ، فانطلقت الرصاصات المسية فى بطن خالى ، فأمسك
بورقة وقلم وهو يموت وقال انه صاحب المسدس وأنه هو الذى
أعطاه له وطلب منه أن يفعل ذلك ، حتى لا يقبض عليه بسببه .

فى مثل هذا الجو نشأت فى حي اسمه « الجبرا » بأسسيوط
فى بيت كبير ، وأمامنا بيوت « الهلالية » ، وأمام بيتنا ثلاث
شجرات « لبخ » التى فيها الزهرة الحلوة التى أسميها « ذقن
الباشا » ذات الرائحة الجميلة ، وكان كل بيت محترم له « قرن »
خاص به فوق السطوح وله « الحيازة » الخاصة به ، بحيث « ناكل
الحبز » « طازة » أولا بأول ، ويجوار البيت حوالى خمسين فدان
أرض فضاء ، اتخذ منها الانجليز مخزنا « لتبن » « بغال السلطة »
وفيه كباسات لوضع هذا « التبن » فى « بالات » . وقد قامت
« صالحة » الحيازة الخاصة بنا بأشغال النار فيها ، كما حكى
أمى - فقد وضعت كؤوب الكيروسين « ونخباته تحت « طرحتها » ،
وسكبتها ، وأشعلت النار ، التى ظلت ثلاثة أشهر لا يخذ لها
لهيب ، وقد تخطمت شبايبك بيتنا الزجاجية وأحترقت أخشابها .

ولما سمحت لنا السلطة الانجليزية بالالتحاق بوالدنا فى

القاهرة : قام بتأجير « ذهبية » لنا لنصطاف فيها لنعوض أيام الضنك في عييتة ، ولما عدنا الى أسنوط بعد ثلاثة أشهر وجدنا « التبن » لا تزال النار مشتعلة فيه وهى أشبه « بالفوانيس » ، فلم تنطفئ النار بعد تماما ، ولأن الصعايدة عندهم وفاء وفى نفس الوقت لا يستطيعون دخول بيتنا فى غير وجود رب الأسرة ، كانوا الكى يؤتسوننا ويشعروننا بالأمان يجتمعون أمام بيتنا أمام « شجر اللبخ » ويقوم الخادم بانزال الكراسى لهم ويطوف عليهم بالمشروبات ، وكانوا من كبراء الناس ، كالهلالى باشا ، ومحمد كامل مأمور مركز أسنوط ، وغيرهم .

وفى يوم من أيام ثورة ١٩ دق التليفون عبيدنا ، وكان المتحدث علام باشا محمد علام مدير مديرية أسنوط ، أو المحافظ بلقشنا الآن ، فسأل عن « محمد كامل » وأخبره الخادم بوجوده . فلما رد عليه ، أخبره بوجود مظاهرة عنيفة ، ومظاهرات الصعايدة . كانت أشد المظاهرات عنفا ، لدرجة أنهم كانوا يقفزون فى قطارات الأنجليز بأعواد القصب ويقتلونهم بها .

وطلب مدير المديرية من المأمور إلا يتعرض للمظاهرة رغم أنها متجهة لقسم البوليس ، لأننا لا نريد أن نوسع المسألة . فقال المأمور : يافندم حضرتك عارف إن قسم البوليس به أسلحة قد يستولون عليها .

فقال المدير : مهما حدث .. استعمل كل الوسائل الودية ولكن لا تعرض للمظاهرة .

والذى حدث أن الصعايدة هجموا على مركز البوليس وأستولوا على الأسلحة كما توقع المأمور محمد كامل ، الذى قبض عليه وتم تقديمه لمحكمة عسكرية انجليزية ، وقال أنه تلقى أوامر

الجن مدير - المديرية. يصعد التعرض للمظاهرة فتحت مواجهة بمدير
المديرية الذي أنكر الواقعة وقال : أنا لا أذكر أننى قلت له هذا .
وتم اعدام المأمور يوم أول رمضان ، وكان محمد كامل هو
أول شهيد للثورة .

وكانت أمى خلف الباب أثناء مكالمة المدير مع المأمور ولكن
لا يمكن فى ذلك الوقت أن يسمح لامرأة بالوقوف أمام المحكمة أو
يسمح لها بالشهادة ، وحاولت انقاذ المأمور ، وشاع أنها يمكنها
أن تدلى بشهادتها وأقوالها فى هذه القضية ، فقامت السلطات
الانجليزية بترحيلها ونحن معها لنلحق بوالدى فى القاهرة ، حتى
لا تدلى بشهادتها .

ومرت السنوات ، حتى العيد الخامس والثلاثين لثورة ١٩١٩ ،
فكتببت فى « المصور » قصة أسميتها « الثائرة الهادئة » ، أحسن
ما كتبت وكنت أقصد بها أمى ، وإن لم أصرح بذلك ، ولكنى
أشرت الى أنها « زوجة الحكيم » ، وهو لقب والدى الذى أطلقوه
عليه تمييزا له عن بقية الأطباء .

وقد وجدت أهالى أسيوط قد أرسلوا الى بعد نشر هذه
القصة ، أنهم استعادوا الذكرى العظيمة لوالدى ، وأن عندهم
شارع اسمه « العدلية » وهو شارع هام ، أطلقوا عليه اسم شارع
« أحمد بك السعيد » ، ووضعوا خريطة هذا الشارع فى علبة
بالصينى والصدف اهدوها لى ، تكريما لهذا الرجل .

وعندما أيدنى أهل أسيوط فى قصة المأمور الشهيد محمد
كامل والتي نشرتها ضمن قصة الثائرة الهادئة ، قلت لهم عيب
عليكم إلا يوضع اسم هذا الرجل فى قائمة الشرف ، فأجابونى
أنهم فعلوا ذلك ، ثم فوجئت يابن هذا الشهيد وقد صار سفيراً ،

وبحث عن بيتي وجاءني يسألني عن قصة أبيه الحقيقية لأنه نشأ
وحوله الناس يقولون له ان أبيه قد أعدم لحيايته وصاروا ينادونه :
يا بن الخائن . وقال لي ان رأسه واخوته في التراب في طفولتهم
ورجولتهم . حتى نشرت هذه القصة فردت لهم اعتبارهم . وقلت
له : ليست لي مصلحة سوى قول الحقيقة التي ظلت أمي ترددها
حتى آخر نفس في حياتها .

وقد انعكست هذه الأجواء بطبيعة الحال على تكويني ، ولذلك
كنت أكثر طالبة في الجامعة تشترك في المظاهرات ، وضربت وسط
الطلبة بالكرباج ، أثناء الاحتجاج على إبعاد طه حسين عن الجامعة
لرفضه منح الدكتوراة الفخرية لكريم ثابت بناء على طلب السراي ،
وانتهزنا فرصة افتتاح الملك فؤاد للجامعة بصفة رسمية ، وقمنا
بالمظاهرات ، وكنت من القيادات ، ورحنا نصرخ يسقط فؤاد .
فؤاد . الى درجة أنه كان سيغمي عليه وسط السفراء الأجانب
الذين خافوا على أنفسهم وانصرفوا مبتعدين وهم يبرثون أنفسهم
بأنه لا دخل لهم في شيء مما حدث .

مع هدى شعراوي

● كان لهدى شعراوي تأثير كبير من الناحية السياسية
عليك .. فكيف حدث هذا ؟ .

— وكان لها تأثير اجتماعي أيضا ، فقد كانت سيدة عظيمة لم
يرد مثلها حتى الآن ولن يرد لها مثيل ، فقد كانت تملك كل
المقومات التي تجعلها قائدة ، فهي ثرية ثراء فاحشا أففقت منه على
أعمال الخير والكفاح في سبيل المرأة ، وفتحت مدارس لتعليم
البنات .

وفي يوم غضبت على بنات الذوات اللاتي يعملن معها في

الجمعيات والأسواق الخيرية ، ويتكلمن مثل الخواجات وهن مصريات ؛ فجاءت الزوجة منصور باشنا فهمي ، الفيلسوف الكبير وعמיד كلية الآداب بعد طه حسين ، وكان اسمها « انصاف سري » متعلمة في إنجلترا ، وقالت هدى شعراوي لها اننا تريد عمل تابلو ، أو لوحة حية للصحافة العربية ، ولكنها تريد بنات يتكلمن بلدى مثل ومثلك بحيث لما يسمعهن الجمهور يعرف انهن مصريات . وأجابت طلبها ، وكنا في مدرسة شبيرا الثانوية ، فجاءت بى أنا وزميلة اسمها « سعاد » والتي خالها مصطفى كامل . وعقد لنا امتحان في القراءة ، وانتهت التصفية على واختارتنى هدى شعراوي لجريدة « البلاغ » المصرية القمح ، ولفونى بالعلم المصرى ذى الهلال والثلاث نجوم ، وكنت أقدم « التابلوه » وأنا أنشد الشعر وأقول مثلاً :

انا البلاغ المبين

جندى قومي الأمين

سلاحى الحق ولى فيه مقود لا يلين .

قصيدة عظيمة ، كان يقوم بتحفيظها لى « حبيب جاماتى » ، الذى كان يقول لى : اتكلمى عدل ما تبقيش مثل الشوام . وكل واحدة قالت قصيدة وطنية فى جريدتها .

واستمرت العلاقة مع هدى شعراوي التى تمسكت بى ولم تتركنى حتى بعد زواجى وموت أمى وأبى ، كانت كل يوم تبعث لى سيارتها ، لأذهب اليها عصراً ، وتجلسنى بجوارها لتلمينى ماتريد املاءه ، وتحفظنى ما أريد أن أقيه نيابة عنها فى المحافل التى تتطلب الخطابة ، وقد أعجبها صوتى والقائى لأقول عنها ما تريد أن تقول مكتوباً ، فخطبت أمام الملكة فريدة ، والملكة

نازلى ، وأمام أحمد فاخر ، الذى كتبته هدى شعراوى لأجله خطبة سياسية عنيفة لاعتقاله بعض الناس ، وقد أقيمت الخطبة ، وصرخت فيه ونظرت له بغضب ، فصفق لى جمهور الحاضرين .

وثارت هدى شعراوى على سعد زغلول ، لأنه رفض الذهاب مع الأحرار الدستوريين ومحمد باشا محمود فى بعثة واحدة للتفاهم بشأن القضية المصرية ، وصمم ، أما أن يسافر وحده وأما لا ، فاعتبرت ذلك أنانية منه ، رغم أن زوجها على باشا شعراوى كان له رأى آخر .

كذلك وقفت هدى شعراوى أمام فاروق وقفات خطيرة ، حضرتها .

مثلا . . أيام كانت فريدة زوجة لفاروق ، جاءت الأميرة « شويكار » طليقة أبيه ، بعد أن مات زوجها الملك فؤاد ، الذى طردها ومنعها من دخول البلد ، لأن أخو « شويكار » الأمير سيف الدين انتصر لأخته فى خلافاتها مع الملك « فؤاد » ، الذى انتهى به الأمر بتطليقها ، فاعتبر الأمير « سيف الدين » ذلك إهانة ، فضربه بالرصاص ، الذى أصاب رقبته بعامة مستديمة جعلته وسط الكلام « يشهق » ، وأودع الأمير سيف الدين فى مستشفى المجانين ، لأنه من الأسرة المالكة ولا يعقل أن يسجنوه أو يعدموه ، ولما عادت الأميرة « شويكار » بعد وفاة « فؤاد » ، أرادت أن تسترد أمجادها القديمة ، فالتفت حول الملك الجديد « فاروق » تقيم له الولائم وتأتى له بالنساء وترضى عنده الشهوات ، واعتقد أنها لعبت دورا كبيرا فى إفساده ، وفى يوم من الأيام كنا فى الاتحاد النسائى ، وكانت سكرتيرة « شويكار » ، « ماري كحيل » موجودة ، فقامت هدى شعراوى من وسط الاجتماع وقالت لها : اسمعى يا مودموازيل ماري اذهبي وقولى لأميرتك ياتمشي عدل وتعدلى

وتبطل خراب البيوت والا ساجاج بهيسا الى آخر البهر . ذلك في وقت كانت الاميرة شويكار قد استعادت نفوذها واصبحت كأنها الملكة تقريبا بعد أن وقع فاروق ولا يزال « عيل » في يديها .

فصرخت بسكرتيرة « شويكار » وهي مفزوعة وخرجت تجرى وتولول :

« وأغضب هذا الملك فاروق وقاطعها ، ولم يهمها شيء . لكن عندما جاءت الملكة فريدة وطلقت الملك فاروق ، وليس هو الذي طلقها ليتخلص منها كما يعتقد الناس ، بل هي التي ضمنت على الطلاق لسوء سلوكه ، جاء اسماعيل باشا تيمور مبعوث السراي ، يطلب مقابلة هدى شعراوي ، وكانت وقتها مريضة بالذبحة ونائمة في السرير . وكنت عندها في ذلك الوقت ، وحاولت اثناءها عن القيام لمقابلة مبعوث الملك الذي جاء يبلغها رسالة منه ، وقلت لها : « يا طنط » - فهكذا كنا نناديها - كيف تقومين . هذا غير ممكن وأنت عندك ذبحة . فقالت : لا . . . سأقوم . . هذا مندوب ملك جاء يقول ان الملك بعثه ليبلغني رسالة .

وقامت لمقابلة مندوب الملك ورفضت أن يصعد لدرجة الصالون الملحقة بحجرة نومها منعاً لارهاقها ، فقال لها رسول الملك فاروق على لسانه :

« أبوس ايديك انك تروحي تعلى فريدة . . قولى

لها مفيش ملك يطلق . . عيب . . كل الملوك تخطي . .

وكل الملكات تعفو أو يعملوا نفسهم موش شايفين . .

وكل شيء له نهاية وأنا مستعد أعمل كل شيء يرضيها

..... وهي تطلب وأنا أنفذ .

• وذهبت هدى شعراوى الى الملكة فريدة فى الاسكندرية فى
اليوم التالى بالقطار ، فصرخت الملكة فى وجهها وصوتت ولطمت •
الى درجة ان هدى شعراوى جاءت تقول لى : البنت دى مهووسة •

وحكت لى عن رفضها العودة الى الملك وقد صممت على
الطلاق ، ويوم حدث هذا وقفت بجوارها هدى شعراوى ، وجمعتنا
فى اربعين سيارة فى مظاهرة كبيرة جدا ، اتجهت الى منزل والدها
الذى اقامت فيه مع ابنتها فادية ، فى الزمالك • وبقية الأولاد ظلوا
فى السراى مع أبيهم ، وهنأناها بالطلاق ، والناس خلفنا يهتفون
هتافات غير أخلاقية :

خرجت الطهارة من بيت الدعارة •

وبكت « فريدة » تأثرا عندما رأتنا •

ورغم مواقف هدى شعراوى هذه ، الا أنها يوم ماتت ، بعث
الملك فاروق بأكبر رجاله للسير فى جنازتها ، وكانت أكبر باقات
من الزهور هى التى جاءت من السراى •

د • مهدی علام :

كنت معلما للملك فاروق

هو واحد من أولئك العلماء الموسوعيين فبعد أن تخرج من مدرسة دار العلوم العليا أرسل في بعثة علمية إلى إنجلترا فاستكمل دراساته العليا في جامعات أكسترا ، ولندن ، ومانشستر ، وقد شملت دراساته الأدب الإنجليزي ، واللغة العبرية ، واللغة الفارسية ، واللغة الألمانية ، وعلم النفس ، وحصل في هذه الدراسات على دبلومات عالية وعلى درجة الدكتوراه ، وعمل أستاذاً بدار العلوم وجامعة الأزهر وجامعة مانشستر وأستاذاً للنقد الأدبي بالمعهد العالي للتمثيل ، واحد مؤسسي كلية الآداب بجامعة عين شمس التي شغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، واللغة الإنجليزية وآدابها ، وعميداً للآداب ، وعميداً لمنتدى اللغة العربية بوزارة المعارف ، ومستشاراً لوزارة الإرشاد القومي (الثقافة) ، ومستشاراً للدكتور الإسلامي ، وعضواً مؤسساً لمجمع البحوث الإسلامية ، وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضو المجلس الأعلى للثقافة ، وعضو المجلس القومي للثقافة والآداب والاعلام ، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية ، ومناصب علمية رفيعة تولاها الدكتور محمد مهدي علام صاحب عشرات المؤلفات وقد كرمته الدولة فحصل على جوائزها التقديرية في الآداب ، ووسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ، ثم حصل عليه مرة أخرى من الطبقة الأولى ، وفضلاً عن نشاطه العلمي فقد كان له نشاطه السياسي ممثلاً لمصر في عدة مؤتمرات ورئيساً لوفدها في جميع المؤتمرات التي عقدت لحركة التضامن الأفريقي - الآسيوي ، وحركة عدم الانحياز ، والحياد الإيجابي - في مختلف بلاد العالم - من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٣ ، ولم يقب د. محمد مهدي علام عن المساهمة في أحداث الوطن من أجل الاستقلال عن المحتل الإنجليزي فكان أياً من ثورة ١٩١٩ العضو الممثل لدار العلوم في لجنة المدارس العليا السرية التي كانت تتلقى توجيهات سعد زغلول عن طريق عبد الرحمن بك فهمي السكرتير العام للجنة الوفد المركزية التي كانت تصدر المنشورات

السرية وجريدة « المصري الحر » السرية ، والتي كان يكتبها مهدي علام وزميله عبد العزيز عز العرب مندوب مدرسة المهندسخانة ، اللذان كانا هما حركة الاتصال بين عبد العزيز بك فهمي واللجنة السرية ، حيث كان كل منهما يذهب اليه في بيته متنكرا في ثياب باعة الجرائد ، ثم مر الدكتور مهدي علام بتجربة نادرة في حياته حينما اختارته وزارة المعارف ليكون معلما خاصا للأمير فاروق ، ولي العهد وقتئذ ليقوم بتدريس اللغة العربية له ساعة في الصباح وساعة بعد الظهر ، ولكنه لم يستمر في هذا العمل الخطير الا سنة وأكثر قليلا ، نتيجة لاصطدامه مع احد الباشوات الذي كان مشرفا على تربية الأمير ، الذي رفض الآراء الثورية للدكتور مهدي علام فضلا عن معارضته في تزييف التواريخ الذي طلب منه تزيينه .

انها رحلة عمر حافلة للدكتور محمد مهدي علام منذ مولده في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٠ بقاهرة المعز ، ومعه كان هذا الحوار الثري الذي بدأناه بالسؤال عن الجانب الوطني من حياته ؟

فقال الدكتور محمد مهدي علام :

في اليوم التاسع من مارس ١٩١٩ علمنا أن مدرسة الحقوق قامت بالاضراب ، فأردنا أن نقوم نحن أيضا بالاضراب في كلية دار العلوم ، ولكننا كنا تحت الأحكام العرفية في ذلك الوقت حيث كانوا يخلقون علينا باب الكلية من الساعة الثامنة الا الثلث ولا نخرج الا في الثالثة والنصف ، وذات يوم كسرنا الباب وخرجنا ، ومنذ ذلك اليوم هيا الله لي أن أقوم بدور ، وهو أن أكون مندوبا لدار العلوم في لجنة ألغت بأسرع ما يمكن ، ولأنه لم تكن هناك جامعة في ذلك الوقت ، فقد أطلق عليها اسم لجنة المدارس العليا وكان هناك مندوب من كل مدرسة عليا في هذه الجمعية ، وقد اختفينا معظم الوقت نعمل تحت الستار ، لأننا كنا نحرر المنشورات السرية ونطبعها ثم نعطيا لمن يوزعونها ، وقد أخطأ كثيرا من الناس حين نسبوا عملها

الى عباس العقاد حين نشر طه حسين كتابه « الأيام » وذكر فيه أن من ضمن أعمال عباس العقاد أنه كان يحرر المنشورات السرية ، وقد صحت هذا في الجرائد وقتها ، وذكرت أن الذين حرروا المنشورات السرية هم لجنة المدارس العليا ، وهم مندوبون عن الزراعة والطب والحقوق والهندسة ، ومنهم ابراهيم عبد الهادى (عن الحقوق) ، وعبد العزيز عن العرب (عن الهندسة) ، وكان لنا اتصال بسعد زغلول عن طريق عبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية ، ذلك الرجل العظيم الذى خرج من الحكومة المصرية بسبب أنه ضرب المفتش الانجليزى حين كان مديرا للجيزة .

وكنا نتابع كل الحركات القائمة على الثورة ، وكان لنا مندوبون وممثلون فى كل المديريات التى تسمى الآن بالمحافظات ، وقد كانوا فى غاية الأمانة والوطنية ، لأننا بعد أن نطبع المنشورات كنا نوزعها عليهم عن طريق بعض موظفى البريد ، وكان هذا دون أى أجر .

وأذكر فيما يتعلق بطبع هذه المنشورات أننا فى أول الأمر كنا نأخذ المنشور مخطوطا باليد ونذهب الى إحدى المطابع الأهلية لنطبع منه عشرة آلاف أو عشرين ألفا ، وكان هذا كافيا وقتها .

وفى يوم من أيام بدء الحركة قبل أن يكون هناك نشاط كبير للشرطة فى مراقبتنا ، أخذت المنشور بعد أن أقرته اللجنة بعد عرضه عليها ، وذهبت فى شىء من الأمن والطمئينة الى مطبعة فى شارع درب الجماميز بالقرب من مدخل باب الحلق ، وكان رئيس المطبعة يقلد ثمن الورق ويتبرع هو بالطبع وطلب منى أن أحضر بعد يومين لأخذ المنشورات ، وعندما عدت وجدت زحاما شديدا على المطبعة ، وبالبحت وجدت أن هذا الرجل قد قبض عليه بسبب

هذه المنشورات ، وتمنيت لو القذافي ، وعندما خرج به الضابط
جريت ووقفت أمامه راجيا منه أن يشير الى ، ولكنه أشاح بوجهه
عني ، فظننت أنه لم يرنى ، فظهرت أمامه من الناحية الأخرى ،
ولكنه فعل ما فعله في المرة الأولى وأبعد نظره عني ، وسار به
الضابط وسرت وسار الناس حتى إدارة الأمن أمام دار الكتب ،
وكان اسمها محافظة القاهرة في ذلك الوقت ، واختفى صاحب
المطبعة داخل إدارة الأمن ، وعدت أسفا حزينا ، وأبلغت اللجنة بما
حدث ، وسرنا في عملنا .

وفي الحقيقة أغلقت عدة مطابع بهذه الطريقة ، ولكن هذه
الحادثة بالذات كانت لها معقبات فيها بعد .

واتذكر ونحن في سنة ١٩٣٢ أى بعد هذه الحادثة بأكثر من
خمس مئة سنة أن كتبت أطبع كتابا لي اسمه « فلسفة الكذب » ،
في مطبعة في « الخرنفش » خلف شارع الخليج ، اسمها مطبعة
« شرف » ، وتعرفت على وكيلها الحاج أحمد ، وفي ليلة من الليالي
كنا نتبادل تجارب الكتاب ، ونشرب القهوة ، فسأله إعجابا
بحروف المطبعة : متى فتحت هذه المطبعة ؟ فقال لي : فتحتها بعد
خروجي من السجن ، ولكني لم أكن مجرما . فقد كنت سياسيا .
فقلت له : كيف ؟

فقص على القصة أنه في يوم من الأيام جاءه غلام وأعطاه
المنشور ، ثم قبض عليه بسبب ذلك ، وقص القصة كلها عندما
كنت أظهر أمامه ، وكان يشيح بوجهه عني . وقال لي : هذا الغلام
لم يكن سيخفف على شيئا بل سيزيد أنه سيتزوج عليه هو أيضا
العقوبة .

فأنا قلت له : أتعرف هذا الولد ؟ قال : لا . فقلت له : لا

لو عرفته ماذا تفعل معه ؟ فقال : سأقبله . فقلت له : أنا ذلك الولد . وتصادقنا منذ ذلك الوقت .

الهروب من المخبر

● ● كيف كنتم تطبعون منشوراتكم السرية بعد أن أغلقت معظم المطابع الأهلية ؟

— احترنا في طريقة طبع المنشورات ، ولكن عن طريق عبد الرحمن فهمي وهو رجل ذو نفوذ في الحكومة المصرية ، تمكن عن طريق الجمارك أن يهرب لنا مطبعة ألمانية يدوية . وقال لنا : لم يبق أمامكم إلا أن تتعلموا جمع الحروف وطبعها . وكانت أول مشكلة قابلتنا هي المكان الذي نضع فيه هذه المطبعة ، فاهتدينا إلى رجل مطبعجي كان يسكن في شارع هو جزء من الدرب الأحمر وشارع الحسين ، وكان يسكن في منزل له بدروم كبير ، وافق على وضع المطبعة فيه ، لأن وجود مطبعة عند مطبعجي شيء طبيعي . بعكس وجودها في منزل أي واحد فينا ، مما يثير الشبهات . ولكن حدث شيء لم أدر له سببا إلى اليوم ، وهو أن هذا « المطبعجي » غالى في طلب ثمن الورق ، ولم نكن نملك سوى مصروفنا الخاص ، فأبلغنا الأمر إلى عبد الرحمن فهمي . فقال لنا : اشترؤا أنتم الورق . وبسنداجة وحماقة ذهبت لاشترى الورق من شارع بين السورين ، وكان مليئا بالمحلات التي تباع ورق الجرائد ، وأنا أعرف هذه المنطقة جيدا ، لأنني أسكن قريبا منها ، وكنت أتبع طريقة المساومة ، وهي أن أذهب إلى محل وآخر حتى أهدى إلى الثمن المعقول والأرخص ، إلى أن أهديت إلى المحل الذي اشتريت منه الورق ، غير أنني لاحظت أنه في كل مرة من المرات التي أدخل فيها المحلات ، أجد شخصا غريبا لم أكن أشك أنه من البوليس السري الذي يبحث عني ، ولم أتيقن من صحة

فكرتني الا بعد ان اشتريت الورق ودفعت ثمنه ، وكانت العادة أن يوضع الورق على عربة يد يجرها حمال لينذهب بها الى المكان الذي يريده الزبون ، وصحبني الحمال بالورق ، ولاحظت أن هذا الرجل الذي كنت أراه ورائي في كل محل أدخله ، يتتبع خطواتي ، ولم يكن لدى شك أنه يريد أن يعرف أين توجد المطبعة - ويؤسفني أن أقول ان السلطة الانجليزية مع الشرطة المصرية في ذلك الوقت كانت حريصة على أن تعرف مكان تلك المطبعة التي تنشر المطبوعات السرية والجريدة السرية التي اسمها « المصري الحر » وكانت تصدر كل شهر .

ولم أدر ماذا أصنع ، وفكرت في أن أخرج من المنطقة الى شارع في الخلف اسمه « درب سعادة » التي تقوم معظم مبائيه على انحناءات ، فكنت أسبق العربية قليلا وأدخل في منحني وأجري ، في الوقت الذي لم يكن الحمال ولا من يراقبني قد وصل الى المنطقة التي سبقت اليها ، وبقيت هكذا من عطفة الى عطفة ، الى أن تأكدت أنه لا يتبعني ، وتركت الحمال بالورق ، مع المخبر السري ، وجريت دون أن أدري ماذا حدث بعد ذلك ، ولكننا خفطنا من نشاطنا في طبع المنشورات ، ولم نجد حلا سوى أن ندفع الثمن الذي يطلبه المطبعجي الذي نطبع عنده في مطبعتنا التي نحفظ بها عنده في بدروم منزله .

وأحب أن أشير الى أن نشاطنا قد مر بمرحلتين ، سرية وهي التي حدثتك عنها ، وأخرى علنية سابقة عليها كنا نقوم فيها المظاهرات ، ولي قصائد وأناشيد كنت أكتبها للطلبة ليرددونها ، ومنها هذه الأبيات :

نحن شبان البلاد نحن اوطان شهاد

ما لنا غير الجهاد فلنمت ولتخيلا مصر

سعد .. هيا امحو الحماية ولنقم للنيل واينة
ثم علمنا الرماية اننا للنيل زخرا
فلنمت ولتحيا مصر
مصر والسودان طورا لا تدع للغير شجرا
ليسير النيل حرا ان طعم النيل مرا
فلنمت والتحيا مصر

● ● رغم هذا النشاط الوطنى العلنى والسرى .. ألم يقبض عليك ؟

- لقد تتبععت الشرطة نشاطى وكثيرا ما كانوا يفتشون منزلى بمعدل مرة أو اثنتين فى الشهر ، واستولوا خلال ذلك على كل الانتاج الوطنى ، غير أننى أتذكر حدثا له أهمية كبيرة جدا فى حياتى ، فبعد أن عدنا الى الدراسة بعد سنة من الاضراب ، وجاءت امتحانات النقل ، حدث فى يوم السبت فى أول يوم للامتحان التحريرى أن لاحظت من شرفة المكان الذى توجد به لجنة الامتحان دخول ثلاث ضباط وثلاثة عساكر الى مدرسة دار العلوم ، وطبيعى أنه لم يكن لدى أقل شك فى أنهم حضروا من أجل ، لأنه معروف أننى الذى يقوم بالعمل السياسى فى المدرسة ، فانقطعت عن الكتابة ، وحدث لى « رعاف » والسبب فى هذا لم يكن خوفا من السجن أو غير هذا ، لأننى كنت معرضا للسجن فى أى يوم من الأيام ، ولكن الذى ضايقنى هو أن يحدث هذا فى يوم الامتحان ، خصوصا وأن القانون « قانون داثلوب » كان يحارب « دار العلوم » محاربة خاصة ، فكان من بين قوانينها أنه لا يسمح بتصلب دلابة فى أى

مادة ، بل يفصل الطالب ولا يعيده ، لأنه كان مقصودا ألا يقبل أحد على التقدم لهذه المدرسة ، لأنه قد عير عنها في تقرير من التقارير : أن هذه المدرسة هي شعلة نار تتقد في سبيل احراق الجيش البريطاني . . . ولا أمان لنا ما ادامت هذه المدرسة باقية . . .

فالذي ألمني أن يحدث هذا التحرك ضدى في أول يوم من الامتحان ، بينما قبل الآن لم يكن الشعور بالحبس أو غيره حاضرا ولا مخيفا بالدرجة التي حدثت لي في ذلك الوقت ، وجاء لي « رعاف » ونزل الدم من أنفى . وأتذكر أن الذى كان يراقب علينا هو زكى بك المهندس ، وكان واحدا من الأساتذة الذى كانوا يعاونونا في الحركة ويعرفون الكثير من أسرارنا . فجاء لي وهو طبعاً قد شاهد الذين حضروا ، وقام يمسح لي الدم ويقول : لماذا لا تكتب ؟

فقلت له : لماذا أكتب ؟ لقد انتهى كل شيء .

فقال : لا . . عليك أن تظل تكتب الى آخر كلمة ودقيقة . . .

واذا استدعيت فأخرج . . وأنت لا تدري ربما يكون مستقبلك كله متوقف على آخر ما تكتب في الورقة . وكانت الورقة في علم النفس الذى كان يدرسه لنا هو ، فكففت الدم وأكملت ما استطعت تحت الظروف الموجودة الى أن استدعيت لحجرة رئيس الامتحان ، فوجدت عنده بعض الضباط ، فخطبني بلغة تجمع بين الشدة والرافة ، وقال لي ان المدة التي مضت منذ أن دخلوا الى أن استدعيت أنا ، كان هو على التليفون مع « راسل » باشا حاكمدار العاصمة وأنه قال له : إن أوامر الحكومة المصرية لا يصح أن تتناقض ، ففي الوقت الذى أصدرت فيه الحكومة أن مهدي علام عليه أن يؤدي الامتحان اليوم ، تصدر أمراً في نفس الوقت

بالقبض عليه ، فهذا تناقض . يا سعادة الحكمدار لا يمكننا أن نوافق عليه خصوصاً أن هذا الطالب هو أول فريسته .

ثم قال لي رئيس اللجنة الامتحان انه اتفق مع الحكمدار على أن يفتشوا بيته ، وإذا وجدوا فيه ما يدينني ، فهو طبعاً لا يدافع عن المجرمين ، وإذا لم يجدوا شيئاً فسأعود إلى المدرسة . وقال لي : وأنا أعدك بأنك تكمل الامتحان بعد غودتك وسأعوضك عن الوقت الضائع فيما بين الذهاب والعودة من المنزل .

وكان صاحب هذا الموقف الذي لا أنساه هو « أسعد بك براده » الذي قال لي : أن علينا أن نطيع الأوامر .

وفي هذا الوقت لاحظت أن أحد الضباط الذين كانوا موجودين قام بصرف زميليه الضابطين الآخرين ، وبقي هو ، وهنا قال له « أسعد براده » : ها هو مهدي علام نجليه ، فأنا تباطأت قليلاً ، فقال لي : هل تحب أن ترسل انذاراً إلى المنزل ؟ ، فقلت له : شكراً أنا أخذ احتياطي على كل حال ، وخرجت ولم يكن في ذلك الوقت عربات وإنما كان هناك الحنطور ، فركبنا في الحنطور ، وطوال الطريق كان الضابط صاحب أعلى رتبة في الثلاثة ، يقول للضابطين الآخرين : أنت تجلس هنا ، وأنت تجلس هناك ، قائلا لكل منهما : فتح عينك جيداً ، إلى أن وصلنا إلى البيت ولم يكن معنا سوى عسكري واحد ، طلب منه هذا الضابط أن يلاحظ الباب والشبابيك بحيث لا يدخل أحد أو يخرج .

وفتح الباب ودخلت ، وأدركت أن صوت الحنطور والخيول قد أحدث ضجة ، فإذا بالدمي نازلة من الدور الأول ، وعندما دخل الضابط كان أول شيء يقوله لي هو : والدة تلك الموجودة في ٢٨٤ فغلي الديم في راسي ، وطلعت أنه يستخرج مني لأنني في قبضته ، فرفعت يدي : أريد أن أضر به ، وأنا أقوله لنفسي أنا ضابط ضابط ، وقبل أن

تقع يدي على وجهه ، كانت والدتي قد وصلت . فإذا بالضابط
يتركني ويذهب اليها ويأخذ يدها ويقبلها . وقالت له : ماذا تفعل
هنا يا عبد العزيز ؟ . فقال لها : «علشان البلوه السوده الي عندنا» !
فاتضح أن هذا الانسان أحد أقاربنا الذي لا أعرفه لقلة
اختلاطى بهم . وسأل والدتي :

● ● هل هناك غرفة محددة لمهدي علام ؟

فكانت له : نعم . . له غرفة فيها سرير ومكتبة .

فقال : سأكتفى بتفتيش هذه الغرفة . وقال لي :

اسمع . . أنا على أمر تفتيش ويحدث أحيانا أنهم يعملون
مراجعة . . من أجل هذا ساعدني على أن أظهر أننا نفتشنا تفتيشا
حقيقيا . فقلت له : إذن تبهدل الدنيا . فقال : تبهدل الدنيا .

وأخذ يضع يده على رف الكتب ويلقى به على الأرض ، ويفتح
أدراج المكتبة ويقلب ما بها ، الى أن جعل الحجرة شيئا من أشنع
ما يمكن . ثم قال لي : ابحث لي عن كتاب تكون فيه رائحة السياسة
حتى لا أخرج بيدي فارغة لأنه ليس معقولا مع سمعتك الموجودة
لدينا أن أخرج دون أن أجد عندك شيئا عن السياسة .

فأخرجت له كتاب « ملاحظات سعد زغلول على الجمعية
التشريعية » ، وأيضا أخرجت له « مراسلات مصطفى كامل مع مدام
جولييت آدم » .

فقال : لم يبق الا أن نعمل محضر من نسختين ، واحدة ستظل
معي وواحدة معك . . وأريدك أن تأخذ بالك لأننا في بعض الأحيان
نأخذ بمنا قنابل ونضعها في منزل من نريد القبض عليه . . ولكن

طبعاً لن أقبل معك شيئاً من هذا .. فإذا حدث تفتيش آخر تأخذ
بالك .. وتطلب محضر من نسختين .

وكتبنا المحضر وشربنا القهوة ونزلنا ، فقال للعسكري على
سبيل التمويه .

هل دخل أحد أو خرج ؟

وقال لي : ان الوقت الذي مضى سوف أعوضه لك .

فقد كان عندي ورقة أخرى في الفلسفة تبدأ بعد نصف
ساعة . وأخذني معه وقال لي : سوف أعود بك الى مكانك مثلما
أخذتك وعلى نفقة الحكومة . واعترف لي أنه كان المفروض أن يقبض
على منذ يومين ، ولكنه ارتبك لصلة القرابة التي بيننا ، ولكنه لم
يجد مقراً من تنفيذ الأوامر ولذلك عمل ترتيباته للقبض على أول
يوم للامتحان .

وأوصلني الى أسعد بك ، وأكملت اجابتي .

وبعد أن انقطعت أخبار الثورة وسافرت في بعثة الى انجلترا ،
وعدت فوجدت هذا الضابط « عبد العزيز عوض » يحضر عندنا كل
ليلة هو وأصدقاء والدي ، يتبادلون القراءة والمناقشات ويشربون
القهوة حتى بعد العشاء ، وكان والدي يصلي بهم العشاء ، ثم يصعد
للنوم ، ويبقى الباقيون وخصوصاً أصدقاء اخوتي الكبار ، وكان
والدي يسمح لنا بلعب الشطرنج أو الدومينو والطاولة في بيتنا
خيراً من أن نتناوله في الخارج ، وظل الضابط « عبد العزيز عوض »
يحضر الى أن جاء في ليلة من الليالي وهو خارج فقال لوالدي وهو
يسلم عليه : « أشوف وشك بخير يا عمي » . فقال له والدي :

خير ؟ ماذا حدث ؟ • فقال له : أنا منقول • قال والدى :
ترقية ؟ • فرد قائلا : لا • سأقوم بعمل وكيل نيابة فى محكمة
مخالفات فى الموسيقى وهذا باختيارى •

(وكانت محكمة المخالفات فى ذلك الوقت تنظر ثمانين أو
تسعين قضية فى الساعة الواحدة) • فقال له والدى : لماذا اخترت
هذا • قال عبد العزيز : أنا ضابط مباحث وأهم عمل عندى هو
المخدرات وأنا بين نارين ، نار الرشاوى المقدمة لى لأترك التجار •
ونار الذين يضطهدوننى لأننى أضطهد التجار • • وأضاف قريشى
الضابط : شىء آخر وهو أننى لم أر فى حياتى ورقة بمائة جنيه •
(وكانت فى هذه الأيام تساوى ألف جنيه حاليا) • وقال : وأنا
لا أدرى لو ورقة بمائة جنيه وضعت فى يدى ماذا سأفعل ؟ إذا
أخذتها سأقع فى الفخ وإذا رفضتها فالنتيجة نفس الشىء سأقع
فى فخ من يضطهدوننى ، فانا أطلب السلامة وأخرج من هذا المجال
وأذهب كوكيل نيابة فى محكمة المخالفات •

وظلت علاقتنا بالضابط عبد العزيز عوض ، مستمرة ، الى
أن انتهى به الأمر وأصبح مديرا لمديرية الفيوم ، أى محافظة بلغة
هذه الأيام !

حوار مع سعد زغلول

● ● ما هى علاقتك بسعد زغلول وهل حدث يوما أن قابلته ؟

— علاقتى بسعد زغلول هى علاقة الانسان بزعيمه ، ولم نكن
نلتقى به لأنه طوال مدة الحركة الأولى كان هو والوفد فى باريس ،
فلم تتج لى فرصة لقائه الا فى سنة ١٩٢٥ بعد أن تخرجت وسافرت
فى بعثة الى انجلترا عدت أثناءها الى مصر فى أجازة لمدة شهرين ،

وفي ذلك الوقت كانت وزارة سعدة زغلول الوفدية الأولى قد سقطت وكان سعد شبيبها بسجين بيته ، وفي أول ليلة وصلت الى مصر ذهبت اليه فاستقبلني استقبالا كريما جدا لأنه كان يعرف عن اسمي ونشاطي وان لم ألتق به من قبل ذلك ، وبقيت معه في منزله نحو ساعة ، وأنا مفتون من الفرحة لأن هذا الزعيم العظيم ظل يتحدث معي ساعة تقريبا ، الا أن العجيب أنه طوال هذه المدة لم يتكلم معي في السياسة ، وكلما حاولت أن أنحرف بالحديث نحو السياسة كان يصرفني عنها ويكلمني عن شئون التعليم . ثم قال لي :

أنا أوصيك وصية . . أنا أعرف ما قمت به في خدمة الأمة سياسيا والآن أنت لك وظيفة أخرى هي وظيفة العلم لأن السياسة الآن بها رجال مأجورون (هذه هي عبارته) هم يأخذون مرتبات للتكلم في السياسة . (وكان يقصد بذلك طبعاً أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت) ثم قال لي : دع السياسة لهم والتزم أنت العلم. الذي أرجو أن يخدمه الله على يدك . وعندما أردت أن أستأذن منه اعتقاداً مني بأنني أطلت الجلوس وكنت قد أخبرته أنني بين بعثتين وأنني في إجازة لمدة شهرين وهذه هي أول ليلة لي ، الا أنني وأنا قائم لتحجته قال لي : نشوفه وشك في خير . .

فخفت لأن معنى هذا أنه لن يراني بعد اليوم مع أن هذه أول ليلة للقاء معه في إجازة طولها شهران ، وظننت أنه ربما حدث مني شيء أغضبته أثناء الحديث معه ،

● ● فقلت له : هل أنا أغضبت دوتك يا صاحب الدولة في الحديث ؟

فقال : لا .

فقلت : لماذا تقول لى نشوف وشك فى خير وأنا فى خلال
الشهرين الأجازه سآزورك كل ليلة ؟

فقال : لا .. لا تفعل .. انك اذا فعلت ذلك لى تعود الى
انجلترا وسيحال بينك وبين ذلك .. فأنا أرجوك ألا تعود الى زيارتى
مرة أخرى لأن منزلى مراقب وأى شخص يتردد على سياتخذ البوليس
السرى اسمه ويتعقب عنوانه وأخشى أن يحوّل هذا بينك وبين
عودتك الى البعثة .

● ● فقلت له : اليس لى أمل فى رجاء واحد وهو أن ألقاك
مرة أخرى ؟

فقال : على شرط أن تكون ليلة سفرك عائدا الى انجلترا ..
ففى الليلة التى ستتصبح بعدها على الباخرة تحضر ، ففى هذه الحالة
لا يدركون اللحاق بك .

قلت له : سأفعل ذلك ولكن طول مدة الأجازه سامر كل ليلة
من هذا الشارع وأنظر على هذا البيت وأتمثل بقول الشاعر :

يا بيت عاتكة الذى اتفرسه

حضر العدا وبك الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصدود واننى

قسما اليك مع الصدود أميل

وقبلت يده وقبلنى ، وكانت آخر مرة لقيته فيها .

عندما طلبوا منى تزييف التاريخ

● ● كانت لك تجربة فريدة كمعلم للغة العربية للأمير

فاروق قبل أن يصبح ملكا .. فكيف حدث هذا الأمر ؟

— هذه مسألة كانت تتعلق بالسراى التى طلبت من وزارة المعارف اختيار أستاذ متخصص فى اللغة العربية بشروط خاصة ليكون المعلم الخصوصى للأمير فاروق . وكانت هذه الشروط أن يكون ذلك المعلم من أصل طيب وذو خلق حسن وليست عليه أى شائبة ، وأن يكون متخصصا فى علم النفس وهذه كانت تنطبق على ، لأن دراستى المتخصصة فى البعثة كانت علم النفس .

❶ ❷ ماذا تذكر من ملامح هذه الفترة أثناء تدريسك لفاروق ؟

— كان فاروق شابا ذكيا مهذبا مطيعا ، ولكن لم تكن الخدمات اللازمة لتعليمه فى أيدي الذين يفهمون هذا ، بل كان فى أيدي قوم من الباشوات لا يفهمون أى شئ من التربية ، ولذلك لم أتفق معهم على الأسلوب الذى ينبغي أن يتبع ، ولهذا لم أستمّر أكثر من سنة ونصف .

وكان من أهم الاختلافات بينى وبينهم أن فاروق كان التلميذ الوحيد الذى يتبادل عليه خمسة أساتذة فى اليوم الواحد ، وهذا علميا غير جائز ، لأنه كان لا يعقل على ولد فى سن العاشرة أن يتبادل عليه :

مهدي علام للغة العربية والدين والتاريخ

شفيق زاهر للرسم والحساب

مستر هانواى للغة الانجليزية

مسيو راينا للغة الفرنسية

ابراهيم خيرى باشا لركوب الخيل

وكان عدد الدروس الأسبوعية لهؤلاء الزملاء نسبيا محدودا لكل منهم ، أما أنا فكان على أن أذهب اليه كل يوم ساعتين ، ساعة

فى الصباح وساعة بعد الظهر . وطبعاً لم تكن هناك قوة بشرية فى مثل سن فاروق تتحمل كل هذا ، صحيح أنه كان مقبلاً على العلم ولكن كان من الصعب عليه أن يركز بسبب ضغط خمسة معلمين عليه ، لذلك اقترحت انشاء مدرسة خاصة للأمير ولى العهد يجمعون فيها معه ثلاثة أو أربعة أو خمسة من مثل سنه من الطبقة التى يريدون أن تختلط به ، ليتبادلون معه الدروس ، ويتجاوب غرائزهم ويتنافسون مع بعضهم البعض ، وبهذا يخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم . وبالإضافة الى أن هذا الاقتراح كان معيباً ومهيناً فى نظر الباشا المشرف على تربية الأمير ، فأننى زدت الأمر سوءاً عندما قلت : ان هذا النظام كان متبعاً فى تعليم أولاد الخديو عباس السابق . وبذلك اتضح أن آرائى ثورية ، وانتهت مدة انتدابى للتدريس للأمير .

لقد كنت أعارض فى تزييف التاريخ الذى طلب منى تزييفه ، بأن يكون الملك فؤاد والده فاروق ، هو الذى ولى الملك يعقوب الخديوى اسماعيل والده . ولما قلت ماذا أفعل بتوفيق ، وعباس الثانى ، وحسين كامل . فقبل لى بكل جرأة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ .

ولما شكوت من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب والقطط ، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان . قالوا : على شرط اخلائها يوم زيارته من الناس .

ولما قلت : أنه محروم من رؤية الناس وهذا سيء الأثر عليه .

قيل : اننى لا أحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به .

وهكذا عزلوا الملك طفلاً وعزلوه عندما اعتلى العرش ، وأودوا به فى النهاية .

تحت قبة مانشيستر

● ● حين كنت في إنجلترا رفضت أن تساجر بلغتيك العربية .. كيف حدث هذا ؟

- عندما كنت منتدبا ضمن عملية التبادل الثقافي بين مصر وإنجلترا سنة ١٩٣٦ ، كأستاذ زائر بجامعة مانشيستر ، نظير عودة أستاذ زائر من إنجلترا الى القاهرة ، وفي خلال هذا الانتداب الذي استمر أربعة عشرة سنة في إنجلترا لم آخذ مرتبي من إنجلترا وإنما كنت آخذه من مصر مرسلا الى عن طريق السفارة ، وكذلك كان الأستاذ الانجليزى فى القاهرة يأخذ مرتبه من إنجلترا ، وكان تبادلا ثقافيا حقيقيا ، ولم يكن من شأنه أن أتاجر بلغتى فى إنجلترا . لدرجة أن كثيرين من التجار الانجليز والأطباء كانوا يحضرون لى ليدرسوا اللغة العربية لمدة شهر أو نحو ذلك ، فكنت أطلب منهم أن يلتحقوا بالجامعة تحت قسم اسمه « الدراسات غير المنتظمة » ، لا يحصلون منها على درجة علمية وإنما يدرسون نتيجة مبلغ صغير يدفع ، وقد خاطبني فى هذا أحد رؤساء الجامعة وقال لى : ما هذه المبالغ التى تحولها علينا وهى مبالغ ثافهة من وجهة نظر الأطباء والتجار الذين سيذهبون الى البلاد العربية ليكدسوا الأموال .. خذهم أنت وادرس لهم وخذ منهم ما يستحق .. فقلت له : أنا هنا تحت نظام التبادل الثقافى لأنشر اللغة العربية والدراسات الاسلامية باسم مصر .. فأنا لا آخذ مليما واحدا .

والحمد لله بقيت طوال هذه المدة وأنا أقوم بخدمة اللغة والدين والثقافة تحت قبة جامعة مانشيستر .

السياسة الاجبارية

● ● بدأت حياتك فى السياسة وانتهيت بعيدا عنها الم

يحدث خلال ذلك أنك رغبت في الاشتغال بالسياسة أو طلب منك العمل بها في وقت من الأوقات ؟

— الجزء السياسي الذي اتصلت به بعد ذلك هو الجزء الاجباري الذي كان علينا جميعا أن نمارسه تحت سلطان الاتحاد الاشتراكي الذي كان يفرض علينا أن نجتمع لجنة العشرين من المجمع كله أعضاء وموظفين ، وترسل لنا بعض التعليمات وهي من « أذقت » ما يمكن ، وكنا نحتقرها أشد الاحتقار ، فتخيل أن مجمعا علميا رفيعا بهذا المستوى تلقى اليه تعليمات خاصة في الشئون الاقتصادية متعلقة بالتموين ، وكان مطلوبا منا أن ننشر بين الناس ما نحافظ به على سمعة الحكومة حتى لا يتهمها أحد بأنها لا تقوم على مصلحة الشعب ، يعني أن تكون دعاية بالنسبة للحكومة في كل مكان ، ولذلك كانوا يجمعوننا لهذا الغرض سواء في مجمع اللغة العربية أو في بيوتنا !

كنت لاعبا قديما

● ● لك مؤلفات هامة في فلسفة العقوبة وفلسفة الكذب . .
فما الذي تقصده بهاتين الفلسفتين ؟

— في فلسفة الكذب بحثت أولا عن نشأة الكذب عنده الانسان ، ثم بحثت عن الكذب في الديانة اليهودية والمسيحية والاسلام ، وبحثت عن علاج الكذب عند المصابين به ، ولم يكن في اليهودية أو المسيحية هذه الوفرة السخية في تحريم الكذب والاحتياط فيه كما وجدت في الاسلام .

أما فلسفة العقوبة ، فهي من ضمن موضوعات علم التربية الذي يدرسه أستاذ التربية ، خاصة فيما يتعلق بعقوبة الطالب وهي مسألة مهمة جدا ، ولذلك هناك خطأ فظيع جدا في ترك عقوبة

التلاميذ والطلبة لتقوم لا يفهمون في هذا الشيء ، ولهذا ألغت كتابي الذي حرمت فيه العقوبة البدنية أولا ، ثم جعلت العقوبة تتدرج من الغضب الى اللوم الى التأنيب الى المقاطعة ، الى الدرجات المختلفة .

❶ ❷ ما هو جوهر نظريتك عن العفو في القرآن ؟

— ليس هناك دين عني بالعفو عناية الاسلام به ، فمع أنه يقول أن الله شديد العقاب ، فإنه يقول أن الله غفور رحيم ، وقد جمعت كل ما في القرآن الكريم عن العفو ، وأخرجت منه نظرية العفو في الاسلام ، أي أنه لا يوجد دين بمثل هذه السماحة والعفو كما في الدين الاسلامي مقارنة بالاديان الأخرى .

❶ ❷ لك نظرية أيضا في الصدقة ما الذي اعنيت به فيها ؟

— لقد جمعت كل ما في القرآن الكريم والحديث الشريف عن الصدقة (وهي شيء غير الزكاة المفروضة) التطوعية ، واستخرجت منها احدى عشرة نقطة للنظرية أهم شيء فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، نهى عن أن يطلب الانسان صدقة ، وقال من طلب الصدقة أو سعى لها يأتي يوم القيامة مزعة لحم ، يعني وجهه يتساقط من الخجل من أنه كان يطلب الصدقة ، ومع ذلك كان يحث الناس على أن يخرجوا الصدقة والبحث عن المستحقين لها لاعطائهم هذه الصدقة .

❶ ❷ هل هناك فلسفة معينة اتبعتها في حياتك ؟

— نعم وهي عبارة لقنتها لأولادي :

(كم احتمينا عما اشتبهينا لغرض أسمي لدينا) .

هذا هو التلخيص لموقفى من الحياة ، اننا قد نشتهي أشياء ولكننا نفكرها ولا نمارسها لأسباب أسمي منها .

● ● هل أنت راض عما يقوم به المجمع اللغوي في خدمة اللغة العربية ؟

– نعم بالتأكيد وفضله لا ينكر سواء كان على لغة الصحافة أو على لغة الكتابة ، وأشد الناس انكارا لفضل المجمع ، الصحفيون الذين استفادوا من كل جهد قام به المجمع الذي قدم عشرين مجلدا في مصطلحات اللغة في جميع أنواع المعرفة من كيمياء وطبيعة وفلك ورياضة ، وغيرها ، وكذلك مصطلحات الكرة عن « الأوفسايد » و « التسلسل » « حامى المرمى » و « الباك » و « الحكم » . هذا من انتاج المجمع ، بل من انتاجي أنا شخصيا ، وأنا طالب ، لأنني أدخلت الكرة في « دار العلوم » ، وكنت أرفض اصطلاحات الكرة باللغة الأجنبية ، فكنت بواسطة أستاذين وأنا معهم نجتمع ، وأترجم لهم اللفظ الكروي الأجنبي ، وهم يقترحون بعض الأسماء ، وفيما بين سنة ١٩١٦ و ١٩١٨ ، استطعت والأستاذان أحمد السكندري ، وفؤاد السعيد أن نضع المصطلحات العربية المستعملة في الكرة ، والتي قبلها المجمع حين عرضت عليه .

● ● أنت اذن لاعب كرة قديم ؟

– نعم كنت لاعبا وأنا طالب في مصر ثم عندما كنت أدرس في إنجلترا .

● ● هل للإتجاهات الحميم للناس حول الكرة دلالة معينة عندك ؟

– في بدئه كان راجعا الى قلة النشاط عند الأولاد ، فلم يكن على أيامنا شيء من المتعة كالتي على أيامكم من سينما أو مسرح أو تليفزيون . لم يكن شيء من هذا متوقفا لنا ، سوى القراءة والكرة ، فكان لابد أن ننفس ومن ضمن تنفسنا لعبة الكرة ، وأخذت أنا

هذا واستمرت فيه ، وعندما ذهبت الى انجلترا لعبت لجامعتي التي كنت فيها ، أما اليوم فان التفاف الناس حول الكرة ، أكثر ما فيه حب التقليد أو أنها موضحة الذي لا يتكلم فى الكرة ولا يتعصب لفريق يعتبر متخلفا .

❶ ❷ دائما ما يقال ان نشاط المجمع لا يلقى العناية الكافية ؟

- نحن لا نستطيع أن ننقطع عن عملنا الداخلى الذى هو عمل الربان لكى نقوم بأعمال دعائية لعملنا .

❶ ❷ هل أنت راض عما مضى من سنوات العمر وما أديته فيها؟

- أعتبر أن عدم الرضى دليل على عظمة الانسان ، ولكننى راض عن حياتى لأننى لم أفعل شيئا أندم عليه أبدا .

❶ ❷ هل كان زواجك عن حب أم لم تكونوا فى زمنكم تعرفون مثل هذه الأمور ؟

- أنا اخترت زوجتى ، وكانت فى شارعى وحارتى ، وكنت أراها ونحن ذاهبان للمدرسة ، وكانت أصغر منى بخمس سنوات ، وكان عندها حياء ، ولم يكن هناك اختلاط ، بل معرفة انتهت الى الزواج الذى استمر ستين سنة حتى رحيلها ، بعد أن أثمر زواجنا ولدا هو الدكتور حسام ، وبنتاهى الدكتورة ثريا ، اكتفيت بهما قبل أن يتحدث أى انسان عن تحديد النسل .

ومن الطريف أن أذكر أنه فى الوقت الذى ولد فيه طفلى رأيت الشمس تسطح مما أوحى لى بمطلع قصيدة أقول فيها :

فى انبلاج النهار اشرقت يا طفل

كما يشرق الضياء حاليا

مثل عمر النهار في الصبح تسلو

ثم تنمو مع النهار فتينا

● ● هل بقي من آمالك شيء لم تحققه بعد ؟

— كثير جدا في خدمة العلم لا أستطيع أن أذكره ، ومعنى بحوث أرجو أن تتم ، ولا تظهر الا عندما تتم .

● ● ما العنوان الذي تضعه على ملف حياتك ؟

— خادم الأمة د . محمد مهدي علام

● د . ابراهيم مذكور :

من استجواب الأسلحة الفاسدة
الى تعريب العلم كله

● د. إبراهيم بيومي مذكور

رجل شئت السياسة أن تلعب دورها في حياته وهو طالب
فلسفته حقه في البعثة ونقل إلى « كوم إمبو » بدلا من لندن ولكنه
أبى إلا أن يضيف إلى ثقافته الشرقية ثقافة غربية فاستقال من وظيفته
وسافر إلى فرنسا على نفقته ولم يكد يمضي عام حتى رد إليه حقه وضم
إلى البعثة مرة أخرى ومن باديس حصل على ليسانس الآداب من جامعة
السوربون (١٩٣١) ، وليسانس الحقوق من جامعة باديس (١٩٣٣) ،
ودكتوراه الدولة في الفلسفة (١٩٣٤) ، فهو كاتب ولغوي وفيلسوف
ومصلح اجتماعي وسياسي اعتقل وسجن في ثورة ١٩١٩ ، وقضى خمسة
عشرة سنة عضوا بمجلس الشيوخ لقد فيها نظام الحكم وتبنى استجواب
الأسلحة الفاسدة ودعا إلى تجديد الملكية الزراعية وكان يريد بالسياسة
أن تقوم على مبادئ ثابتة وأصول واضحة تحارب الطغيان وتتنزه عن
الأهواء ، ولذلك أثر الاستقلال على الحزبية ، واشترك في عدة بجان
خاصة كلجنة المالية والأوقاف والمعاهد الدينية ، التي اضطلع بأعبائها
وكم أثار اعتراضه على بعض الاعتمادات والمشروعات من سخط وغضب ،
واتصل اتصالا عمليا بالحياة الاقتصادية فأشرف على بعض المؤسسات
المالية والصناعية وأفاد منها خبرات وتجارب واسعة ، وإلى جانب
نشاطه السياسي له نشاطه العلمي فهو يدرس ويحاضر
ويكتب ويؤلف وتكلم على يديه عدد غير قليل ممن أضحو أساتذة
ورؤساء أقسام في المواد الفلسفية والاجتماعية بكلية الجامعة العربية
المختلفة ، ومع د. إبراهيم بيومي مذكور كان هذا الحوار من قرية
أبي النمرس بهر مركز الجيزة التي ولد فيها حتى مجيء اللغة العربية الذي
صار رئيسا له ، أو « الدينامو » كما يطلقون عليه ، أو « شيخ
الفلاسفة » كما يسمونه .

يقول د. ابراهيم بيومي مذكور عن رحلة البداية :

أنا نشأت كما نشأ الكثيرون في أوائل هذا القرن ، فكان « كتاب القرية » كما يسمونه هو المعهد الأول الذي التحقت به ، وكان كتاب سيدنا يضم بين عشرة أو خمسة عشر طفلا ، وكانت الصلة بين تلميذ الكتاب وسيدنا ، أوثق مما بين تلميذ ومدرس في فصل عدد تلاميذه أربعين أو خمسين ، وغالبا ما كان شيخ الكتاب من أبناء القرية وله صلات عائلية بالبيت يتردد عليه وربما كان قارئ القرآن فيه ، أو قارئاً لشهر رمضان ، كل ذلك مما كان يوثق العلاقات بين التلميذ وبين المعلم . ولم أقم في الكتاب طويلا الا بضع سنوات تعلمت فيها شيئا من الكتابة والخط لم يكن موضع عناية في كتابتيها القديمة ، ولكن تمكنت من حفظ القرآن وأنا لا أجاوز الثالثة عشرة من عمري .

● ● ألا نستطيع أن نقول اننا في عصرنا هذا نفتقد دور الكتاب ؟

— لا نظن أننا نفتقد دور الكتاب ، لأنه أصبح لا يؤدي الرسالة التي ينبغي أن يؤديها ، لذلك أنا لا أؤيد من ينادون بعودة الكتاب لأن الإنسان في القرن العشرين في سنة ١٩٨٩ يجب أن ينشأ ابنه وأطفاله تنشئة تختلف كل الاختلاف عن أبناء العقد الأول أو الثاني من هذا القرن ، لأن هؤلاء كانوا يعيشون في جو يكفي أنهم يستطيعون القراءة والكتابة ، ولكننا الآن نعيش في العالم ، لا في موقنا ولا في مكاننا ، واذن فيجب أن أعد الناشء حتى الثامنة عشرة اعدادا يجعله صالحا للحياة في القرن العشرين ، في حضارته ، في مخترعاته وتطوراته ، وابن العشرين لا يقنع بأن يقف على بيانات تتصل بقريته وحدها ، بل يريد أن يكون على صلة بالعالم العربي والعالم الأوربي ووسائل الاتصال من اذاعة مسموعة أو مرئية

وصحافة ، الخ . كل ذلك جعل أفاق الانسان المعاصر غير الأفاق التي كان يعيش عليها بالأمس ، ربما كان لا يعرف أبناء القرية المجاورة ولكن الآن لابد أن يكون ابن القرن العشرين ، مع ضرورة أن يحفظ كل ناشئ جزءا من القرآن لتقويم اللسان وتذوق اللغة وبت الروح الدينية ، ولكن أن أحفظ الناشئين جميعا القرآن كله فما كان هذا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين ، فليس من متطلبات التعاليم الدينية أن تحفظ القرآن كاملا ، بل يكفي أن تحفظ منه قدرا ، هذا الى أن نطاق المعلومات الذي كان يرضى به ابن سنة ١٩١٠ في الوقوف عند بعض قصص الأنبياء وما يتصل بذلك ، أصبحنا الآن لا نعد أنفسنا مواطنين الا اذا عرفنا تاريخ الحضارة المصرية والحضارة العربية والحضارة الغربية ، وكل هذا لا يمكن أن يتم الا اذا آتحنأ أبواب هذه المعرفة لهؤلاء ، وقدرنا من القرآن .

● ● الى أى مرحلة انتقلت بعد ذلك بعد مرحلة الكتاب ؟

— شأنا الأقدار أن ينشأ فى القرية التى ولدت فيها ما نسميه المدارس الأولية ، وكان من حسن حظى حقيقة ألى نعمت بأستاذين وأنا فى سن الثالثة عشرة بدأت معهما استكمال بعض الدراسات الأساسية للناشئ من حساب وعلوم وجغرافيا وتاريخ وما الى ذلك ، مع درس فى المطالعة والقراءة ، وكل ذلك كان سهلا ويسيرا بعد أن مرت بمرحلة حفظ القرآن التى تعد الدرس الأول فى كسب اللغة وتفهمها ، فقد كنت أعيش حقا فى بيئة اسلامية صادقة تؤدى حقوق الله من صلاة وصيام وزكاة ، وعناية خاصة بليالى رمضان ، وكم كان لهذه الليالى من أثر فى نفسى ولا سيما بعد أن فقدت تماما فى ريفنا ومدننا ، ولكنها فى العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن كانت هذه الليالى مزدهرة حقا ، وكنا لا نقف فيها عند بيت واحد بل ننتقل من بيت الى آخر مجاملة واطهارا لشعائر الاسلام ، وأذكر أننى بدأت

الصوم ولم ابلغ العاشرة ، وكنت حريصا على أن أستمّر في ذلك ، ولم يعارض والدى أو والدتى حين عرفوا قدرتى على هذا ، وكان من عادتنا الأسرية أيضا تناول الطعام سويا غداء ، وعشاء ، وهذا لون من التربية الأسرية الذى نفتقده الآن ، وكان الشيخ عبد العظيم زاهر لحسن حظى يسهر معى فى بيتى وبين أهلى لمدة أعوام ، وكان صديقا أحب أن أتابع أخباره ، وأسعد بالاستماع إليه .

أمر آخر أحب أن أوجه النظر إليه وكان له أثر فى نفسى ، وهو أن والدى كان مسئولا عن قريته « أبو النمرس » بالجيزة ، وكان يعقد فيها جلسات مكونة من شيوخ القرية لكى يفصلوا فيما قد يجد من خلاف أو منازعة بين بعض الاطراف ، وكانت محكمتهم عادلة دائما ، ولا أظن أن قريتنا طوال هذه المدة قد لجأت فى خصومة هامة الى القضاء أو الى الادارة ، وكان لذلك أثره فى نفسى ، فقد غرس فيها حب المصالحة مع الدفاع عن الحق دائما ، واعتقد أن موافقى النسيبىسيه البرلمانية ، قد تأثرت بذلك كله .

كان طبيعيا اذن فى هذا الجو أن أحفظ القرآن فى سن مبكرة ، ولعل هذا هو الذى دفعنى لأن ألتحق بالمعاهد الدينية ولم أبلغ الخامسة عشرة ، فالتحقت بالمعاهد الدينية فى جامع ابراهيم أغا والسيدة فاطمة النبوية والمردانى ، وكلها فروع مما يسمى بالمعاهد الدينية فى أقسامها المختلفة ، ومررت فى هذه المرحلة بعدد من الشيوخ اذكر من بينهم المرحوم الشيخ مخلوف ، ثم قدر لى فى هذه الفترة أن أعنى بالأدب العربى وأن ألقى بعض محفوظات على شيخنا لدرجة أنهم فى جامع « المردانى » يفسحون لى المجال لألقى ما حفظته على جمع الطلاب عامة ، وكانت الدراسة موزعة بين كراسى ذات فصول ، لكل شيخ كرسى ، وهذا الكرسى فى جانب ، وفى الجانب الآخر كرسى شيخ آخر ، وكان لشيخنا الأزهر هؤلاء أثر كبير فى نفسى ،

ولا أزال وأنا شاب أذكر المرحوم الشيخ شلتوت ، والشيخ المرحوم محمد عبد اللطيف دراز ، الذي كان معنيا بالأدب العربي وبالحفظ الشامل الماثور ، وقد أقيمت أمامه قصيدة أبي العلاء :

• ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل •

وكان تعليقه لى :

• أن لك حنجرة يتمناها الخطباء •

وعلى كل حال لم يطل مقامى فى المعاهد الدينية أكثر من ثلاث سنوات خرجت منها بزاد اقرب الى التمكن من اللغة العربية قراءة وكتابة ، ورجوعا الى بعض المصادر وخاصة الكتب الأزهرية التى منها ما كان ملخصات ، وما كان متونا وشروحا ، ونظام المتن والشرح نظام ازهرى قديم معروف •

● ● اشتريكت فى لجان كثيرة لتطوير الأزهر • • فكيف كانت رؤيتك لهذا التطوير ؟

— كانت نظريتى ولا تزال • • يجب أن يكون التعليم العام فى البلد على وتيرة واحدة حتى لا نخلق مواطنين مختلفين فى لغتهم وطريقة تفكيرهم ، انما نريد أن نعد المواطنين بأسلوب تربوى وتعليمى وثقافى ، ومن هنا كانت دعوتى الى أن يعمل الأزهر تخصصه كما يشاء ، لكن فى المراحل العامة الابتدائية والاعدادية والثانوية يجب أن يتلاقى مع المدارس الأميرية على بساط واحد وعلى طريقة واحدة وأن يكون التعليم الدينى أو قدر من التعليم الدينى مشتركا بينهما بنفس القدر ، لأنه ليس لازما أن يكون كل أبناء الأمة علماء فى الأزهر ، بل قد يكون قدر منهم كذلك ، والقدر الآخر يعد ليتاجر ، أو ليصنع أو ليزرع • • الخ • لكن لابد لهم من زاد فيما يسمونه التعليم الأساسى ، أو مرحلة تكوين المواطن الصالح الذى

لابد أن نربيّه على الأقل سبع أو ثمان سنوات ثم نتركه للحياة ،
 اما أن يستمر في التعليم العالي واما أن يتوقف عند هذا الحد ، وهذه
 المرحلة الأولى كنت أحب أن توحد في البلد جميعا لكي يخرج الناشئ
 المصرى سواء فى المعاهد الدينية أو فى المدارس الأميرية ، على
 ثقافة واحدة وعلى دعامة فكرية واحدة .

أما الدراسات التخصصية فى الأزهر فنرجو لها أن تستكمل
 كل عدتها بحيث تخرج محدثا فى الحديث ، وفقهيا متخصصا فى
 الفقه ، ولغويا متخصصا فى اللغة ، ولا مانع من أن تخرج طبيبا على
 مستوى الطبيب الذى يتخرج من كلية طب القاهرة أو كلية طب عين
 شمس ، وهنا أحب أن أقول أن الدرس التخصصى لابد له من لغة
 أجنبية على الأقل الى جانب اللغة العربية ، لأننى أريد للطبيب الأزهرى
 أن يعرف الانجليزية أو الفرنسية الى جانب اللغة العربية لأن العلم
 لا وطن له ، والمتخصص يجب أن يكون على صلة بالثقافات المختلفة .

بين الدراسة الأزهرية وباريس

● ● بعد الدراسة الأزهرية .. أين كانت محطتك التالية
 فى رحلتك العلمية ؟

— قادتني الدراسة الأزهرية الى أن أفكر فى معهد آخر فأتجهت
 الى ما كان يسمى حينذاك مدرسة « القضاء الشرعى » ، فقد دخلتها
 وأنا فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة تقريبا ، واعتقد أن
 هذه هى الحلقة الهامة فى حياتى الثقافية ، ذلك لأنى قضيت فيها
 خمس سنوات اتصل فيها بكبار الشيوخ وكبار الاساتذة : أحمد أمين ،
 وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب خلاف ، الى غيرهم من شيوخ أجلاء
 درست معهم الفقه الإسلامى ، والأدب والتاريخ الإسلامى ، وكم وددت

أن يقدر لهذا المعهد حياة طويلة لأنه كان مرحلة انتقالية بين الدرس الأزهرى الذى يقوم على المتن والنص ، الى دراسة موضوعية تعنى بالفكرة كيفما كانت وتعرضها عرضا كاملا ، لا شك أن هذا المعهد استطاع أن يعرض صورا من الأدب العربى ومن كتب الفقه والتفسير فى صورة تتلائم مع روح العصر وطريقته ، وقد قضيت فى مدرسة القضاء الشرعى خمس سنوات خلفت فى نفسى آثارا لا أزال أعيش عليها حتى اليوم ، ذلك لأنها فوق الدرس الممتع والبحث الدقيق العميق على أيدي أمثال عبد الحكيم بن محمد وعلى الخفيف ، وأحمد أمين ، كان لهؤلاء الى جانب درسهم ، قدوة لها أثرها ووزنها ، وأكتفى الى أن أشير الى بعض أمثلة منها ما أذكره للمرحوم عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعى فى ذلك الوقت ، والذى تعود أن يمر على فصول الدرس مستمعا أو ملاحظا أحيانا ، ففى درس من دروس عبد الحكيم بن محمد أبدى ملاحظة لم يقره عبد الحكيم عليها ، ولم يتردد فى أن يرد عليه اعتراضه ، ومثل آخر لا أزال أذكره وهو درس المواريث على أيدي المرحوم على الخفيف ، وكان درسا رياضيا بقدر ما كان درسا فكريا ، وكان الخفيف ، جامعا بين هاتين الناحيتين .

أما أحمد أمين فقد كان أستاذ الفقه وكانت له حصة كاملة كل يوم خميس سمينها حصة « المربى » ، التى كان يقدم فيها أحلى ما صادفه فى حياتنا المعاصرة فى صور يقدمها لنا نفيد منها ، ونحذو حذوه فيها ، وكان يحدثنا فى هذه الحصة عن ملاحظاته الاجتماعية ، وتجاربه الشخصية ، وكم كانت مفيدة هادئة ومهذبة . وكان الأستاذ أحمد أمين صديقا وزميلا ، وهو الذى خاطبنى فى الانضمام الى المجمع وكان سننى صغيرا فقلت له : « لسه بدرى » . فقال لى : معلش ما بدرى الا بكره !

وكنت أود أن استمر فى مدرسة القضاء الشرعى « الى النهاية

لولا أن الأقدار قضت « بأن تغلق » ، نتيجة المنافسة بينها وبين المعاهد الدينية ، ومهما يكن من أمر فتلك مسألة تختلط بالسياسة التعليمية ، ولكن نسينا أن مدرسة القضاء الشرعى أنشئت بإيحاء من الامام محمد عبده ، الذى أراد بها أن نكون معهدا اسلاميا يجارى العصر ويواجه متطلباته ، ولكن قضى الله ولا راد لقضائه أن تغلق مدرسة « القضاء الشرعى » بعد أن أتممت فيها ما يسمى « القسم الابتدائى » ومدته خمس سنوات وحصلت فيها على الشهادة الأهلية « كما كانت تسمى فى ذلك التاريخ » .

وقضى الغاء هذه المدرسة أن يحول الذين حصلوا على هذه الشهادة الى مدرسة « دار العلوم » التى كانت ثمرة أخرى من ثمرات « محمد عبده » ، وقد أنشئت فى آخريات القرن الماضى وعاشت ولا تزال قائمة حتى اليوم ، وقضيت فيها أربع سنوات ، وما أن انتهت مهمتى فيها حتى اتجهت نحو التعليم ، وقدر لى أن أكون مدرسا للغة العربية فى مدرسة « النحاسين » الابتدائية ، هنا . ولكننى كنت مرشحا لبعثة تقدمت لها ، وتمت كل الاجراءات وتاهبت للسفر ، ولكن أبى السياسة الا أن تتدخل فى هذا الموضوع ، ذلك لان والدى كان عضوا فى مجلس الشيوخ وعضوا فى الهيئة الوفدية ، وفى ذاك التاريخ كانت حكومة المرحوم محمد باشا محمود الذى اجله واقدره ، ولكن للسياسة لغتها ، وكأنما شاءت أن تضغط على عضو الشيوخ بأن تضيق على ابنه فى بعثته وترتب على ذلك أن ألغيت البعثة لان عضو الهيئة الوفدية لم يقبل أن يغير موقفه السياسى لأى سبب كان ، وسار فى طريقه ، وترتب على هذا أنى انتقلت من بعثة الى لندن « الى « كوم امبو » لأعمل مدرسا هناك ، ولكننى استقلت وقضيت وقتا طويلا وأنا أصمم على أن أتابع دراستى ، فتغير بى الطريق وذهبت الى فرنسا بوسائل الخاصة ، وقضيت فى باريس نحو خمس سنوات ، وكانت معلوماتى بالفرنسية

محدودة جدا . ونزلت في فندق نصف عربي ونصف فرنسي قضيت فيه بضعة أيام ، ورأيت أن هذا لا يلائمني في شيء ، والنتيجة هي أن غيرت هذا الفندق الذي يطرقه عادة القادمون من العالم العربي . ومع هذا أبيت إلا أن أحبس نفسي في فندق آخر لا أتكلم فيه إلا باللغة الفرنسية ، وكان لي صديق هو « الغمراوي محمد الغمراوي » - رحمه الله - كان زميلا لي في مدرسة القضاء الشرعي سابقا ، وكان اماما للسفارة المصرية في باريس ، وهو الرجل الوحيد الذي كنت أتحدث معه اللغة العربية أثناء تناول طعام الغداء . وكان نازلا في نفس الفندق ، أما فيما عدا ذلك ، فكان صديقي وجليسي وزميل ، الكتاب ، وقد وصلت في فبراير عام ١٩٢٩ ، وقضيت في ذلك تسعة أشهر ، وشاءت الأقدار أن أخرج من باريس الى ضواحيها ، ومن حسن حظي أني نزلت على أسرة فرنسية لديها بعض الحجرات للضيوف ، فعشت معها معيشة أحد أفراد الأسرة ، ولم يكن في الأسرة الا « بنت » صغيرة وأمها ، أما الزوج فقد توفي ، وكانت هذه السيدة تدير البيت .

ولهذه السيدة في الحقيقة فضل كبير في لغتي الفرنسية ، وفي علاقتي بالفرنسيين لأنها كانت من البلد ولها علاقات ، فزرت أقاربها واتصلت بالأوساط الفرنسية على اختلافها ، وهذا الأمر أحب أن أوجه النظر اليه بالنسبة للمبعوثين لأنهم بين أمرين : أما المعهد ، وأما الفسحة والرياضة أو الجلوس في بعض المقاهي الأندية ، وكثير منهم لا يعرف الحياة في البلد الذي عاش فيه معرفة كثيرة ، ويفضل هذه الأسرة التي عشت فيها تمكنت من أن أعرف فرنسا في سهلها وجبلها ومياهها ، وطوفت في أقاليمها المختلفة شمالا وجنوبا ، وكان الهادي في هذا التوجيه ويشجعني عليه هي ملك السيدة التي عشت معها .

وكان الاتصال بأفراد هذه الأسرة وقضاء بعض الوقت معهم في

طعامهم وشرابهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، جعلنى حقيقة أقف بدقة على الحياة الفرنسية وعلى عادات أهلها فى صلتهم وقرابتهم المختلفة ، وأعتقد أن هذا نفسه هو الذى مكننى من أن أتابع الدرس . وهنا أحب أن أشير الى أن دراستى قامت على ما يسمى الليسانس ، وقد حصلت على جزء منه فى العام الأول وأكملته فى العام الثانى وبدأت أتابع دراستى المتخصصة ، فيما يتعلق بالاعداد للماجستير والدكتوراه ، وهنا أيضا أحب أن أشير الى نقطة هامة وهى المكتبة الأهلية فى باريس ، فقد عشت فيها نحو عامين أو يزيد ، وعن طريقها اتصلت ببعض الباحثين الذين يقصدونها من العالم الخارجى ، من المانيا وبلجيكا وإيطاليا ولندن ، حيث لهم دراسات يحرصون على أن يطلعوا على مراجعها الكاملة من هذه المكتبة ، وهذا نفسه مع دراستى التى قمت بها ، دفعتنى الى أن أعالج شيئا من اللغات القديمة ، رسيئا من اللغات الحديثة غير الفرنسية ، فاتجهت نحو الانجليزية ، ومكننى هذا ، أنه كان لى صديق وزميل كريم - رحمه الله - وهو الاسناد محمد خلف الله أحمد ، الذى كان يدرس فى « لندن » ، فزرتة وقضيت معه بعض الوقت ، ووصلنى بالحياة الانجليزية ، ولعل هذا هو الذى مكننى من تكوين زاد لا أعده زادا كاملا فى اللغة الانجليزية ، ولكنه على كل حال مكننى من أن أرجع الى المصادر الانجليزية التى تتصل ببحتى ، وقد تابعت هذا ونميته على مر الزمن . وما تم بالنسبة للانجليزية تم أمر آخر مثله يتصل بالالمانية مدة عملى فى رسالتى للدكتوراة ، فقد اتصلت باحثة ألمانية قصدت المكتبة الأهلية ، لأن لها عملا فيها ، وعن طريقها اتجهت نحو اللغة الالمانية ، وقد قمت برحلة الى المانيا قضيت فيها بعض الوقت ، مما زودنى أيضا بزاد من اللغة الالمانية .

اما اللغات القديمة فكان ما أسهل معالجتها مع أهل البلد

نفسه فى، باريس ممن يجيدون اللاتينية ، وأغلبهم من رجال الدين ، كما تزودت بشئ من اللغة اليونانية .

وقد دامت رحلتى العلمية خمس سنوات ، قصصدت ألا أقطعها إلا برحلات فى أوروبا ، ولا أفكر فى العودة الى الوطن رغبة فى أن يتوفر لى الوقت الكافى لاستكمال معلوماتى عن الحياة الأوربية وأهلها وعاداتهم وتقاليدهم سواء فى الشمال أو فى الجنوب .

ويوم أن أكملت ذلك وأيقنت بأن الرسالة قد تمت على وجهها ، حاولت أن أحصل على ما يسمونه دكتوراه الدولة التى تستلزم بحثين أعدتهما وتقدمت بهما .

وما ان عدت الى مصر واتصلت بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٥ ، حتى شعرت بأن الروح التى عشت فيها فى جامعات باريس ، تكاد تتفق مع ما كانت عليه كلية الآداب فى ذلك التاريخ ، ولم يكن ذلك غريبا لأنه كان على رأسها الدكتور طه حسين وهو نفسه قد عاش فى نفس الجو الذى عشت أنا فيه فى باريس ومن هنا لم أحس بغربة ، ففى كلية الآداب دراسة للغات الانجليزية والفرنسية واللاتينية . كل هذا أردت أن أوجه به النظر ، الى أن هذه الافادة من الإقامة فى بلد أجنبى اذا ما استطعنا أن نرتب عليها نتائج عملية فى حياتنا ، كان فى ذلك نفع كبير .

❁ ❁ ❁ ألم تنبهر كثيرى بالحياة الأوربية عندما ذهبت الى باريس محملا بعادات وتقاليده المختلفة ؟ .

— لا أظن ذلك لأننى كنت وأنا فى القاهرة على صلة بالأوساط المختلفة التى كان فيها عدد غير قليل من الغربيين ومن هنا لم تكن الحياة الأوربية جديدة على لآنى عشت معها قبل أن أقصدها ، هذا

الى أننى لم أشأ أن أنسى بالاماكن التى تمثل شيئا من الشعبية أو الحياة العادية فى باريس . وإنما قصدت أن أنفذ الى الصميم لا الى المظهر الخارجى . ولعل « مونبرناس » وهى لوكاندة أو مقهى ، مكان يقصده عالم غير قليل من المبعوثين ، ويقضون أياهم فيه ، لا أظن أنى زرته لأكثر من نصف ساعة أو ساعة ، على موعد مع شخص ألقاه هناك ، وكانت اقامتى اما مع الفرنسيين أتبادل معهم أحاديثهم ، أو مع الكتب الفرنسية وغير الفرنسية فى دور العلم المختلفة .

● ● علمت أنك أثرت فى الأسرة الفرنسية التى أقمت عندها طوال اقامتك فى باريس . . . فما مظاهر هذا التأثير ؟

— اذكر لهذه الأسرة أنهم لم ياكلوا بعض الأطعمة التى لا أتناولها ولا أقبل عليها خصوصا لحم الدنيزر الذى حرموا دخوله البيت طالما أنا موجود به . فاذا ذهبت الى مكان آخر لزيارة أو رحلة ، فإنهم يسمحون لأنفسهم حينئذ بتناوله ، وقد جاملونى فى شهر رمضان كل المجاملة الى درجة أنهم كانوا شبه صائمين ، لأنى صائم .

● ● ما هدفك من حضورك على أكثر من شهادة . . وكيف نظمت وقتك لتظهر بهذه البرجمات العلمية ؟

— الهدف من هذه الشهادات هو التكوين الثقافى ، أما الثقافة الفاسفية فهذه كانت رسالتى ، أما الثقافة القانونية فهى جزء مكمل للحياة العامة ، وفى الواقع كان لدى وقت يسمح لى بهذا ، وكنت أحب أن أتابع بعض المحاضرين فى دراستهم وأبحاثهم ، وهنا أحب أن أوجه النظر الى ملاحظة هامة ، فمن أساتذتى فى « السربون » رجل كان أستاذاً لمادة « علم النفس » ويدهشك أن

تعلم أنه ما كان يدرس المادة ، وانما كان يوزع أعمالا على طلابه لاعداد دراسات فيها ، ثم يناقش بعضهم البعض وهو يشرف على هذا الحوار ، وهذه طريقة أعجبت بها وتابعتها ، وحاولت أن أطبقها يوم أن كنت قائما بالتدريس في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو أن أدفع الطلاب الى الرجوع للمصادر والافادة منها مباشرة .

● ● يطلقون عليك شيخ الفلاسفة .. فلماذا ؟ .

- هو تصرف منهم متروك لهم ، ولعله يرجع الى السن لا شيء أكثر من ذلك ، وقد عشت في أسرة فلسفية مع المرحوم مصطفى عبد الرازق ، وزاملني الدكتور أبو العلا عفيفي ، ثم جاء بعد ذلك الجيل الثاني ، عثمان أمين ، وأحمد فؤاد ، ومحمود الحصري ، الذين كانوا أشبه بالأصدقاء منهم بالتلاميذ ، ولكن انتقل كل هؤلاء تقريبا الى الدار الآخرة ، فلا غرابة بحكم السن أن يحكم على بعض الأصدقاء أو بعض الأشخاص ، بأن يسموني « شيخ الفلاسفة » ، ولا أحاول أن أستخدم هذه المشيخة على أى صورة كاملة ، وأنا يسعدني دائما اذا ما جاءني واحد من الشباب ولديه مشكلة وأحب أن أعونه .

أمين الخولي يقود المظاهرة

● ● كيف بدأت حكايتك مع السياسة التي شغلت من حياتك جزءا ليس بالقليل ؟ .

- كانت البيئة التي نشأت فيها بيئة سياسية لا شك في ذلك .

ذلك لأن والدي رحمه الله ، دخل أولا ما سمي « مجالس المديرية » ، وهي تمثيل شعبي شبيهه كل الشبه بما نحاوله الآن

من المجالس الاقليمية أو المحلية فى محافظاتنا المختلفة ، وكان من نتائج هذا أن أسهمت مجالس المديريات ، ومنها مجلس مديريات الجيزة الذى كان فيه والدى ، فى بعث الحركة التعليمية الشعبية ، بإنشاء مدارس أولية ، وهى التى صارت ابتدائية فيما بعد سواء للبنين أو البنات ، وقصدت أن أنوه الى هذا لأن تعليم البنات بدأ منذ ذلك التاريخ ، وكل ما كان هو أن خصصت مدرسة للبنات ومدرسة أخرى للفتى ، وسار كل فى طريقه ، وكان الرعيل الأول من مثقفى الفتيات انما نشأ عن هذه الطريقة ، التى أخذت سبيلها بعد ذلك الى المدارس الثانوية والعادية والجامعية .. الخ .

وشاءت الظروف أن تقوم ثورة ١٩١٩ ، ووالدى عضو فى الهيئة الوفدية ، وأنا على صلة بالأحداث السياسية فى نواحيها المختلفة ، وخاصة فيما كان يسمى « لجنة الطلبة » وكانت هذه اللجنة أول ما أنشئت حين كنت طالبا بمدرسة القضاء الشرعى وكان يرأسها ابراهيم عبد الهادى ؤ الذى زاملته فى هذه اللجنة ، وخرجنا ذات مرة نحن أبناء مدرسة القضاء الشرعى وعلى رأسنا أمين الخولى الذى كان مدرسا صاحب طلابه وتلاميذه فى هذه المظاهرة ، ولا أزال أذكر كلمته أو نداء من نداءاته التى يقول فيها :

اضربونا بالمدافع ما لأمر الله دافع .

اضربونا بالرصاص فالحياة بالقصاص .

والذى حدث فعلا أننا ضربنا بالرصاص ، ولم يصبنى من هذا الرصاص شيء ، الا أننى اعتقلت وقضيت فى سجن « الخليفة » بضعة ليال كخدمة أو تهديد فى نظر من شاءوا اليه . ولكن السجن فى نظرنا كان تعطىلا لنشاطنا ، ومع ذلك لم تطل مدته بالنسبة لى لأن حكمدار العاصمة الانجليزى استعرض تاريخى فلم ير فيه موقفا كان القصد منه الهدم ، ولكن كان القصد منه البناء ،

وهو نفسه الذى اقترح الافراج عنى دون رجاء ، وقد كان بإمكان والدى أن يتدخل فى هذا ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يكن من السياسيين المرغوب فيهم ، لأنه كان من سياسى المعارضة .

مواقف فى مجلس الشيوخ

● ● دخلت الحياة النيابية فى سن مبكرة وكان لك نشاط بارز فيها . فكيف حدث هذا ؟ .

— أحب أن أقف قليلا عند حياتنا النيابية لأنى كنت حقيقة مؤمنا بها ، وشاء القدر أن أدخلها وأنا شاب ، أو على الأقل لم أكمل سن الأربعين ، وقد حدث أن نزلت على رغبة الأسرة فى الانتخابات ، وأحب أن أنوه بأمر له شأن ، وهو اعتقادى أن الحركة الانتخابية ان استخدمت استخدما اصلاحيا وتربويا وتعليميا يمكن أن تؤدى رسالة لها شأنها فى النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية بوجه عام .

وأحمد الله أنى أخذت نفسى بهذا ، فكانت دعايتى الانتخابية سمعا للشكاوى ومحاولة معالجتها ، وأذكر أننى كنت أتردد كل يوم على مصنع السكر فى الحوامدية ، لأن عددا ليس بالقليل من العمال موزعين على المنطقة الداخلة فى الدائرة الانتخابية ، وكان لى معهم حديث كل مساء فى حدود الساعة الرابعة بعد الظهر ، ساعة خروجهم من عملهم ، فأجلس معهم نحو الساعة أو ما يزيد ، يستمعون الى وأستمع اليهم ، وفى كثير من لقاءاتى ما كنت أحب أن تكون الدعاية الانتخابية مجرد لقاء شخصى بل قضدت بها أن تكون لقاء مع جماعات تتحدث فى همومنا المحلية والقومية ، وعبئنا بوجه عام ، وكيف السبيل الى مطالبنا .

كل ذلك فى رأى اذا ما أطلعت به الدعاية الانتخابية اطلعا
سليما لا شك أنها ستكون أداة من أدوات التنوير والنهوض
والاصلاح .

ودخلت مجلس الشيوخ وأنا لم أبلغ السن القانونية ، والذي
حدث أنه قدم طعن فى ، وحين ذهبت الى لجنة البت فى الطعون
بمجلس الشيوخ ، وقدمت لهم استقالتي ، قلت لهم : أنا نزلت
عند رغبة الأسرة ، ولكنى الآن حر وأملك أن أعفيكم فى أن تنظروا
فى هذا الطعن لأنى حقيقة لم أبلغ السن القانونية بعد .

فكان جواب لجنة الطعن ما يأتى :

دخلت بجهدك الانتخابى وأصبحت بيننا وأمرك موكلو الينا
ونحن الذين نقول لك تخرج أو لا تخرج . . هذه كلمتنا .

وترتب على ذلك أنهم حفظوا الموضوع أربع سنوات كاملة
ولم ينظروا فيه الا بعد أن بلغت السن القانونية ، ومع هذا استطعت
أن أودى رسالتى البرلمانية منذ أن دخلت المجلس .

وحقيقة كان من حظى أنى سعدت بزمالكات تعلمت منها الكثير
وأفدت الكثير .

أذكر على سبيل المثال من زملائى فى مجلس الشيوخ ،
زكى محمد زكى ، وعبد القوى أحمد ، فضلا عن لطفى السيد الذى
كان يوما ما عضوا ، وكذلك حسين رشدى .

والأمر الذى أحب أن أنوه به وأن أقف عنده قليلا ، وهو أن
الأداة البرلمانية الحققة هى فى رأى ذلك الدرس والبحث الذى يتم
فى لجان المجلس ، وكان من حظى برلمانيا أنى اشتركت فى بضع
لجان أعتقد أنى تعلمت فيها كثيرا ، وواجهت المشاكل المصرية مواجهة

عملية ، فكننت عضوا فيما يسمى « لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية » ، ومنذ أن كنت فيها كنت أرى أن « الوقف » يجب أن يقف عند « الميراث » ، أما الأوقاف الأهلية ، فلا محل لها ، ومن حسن الحظ أن جاء وزير عدل ومشروع هو المرحوم صبرى أبو علم ، وآمن بأن الأوقاف الأهلية كانت مهمة أصبحنا فى غنى عنها لأن الابن الذى لا يحسن التصرف فى شئونه لن تنفعه أى حماية ، وباختصار نجحنا بأن انتهينا من هذه الأوقاف الأهلية ، وكان ذلك من المواقف التى وقفتها فى اللجنة الخاصة وفى مجلس الشيوخ ، وكان ذلك متقدمة لما سمي « الإصلاح الزراعى » أو « تحديد الملكية » .

وفى حديثى عن الأوقاف لا يفوتنى أن أشير الى أن « لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية » كانت تنظر فى بعض التشريعات المتعلقة بالمعاهد ، فكان من بين هذه التشريعات اعطاء المعلم أو المدرس رخصة أن ابنه يعفى من بعض قيود القبول فى معهد من المعاهد أو فى مدرسة من المدارس ، وأذكر أن المرحوم « على ماهر » كان رئيس هذه اللجنة التى كنت فيها ، فأبدت ملاحظتى قائلا : إنه الأولى بالشيوخ أن يضربوا المشل لغيرهم الا يكونوا هم موضع الاستثناء . ولم يتردد على ماهر - يرحمه الله - فى أن يأخذ بهذا الرأى ، ووقفت عنده اللجنة جميعا .

وكانت « لجنة الأوقاف » هذه تنظر فى بعض الأوقاف الخيرية ، وكان للسراى مطامع فى هذه الأوقاف ومن بينها وقف « المطاعنة » ، الذى كان فاروق يريد أن يضع يده عليه ، ومن هنا عارضنا وعارضنا ، ولكن الأمر مر بمجلس النواب فى ذاك التاريخ ووافق عليه ، وجاء فى مجلس الشيوخ ورفضناه ، ولكن السياسة تدخلت فى الأمر وأبعدته عنا وتم التصرف فيه من الخارج . ولكن الذى لا نزاع فيه أن هذه المواقف لم ترق لدى السراى ، ذلك لأنها كانت

لها مطالب أخرى ، ولم نجاريها فيها لأنها لم تكن عادلة ، فعلى سبيل المثال ، أهديت جملة طائرات من الحرب العالمية الثانية للملك ، فأنشأ بها شركة طيران ملكية خاصة ، وتقدم الملك للبرلمان يطلب الحصول على إعانة لهذه الشركة تقدر بثلاثمائة ألف جنيه ، ومرة الاقتراح في مجلس النواب ، ثم جاء مجلس الشيوخ ، وكان ممثل الطلب في اللجنة المالية أخذ كبار رجال السراى ، ومع ذلك نجحت اللجنة ونجحنا في رفضه ، لأننا رأينا أن شركة مصر للطيران هي أولى من أى شركة جديدة لا كيان لها .

كل تلك أمثلة لمواقفنا التي جعلت من السراى طرفا آخر يراقب كل ما يقال وما يكتب .

وحدثنى يوما الأمين العام لمجلس الشيوخ فصارحنى بأن لديه تعليمات أن يسجل كل ما أقوله لكي ينقله الى السراى ، ومع هذا لم يتغير من الأمر شيء ، الا أنى كما قال لى على ماهر وحسين وشدى ، أننى رشحت للوزارة حينذاك ، وكان الاعتراض الأول من جانب السراى .

● ● ● لعلك تذكر أن أخطر استجواب تبنيته كان ذلك المتعلق بالأسلحة الفاسدة ؟

ذلك لأن العملية لم تكن عملية لله خالصة ، ولكنها كانت عملية انتفاع كما هو الشأن في هذه الأمور التي تتم وراء الكواليس .

فقد استوقفت صفقة الأسلحة الفاسدة ، « ديوان المحاسبة » ، وكان المسئول عن هذا الديوان في ذلك التاريخ ، صديق عزيز هو ابن محمد باشا محمود ، الأستاذ محمود محمد ، هذا الصديق حدثنى فى أمر هذه المخالفة ، وشاء هو أن يكتب فيها ، فقلت

له ؛ خير لك أن تقدم الأوراق اليينا لأن ديوان المحاسبة إنما أنشىء
ليعاون الحياة البرلمانية في رعايتها .

وجئبت وزميل لي هو المرحوم مصطفى مرعى ، مع المستول
عن « ديوان المحاسبة » ، وجمعنا كل البيانات ، وترتب على ذلك
أننا تقدمنا بالاستجواب ، وسألنى مصطفى مرعى : نبقى اثنين فى
الاستجواب ؟ فقلت له : لا . . . ليكن واحدا وليكن أنت .

ولكن حين عرض الاستجواب ، اضطر هو للرحيل الى أوروبا ،
فكان لابد أن أتبنى أنا هذا الاستجواب وقلت فيه ما قلت .

● ● لماذا استقلت من الوفد وهل كان لذلك علاقة بمصادرة
كتابك عن الأداة الحكومية ؟ .

- المصادرة كانت من السراى ، أما الخلاف مع الوفد فقد كان
خلفا على المنهج ، فقد بدأ الوفد كحركة وطنية أدت رسالتها ،
أما « الوفد » كحزب لاصلاح اجتماعى أو سياسى ، فقد كنت أنادى
وينادى معى بعض أعضاء « الوفد » أنه آن الأوان أن يكون لحزب
كبير كهذا برنامج خاص ، ولم يكن الاستعداد متوفرا فى ذاك
التاريخ فى القيادة الحزبية .

أما بحثى الذى كنت أنتقد فيه الأداة الحكومية ، فقد عرضته
على « صبرى أبو علم » وقراه وكان تعليقه : « كم كنت أتمنى أن
يكون لي بحث كهذا » ، ولم يكن ذلك محل خلاف مع « الوفد » ،
ولكن السراى هى التى أمرت بتفتيش البيت ، وما إلى ذلك ومصادرة
الكتاب ، الذى قالت الاشارة التليفونية عنه انه كتاب فى حجم دفتر
التليفون ينتقد الحكومة فى تصرفاتها .

● ● هل تذكر مقالك سنة ١٩٢٩ بعنوان « من لندن الى
كوم أمبو » . . هكذا تكون تصرفات الحكومة » . . فما هى ظروفه ؟ .

ظروفه في منتهى البساطة ترجع الى علاقتي المغضوب عليها من السراى ، بسبب أننى ابن عضو مجلس الشيوخ الذى رفض أن يساير اتجاهات السراى ، وترتب على ذلك الغاء البعثة كما حدثت من قبل ، فكتبت هذا المقال الموضوعى الذى انتقد فيه تصرفات الحكومة .

الاعتذار عن رئاسة الأهرام

● ● قمت بتأليف جمعية باسم « نهضة مصر » .. كان من أهدافها معالجة المشكلة السكانية . فما هى حكاية هذه الجمعية ؟ .

— ليست المشكلة السكانية فقط ، بل كنت أعالج الحياة السياسية عامة ، وهو ما اختلفت مع « الوفد » عليها ، وهو ما حاولت أن أحققه عن طريق « جماعة النهضة المصرية » ، ولسوء الحظ أننا كنا مبطلين فى قراراتنا ، وترتب على ذلك أن اخواننا الضباط سبقونا الى الميدان وقضوا على محاولتنا .

وكان من هدفنا أن نعمل هيئة سياسية لها كيان ولها برنامج لا يخضع لارادة « محمد » و « على » ، لمجرد أنها ارادة فلان ، وانما هيئة تخضع للصالح العام ، ومعنى هذا أننا كنا لا نقز بكل ما تقوله « السراى » .

وكان من أهداف جمعيتنا تحديد الملكية ، الأمر الذى جاء به العهد الحاضر ، ولكن أنا كنت قد تقدمت الى مجلس الشيوخ بمشروع قانون لتحديد الملكية على أن يبدأ بمائتى فدان من الآن ولا يزيد عليه ، لكن على ألا ينقص شيء من الملكية القائمة ، ندعها وستنتهى الى هذه النتيجة ، على أن تكون الملكيات الجديدة حدها مائة فدان فقط .

● ● هل كان ما يثار اليوم عن تحديد أو تنظيم النسل يثار بالأس من أن هذه مسألة مع الدين أو ضده ؟ •

— كانت الآفاق بالأس أوسع من اليوم ، ويكفى أننى من الجيل القديم ، وذريتي ثلاثة ، ولد وبنتين ، وأبنائى الثلاثة وقفوا عند تحديد النسل ، وهذا التحديد لا يتعارض مع الدين مطلقا ، هذا غلو غير مطلوب •

● ● دعيت لرئاسة تحرير جريدة الأهرام ولكنك اعتذرت • • فلماذا ؟ • •

— أنا اعتذرت لأننى لم أشأ أن أسئ للأهرام ، والأهرام ملكية خاصة ، فعندما مات « انطون » ، رغبت السيدة صاحبة الجريدة أن أقوم بهذا العمل ، فوافقت مبدئيا ، ثم سمعت أن السراى معترضة على هذا لأنها تخشى أن أستخدم هذه الصحيفة الكبيرة ضدها ، ومن هنا اتصل بى ابراهيم عبد الهادى وكان وقتها فيما يسمونه سكرتير عام فى القصر الملكى ، وصارحنى بهذه الحقيقة ، وقال لى : ربما تسئ السراى الى الأهرام بسبب هذا التعيين ، فأنا صارحت الأهرام بهذا وقلت لهم : من الخير لكم أن أعفيكم من قلمى ومن وجودى •

قلت لمحمد نجيب

● ● لماذا لم تستمر فى العمل بالسياسة بعد الثورة ؟ •

هذه مسألة سندخلنا فى السياسة أكثر من اللازم ولكن سأقول باختصار أن الدعوة الجديدة أو الثورة كانت لها أهداف ورسالة نشأت لتؤديها على النحو الذى تراه • وهنا أحب أن أشير أننى كنت وزيرا فى وزارة على ماهر مع اثنين من الأصدقاء هما

محمود محمد ، « ومريت غالى » ، وكنا نحن الثلاثة متفاهمين على أن نسير مع هذه الوزارة ان سارت ، آمليين أن نعمل شيئا نعالج به شكوانا والملاحظات التى وردت فى كتاب « الاداة الحكوفية » المشار إليه من قبل ، رغبة فى الإصلاح ، وكنا نأمل أن يمتد بنا الزمن مع على ماهر ، ولكن فى الوقت نفسه كنا نتوقع أنه لن يجمن طويلا ، ولكننا كنا مضطرين اما أن تكون الوزارة مدنية وسننبقى ، والا فلا داعى لأن نعكر الجو اذا اشتركنا فى وزارة عسكرية ربما كانت لها أهداف وتجارب أخرى ، وفى الوقت الذى كان على ماهر يحدثنا عن استقالته ، قال لى : قد يفكرون فيكم ، فقلت له فليفكروا ما شاءوا .

وانصرفنا . وحدث فعلا أنهم اتصلوا بى على أمل أن أدخل وزارة محمد نجيب بعد استقالة وزارة على ماهر ، وفاتجنى محمد نجيب . فقلت له :

كان يسعدنى أن أشارك ولكن قد تكون لنا اتجاهات أو آراء تختلف مع ما تريدون ، ولا نحب أن نعطل عملكم . . فسيروا فى طريقكم ، وبعد هذا اذا أتيحت لنا الفرصة فى مناسبة أخرى لن نتردد . ولكن ثقبوا كلما دعوتهم الى اصلاح سنكون عوناً لكم فى هذا الاصلاح .

والحقيقة أن العقلية والسليلة ، كانت تختلف عما درجنا عليه ، فلم نشأ أن نعقد الأمور عليهم ، ومن هنا اعتذرنا واعتذر الزميلان الآخران ، ولكن اشترك بعض الزملاء الآخرين ولكننا نحن لم نشترك .

● ● ومنذ ذلك الحين وأنت تعتزل الحياة السياسية ؟

— لم أعتزلها بل كنت على ضللة بها ، فقلاً طلب إلى مثلاً أن

أشترك في مجلس اسمه « مجلس الانتاج » والذي كنت فيه مع
المرحوم « حسين فهمي » والذي اعتكف زمنا ، فتوليت أنا
الأمر ، ولهذا المجلس يرجع الفضل في كثير من المشروعات
التي قامت بها الثورة ، مثل مشروع مديرية التحرير ، ومشروع
خزان أسوان الذي كان له معارضون كثيرون ، ولكن هدف
تكوين ثروة مائية تعاوننا في التوسع لاستصلاح الأراضي البور ،
شجع والحمد لله أن يؤدي خزان أسوان رسالته التي ما كان
يمكن أن تؤدي عن طريق آخر ، لا سيما في الساعات التي قضيتها
في الوزارة التي تسمى « وزارة الانشاء والتعمير » حيث كنت
بصدد التفكير في خزان آخر أبعد من خزان أسوان لجمع كمية من
المياه التي تذهب في الصحراء أو تذهب الى البحر . اذن فقد كنت
من أعوان التخزين قبلها ، وقد سبق أن عرض على وأنا عضو في
مجلس الشيوخ في اللجنة المالية ، أن نقوم برفع الخزانات الأخرى
الموجودة في السودان وزيادتها . فقد كنت مؤمنا بأن الماء هو
مصدر الحياة ووسيلة الاستزراع والاستنبات للأراضي في صحراء
مصر الفسيحة .

مع الحرب العظمى وضد حرب فلسطين

● ● وقفت الى جانب اشتراك مصر في الحرب العالمية الأولى
بينما وقفت ضد اشتراك مصر في حرب فلسطين . . فبماذا تفسر
لنا الموقفين ؟ .

— رأيت اشتراك مصر في الحرب العالمية لأنه سيأتي الدور على
مصر للصراع بين طرفين دوليين ، مما لا بد أن ينتج عنه معركة في
بلدنا ، ومن الخير أن ندافع عن بلدنا ولا يدافع غيرنا عنها .
أما فيما يتعلق بمعركة فلسطين فحقيقة الأمر هي أنني لم أكن
موافقا على دخول مصر فيها لأننا لم نعد أنفسنا الأعداد الكافي

للدخول في هذه المعركة ، لهذا ما كنت أحب أن ندخل معركة فيها هزيمة ، أو فيها صلح أشبه ما يكون بالهزيمة ، ومن هنا كان موقفى لأسباب خاصة بنا في موقعنا هنا في العالم العربى ، ولكن لاعتبارات ملكية كانت السراى هي صاحبة هذا الهوى ، وكان يمكن أن ندافع عن فلسطين دون أن ندخل الحرب ، على وجه أكمل مما حدث ، بأن نؤجل هذا الدخول ، ونعد أنفسنا لنحارب حربا حقيقية ، ولكن المسألة كانت مسألة زعامة لا مسألة معركة يعد لها ويحسب لها حساب ، وتكرر هذا عدة مرات ، ولكن من حسن الحظ أننا صححنا خطأنا وعدنا الى الصواب وأعدنا لحرب أكتوبر في وقت كان يظن أننا لا نعد لشيء ، وآمنا بأن من واجبنا أن نتابع السير كي نحقق لفلسطين حقوقها التاريخية ، وهذا ما يسير الآن بلا نزاع . لكن حركتنا الأولى التي أحدثناها كانت وثبة دون تأهب .

المرأة ليست في المجمع فلماذا ؟

● ● كانت أول كلمة لك في مجلس الشيوخ تدور حول حق المرأة في الحرية وضرورة فتح الطريق امامها للاسهام في الحياة العامة . . ألم يكن غريبا أن تقول مثل هذا الكلام في مجلس الشيوخ ؟ .

— بالعكس . . فمن حسن الحظ أنني قلت هذا في مجلس الشيوخ لأنهم لأنهم جميعا آباء ويحسون بالفارق بين بناتهم بالأمس وبناتهم اليوم ، وفي البيت الواحد تكون البنت الكبرى غير متعلمة ، ولكن البنت التي جاءت بعدها استكملت تعليمها ، وهنا نجد الفرق ، وكم يأسف الأب لأنه فاتته الفرصة في أن يعد ابنته الكبرى كما أعد الصغرى ، فكان طبيعيا أن يكون هذا الحديث الى هؤلاء الشيوخ الذين مروا بهذه الأدوار وأدركوا الفروق بين النواحي

المختلفة ، هذا الى أن المسألة يراد بها أن نأخذ موافقة هؤلاء كى
لا يتردد من دونهم سنا .

وعندما اتصلت بكلية الآداب كان عدد البنات أربع أو
خمس ، انتهيت بها فى وقت من الأوقات الى أن صار عندى فى
وقت من الأوقات فصل من الفصول ، نصفه من الفتيات والنصف
الآخر من الصبيان ، وكان من أحسن الاتصالات أننا خرجنا فى
رحلات فى منتهى الأدب والصدقة والاطمئنان ، يحافظ فيها
الزميل على زميلته بقدر ما يحافظ على شقيقته .

وإذا كانت بنت الشارع تخطيء فهذا لأنها لم تمض فى مثل
هذا الاختلاط الصحى ، وإذا كانت هناك بعض حوادث فردية فى
التعليم الثانوى أو حتى فى التعليم الجامعى فلا يصح أن نأخذ من
الحالة الفردية مقياسا نطبقه على المجموع .

● ● ما تعليقك على ما يجرى فى بعض الجامعات من الفصل
بين الطلبة والطالبات فى المدرجات على أساس أن هذا من الاسلام ؟

— هذا غير صحيح ، فالرسول كان يلقي درسه للسيدات كما
كان يلقيه الى السادة ، وكان للمرأة نصيبها ، وكما نعلم فإن
الرسول قال عن عائشة : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء .

فاذا أنشأنا الفتى والفتاة تنشئة سليمة ، كانوا أعون على
أنفسهم وعلى حفظ حقوقهم من محاولة أى فرد آخر أن يحمى هذه
الحقوق واعتقد أن تجربتنا فى تربية المرأة الآن وفتح الباب أمامها ،
برهنت على أن النظرية التى قالت بفتح الباب أمام الفتاة ، كانت
نظرية صحيحة ، ولكن ليس معنى هذا أن أضيع عليها حق الأمومة
وحق أبنائها بل بالعكس ، فالفتاة المتعلمة تعليما كاملا تستطيع أن
تؤدى رسالتها العلمية كما تؤدى رسالة الأم مع أبنائها ، وهى أعون

على أن تؤدي رسالة الأمومة على وجه أكمل من الوجه الآخر ، ألتهم
أن تعد الفتاة اعدادا يمكنها من أداء رسالتها .

● ● رغم أن طه حسين ولطفى السيد كانا من انصار دخول
المرأة مجمع اللغة العربية الا أنها لم تدخل الى مجمع الخالدين حتى
الآن .. فلماذا ؟ .

— أنا شخصيا أأسف كل الأسف أننا لم نحظ بالوصول الى
هذه الغاية ، ولكن مبدئى فيها ليس أقل من مبدأ لطفى السيد وطه
حسين . كل ما هنالك وهو أخشى ما أخشاه أن بين المجمعين الآن من
هم فى سن أقرب الى الشباب حيث بينهم من لم يبلغ الستين ،
هم أقل تقبلا للاختلاط ممن هم فى سن السبعين ، أو الخالدين ،
وعلى كل حال أتمنى أن يأتى يوم قبل أن أفارق المجمع اللغوى
بالقاهرة ، ويكون لى فيه زميلات من السيدات المصريات الأدبيات
الصحفيات اللغويات ، وبين العلماء الآن سيدات مصريات فى
مستوى رفيع جدا ، ويسعدنى أن أقول لك أن بعضهن اشترك فى
جلسات المجمع كخبرات فى النواحي العلمية وكن مثالا ممتازا لغة
وعلما ، وأعتقد أنه الأوان لكى يكون لها نصيب فى المجمع .
وعندنا سيدات أمثال بنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وهما
سيدتان عظيمتان ، رشحتا معا لعضوية المجمع ، واعتقادت أنه
لو رشحتا واحدة فقط فسيكون حظها أفضل .

تعريب العلوم

● ● ما هى قصة دخولك المجمع ؟ .

— كان ذلك فى عام ١٩٤٦ ، ويمكن الذى وجهنى الى هذا هو
المرحوم أحمد أمين الذى حدثنى فيه ، فكان ردى عليه هو : ألا ترى
أنى أصغركم سنا ؟ .. خليها لبكرة . فقال لى : بكرة والنهارده
زى بعض .

وباختصار تم دخول المجمع ، وكنت فى الدفعة الثالثة من الدفعات التى تغذى بها مجمع اللغة العربية ، ومنها عبد الرازق السنهورى ، وأحمد زكى ، وأعترف أنه فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٦ و ١٩٥٢ ، كان عملى فى مجلس الشيوخ يشغلنى ، ولم أتوافر على أعمال المجمع الا بعد عام ١٩٥٢ ، ولا شك أن تجربتى فى المجمع ربطتنى بزلاء كرام منهم على سبيل المثال لطفى السيد ، وعبد الحميد بدوى ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، مما كان له شأن فى حياتنا الجامعية والاجتماعية ، فكنا نخرج من هذا الى مشاكلنا المختلفة على الأقل فى أنديةنا وفى أحاديثنا ، وصحبة الكرام فيها ما فيها من كسب ومتعة .

● ● ما الذى يساعد على عالمية اللغة العربية ؟

— أن يكتب العلم كله باللغة العربية ، وأن ينقل ما نكتبه الى لغات أخرى ، فأنا من أنصار تعريب العلم الى اللغة العربية لى يكون لنا انتاجنا العربى الى جانب انتاج غيرنا فرنسيا كان أو انجليزيا وأمريكيا . وقد أخرجنا جزءين من المعجم الطبى العربى ، وقد كان الطب يدرس عربيا فى العالم العربى فى القرن الحادى والثانى والثالث عشر من القرن الميلادى ، وقد كان الطب الاسلامى هو الذى فتح الباب أمام النهضة الأوروبية فى القرن الرابع والخامس عشر ، وكتبنا مثل كتاب « القانون » لابن سينا كان يدرس فى أوروبا حتى سنة ١٦٠٠ ، وهو لا يزال حتى الآن فى مكتباتها وفى مراجعها المختلفة . اذن فقد كان العلم العربى هو الذى فتح الباب أمام الغربيين فى أن يكشفوا عن أمور لم يقل بها اليونان ولا الرومان .

وإذا كان هذا قد حدث فى إبان ازدهار الحضارة العربية ، فلماذا لا يكون هناك ازدهار للحضارة العربية اليوم ، ولم لا يكون

لنا انتاج فى الطب ، وانتاج فى الكيمياء ، والطبيعة . وانتاج فى كل مظاهر التكنولوجيا الحديثة . . لم لا يكون ؟ . المسألة أننا بدأنا متأخرين ، ولكننى أذكر كوريا الجنوبية واليابان كمثال من أروع الأمثلة ، فهى تنافس أمريكا الآن وتنافس روسيا وبعض بلاد أوروبا .

ولكننا مستهلكين لأننا نعنى بالقشور ولا نحاول أن نتعمق ، وإذا ما تعمقنا وصلنا الى القمة التى وصل اليها غيرنا ، وهناك بوادر جديدة ظهرت الآن فى البحث العلمى ، ولكن لا شك كان ذلك فى الثلاثينات والأربعينات أمكن وأوثق مما انتهى اليه فى الخمسينات والستينات وشيئا من السبعينيات ، ولكن الآن بدأنا فى الاستيقاظ ونقول :

لم لا يكون لنا بحث ؟ لم لا يكون لنا انتاج ؟ لم لا تكون لنا نظرية ؟ .

وسبيل ذلك تخصص عميق ، واعداد كامل ومتابعة لما يجرى شرقا وغربا .

لذلك آن الأوان أن يكون تعليمنا الجامعى ليس مجرد تقديم أو جمع معلومات ، وإنما يجب أن يكون فيه بحث وتخصص عميق ، وهذا يأتى بضرورة اعداد الطالب اعدادا جيدا للبحث واعداد العدة اللازمة للبحث ، وعندنا مجمع بحوث ، ومركز بحوث ، الى آخر هذه الأماكن التى وصلت الى نتائج محلية متعمقة فى الزراعة والصناعة المصرية ، فيها الجديد ، الذى يمكن أن يجعل لنا انتاجا شبيها بالانتاج الذى يحدث فى أوروبا والبلاد الغربية المختلفة ، اذا أعددنا الباحث ووفرنا له سبل البحث ونقفه على ذلك ، ونبعده عن التسابق على الوظائف الرئيسية والسياسية أو نحو ذلك ، لأن

العلم لا يعيش في هذا الجو ، وإنما يعيش في جو الهدوء وفي جو
التعمق والتخصص والرهينة .

حققت رغبة أمي

● ● لك كلمة تقول فيها أن « الحب هو انسجام » .
هل حدث ذلك عندما تزوجت من قريبتك ابنة عبد الخالق مذكور
باشا ؟

— الحمد لله انسجمنا منذ أن التقينا ولا نزال منسجمين حتى
الآن ، والمسألة ربما ترجع في النهاية الى تلاقي الأوساط بعضها
ببعض ، وليس هذا من الموضوعات التي أحب أن يكتب فيها .

● ● هل تحب اذن أن نتكلم عن دور الأم في حياة الدكتور
ابراهيم بيومي مذكور ؟

— الواقع أن أمهات الأمس تختلف كل الاختلاف عن أمهات
اليوم ، حتى لو كن أميات ، ذلك لأن الارتباط الأسرى كان أقوى
مما هو عليه الآن ، فقد كان الطفل أو الشاب يظل بين أحضان
أمه الى أن يقوم بتكوين أسرة ، وقد تكون أسرته معها في نفس
البيت ، ومن هنا كانت صلة الأمومة أقوى عطفًا وحنانًا وتعلقًا ،
ويكفي أن أشير الى أنه قدر لي أن أسافر في بعثة الى أوروبا ، كانت
والدتي هنا في مصر وشغلها الشاغل أن تطمئن على سير العمل ،
وقدر لي أيضا أن أقضى مدة البعثة كاملة دون أن أعود خلالها ،
مما زاد أمي تعلقًا بي ، وهنا لا بد أن أشير الى أن حنانها هذا كان
له أثره فيما يتعلق بأبنائي ، ولا أظنني وصلت في هذا الحنان
الى الدرجة التي شعرت بها ، منها ، مع أنها فارقت الحياة وكنت
رجلاً ، وبطبيعة الحال كان يعنى الأم أن تتم رسالتها بأن تطمئن على

أن الابن كون أسرة ، وما أن عدت من سفرى حتى كان شغل أمى
الشاغل أن تتم هذه الرسالة ، وقد تمت بحمد الله .

• وكان من سعادتى أن حققت رغبة كانت فى نفسها .

• • الكراهية فى حياتك مساحتها قليلة • • فما الذى

اضطرك اليها ؟ •

— أحمد الله أننى لم أبتل بها فى شىء مع أنى ولدت فى أسرة
كان والدى فيها متزوج باثنتين ، ومع هذا كان الاخوة أبناء أبيهم
جميعا يلتقون ولم يكن لاختلاف الأم أثر فى نفوسنا .

• • هل بقى من أحلامك شىء لم يتحقق ؟ •

— أحمد الله الذى ما رجوته فى شىء الا تحقق ، ولكننى
لا أزعج أننى كنت كثير المطامع أو كثير الأحلام .

• • ما هو العنوان الذى يضعه د • ابراهيم مذكور بيومى

مذكور عنوانا على ملف حياته ؟ •

— الايمان بالحق والواجب العام .

أعتقد أننى كنت أحترم دائما حقوق الآخرين وأدافع عنها
ما وجدت الى ذلك سبيلا ، سواء فى التربية الجامعية فيما يتعلق
بمعاملة طلابى والمساواة بينهم دون محاباة ودون تفضيل ،
أو حين قدر لى فى حياتى البرلمانية أن أكون عضوا فى لجنة
يسمونها اللجنة المالية ، التى وظيفتها أن تبحث طلبات الدولة ،
المقبول منها وغير المقبول ، الناقص والذى يجب استكمالها ،
ومن هنا غرست فى نفسى الدفاع عن الحق • • حق الفرد وحق
الجماعة ، هذا الى أننى كنت أستنكر على كثيرين ممن يطالبون
بحقوق بدون أن يؤدوا الواجبات ، ومن هنا كان ايمانى بالواجب
مساويا تمام المساواة بايمانى بالحق ، ودافعت عنهما
بدرجة واحدة •

● فتحي رضوان :

بعيدا عن السياسة

فتحي رضوان رجل من رجال السياسة البارزين في بلدنا واحد
القطب المعارضة . كان زميلا لأحمد حسين زعيم مصر الفتاة ويقول ان
ابراهيم شكري زعيم حزب العمل قد نشأ في حجره . . وقد استطاع
فتحي رضوان ان يعيش في الاضواء دائما الا اذا اختار هو الابتعاد
عن الضوء كما حدث حين ترك الوزارة في نهاية الخمسينات بعد ان
قال وزيرا في حكومة الثورة منذ قيامها . . لقد كان مسجوناً حين
حدثت فاخذه من المعتقل الى الوزارة وحين قرر الابتعاد عن السياسة
طلب من عبد الناصر الا يتعرض له احد من قريب او من بعيد فقد قرب
ان يمارس المحاماة من خلال مكتبه في ٢٤ تسارع عبد الحالى ثروت
بوسط القاهرة وظل هكذا الى ان جاء عصر السادات واطلقت الحريات
فبرز مرة اخرى حتى نكسة الديمقراطية فاعتقل ضمن من اعتقلوا في
شهادات سبتمبر الشهيرة ١٩٨١ ليفرج عنه في عهد مبارك ليظل على
رأس صهوة المعارضة حتى وفاته ، وفي هذا الحوار الذى أجرته معه في
٢٩ ابريل ١٩٨٤ دارت الأسئلة والاجوبة بعيدا عن السياسة وان
مستها مسا خفيفا .

● ● سألته : لماذا أنت حريص على الاستمرار في موقع
المعارضة ؟

— قال فتحي رضوان :

لأن الأمور في بلادنا تستدعي أن تكون كذلك .

● ● ألم تقل يوما . . نعم . . أم أنه لابد ان تقول . . لا . .
والا فلن تكون معارضا ؟

— كثيرا ما قلت . . نعم . . خلال الخمسين سنة التى اشتغلت

فيها بالسياسة ، ف « نعم » ، تقال حينما تصبح واجبة ، ولا تقال حينما لا تكون لها ضرورة ، ولقد وافقنا على مواقف كثيرة في مجال السياسة والادارة والاقتصاد « للحكومة الحالية » ، من ذلك مثلا مواقف السيد الرئيس حسنى مبارك مع اسرائيل والولايات المتحدة ردا على التصرفات الخاطئة الصادرة منها ، فعدم اعادة السفير المصرى الى تل ابيب (*) ، وتنبيه أمريكا الى الخطر الناجم من نقل سفارة الولايات المتحدة الى القدس ، وكل المواقف الأخرى المتصلة في هذا المجال تظهر بتأييدنا ورضائنا وثنائنا على مسلك الحكومة .

● ● هل تعتقد أنك دائما على صواب ؟

— طبعا . . ولو خالجنى الشك فى أى موقف ليس صائبا لما استطعت أن أتشبث به وأن استمر فيه .

● ● هل تعترف بالخطأ وتعلن رجوعك عن رأى قلته ثم تبين خطأه أم أن ذلك يتنافى مع كبريائك كمعارض ؟

— أولا ليس هناك كبرياء خاص بالمعارضة انما نحن نتصرف كمواطنين نرجو أن نقوم بالواجب دون أن نقحم كبريائنا أو تواضعنا فى شئون السياسة وصالح الأمة ، وأنا مستعد أن أعلن أنى أخطاء التقدير اذا ما اتضح خطأ رأيي ، ذلك مع الاعتذار للمواطنين عن موقف اتخذته بلا تمهل ولا روية .

● ● وهل حدث أن عدلت عن رأى أو موقف تبين عدم صحته .

— لم يحدث ، ليس لانى معصوم من الخطأ وانما لان موقفنا من الأمور التى تجرى موقف مبدئى قائم على دراسة طويلة على

(*) كان ذلك احتجاجا على الاجتياح الاسرائيلى لجنوب لبنان .

المبادئ اخترناها منذ بدء حياتنا السياسية ، ونحن نستهدى بهذه المبادئ في كل ما يجد من الأمور ومن ثم فأننا لا نجد فيما نقوله خروجاً على المصلحة العامة التي تستدعى رجوعنا عن شيء قلناه أو عمل أتيناه .

● ● ما هو دليل المعارضة الدكية في رأيك ؟

— هو تبين المصلحة ، وما كان محققاً للمصلحة العامة اعتبرناه صحيحاً وأيدناه ، وما كان خارجاً على هذه المصلحة عارضناه ودعونا الحكومة للعدول عنه ، وليس لنا دافع شخصي إطلاقاً وإنما نحن نضمر للحكومة وللرئيس حسنى مبارك كل رغبة في الخير ونتمنى له وللحكومة التوفيق والنجاح .

● ● متى تنلم ؟

— أندم على كلمة أقولها بلا تفكير ، أو على إساءة ظن بشخص يثبت أنه ظلم لهذا الظن السيئ ، أو على أمر أزعجته إلى الغدا ويترتب عليه ضرر بى أو بالذين أتولى أمورهم .

● ● متى ترى أنه يجب أن تكون ناكراً للجميل ؟

— لا يمكن أن أكون ناكراً للجميل إطلاقاً ولكن أتصور نظرياً أن يكون هناك صراع في نفسي على اتخاذ قرار بشأن شخص معين يكون قد أسدى لى جميلاً شخصياً ولكنه ارتكب خطأ قومياً ، فقد تساورنى نفسى — والنفس أماراة بالسوء — أن أغض النظر عن الخطأ القومى اقراراً بفضل الشخصى ، ولكن لم يحدث على ما أذكر أننى رجحت الاعتبار الشخصى على الاعتبار العام .

● ● هل يتحكم المزاج فى عملك ؟

— طبعاً المزاج والحالة النفسية لا شك هما ذو تأثير عميق على ما يصدر عن الانسان من أعمال سواء كانت أدبية أو سياسية أو قانونية ، لذلك فإن تهيئة الانسان للعمل ونشاطه وصفاء نفسه

تجعله أغزر انتاجا وأوفر جمالا وأقرب للكمال ، فى حين أن عمله وهو مضطرب النفس ، ضيق بشئ أو بشخص يدفعه الى ضعف جلده على العمل وتجويده .

● ● أين تجد العظمة ؟

- العظمة هى فى ايمان الانسان بعقيدة صالحة والتضحية فى سبيلها ، والاستمرار فى العمل على ضوئها ، وعلى وجه خاص عند المتاعب والمصاعب التى تدعو أكثر الناس الى الفرار من ميدان العمل واللجوء الى نقض اليد من السعى والمثابرة .

جاهز بشنطتى

● ● ما هو أسعد يوم عشته فى حياتك ؟

- ربما يكون هو يوم قيام الثورة وأنا فى المعتقل ، لانه اجتمع فى هذا اليوم سببان للسعادة : عام وشخصى ، فقد كان من المحتمل فى يوليو ١٩٥٢ ، أن استمر فى الاعتقال الى أجل غير مسمى ، وربما كان يدبر لنا مصير سيئ لو استقر الأمر للملك والانجليز ، وفى الوقت نفسه كان بقاء الملك على عرشه وبقاء الانجليز فى بلادنا نذيرا بمستقبل مظلم ، الى أن أفرج عنى وسقط الملك ، فكان ذلك فرحا مزدوجا .

● ● ما هو الموقف الذى لا تنساه ؟

- موقف أذكره وأنا متهم فى قضية مقتل أحمد ماهر ، فقد تبرع زميلى فى كلية الحقوق والذى صار وكيلا للنيابة بأن يشهد ضدى وهو وكيل نيابة مع كونه زميلا لى وبلدياتى ، ليحصل على مكافأة عشرة آلاف جنيه لادانتى ، ومن العجيب أنه حينما توليت الوزارة كان هو أول من طرق بابى من

أجل خدمة نافهة لنقل قريب له الى مكان يريده ، وقد نسي ما فعله
بى بالأمس ! •

وأذكر فى المقابل « خادم » كان يعمل عند أختى ورأى فى
بيتها « حسين توفيق » الذى كان محكوما عليه فى قضية مقتل
« أمين عثمان » فارا من وجه الحكومة ، وكانت هناك مكافأة عشرة
آلاف جنيه لمن يرشد عنه ، وحينما رآه هذا الخادم ، قرر أن يترك
العمل عندنا حتى لا يقع فى الاغراء ويرشد عنه ليقبض المكافأة
وهو فقير ! •

وهذا الموقف الأخير يمثل المصرى فى أصلته •

● ● وما هو اطرف موقف شاهده ؟ •

— حينما قامت الثورة كانت وسيلتها لاحتضار الوزراء
المرشحين لتولى الحكومة ، هو استدعاؤهم برجال الشرطة العسكرية ،
وقد رأيت بعينى رأسى عددا من الوزراء يساقون الى مجلس قيادة
الثورة ، وكانوا يتصورون أنهم معتقلون ، فكان الواحد منهم
يقول : والله أنا ما عملت حاجة ! • ثم يفاجأ بأن الوزارة تعرض
عليه •

● ● كيف كانت علاقتك بعبد الناصر ؟ •

— كنت أختار معه الوزراء ، وكان دائم التردد على بيتى
ويدعونى الى بيته دون أى مواعيد سابقة ، وكان يعتقد أننى
معارض مخلص له • ولذلك كان يستمع لى ويتأثر بى باعتبارى
عضوا فى الحزب الوطنى القديم دون أن تكون لى أية أغراض ، ولكن
مع كثرة المنتفعين بالثورة والمتقربين الى جمال عبد الناصر ، ومع
كثرة مسئولياته ، كل ذلك جعل لقاءاتى به تقل ومن ثم لم يعد
هناك متسع لتبادل الراى وبلورة الأفكار ، مما جعلنى أشعر أن.

ثوري قد انتهى مع عيد الناصر وثورته ، فاعتزلت السياسة حتى
عودة الحياة الحزبية في عهد السادات .

● ● هل كنت تتوقع الاعتقال ؟

.. أنا دائما جاهز ومستعد بشنطتي للاعتقال - ثم أضاف
عُتحي رضوان قائلا لي وعلى وجهه ابتسامة ودودة : انك بذلك
تقترب من السياسة التي جئت لتجرب حديثا بعيدا عنها .
فقلت له : معك حق .. لتعد اذن الى حديثنا بعيدا عن
السياسة ، ولكن هيهات فالحديث مع رجل مثلك في أى موضوع
ولو شخصي لابد وأن ينتهى بنا الى السياسة ، ومع ذلك فلنحاول .

غلطة حياتي

● ● اين تجد الحب في حياتك ؟

- تجده من أول يوم ولدت فيه الى اللحظة التي أحدثك فيها ،
فانا منذ أن فتحت عيني على الحياة وأدركتها ، وجدت أمي وأبي
وأخواتي ، يحيطونني جميعا بالرعاية ، فهذه سنة العائلة المصرية ..
هذا أولا .

وثانيا كنت الولد الأصغر والذكر الوحيد ، وكانت أمي
سيدة فذة وان لم تذهب الى المدرسة الا أنها هيات لي مكتبة لم
تهيبها أم لابنها في تلك الأيام ، فقد جمعت لي أعداد جريدة
« اللواء » اليومية الذي أصدره مصطفى كامل في الثلاثاء الأول من
يناير في السنة الأولى من القرن العشرين سنة ١٩٠١ ، وقد وجدت
فيها وفي تاريخ حياة مصطفى كامل الذي كتبه شقيقه « علي » ،
وفي كتاب « رسائل مصرية فرنسية » الذي ضم خطابات مصطفى
كامل مع الصحيفة الفرنسية مدام « جوليت آدم » ، وغير ذلك من
الكتب ، التي وجدت فيها بذور الثقافة الأدبية والوطنية ، وقد

أخذتني أمي عندما عاد سعد زغلول من المنفى في ٤ فبراير ١٩٢١ ،
إلى شرفة في عمارة لا تزال قائمة في ميدان الأوبرا ، لتحية الزعيم
القادم من أوروبا ، ولما جاء جثمان محمد فريد من أوروبا أمرتني أمي
أن أسير في تشييع الجثمان من ميدان المحطة إلى مدافن السيدة
نفيسة ، وقد بقيت هذه الأم ترعاني وتدعوني إلى كل الفضائل
التي كانت تؤمن بها والتي تأثرت بها ، وبعد ذلك لم تخل حياتي
من الحب ، فقد أحببت زوجتي وأحبها ولا أزال ، وأحب أولادي ،
وأصدقائي وزملائي . وكثير ممن تأثرت بهم من الكتاب والمفكرين
أمثال غاندي وتولستوي .

● ● ● من تقرأ ؟ ●

— قرأت لمعظم الأسماء التي لمعت في بلادنا وفي أوروبا وخارجها ،
مثل ديستوفسكي ، تشييكوف ، أوسكار وايلد ، برناردشو ،
بروست .

وفي بلادنا قرأت للقداامي كافي العللاء المعري والمتنبي
والجاحظ ، وللمحدثين كالمفلوطي وعبد الرحمن شكري .

● ● ● وأحدث ما تقرأه ؟ ●

— بحث عن الصهيونية اشترك في وضعه عدد من الباحثين
العرب .

● ● ● ما هي غلطة حياتك ؟ ●

— كنت أحب أن أتفرغ للعمل السياسي أكثر مما تفرغت له ،
لأنني كنت أشتغل بالمحاماة والسياسة ، ومرد ذلك « فقرى » وعدم
وجود مورد ، ولكن كان يجب على أن أدبر من العمل السياسي موردا
متواضعا يثنييني عن الاشتغال بالمحاماة ، ولكن رغبة مني في
الاعتماد على مصدر رزق من السياسة كما يفعل أكثر المشتغلين
بالعمل السياسي في أوروبا ، جعلني موزعا بين الجهادين .

• • كيف تغفل اذن الى السياسة ؟

- السياسة ليست ترفا وانما هي فناء فى العمل العام
وانقطاع له .

• • متى تياس ؟

- لا أريد أن أدعى البطولة وأزعم أنني لا أياس ، ولكننى
أقرر صادقا غير مدع أن شعورى بالياس والامل يتناوباننى فى
مواقف عديدة ، ولكننى لم أنفض يدى من العمل السياسى أو الوطنى
رغم أننى مررت بفترات طويلة كان كل شىء يؤكد أنه لا فائدة من
هذا الذى نفعله ، فقد كانت العقبات ضخمة ، وكان أقرب الناس
الى يدعوننى الى نفوذ اليد من العمل السياسى والاقبال على عملى
بالمحاماة الذى أرتزق منه ، ويضربون لى الأمثال على وصولية
وانتهازية ونفعية أكثر الذين يتصدون للعمل السياسى ، والذين
يدخلون العمل السياسى مغمورين فيشتبهون ، وفقراء فيثرون ،
وبلا نفوذ فيصيرون من ذوى السلطة والحكم ، وكان مثل هذا
الكلام يفت فى عضدى أحيانا ويجرعننى مرارة ، ولكننى كنت أتجلد
وأغالب نفسى وأمضى والله يمد يده الينا وينقذنا من هوة اليأس .

• • متى تفقد صبرك ؟

- قل أن أفقد صبرى أمام حالات بذاتها ، منها تنطع
المتنطعين ، وتبجح المضبوطين بالخطأ والذنب ، ومما طلة المماطلين
الذين لا يجدون الشجاعة فى أن يقولوا انهم لم يفوا بوعودهم ،
وتوقع الوقحاء الذين يتجاوزون كل حد ويتصورون أن صبرنا
عليهم وسكوتنا ، من قبيل الضعف .

• • لو تقيمت شخصية أخرى غير فتحى رضوان .

فمن تكون ؟

— كنت أريد أن أكون أى مواطن صالح ممن خدموا بلادنا
ولو لم يكونوا من المشهورين وذوى المكانة .

• • • من تعلمت وماذا تعلمت ؟ •

— تعلمت أولا من أمى ، ثم تعلمت من الكتب التى أثرت فى
كتاب حياة مصطفى كامل ، كما ذكرت لك من قبل .

كما تعلمت من زميلى المرحوم أحمد حسين الذى زاملته فى
الحياة السياسية ابتداء من السنة الثانية الابتدائية ، وقد تعلمت
أهم ما تعلمته منه أن الايمان بفكرة هو بداية النجاح حتى لو كانت
الفكرة عمل محل لبيع « الطعمية » ، وقد رأينا طلعت حرب الذى
نجح فى بناء بنك لمصر ، عجز عن ادارة مركز لتجارة الالبان ،
ولا يرجع ذلك الى أنه شاق ، ولكنه لم يكن مؤمنا بأن هذا
حتمى ونافع ، فحيثما يكون ايمانى كاملا بأى خطوة أنجح فيها ،
كما تعلمت من أحمد حسين كل ما ينقصنى ، فقد كنت صبيا
خجولا عصبيا ، وكان هو صبيا جريئا مقتحما على الصوت واثقا من
نفسه .

وتعلمت من « غاندى » الايمان بالانسان وأنه مصدر قوة
هائلة تغالب الجيوش وتغالب الأهوال وتغالب كل قوى الشر ،
وكان غاندى فى ذلك تلميذا لمحمد بن عبد الله وللمسيح ،
ولتولستوى ، وقد تعلمت من تولستوى الأسلوب الأدبى الذى
يجعل الأدب دعوة وليس متعة لازياء وقت الفراغ أو تلهية القارئ
أو تملق نزواته ، مع ثقافة واسعة جدا ومكافحة روحية ضخمة
لإصلاح نفسه .

التوفيق بين القط والفئران

● ● من هم أصدقاؤك من غير البشر ؟

— كنت صديقا لأشياء غريبة جدا ، وأنا طفل كنت أربى فطا ، وفى الوقت نفسه كنت أربى مجموعة من الفئران البيضاء ، ومع ذلك فلم يحدث قط أن « القط » حاول أن يعتدى على الفئران الموضوعة أمامه فى قعص ، والذى غذيها حتى تضخمت وأصبحت هدفا شهيا « لقط » . ثم كنت أربى « دودة القز » ، وحينما كنت أذهب الى أى بلد فى الريف كنت أقضى معظم وقتى فى اسطبل « الحيل » .

● ● كيف نجحت فى عقد صداقة بين القط والفئران على ما بينهما من علاقة عداء طبيعية ؟

— انها التربية التى جعلت العلاقة الحميمة مع الحيوان تجعله يتحول الى صديق على خلق ، ولا أذكر مطلقا أن « القط » الذى ربيته قد سرق منى قطعة لحم أو اعتدى على أحد ، وكان ينام معى فى فراش واحد ، ولا أذكر أبدا أنه ضغط على وأنا نائم ، أو سببه لى حرجا .

أما الفئران فقد كان اهتمامى بها لأنها بيضاء نظيفة جدا ، ولم أتبين أنها كانت من جنس واحد « ذكور » ، لأنها لم تلد ، وظلوا يلازمونى الى أن اختفوا من حياتى لسبب لا أدريه ، وأذكر أننى عندما كنت أقترّب من قفص الفئران كانوا يقفون على أقدامهم الخلفية ويستثمرون فى عمليات تدل على السرور لاقترابى منهم ، وذلك تعبيرا وردا على اهتمامى بهم ، وعلى ضالة حجمهم كانوا يؤنسوننى ، وكانت الألفة بين الفئران والقط تدعونى الى سرور شديد لأنى نجحت فى الجمع بين العدوين الطبيعيين .

❶ ❷ وماذا عن الخيول ؟

- كنت شديد الإعجاب بها رغم أنني لم أركبها مع من يركبون ، ولم أحسن ركوبها ، ولكنني أعجبت بمنظرها ، وكنت أراقب كل ما يتصل بالخيول من سباقات وعمليات ترويض ، كل هذا كان يثير في نفسي مشاعر السرور بحصول صداقة بيني وبين هذا الحيوان النبيل .

❸ ❹ أو ليس الحيوان مؤذيا أحيانا ؟

- الحيوان يؤدي أحيانا ، وهذه فلسفة الحياة ، فليس هناك خير كامل ولا شر كامل ، بل مزيج من الخير والشر ، علينا تحويل الشر الى خير لكي تستمر الحياة .

❺ ❻ من يستطيع أن يرسم على شفئك ابتسامة ؟

- أناس ليسوا بالضرورة من المشهورين ، فأنا أضحك كثيرا على الروايات الفكاهية أو الأفلام المضحكة ، ولكنني أضحك أيضا على أشياء من ناس عاديين في مواقف عادية تنطوي على مفارقات أو عجز انساني ، ان ذلك يضحكني أكثر بكثير من المواقف التي يؤلفها المؤلفون .

❼ من يستهويك من المطربين ؟

- أذننى لا تجعلنى من الموهوبين سماعيا ، فأذننى ليست موسيقية ، ولا أسعى للاستماع قصدا الى أغنية معينة ، ولذلك ليست لي أغنية مفضلة .

❶ ❷ عندما كنت وزيرا للإرشاد القومي كانت الاذاعة هي الوسيلة الاعلامية الأولى الأكثر تأثيرا في الناس . . فماذا تقول عنها اليوم ؟ .

لقد عملت في الاذاعة سنوات وأنا أشهد بأن الاذاعة مطلقا هي من أضخم ما اهتدى اليه الانسبان علميا وروحيا ، فهي تفتح البيوت لا من الأبواب ولا من النوافذ ، ولكن في كل وقت وبكل لغة ، تتحدث لتعلم ، وتحدث لتؤنس ، وتحدث لتبهر ، وتحدث لتطمئن ، فهي قوة هائلة تكاد تكون مظهرا من مظاهر الله العلي الأعلى ، واني لأرجو للاذاعة في بلادنا توفيقا في خدمة الشعب ، وفي خدمة الحق ، وفي خدمة الفن ، وفي كل مجال ، رعاها الله وسدد خطاها .

• • • نجوم تحب أن تراهم على الشاشة ؟ •

- أولا الساعات التي أقضيها أمام الشاشة ، قليلة جدا ، وموقفي منها كالأغنية ، فلا أجلس عامدا لأشاهد شيئا ، ولكنني أعتبر « محمود مرسى » من الشخصيات التي أفضل مشاهدتها ، ومن الممثلات « سهير البابلي » .

الصعود الى قمة الجبل

• • • ما هو الكتاب الذي لا تستطيع نسيانه تعود اليه دائما ؟ •

- صفة سيئة عسى ، وهي أني لا أقرأ الكتاب الا مرة واحدة ، ما عدا القرآن الكريم ، فأنني أختمه تلاوة كل عشرة أيام •

• • • متى رأيت الله في مواقف حدثت لك ؟ •

- رأيت الله كثيرا وأنا كثير المرض وأنا طفل ، فقد مررت بأشد الأمراض خطورة ، وكانت بعض هذه الأمراض تهدد قلبي ، وكنت أرى على وجه عائلتي اليأس من حياتي ، ولكنني في كل مرة

كنت أنجو من الموت وأستمر في الحياة ، وفي كل مرة تبم هذه النجاة ، كنت أرى الله في رحمته .

● ● إذا صادفك ليلة القدر فما دعاؤك إلى الله فيها ؟

— أدعو الله بالصحة والستر ، ولو أني كنت قبل خروج الانجيليين أدعو الله لبلادي بالاستقلال وأن يزول الحكم الفاسد ، وقد علمتني الأيام أنه ليس هنالك أكثر من أن يمنح الله الانسان ، الاحسان بالصحة والستر ليكون قادرا على أن يخدم بلده الى آخر العمر .

● ● هل لك آمال لم تتحقق ؟

— رغم تحقق آمالي في الاستقلال وزوال الحكم الفاسد ، الا أننا لا نزال نعاني اضطرابا وفقرا وتخلفا وفوضى ، أرجو أن يزول .

● ● أقصد آمالك الشخصية التي تود تحقيقها ؟

— عندي مشروعات كتب كنت أريد أن أفرغ من كتابتها لتطبع ويكون لها أثر وتتاح لها فرصة التأثير في الرأي العام بالقدر الذي لم يتحقق لكتب لي في السياسة والادب .

● ● ما هو العنوان الذي تريد كتابته على ملف ميسنات

عمر ؟

— نجح بدرجة متوسط أو مقبول !

● ● هل هذا تواضع ؟

— هذا هو احساسى الحقيقى ، وهذا أدعى للطموح وليس للتواضع .

● أحمد بهاء الدين

وقصة معارك يومياته

في سنة ١٩٣٧ كان احمد بهاء الدين تلميذا في السنة الأولى بمدرسة الابراهيمية الثانوية وزعيمها في ذلك الحين الذي كان فيه تلميذا وفديا متطرفا .. وفي تلك الفترة اشتعل الحزب الحزبي في مصر اشتعالا شديدا فقد انشق السعديون عن الوفد واقيمت وزارة مصطفى النحاس وانتشرت اضطرابات الطلبة في جميع أنحاء المدارس حيث يخرج التلاميذ ومنهم احمد بهاء الدين لثقل رجال البوئيس بالاكواب

الليثة بالرمل وتعطيل حركة المواصلات .. وفي ذلك الوقت كانت مجلة « روز اليوسف » تشن على الوفد اعتكاف الحملات ، فكان احمد بهاء الدين وزملاؤه يشترون أعدادها ويضعونها في كومة واحدة وسط فناء المدرسة ويشعلون فيها النار حتى لا يقرؤها أحد .. ونفذوا هذه الخطة اسبوعين متتاليين حتى اكتشفوا ان مبروئهم البسيط لا يكتفى لشراء كل النسخ التي تطبعها « روز اليوسف » وكان اول درس تعلمه في حياته العملية ان منع الرأي الآخر لا يظلم رأيك وان نيران الأرض ليس في قدرتها ان تلتهم رأيا واحدا اذا كان صائبا ، وان الطريق الوحيد لكي لا يبقى الا المسحيج هو حرية كل الآراء

والمناقشة علنا وفي حرية اذا كنت تحب المجتمع أكثر مما تحب رأيك المنسوب اليك . وبدأ احمد بهاء الدين يقرأ « روز اليوسف » قبل ذهابه الى المدرسة لكي يذهب اليها وفي رأسه ردود حاضرة على كل شيء فيها ، وهو يخفي عن زملائه انه قراها ولذلك كان يقول لهم : لعل لحصوم الوفد سيقولون كذا .. والحقيقة كذا .. وكانت حجته السياسية مقنعة .. ورغم حصوله على ليسانس الحقوق كما كان يعمل ليكون محاميا للدفاع عن كل القضايا التي يراها عادلة في النظام الا أنه اكتشف ان المحاماة والاشتغال بها لن يحقق له طموحه للدفاع عن الشعوب المظلومة والطبقات المهمومة لأنه وجد ان القانون المدني هو اسخف علم فما له وحق الشفعة وحق النفقة وحق الدائن المرتهن ،

انه يريد حق الحرية والمعدل والمساواة ، ولذلك لم يجد احمد بهاء الدين وسيلة يمارس بها هذه المعاني الواسعة الا في الصحافة رغم تخوفه منها وتردده في الالتحاق بها ظنا منه ان كل صحيفة لديها قالب ، تضع فيه المحرر الذي يلتحق بها ، وهو يريد ان يحتفظ بحرية رايه بعيدا عن اى قوالب . . وفى ذلك الوقت كان احمد بهاء الدين قد التقى مع « روز اليوسف » فى الراى وكان ذلك سنة ١٩٥٢ وفى ذات صباح من تلك السنة قرا احمد بهاء الدين ان نجيب الهاللى يسن قانونا يرفع به نسبة رؤوس الاموال الاجنبية فى المؤسسات المصرية بحيث ان مصر ليس فيها رؤوس اموال كافية . واعتاظ احمد بهاء الدين لان حكاهم مصر آنذاك ينفقون الملايين على مواثد القمار فى اوربا وثروة مصر ضائعة منهوبة بين تحالفات الاقطاع والراسمالية المستغلة ، وكتب احمد بهاء الدين مقالا عنيفا حول هذا الموضوع وارسله مع صديق الى « احسان عبد القدوس » ، فاذا ببهاء يفتاجا بنشر مقاله فى مكان يارز بروز اليوسف ، والتمويه عنه فى الصفحة الاولى . وادرك احمد بهاء الدين ان هذه الصحيفة لا يهمها سوى العمل الجيد ايا كان صاحبه ، واصبح بهاء بنفسه يمر كل يوم جمعة على دار « روز اليوسف » ليسلم بواب الدار مقاله ثم يتصرف ليجده بعد ذلك منشورا فى ابرز مكان ، وبلغت الجراة ببهاء الدين ان يكتب مقالا يهاجم به الافتتاحية لرئيس التحرير . . وازدادت دهشة بهاء الدين وهو يجد مقالة منشورا كاهلا . . واكتشف بهاء الدين ان هذه الصحيفة لا تقيد الكاتب فيها ان يلتزم رايه او ان تضعه فى قالب لا يجسد عنه . . كل ذلك يحدث واحمد بهاء الدين لا يعرف احسان عبد القدوس وهو لا يعرفه حتى جاء بهاء الدين ذات صباح فى يوم جمعة ليسلم مقاله كالعتاد الى بواب « روز اليوسف » الذى لم يدعه يغادر الدار فقد كانت هناك تعليمات بالقبض عليه لمقابلة رئيس التحرير ليكون له مكتب فى « روز اليوسف » ليستمر بعد ذلك فى شارع الصحافة كواحد من ألمع نجومه ليصبح عموده اليومي « يوميات » من اكثر الاعمدة الصحفية التى لعبت دورا فى قيادة الراى العام . . ومع احمد بهاء الدين كان هذا الزوار حول يومياته ومنازكه فيها .

• وبدأ أحمد بهاء الدين حديثه مفتاحاً •

فقال : أغتاط دائماً من كلمة عمود وكتاب الأعمدة وأصحاب الأعمدة لأنها ترجمة خاطئة للمفهوم الخاص بها في الصحافة الغربية والأمريكية التي نقلناها عنها ، لأن ما يكتب فيها بهذا الشكل معناه الحقيقي هو المقال القصير المنشور وعلى شكل مربع أو مستطيل أو أى شكل من الأشكال ، مما يعتبر ميزة كبرى للصحافة اليومية التي صارت تعتمد على المقال المركز القصير مع انتهاء عهد المقال الكبير الذى يملأ صفحة كاملة حيث أنه زمان حين كان الكاتب يكبر ويتقدم فى السن فتزداد خبرته وتجربته فيعطونه مساحة أكبر ، الآن أصبح العكس ، كلما تقدم الكاتب خبرة وتمرسا تجد أنه يتجه لكتابة المقال القصير لأن التركيز أصعب مائة مرة من المقال الطويل ، وأظنها مشهورة تلك الحكاية عن سعد زغلول باشا الذى بعث الى صديق له بخطاب استغرق ٦ ، ٧ صفحات وفى آخر فقرة منه يقول له فيه : اعتذر عن الاطالة ، لقد كنت مشغولاً فى كذا وكذا ولم يكن لدى وقت للإيجاز ..

لأن المعنى تكتبه كما تريد أن تكتبه فى أى مساحة مهما طال الأمر كما هو فى ذهنك ، لكنك عندما تريد تركيز المعنى فى ذهنك فى مساحة صغيرة تجد أنك تحتاج الى مجهود ذهنى أكبر لكى تجعل اناء كبيراً من الماء مركزاً فى زجاجة صغيرة من الماء المقطر •

أجازة للصحف

● ● هل من الضروري أن يكون « العمود » أو المقال الصغير يومياً ؟

— هذه التقليدية الثانية فى الصحافة العربية ، وهذا وضع

لا نظير له في العالم ، ففي « الواشنطون بوست » مثلا حين يقال فلان من أهم الكتاب فهذا معناه بالكثير أن يكتب ثلاثة أيام في الأسبوع ، وهناك من يكتب مرتين أو مرة واحدة في الأسبوع ، ولكن الكتابة اليومية ولدت في الصحافة المصرية وأصبحت عادة رغم ما يتعارض من احكام الفكرة وجودتها ، لذلك أنا ضد هذا التقليد وأغيره قدر ما أستطيع ، لذلك في الأعياد قررت أن أجند أجازة ، فكانت هذه جيكاية وقصة ورواية ، كما قررت في أجازتي السنوية أن أتوقف لأنه ليس لازما وأنا في آخر الدنيا أن أكتب عمودا يوميا وأنا في عالم آخر ، لأنني أحب أن أكتب العمود القصير يوما بيوم مما يجعلني قريب الصلة بالأحداث مما يجعل كلامي كالأكل الطازج . ولكن ليس سرا أن بعض كتاب الأعمدة يسافرون يوميا فيترك سبتين عمودا في علبة « سردين » وكل يوم يستخرجون له « سردين » لعرضها .

وأنا لا أومن بهذا ، ولهذا فانا لا أنجو من نقد شديد سواء من الصحف التي أكتب فيها أو من القاري ، لأنني خالفت القاعدة أو كأنني « كسلان » أو « مقصر » أو أن هناك أزمة أو رقيب ، في حين أنني أقترح على زملائي كتاب الأعمدة أن يقوموا بهذا التغيير ، ويأخذ أحدها أجازة يوما في الأسبوع على الأقل . . فهل هذا كثير .

بل انني أصعد اقتراحي - وهو ينطبق على الصحف في العالم - أن تأخذ أجازة يوما في الأسبوع ، لأن من حق الصحفيين أن يرتاحوا يوما في الأسبوع ، وقد كان هذا هو العرف السائد عندنا في مصر ، وأنا أذكر جيدا في الطفولة والصبأ أن الصحف كانت تتبع هذا التقليد ، ولكن بعض أساتذتنا الصحفيين قاموا بحملة قالوا

فيها أنه لا يجوز حجب الأخبار عن القارئ لمدة ٢٤ ساعة ، وكان هذا وقت أحداث كبرى ، مع نهاية حرب عالمية أو شيء من هذا . وكان الرد على هذا أن تأخذ كل صحيفة يوما أجازة غير اليوم الذي تأخذ فيه صحيفة أخرى أجازتها ، ونفذ هذا لفترة ، ثم قضى عليه ، لوجود منافسة بين الصحف ، لأن الصحيفة الأوسع انتشارا تشعر أنها تقدم يوم أجازتها هدية للجريدة المنافسة ، مما قد يزعزع ارتباط القارئ بجريدته ، وعادت الصحف للمصدر يوميا ، مع أن رأيي أن يوم أجازة للصحف ضروري ، وأن نفس القارئ سيتلقى المعلومات والأخبار من مصادر كثيرة بعكس زمان ، فالآن توجد الاذاعة والتلفزيون ، خاصة التلفزيون الذي قضى على المجالات المصورة ، وضغط ضغطا شديدا على الصحف ، لميزتها في قطع الارسل واذاعة الخبر المهم ، لذلك فالقارئ لن يخسر لو لم يقرأ الصحف لأن الخبر المهم سيعرفه حتى من الآخرين .

أعد الكلمات

● ● كيف استقر بك الأمر عند كتابة المقال القصير بعد انقطاعك فترة عن الكتابة في مصر ؟

— كنت دائما أكتب مقالا أسبوعيا طويلا في صحف ومجلات عملت بها ، لكنني بدأت حياتي الصحفية في « روز اليوسف » بما نسميه « برواز » وهو أقرب شيء لما نسميه « عمود » في مساحة معقولة تحتوي ما بين ١٠٠ ، أو ٤٠٠ كلمة لا غير . وكان ذلك في أواخر الخمسينات ، ونجح « البرواز » نجاحا كبيرا ، وكان في الواقع هو أول شيء عملته وسأهم في نجاحي وشهرتي وتكوين اسم وطابع لي . ثم انتقلت الى صحف أخرى ، فكنت أكتب صفحة كاملة في « أخبار اليوم » و « الأهرام » ، فوجدت أنه صار لازما

أن أكتب موضوعاً كبيراً يتفق وحجم المساحة ، أو أن ألخص كتاباً أجنبياً .

ثم انقطعت عن الكتابة في الأهرام لما منعني السادات من الكتابة فترة من الفترات ثم عدت للكتابة مع بدء عهد مبارك ، وحدث سواء من الرئيس أو الأهرام نوع من الاستعجال لي في الكتابة في « الأهرام » بسرعة ، وكنت قد انقطعت عن الكتابة مدة لم تكن مقصودة ، لذلك كنت محتاجاً لفترة أطول لأنهياً فيها (نظراً لغيتي عن البلاد فترة قضيتها في الكويت ، لتأمل أشياء) لكن كان فيه استعجال في الكتابة حتى لا يبدو وجودي في مصر دون أن أكتب وكأنني في أزمة مع النظام . فوجدت أن الأسلوب الأمثل للعودة السريعة للكتابة هو ما نسميه بالعمود ، ولا أكتك أني أحببت هذا النوع من الكتابة رغم مشقاته لكن المقال في الكتابة طويلاً كان أو قصيراً يجب أن تكون فيه فكرة أساسية وموضوع أساسي وله حجمه . يمكن أن يكتب في صفحة ، ويمكن بشيء من الجهد أن يكتب في عمود ، وكتابة صفحة أسهل لأنها أسبوعية وليس فيها جهد لأنك تكتب فيها كل ما تكتبه عن الموضوع ولا تضطر للضغط والاجتزاء والاختصار .

ولكن للظروف التي شرحتها لك كتبت ما أسميته « يوميات » في شكل ما يسمى « عمود » وجدت حتى لا يطول أو ينقص أو تأكله الاعلانات ، أن أتفق مع الأهرام على مساحة ثابتة لا تزيد سنتيمتراً ولا تقل سنتيمتراً ، وقلت سألتزم وتلتزم الصحيفة ولا عذر بالاعلانات ، واتضح أن المساحة التي اتفقت عليها هي تقريباً من ٢٨٠ إلى ٢٩٠ كلمة . وتقوم السكرتيرة بعدد كلمات المقال القصير الذي أكتبه ولو زاد عن المتفق عليه أقوم باختصاره ، مما عودني الاختصار وغير أسلوبى لأنني صرت أدقق في استخدام كلمات مثل « ان ، ربما ، لعل ، عسى » .. الخ .

فرحت أستعمل سياسة التدبير والتقدير لاستبعاد أى كلمة قد لا يكون لها لزوم ، وهذا أفادنى بصفة عامة ، لكنها ليست مسألة سهلة على الإطلاق ، وقد أحتاج ساعات من أجل صياغة مقبولة وطرح الفكرة بشكل معقول وبأقل عدد من الكلمات ، بحيث يصبح كما نقول « لحم بلا عظم » .

❶ ❷ وماذا تفعل اذا كان الموضوع لا يكفيه مقال صغير واحد
عرضه وتحليله ؟ .

— هى صعوبة أخرى كبيرة ، لأن تقسيم الموضوع على حلقات لا يكون مقالا ، ولئى نفس الوقت لا يقتضى هذا التقطيع أن تكون بكل حلقة فكرة متكاملة . ولا أستطيع أن أقول ان هذا مثل الفرق بين المسلسلات التليفزيونية الأجنبية ، والعربية .

فالمسلسلات الأجنبية حتى لو استمرت عشرة شهور فان كل حلقة فيها تحتوى على فكرة يمكن أن تكون فيلما قصيرا ، ويمكن للمشاهد ألا يرى أكثر من حلقة ويجد فيها فكرة متكاملة ، بعكس المسلسلات العربية كلها حلقة واحدة مقصودة بمقص .

لذا أنا أشبه الموضوع الذى أكتبه بفكرة مكعبة من الخيط ، أخرج منها خيطا متكاملا فى حلقة ، ويمكن عرض الفكرة الصغيرة بشكل معقول ومريح ، وهو جهد من أصعب ما يمكن ، لأنه ليس مقالا يقطع رأسه لى مكان وذنبه فى مكان ، انما لابد أن أستوفى الفكرة فى حلقة حتى اذا لم يقرأ القارئ بقية الحلقات يكون قد عرف فكرة .

قال لى د . محمود فوزى

❶ ❷ ما هى المعارك التى أثارتها يومياتك عليك ؟

— أنا أعتز اذا جاز لى أن أعتز بشئ ، أن اليوميات التى

أكتبها من بضع سنوات قه أثار اهتمام القارئ الذي هو المواطن العادى المهوم بقضايا كثيرة لم تأخذ حظها من الالتفات والانتباه ، لأنه ليس فهمة الكاتب أن يشرح ماذا حدث بل يثير قضية ، لتتداولها الصحف .

وأستطيع أن أقول إننى أول من أثار قضايا البيئة والحضرة فى مصر ، وهى قضية ليست من اختراعى لكننى قرأتها وعشتها فى الكتب الأجنبية ، فإذا كان فى كل مكان كلام على قضايا البيئة ، فأننى أعتبر هذا نجاحا لى لأننى أدخلت فى قاموس الاهتمامات اهتماما جديدا .

وزمان كان عيبا أن يكتب كاتب كبير عن الزبالة ، الآن صارت موضوعات القذارة والزبالة ، عادية ، لقد حدث اليوم تغير شديد فى الوعي ، الى درجة أنه أمكن أن تاتى لى برقية فى مكان ما فى قرية ، يقول فيها مرسلها انهم يقطعون الشجر على ائترعة منبها الى خطورة هذا ، ومثل ذلك رد فعل ايجابى ، أيضا كنت أول من كتب عن تخطيط المدن والمباني العسامة ، وكنت احرص فى أى بلد أسافر فيه بالطائرة مسافة طويلة أن أرى نوع التخطيط فيها ، لمحاولة جعل المدن المصمتة بالمنسلج أكثر انسانية .

وقد أسرفت فى الكتابة فى مثل هذه الموضوعات لدرجة أن د. محمود فوزى - يرحمه الله - رئيس الوزراء ، كنت أجده كل يوم يعيننى فى لجنة من اللجان ، كلجنة إعادة تخطيط الأقصر ، ولجنة بناء الأوبرا الجديدة ، فلما قابلته وكنت أعرفه قلت له :

يادكتور أنا لا أقدر على الاشتراك فى كل هذه اللجان .

فدهشت عندما سألنى : ألسنت مهندسا ؟

قلت له : أنا قانونى مثل حضرتك .

فقال : أنا من كثرة ما قرأت لك ، عن التخطيط نسيت وأعتبرتك مهندسا ! .

وكننت أنا أول من نبه الى قضية نهر النيل والاسراف في استهلاك المياه . لأن من يتأمل التطورات يكتشف أننا على مشارف مرحلة من أهم مشاكلها قلة الماء ، وإذا قامت صراعات في الشرق الأوسط لن يكون موضوعها البترول ، انما الماء ، لأن أنهاره لا تكفي الحاجة ، ومشاكل لبنان واحتلال اسرائيل لها بسبب الماء . ومشاكلها مع الأردن بسبب المياه .

والماء على خطورته نتركه يتدفق ويصب في البحر المتوسط بملايين الأمطار المكعبة . فأصبحت هذه قضية في الرأي العام ولم تكن مألوفة .

ولا يخلو الأمر من المشاكل في هذه اليوميات ، وأشدها مع الجماعات الاسلامية ، رغم أنني لست ضد التيار الاسلامي ، وأكرر : لا أعترض طريق أي جماعة من الجماعات الاسلامية ، لأن أنا تراث وايمان ، ولدت ونشأت وتعلمت عليهما ، ولم أتخل عنهما يوما ولم أقلل من أهنيتهما . ولكن المشكلة التي أخشأها هي أن نأخذ الصحوة الاسلامية مأخذاً رجعياً ، وهذا موضوع ، معقد ، واستشهد بكلمة الملك حسين التي قال فيها أنه لا يجب كلمة الرجوع إلى الاسلام ، لكنه يجب التقدم للإسلام . نحن تأخرنا لأننا لم تكن على مستوى القيم الاسلامية الصحيحة . الجهل ليس قيمة اسلامية ، الانصراف عن العلم ، والانصراف عن الاجتهاد ، كلها قيم تدل على التأخر من عصر الامبراطورية العثمانية ، في مرحلة نحن نجد من كتابنا من يقول ان هدفه العودة للامبراطورية العثمانية باعتبارها امبراطورية اسلامية ، والحقيقة أنها امبراطورية بشر لكنها ليست امبراطورية اسلام ، لأنه لا أحد يستطيع أن يقنعني أن الاستغلال والظلم وامبراطورية المحظيات والخصيان والجوازي ، هي امبراطورية

إسلامية ، لكنها امبراطورية مسلمين ، لأنه يجب أن نفرق بين سلوك البشر المسلمين وسلوك الاسلام ، لأن الاسلام ليس مسئولاً عن الذين أساءوا الى طبيعته ، أو استخدموه لعمل امبراطوريات .

هذه قضايا طويلة عريضة ومعقدة ، أدرك صعوبتها وصعوبة اقتحامها في مناطق وشعوب أكثر هلامية ، والأمية فيها منتشرة ، وبساطة الشعور وعدم التعميق في الأشياء وترك ساحة الاجتهاد لكثير من الناس الذين فيهم طبعاً أساتذة أجلاء لكن فيهم من لم يتقن علوم الدين .

وهناك من يصيبهم الذعر من أى تفكير جديد ويخلطون بين الاسلام وسلوك المسلمين .

لذلك فالمعارك مستمرة ، وكل موضوع له أصدقاؤه وخصومه ، وكل له مصلحة فى اتجاه ، وآخر له مصلحة فى اتجاه آخر . وأنا أدرك الصعوبات الموجودة لمن يريد أن يكتب فى هذه المجالات ، لكن هناك من يستطيع أن يكتب وفى ذهنه كيف يتحاشى القضايا الصعبة الخلافية ، ويكتب فى سلام وهديء ، لكن أنا أزعج أئنتى طرف فى كل قضية ذات أهمية سواء كانت أحداث معاصرة أو أفكار .

وأحياناً أجد من يقول لى : لماذا تقتحم أفكاراً ، أكثر الناس قابليين بها ، أو تنتقد شخصاً محبوباً أو له نفوذ واسع فى الرأى العام ، ومرة فيه رجل كبير قال لى : لو كانت أم كلثوم موجودة بيننا وأنت لا تحبها أو لم يعجبك صوتها ، هل من الحكمة أن تنتقدها فى الصحف ؟ .

ففيه ناس ترى تحاشى الصدامات ، لكننى أقول بالعكس ، فإن الكاتب اذا استطاع أن يكون له رصيد عند القارئ ، هو ليس اسهما فى البنك ولا سندات ولا فلوس ، وإنما هو رصيد

معنوى للاستخدام ، على الكاتب أن يكون مستعدا ليضحى بجزء منه ليقول رأيه الحقيقى حتى لو نزل برصيده عند قارئه • فليس مطلوبا أن أرضى الجميع واكتب على الحياد • ويتعرض الكاتب للمشاكل كلما كتب أكثر ، خاصة اذا كان يكتب كل يوم •

والقضايا السياسية هي أول ما يثير مشاكل ، بتفسير الأحداث والتعليق عليها ، وأنا مستعد أن أقول رأيي مهما كانت المشاكل •

وأذكر اننى كنت أول من كتب عن فكرة قيام دولة فلسطينية طبقا لقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة ، وكتبت سلسلة كبيرة سنة ١٩٦٨ ، وهوجمت من كل طرف ابتداء من جمال عبد الناصر الى أبو عمار ، ومن جهات أخرى كثيرة ، واعتقد فى رأيي أنه لو أخذت فكرتى مأخذ الجد وصارت هدفا ، لكانت فرصة تحقيقها أكبر من الآن •

وأحيانا أطرح فكرة وأجد التيار ضدها ، فهنا لا يجوز العناد ، وأنا لا أجد عيبا أن أكتب وأقول اننى كنت مخطئا فى هذا الاجتهاد ، وكلنا يكتب اجتهادات ، بعضها يصح أو لا يصح ، لكن لا يجوز للكاتب أن يغير رأيه أو يخفيه لمجرد أن التيار ضده ، انما يجب أن يصمد قدر الامكان •

دفعت الثمن

● ● هل كانت لك مشاكل مع الرقابة ؟

— فيما يتعلق بى لا أذكر أن مقالا لى منع حتى فى أيام الرقابة حين كان الرقيب موجودا ، والآن هو رئيس التحرير ، وهناك أسماء من الكتاب لا يتعرض أحد لما تكتبه ليس لأنها فوق القانون ،

ولكن لأن ما تكتبه ينسب اليها ولا ينسب للجريدة ، فالقارىء
 أداة ما يقول : انظر ماذا يقول الأهرام ؟ ولكن بعض الكتاب بحكم
 الأقدمية يشار اليهم فيقول القارىء : انظر ماذا يقول فلان ؟
 ويحسب الكلام عليه ولا يحسب على الجريدة ، لذا جرى التقليد أن
 لا أخذ يتعرض عليه من هذا المنطلق . لذلك فأنا أدخل معارك
 ومشاكل تظل مشكلتى أنا .

● متى تكتب ؟ ●

— عندما يشغل بالى أى شىء أستمر فى متابعتة وليس لازما
 أن أكتبه فوراً ، وأثار الحرفة أو المهنة تجعلنى أختار توقيت طرح
 فكرة معينة ، لكى تترك أثراً مباشراً ، فى وقت يكون الجو فيه
 هادئاً ، والناس غير مشغولين بقضية مهمة ، لكى تستحوذ فكرتى ،
 الاهتمام بها ، لذلك فقد أوجلتها شهرين أو ثلاثة ل طرحها فى الوقت
 المناسب . أما لطبيعة القضية نفسها ، أو حين يكون الناس فى حالة
 استعداد للقراءة .

وهناك موضوعات أكتب فيها وتكون فكرتها قد أتننى قبلها
 بيوم ، وغادة ما تتعنى بالأحداث .

وأنا عادة ما أستمتع الى نشرات ال « بى بى سى » وأقرأ
 الصحف المصرية والعربية والأجنبية ، ولو وجدت فيها
 ما يستلفتنى ، يكون التعليق عليها أسرع ، أفضل ، وأحياناً تكون
 الفكرة حاضرة وناضجة فأكتبها فى دقائق ، وأحياناً تتعثر فى
 طرحها ومدخلها ومنطقها ، يعنى لا توجد قاعدة للكتابة .

● فى أى جو تكتب ؟ ●

— أكتب فى أى جو ، لأننى لست باحثاً أكاديمياً يتطلب مناخاً
 معيناً للكتابة ، فأنا كاتب صحفى ، أكتب فى أى زمان وفى أى

مكان ، لكن الأفضل جو الهدوء ، وأن يكون عندي مدى زمني ،
وليس ورائي لقاء أو مقابلة .

● ● هل أنت راض عن نفسك ؟ .

يقول احمد بهاء الدين :

لا يوجد أحد يرضى عن نفسه ، كما أعتقد ، ولكن حظي كان
جيذا في مهنة الصحافة ، واليوميات ، التي أعتقد أنها مرحلة مهمة
في حياتي من حيث التأثير على الرأي العام ، من أكبر المسئولين إلى
أصغر الناس ، وإن كنت دفعت ثمنا عصبيا وصحيا ، وهذا شيء
لا بد منه .

● مصطفى أمين

كل رؤساء التحرير تلاميذي

● عاشق الحرية التي نادى بها طوال حياته ، ثم أصبح من أقوى المدافعين عنها بعد سجنه .. تصله حوالى ثلاثمائة رسالة يوميا من قرائه .. كلها بتوقيعات أصحابها بعكس ما كان يحدث من قبل لم هو قبل ذلك - وبعده - أبو الصحافة المصرية .. تخرج في مدرسته كل رؤساء تحرير الصحف المصرية . أيضا كان صاحب اجرا فراد بتعيين اول فتاة للعمل بالصحافة التي أصبح جزءا بارزا من تاريخها واحد اعلامها الكبار ..

في البداية قال محدثنا الأستاذ الكبير مصطفى أمين .. انه سينتخب الرئيس مبارك .. لأنه لم يقصّب قلبا ، ولم يفصل صحفيا ، ولم يصدر قرارا يمتح كاتباً من الكتابة ..

قلت .. ولكننا نقرأ أحيانا بعض انتقاداتك ..

قال .. أنا مثلا عندما أطالب الرئيس حسنى مبارك بأشياء تدعم الحرية والديمقراطية ، فالتى بذلك احبه .. واريد ان يبقى ..

● ● ولكن البعض يحتاج بأنه في عهد الحرية ارتفعت أصوات الرصاص بينما لم يكن له صوت ، فى عهد التحاكم الفرد ؟

- فى أمريكا حرية عظيمة جدا ومع ذلك قتل كيندى ، وفى عهد استقلال الهند حرية عظيمة جدا عملها « نهرو » وقتل غاندى ، فالحرية لا تمنع الرصاص ، ولكن هناك فرقا بين اغتيال فرد فى عهد الحرية واغتيال شعب فى عهد الديكتاتورية .

ثم ان القول بأنه فى عهد الديكتاتورية لم يكن هناك تطرف ، فذلك لم يكن ظاهرة ولكنه كان موجودا تحت الأرض يتوالد ويتكاثر

وينتشر وأنت لا تحس به ، فبدلاً من أن يقول متطرف في عصر الحرية يسقط الحاكم ، فإنه في عصر الديكتاتورية يقولها المتطرف مع نفسه تحت الأرض ٠٠ يفكر كيف يغتال الحاكم وكيف يدبر مؤامرة لاسقاط نظام الحكم ، وأنا أرى أن التطرف الآن هو نتيجة لعهد مضى اعتبره مرحلة انتقالية ولا بد أنها سوف تنتهى .

● ● اذن فالحرية والديمقراطية براء من العنف والارهاب وليست هذه مبررات للعودة الى القبضة الحديدية مع وجود حرية أكثر وديمقراطية أكثر ؟

- هذا صحيح لأنه عندما اغتيل عمر بن الخطاب لم يقل أحد أن الاسلام هو المسئول عن الاغتيال ، كذلك عندما اغتيل عثمان ابن عفان ثم علي بن ابي طالب لم يقل أحد أن الاسلام مسئول عن اغتيالهما ، لذلك فعندما يحاول أحد اغتيال وزير داخلية سابق ، أو رئيس تحرير صحيفة حالى فليس معنى ذلك ان الحرية والديمقراطية مسئولتان عن الاغتيال .

● ● رغبتك في الحرية ودعوتك لها بعد السجن أيهما أقوى لديك ؟

- أنا كنت أدعو للحرية قبل دخول السجن وفى أثناء وجودى فى السجن وبعد خروجى من السجن ، وقد يكون السبب الأول اننى فتحت عيني على مظاهرات تهتف بحياة حرية مصر ٠٠ كانت هذه أول أصوات سمعتها من جماهير ثورة ١٩ بالحرية واستقلال مصر والسودان ، فنشأت فى هذه الدعوة وحافظت عليها ، وآمنت بأنه لا مستقبل لبلدنا بغير الحرية ، وأن العبيد لا يكسبون الحرية ولا ينشئون الدول انما الدول بينها الأحرار ، وعندما تضيق الحرية تضيق معها أشياء كثيرة جداً كالمرءة والشجاعة والاخلاص والصدق .

صور من الطفولة

● ● هل انعكس مناخ الحرية على ما يصلك من رسائل ؟

- كانت تأتي رسائل كثيرة بدون امضاء قبل عصر الحرية ولكن الآن لا توجد بين مجموع حوالى المائتين أو الثلاثمائة رسالة التى تصلنى يوميا الا رسالة واحدة بلا امضاء .. هذا الأمان وتلك الحرية التى يشعر بها الناس الا يلقي ذلك على عاتقى مسئولية حمايتها ؟ مسئولية الشعب أنه يشتغل انما فى عهد الديكتاتورية لم تكن للشعب مهمة سوى انه يقعد يتفرج ويصفق ، لكن فى عهد الديمقراطية الشعب لازم يشتغل ، انما لما يقال انه لا يعمل سوى ٢٧ دقيقة فى الأربع والعشرين ساعة فهذا ينشئ ديكتاتورية .

● ● تقصد ديكتاتورية البطالة ؟

- نعم لأن الشعب لما يشتغل ٢٧ دقيقة ستفلس البلد وتحدث فوضى ، ومجاعة وتقوم ثورات كما سيأتى يوم توقف فيه الدول ، الطعام عنا ..

● ● وبالتالي تخضع ارادتنا ؟

- نعم ، لذلك فلا بد لنحافظ على الديمقراطية والحرية أن نعمل لأن « تنابلة السلطان » الكسالى ليس لهم حقون انسان .

● ● هذه التنابلة والكسل السلطاني مضافا اليها صفات أخرى قبيحة كالاحب وكالامبالاة .. بماذا تفسرها ؟

- أفسرها بفقدان الحرية لفترة طويلة ، مما جعل الناس أنانيين ، كل واحد خائف على نفسه ، لما يقبض على أحد الجيران الأب يقول لابنه « مالناش دعوة .. خيلنا فى حالنا » بينما كان أجمل حاجة فى مصر انه لما تخرج جنازة كان الحى يخرج كله يمشى

فيها من غير ما يعرف «مين الميت» ، ولما تفوت الجنازة على قرية تخرج القرية في الجنازة من غير ما تعرف المتوفى ، أريد أن أقول إنه كان فيه شيء من التضامن الاجتماعي غير معقول ، لكن لما جاءت الديكتاتورية تغلبت الفردية ، وكل واحد يقول «نفسى .. نفسى وأنا مالى يا عم» . لكن أنا معتقد انه لما تكون فيه حقوق انسان وحرية كاملة وديمقراطية كاملة سيعود الناس يحبون بعضهم مثلما كانوا زمان .

● ● هل تعتقد أن جيلكم كان أسعد حظا من جيلنا ؟

— طبعا لأن جيلنا كان فيه مثل وقذوة عظيمة ، في كل ميدان تجد قذوة لأنه مع وجود الحرية تجد الحياة ليس فيها سقف . وكل واحد ينمو بالطول مثلما يريد ، فكان عندها عمالة في الصحافة والأدب والفن والاقتصاد والعلم ، انما في عصر الديكتاتورية يطلع واحد طويل فقط هو الحاكم الفرد ، وحوله السقف واطىء ، ثم يهبط تحته يحنى رأسه ثم ينزل السقف فيركع ، ثم يهبط السقف فيسجد ثم ينطبق السقف على الأرض فيختنق ويموت .

لهذا أنا معتقد انه مع مناخ الحرية والديمقراطية سيخرج عمالة من الشباب الموجودين بل سيكون منهم ناس أعظم من العقاد وطه حسين وفكرى أباطة وغيرهم ، ما دام فيه حرية لأن الشباب مثل الزهرة لما تضعها في الشمس والهواء تفتح ويكون لها غير لكن لما تضعها في حجرة مغلقة تذبل وتموت .

● ● في شبابك .. ماذا كانت اهتماماتك ؟

— أنا لم يكن لى شباب للأسف لأننى نجحت بسرعة . وكنت نائب رئيس تحرير وعمري ١٧ سنة . وكنت طالبا صغيرا لم أحصل على شهادة الكفاءة بعد ، وكان أصدقائى فى سنة ١٩٣٠ من نوعيات

على باشا ماهر رئيس وزراء ، اسماعيل باشا صدقي ، رئيس وزراء ،
ومكرم عبيد « وزير مالية » ، ولما صار عمرى ٢٤ سنة كان أصدقائى
« أحمد ماهر ، النقراشى ، طلعت حرب ، وكان لى معارف من التلامذة
انما لم يكونوا أضعابى ، وكنت أخاف أن أقول لهم ان أنا فلان الذى
أكتب فى الصحافة حتى لا يحتقروا المجلة ويقولوا ما هذه المجلة
التي يكتبها واحد فى الكفاءة ، تبقى مجلة حقيرة ، لذلك أنا كان لى
شخصيتان ، مصطفى أمين يوسف التلميذ ، ومصطفى محمد
الصحفى وكان لى كارت بهذا الاسم .

● ● ألم تحس بطفولتك أيضا كما لم تحس بشبابك ؟

— لم أعش الطفولة لأننى وعمرى ثمانى سنوات أنا وعلى أمين
كنا غاويين صحافة ، وكنا فى البداية نحرر مجلة كانت مكتوبة
بالقلم الرصاص على ورق كراريس ، ثم طبعناها فى مطبعة بيت
الامة التى كانت تطبع منشورات الثورة ، ونبيع المجلة للطلبة
« بسبن » ريشة جديد ، ثم نجمع « سنون الريش » الجديدة ونذهب
للمكتبة لنستبدلها بورق نطبع عليه العدد الجديد من المجلة وهكذا ،
فكانت هوايتنا الصحافة ، فلم تكن نلعب لأن لعبتنا هى الصحافة ،
فلم تكن طفولة أو شباب بل كانت لنا شيخوخة مبكرة .

● ● هل تجد أن الطفل المصرى اليوم يعيش طفولته الحقيقية ؟

— الطفل الآن يتمتع بشيء افتقده جيلنا وهو التليفزيون ،
وللأسف فانه يأخذ منهم وقتا كثيرا جدا فلم يعد عندهم وقت
للقراءة ، بينما أنا مثلا لما كان سنى ١٢ سنة كنت أقرأ للعقاد
وتوفيق الحكيم . أما الأطفال اليوم فليس لديهم وقت للقراءة ،
وهم معذرون لأن الكتاب فى زماننا كان بعشرة قروش أما الآن
فبخمسة وستة جنيهات .

لقطات فى بيت الأمة

● ● كيف يمكن إيجاد التوازن بين متعة التلفزيون ومتعة

القراءة المفقودة ؟

— يجب ان تكون فيه قدوة فيحدث التلفزيون مشاهديه عن
العظماء وكيف بنوا مستقبلهم بأيديهم .

فعرض قصص كفاح الناس سيكون له دوره فى اتجاههم الى
الاقتداء بهم ، فنحن مثلا لما كنا أطفالا كما نسمع عن سعد زغلول
وتقلده ، زمان كان مثلنا طلعت حرب مثلا ، زمان كنا نسمع عن
زعماء الوفد السبعة يقفون بعد ما حكم عليهم بالاعدام ويهتفون
« نموت وتحيا مصر » ، هذا مشهد جليل يتأثر به أى طفل ، كذلك
كنا نرى صورا للبطولة لا يتصورها عقل .

فأنا مثلا لا أنسى أنه بعد أن صودرت أموال سعد زغلول
وزوجته ، وكان فى المنفى ، كما صودرت أموال والدى ووالدتى ،
وكنا نعيش فى بيت سعد زغلول ، بعد أن كنا نفطر « زبدة ومربى ،
وبيض » ، وجدنا أنفسنا نفطر فول ، ونتغذى فول ونتنعش فول ،
ولم نعد نأخذ قرش تعريفة لنشتري به الشيكولاته التى كانت
مهمة جدا فى حياتنا ، فكانوا يقولون لنا « لا توجد شيكولاته
لأن سعد باشا فى المنفى ، تصور ؟ ، ونبقى معذبين جدا ، ثم يأتى
العيد فلا يعطون لنا بدلة جديدة كما كانوا يفعلون من قبل . فكانا
نشعر ونحن أولاد أننا فى معنة حقيقية . وفى يوم من الأيام ونحن
جالسون مع صفية زغلول أم المصريين ، قالوا لها ان البنصرى بك
السعدى ، والسيد حسين القصبى يريدان مقابلتها وكنا نعرف
السيد حسين القصبى من طنطا ووجدنا رجلا يحمل « مقطفا »
فأنا قلت لأخى « على » : لقد أتوا بـ « حب العزيز » ،
ثم اذا بنصرى بك السعدى يفتح المقطف وينزل منه خمسة آلاف
جنيه ذهباً ، والثانى يفتح الحزام الخاص « بجبته » وينزل منه

أيضا خمسة آلاف جنيه ذهباً ، فتعجبت صفيّة زغلول ، فقالوا لها :
هذه الأموال تصرفوا منها الى أن يرفع الأنجليز المصادرة عن أموالكم ،
فلما أرادت أن تكتب لهما ايصالا بالمبلغ ، قالوا لها : انك بذلك
تهينيننا ، وخرجا .

مشهد آخر لا أنساه ، حينما كان سعد زغلول في المنفى بجبل
طارق اغتيل واحد اسمه بدر الدين مدير الأمن العام وكان أحد
أعداء الثورة ، فأعلنت الحكومة عن مكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يدل
بمعلومات تقود الى قاتله ، فوجدنا من يأتي لمقابلة أمي وكانت هي
الموجودة ساعتها ، وهو يلبس طربوشا ويمسك بيده طربوشا آخر
ويقول انه وقع من الشاب الذي أطلق الرصاص على مدير الأمن في
الشارع الذي به عمارة البايلى بالسيدة زينب ، وأنه خاف أن يقع
هذا الطربوش في يد رجال الأمن ، لأن اسم الشاب مكتوب عليه ،
لأن زمان كانوا يكتبون الأسماء على طرايشهم ، فأمرى سألتها انت
بتشغل ايه ؟ فقال : تاجر في عمارة البايلى ، وسألتها عن اسمه
فقال : عبد الغنى محمد ، فلما عاد سعد زغلول من المنفى ، قالت
له ما حدث ، فبعث فتاح الله باشا بركات ليبحث عنه ويأتى به
فراح وسأل عليه فاتضح أنه مريض ونقل لمستشفى «قصر العيني» ،
وهناك مات نتيجة لمرض السبل ، مات من الجوع ، تصفروا رغم
أنه كانت أمامه فرصة مضمونة للحصول على عشرة آلاف جنيه .
ومئات الصور الأخرى التى شاهدها في طفولتي .

● ● انت الذى عشت في بيت الأمة بيت سعد زغلول .
ما هي الصفة التى لفتت نظرك في هذا الزعيم ؟

— كان سعد مؤمنا ايمانا غريبا جدا بقدره الشعب لدرجة أنه
كتب في مذكراته أنه عندما شرع في ثورة ١٩ جاء له بعض الباشوات
والأعيان يضعون تحت تصرفه عشرات الألوف من الجنيهاً ولكنهم

جاءوا له بعد ذلك معتذرين لأنهم سمعوا أن الانجليز والسلطان ضد الحركة فكتب يقول - اعتقد أن هذه الحركة ستوف تعتمد على الفقراء أولا وانهم سيكونون عصب الثورة .

● ● هذا يعنى ان الحاكم او الزعيم يجب ان يعتمد على شعبه أولا ؟

- طبعا

هذه وصيتى

● ● ما هي المحاذير التى تضعها لنفسك وأنت تكتب ؟

لست خائفا من انسان ولا اريد شيئا ، وطالما لا اريد شيئا فلا أخاف أن يمنع عنى أحد شيئا .

● ● بعد ان ذهب الرقيب بلا رجعة ما هو الرقيب الذى ترى انه يجب أن يبقى ؟

- الضمير

● ● هل هناك مناخ معين تكتب فيه ؟

- اكتب فى أى وقت ، فى المكتب ، فى البيت ، فى الطائفة ، فى أى مكان .

● ● هل كتبت شيئا وندمت عليه ؟

- لا ، لكن ساعات اكتب شيئا وأشعر انه قاس على من اكتب عنه فأشفق عليه .

● ● هل تعيد ما كتبتة اذن ؟

- لا ، فانا اكتب وأضرب جرسا للساعى ليأخذ ما اكتبته إلى

المطبعة ولا أقرأه الا بعد النشر ، وتكون « فكرة » هي آخر شيء أقرأه
في الأخبار .

● ● ما الذى يشغلك الآن ؟

- متاعب الناس وأتمنى أن أرفع الضيق عنهم وبقدر امكاني
أحاول أن أفعل ذلك .

● ● ما هي الرسالة التي تعتبر انك نلت نفسك لها وهل
استطعت ان تحققها ؟

- حب الناس ، وقد نجحت على قدر ما استطعت .

● ● دكتوراه حب الناس أم الدكتوراه الفخرية التي حصلت
عليها من الجامعة الأمريكية ؟

- أنا فخور بحب الناس وأعتقد أنه أهم ألف مرة من شهادة
الدكتوراه الفخرية ، وأنا معتر بدكتوراه الناس .

● ● وانت الآن دكتور الصحافة المصرية ما هي روشنة
النجاح التي تقدمها لشباب الصحفيين ؟

- أن الصحفي يعرف أن مستقبله متوقف على الحرية ، وأن
يعرف أن الصحافة تطلب منه أن يكون صحفيا لمدة ٢٤ ساعة لأن
الصحافة لا تقبل شريكا ، وأن تحب الصحافة لأن النجاح في الحياة
هو قصة حب ، وبقدر ما تحب صنعتك بقدر ما تنبغ فيها . خاصة
أنها تحتاج الى صبر ، وأنا مثلا باعتبار نفسي من أسرع الناس نجاحا
في الصحافة ، فأصبحت نائب رئيس تحرير وعمري ١٧ سنة . في
روز اليوسف ، وصرت رئيس تحرير في آخر ساعة وأنا عمري ٢٤
سنة ، لكنني قبل ذلك كتبت مائة مقال قبل أن ينشر لي المقال

« ١٠١ » ، ومكثت عشر سنوات أكتب دون أن يظهر امضائي ،
ولهذا طلعت كبريا فجأة ، لكن أنا كنت صغيرا .

● ● هل معنى هذا أن المرأة لا تصلح صحفية بالمقاييس
التي ذكرتها ؟

- المرأة تصلح للصحافة جدا وأنا أول من أدخل المرأة الى
الصحافة الفعلية ، وكانت هي السيدة أمينة السعيد ، فأقنعتها
وأصبحت أول محررة في آخر ساعة ١٩٣٤ .

وتجربتي أن البنات فيهن صفات جيدة جدا للصحافة ، فإذا
كان في رأس الرجل عدسات كثيرة فإن العدسات في رأس المرأة
أدق بمعنى أنه إذا بعثت « بنتا وولدا » لمقابلة وزير ، فإن الولد
سيأتى لي بمعلومات كثيرة جدا ، لكن البنت ستأتى لي بتفاصيل
دقيقة لا يأخذ الرجل باله منها .

● ● لكن قولك أن الصحافة تحتاج الى تفرغ ٢٤ ساعة هل
يتناسب مع المرأة الصحفية المتزوجة ؟

- بعد أن تتزوج المرأة تصبح جريدها بيتها ، أخبار عيالها
هي الأخبار الداخلية ، والأخبار الخارجية ، انما قبل أن تتزوج
تكون صحفية ممتازة جدا ، وبعد أن تربي أولادها تعود صحفية
جيدة .

● ● بالنسبة للرجل هل ترى مساعدته لزوجته في الأعمال
المنزلية ؟

- لو كنت أعرف أكس أو أطبخ أو أعمل شيئا من أعمال
المنزل لمساعدتي زوجتي ، وأنا أعثقه أن الزوج يجب أن يشارك
زوجته في كل أفراده ومتاعبه ، أنا أفعل ذلك ، ويجب على الرجل
أن يختار المرأة التي تصمد معه في محنة وهزائمه .

● ● ماذا تفعل فى وقت فراغك لو وجد ؟

– هوايتى القراءة ، وأحب مشاهدة مباريات كرة القدم بلا
تعصب ولا تشنّج ، وإنما بتشجيع من يلعب أفضل .

● ● ما هى أمنيتك الخاصة ؟

– أمنيتى الخاصة والعامة هى أن تتمتع كل البلاد العربية
بحقوق الانسان وحرية الصحافة .

● ● وصيتك ؟

– أن تكون أمنيتى هى أمانة الآخرين ويدافعوا عنها .

● ● وكل رؤساء تحرير الصحف المصرية والعربية تلامذه
لك كما ذكرت من قبل هل تجد منهم وفاء ؟

– الوفاء الذى أريده منهم أن يكونوا ناجحين فى عملهم .

● ● عنوان يريد الأستاذ مصطفى أمين أن يكتبه على ملف
حياته ؟

– الانسان .

● الشيخ الغزالي :

لا أبرئ نفسي

● عندما بدأت الحوار مع فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، ومضيت في مقدمة عنه ، طلب مني حذف المقدمة لأنه لا يقبل مديحا أو ثناء كداعية إسلامي يخدم الاسلام لوجه الله تعالى دون انتظار جزاء أو شكر فهو أعلم بقدر نفسه ، وحسبه فكره يتكلم عنه ويشهد له ، وهو يرى ان رسالته هي تعليم الجاهل وإيقاظ الغافل ، والهدف كما يقول في كتابه « هموم داعية » : استنارة الهمم لبدء نهضة واعية مادية تمتص بالوحى الأعلى وتتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه وتنتفع بتجارب الأربعة عشر عاما التي مرت بنا .

ولما سألت فضيلته :

● ● هل يحق للمسلم اليوم أن يفخر بانتسابه الى أمة اسلام المتقاتلة المتناحرة ؟
أجاب الداعية الاسلامي الكبير قائلا :

الانسان لا ينبغي أن يفخر الا بعمله الارادى اما ان يفخر بوة عريقة أو بأمة عظيمة فان هذا لا يجديه كالفخر بالآباء قديما ، ننمما كان الناس يفتخرون بآبائهم كانوا يستدركون بانهم يفعلون لما فعل الآباء ويؤدون مثلما أدوا ، كما يقولون :

إذا غاب منا كوكب بدا .. كوكب تاوى اليه كواكب

واذا كان الفخر باننا أمة عظيمة لا يجوز فذلك لا يجوز أن نمر بالرضا والراحة لأننا ننسب الى أمة متقاتلة فنحن ما استرحنا ، أن يكون في أمتنا متقاتلون ، والذي يحدث الآن بين الايرانيين لعراقيين وكلاهما شعب مسلم ، أو هذا النزاع الذي بين حركة فتح

رغيزها من الحركات مما أضر بالقضية الفلسطينية وأساء اليها . .
 فهذا شيء مؤسف يضيق به العقلاء بيقين ، ولكن هل أتاحت الفرص لمن
 يعالجون الأمراض من جذورها أن يتحركوا ليصلحوا ما فسد بين
 هؤلاء وأولئك ؟ انفسا عندما نتغاضى عن بعض الجرائم ولا نريد
 التعرض لها ثم نحاول علاج قضية من القضايا فنحن فاشلون حتما ،
 فالإيرانيون يرون أنهم فى حرب دينية مقدسة كما يقولون ،
 والعراقيون يرون ما يشبه هذا الرأى ، وهذه القضية فيها من
 النواحي الدينية ما يجعل لرجال التقريب ما بين المذاهب الإسلامية
 ورجاك الفقه الإسلامى دورا فى الإصلاح المنشود لكن هذا الدور
 ما نظر اليه ولا فكر فيه ومن هنا ستظل هذه الحرب سجالا لأن
 أطباءها الحقيقيين لم يستشاروا فى علاجها .

● ● اذن فحاضر المسلمين اليوم يدعو الى اليأس ؟

ليس هناك ما يدعو الى اليأس فى منطق العقلاء وأولى العزم
 من البشر ، ربما خامر الناس شعور من اليأس اذا حاولوا مرة أو
 مرتين ولم ينجحوا ، ومع هذا فان الشغور باليأس هنا جريمة لأنه
 المحاولة مثنى وثلاث ورباع لا يجوز أن تسبب يأسا اذا صاحبها
 الفشل ، وكيف نياأس اذا كان المسلمون لم يحاولوا أن يؤدوا
 واجبهم وما استطاعوا أن يؤدوا هذا الواجب بجهودهم الوائيه
 الكسول التى يبذلونها الآن فى سبيل مصلحتهم فما الذى يدعو الى
 اليأس هنا ؟ ان الذى قيد وما حاول يوما أن يفك قيده لا يجوز
 ان ييأس. وهو قائم ، انما يعتذر عنه بأنه حاول فك القيد وعجز
 ولكنه ما حاول فك القيد ، فنحن من هذا النوع فعملنا الى الآن قليل
 جدا ويجب أن يتضاعف هذا العمل أضعافا مضاعفة حتى يمكن أن
 نكون أهلا للحياة ، فليس أمامنا ما يوجب اليأس . . لا . . نحن
 أمام ما يوجب العمل وما يوجب الحركة وما يوجب الانطلاق .

❶ ❶ وفي ضوء هذا الواقع كيف ترى مستقبل المسلمين ؟

- أنا أرى أن هناك صحوة إسلامية لمستها في طوافي بالعالم الإسلامي من الأطلسي إلى الهندي وهذه "الصحوة" تحتاج إلى ترشيد وأن يكون أمامها تمهيد ، لكن التمهيد المنتظر صعب بل أجزم أنه معدوم فالعوائق كثيرة ، وبقدر ما تجل الصحو من عوائق تهتاج وتتحرك بعنف ، وأنا أرجو ألا يكون منا أمام الصحو من عوائق سببا في أن تفقد رشدها وهي تقاتل ما يعترضها ، ولعل الذين يعتبرزون الصحو الإسلامية يتراجعون عما يفعلون .

❶ ❶ لا شك أن عماد الصحو الإسلامية هم الشباب فكيف

تنظر إلى الشباب إذا لجأ إلى العنف والتطرف هل هو ظالم أم مظلوم ؟

- التطرف والعنف رذيلتان ولا يقال عن اتكاب امرئ - رذيلة أنه معذور أو مكروه على فعل بما فعل ، قد تكون هناك عوامل مخففة للجريمة أو ملايسات محيطية بالإنسان تجعله أشبه بناقص الإرادة ، ولكن التكليف الشرعي الذي نواجه به الشباب يجب أن يكون بعيدا عن هذه العلل التي تنتحل ، فلا معنى للتطرف والعنف لأن الإسلام يعرض حقائق الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، والدليل ، وادمان النظر ، واحسان التفكير وإيقاظ الحواس لشعر بما لم تكن تعرف أما محاولة إشعار الناس بأن الدين فيه عصبية نفسية أو ثورية خلقية أو نوع من الطيش والانفعال ، كل هذا بعيد عن حقيقة الإسلام والدعوة .

❶ ❶ ألا يقع عليكم انتم دعاة الإسلام جزء كبير من المسؤولية

ان لم تكن كل المسؤولية في تطرف الشباب لأنه لم يجدكم تقودونه ووجد فقط دعاة العنف والتطرف هم الذين يقودونه ؟

أنا لا أبرئ نفسي وأشعر أيضا بأن اخواني المشتغلين بالدعوة أعجز من أن يبرئوا أنفسهم لأننا كان يجب أن نضاعف الجهود وأن نقرب من الشباب الذى يقع منه أخطاء كثيرة ، وإذا كنت أعتز بأننا نقصر فى قيادة الشباب فاني فى الوقت نفسه أزعم أن الاسلام يواجه عقبات كثيرة منها لا لزوم له ، وأن المشتغلين به أحيانا يلقون عنتا لا مبرر له واستغرب أن يكون الخطأ من غيرهم مغتفرا ومنهم مضاعف العقاب .

فالدعوة الى الله جهد مشترك نحن نقوم بعمل والآخرين يقومون بعمل ، ومن مجموعة الأعمال التى تكون من هنا ومن هناك يمكن أن ننجح فى توجيه الشباب وقيادته .

● ● فما هو دوركم بالتحديد ودور أولى الأمر نحو الشباب ؟

واجبنا وواجب الفقهاء وأولى النظر السديد أن نصحب الشباب وأن نسد رميتهم ونجعل خطاهم على طريق الحق دائما ، وفى نفس الوقت نناشد أولى الأمر فى كل بلد اسلامى أن يعامل الشباب بأبوة حانية وبنوع من الرفق والرحمة .

● ● وما هو الدور المطلوب من الشباب ؟

فى الحقيقة أوجب على الشباب من الجنسين أمورا كثيرة لأن الشباب فترة قوية فى عمر الانسان ولذلك له فى الاسلام سؤال خاص به « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن شبابه فيما أفناه » فالشباب فترة خصبة وغنية ونحن الآن جزء من العالم الثالث المتخلف اقتصاديا وحضاريا فمن الذى يستطيع أن يجعل الأمة تنتقل الى العالم الأول ؟

انهم الشباب الذين أهيب بهم أن ينظروا الى شباب اسرائيل وشاباتنا الذين يروون الصحراء ويعملون لمجد اسرائيل ، اننى

أسأل الشباب العربى والشباب الاسلامى أين هم من الميادين؟ بينما أعداؤه يؤدون واجبه بـقوة ، ان على شبابنا أن يؤدى واجبه بـقوة ويعمل ، والعمل لكى يكون صحيحا يجب أن تكون معه عاطفة حارة يولد معها العمل قويا واصلا الى هدفه لأن الطاقة التى تصحبها عارمة وهذه الطاقة موجودة فى الشباب وهى تزداد اشتعالا كلما صحبها الإيمان ، والله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه » ، ومعنى الآية أننا نحتاج الى أمرين : وضوح الرؤية وقوة الاندفاع ، والشباب بحاجة الى أن نضم الى قوته العتيدة قوة اليقين ، قوة القذيفة المنطلقة لكن على أساس أن يصوبها انسان نزيه يقصد الخير لأمتة ولدينه .

● ● القدوة المفقودة أين يجدها جيلنا ؟

إذا ذكرت كلمة قدوة فهى تذكر دائما فى مجال التربية وهذا صحيح فان الولد حينما يشب فى بيت يدخن أبوه ولا يبالى أن يدخن أمام أولاده فان الولد يشب والتدخين عنده أمر لا حرج فيه فما المانع أن يدخن إذا كان أبوه يدخن ، لكن هل القدوة لا تكون الا فى النواحي الخلقية فقط ؟ أرى أن مجتمعنا يجب أن يأخذ القدوة فى مجالات كثيرة فمثلا كان مصطفى كامل باشا فى مستقبل عمره عندما قاد أمة ناهضة ذكرنا بأسامة بن زيد عندما كان يقود جيش المسلمين وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، فهل نجد من رجال السياسة من يقدمون قدوة طيبة فى القيادة النزيهة الحرة التى تتجرد لمبدئها والتى لا تبحث عن النفعية فى عملها ؟ هل نجد فى ميدان الصناعة من يجيئون الى ميدان نحن فيه صفر ثم يتحركون بهمة بعيدة المدى كما فعل طلعت حرب قديما . واستطاع تأسيس شركات بنك مصر من لا شيء وأن يقيم لمصر أساسا اقتصاديا عظيما ؟ هل نستطيع أن نفعل فى ميدان الأدب كما فعل قادة الأدب منذ ربع قرن واستطاعوا أن يصنعوا نهضة فى الأدب العربى ذكرنا

بأيام ابن المتفجع والجاحظ وأيام القرن الثالث والرابع الهجرى أيام ازدهار الأدب العربى ؟ هل نجد الآن من يكونون قدوة للشباب فى الأداء الراقى وفى الديباجة المشرقة وفى الأسلوب السهل وقبل ذلك كله فى الغايات الشريفة وفى المعانى الحسنة النقية التى ترتبط بكلامهم وبمقالاتهم .

إننا محتاجون الى رواد هاجروا من مصر وذهبوا الى أمريكا وأوربا يكونون طليعة علمية تجتذب وراءها أعدادا من الشباب الذين يعملون فى ميدان العلم ويتزودون من الثقافة ما يحتاجون اليه ، وإذا ذهبوا الى ميدان آخر فى أى ناحية كانوا قدوة وأسوة حسنة ، وأنا وإن كنت معروفا بالاشتغال بالنواحى الدينية فأننى أتابع أنشطه كثيرة وقد نظرت بأسف الى النتائج التى حصل عليها المصريون فى ميدان الرياضة وعندما نظرت من وجهة نظرى رأيت انه لو كان هناك ما أسميه العزيمة الماضية والركون الحقيقى الى الله وحسن الاستمداد منه وحسن انتهاز الفرص واليقظة فى مواجهة الخصوم لكانت هناك نتائج مرضية فما الذى يجعل شبابنا يفقد توازنه عندما يجد هجمة شرسة لماذا لا يبقى متماسكا ولا يهتز أمام هجمات خصومه ، هذا كله وإن كان فى ميدان الألعاب الرياضية الا أن من ورائه حائطا خلقيا منهارا وهذا الحائط المنهار هو الذى يجعلنا نعود من ميادين سباق عالمية دون أن نحصل على ميدالية برونزية ولا ما دون ذلك ، وهذا نوع فى اعتقادى من التأخر فى ميادين كثيرة نحتاج فيها الى أصحاب القدوة الطيبة .

● ● ظواهر التخلف التى ينعتنا بها الغرب والمشككون أنها بسبب الاسلام الا توضح لنا حقيقة الامور حتى لا تلتبس الحقيقة على بعض النفوس الضعيفة التى قد تتأثر بمثل هذه الدعاوى الكاذبة ؟

- الإسلام منذ بدأ كان تهضة ، فلقد اعتنق العرب الإسلام وهم شعب يشبه دولة متخلفة من دول العالم الثالث في عصرنا هذا ، فأصبح الإسلام الدولة الأولى في العالم واستطاع أن يطوى الامبراطوريات الكبرى وأن يرسى حقوق الشعوب وأن يضمن حقوق الانسان وأن يطفر بالحضارة طفرات واسعة ، فالقول بأن الإسلام آخر العرب لا معنى له لأن العرب دخلوا بالإسلام التاريخ لكن الأيام دول يوم لك ويوم عليك « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقد أخلص العرب للإسلام يوماً فقادهم إلى الأوج ثم خانوا رسالتهم ولم يحسنوا أداء ما عليهم من حقوق فهبطوا ، والذنب هنا هو ذنب من لم يؤد واجبه ، والأمة الإسلامية يستحيل أن تنجح إلا بالإسلام فإذا تركت دينها فكيف تنجح ، فالتركات الأدبية والنفسية الموجودة في العالم الإسلامي الآن والتي تحمل عنواناً إسلامياً هو عنوان مزيف أما التراكبات نفسها فهي خرافات شعوب ومساوئ أمم تركت الحياة وتركت الحقائق التي تسمو بها الأمم ولذلك لا نستطيع أن نقول أبداً إن الأمة الإسلامية الموجودة الآن تأخرت بالإسلام ولكنها لم تعرف الإسلام ولم تعمل به ، وعندما تعرفه وتعمل به فسوف يرتفع مستواها كما ارتفع مستوى الأوائل ، هذا شيء ينبغي أن نعرفه وأن نؤكد ، وأن ندعو إليه الذين يغفلون عنه .

● ● حديثك عن تخلف المسلمين وأسبابه يجعلنا بالضرورة نتحدث عن تقدم الغرب وأسبابه مما يذكرنا بما قاله الإمام محمد عبده عندما عاد من فرنسا وسئل ماذا رايت هناك ؟ فأجاب رايت إسلاماً بغير مسلمين وهنا رايت مسلمين بلا إسلام . فما تعليقك ؟

- لا شك أن الحضارة الأوروبية فيها أصول كثيرة من الفطرة الإنسانية أو الطبيعة البشرية ومن آثار العقل الإنساني عندما يرقى ويذكر ، ولذلك فإن هذه الحضارة الفطرية أقرب للإسلام منها إلى طبيعة البلاد الأوروبية التي ظلت تعيش خمسة عشر قرناً في ظلام

ولم تعرف حركة الاحياء الا بعد أن اتصلت بالعالم العربي والاسلامى
فى القرون الوسطى ، أما الأمة الإسلامية ففيها كثير من العقد
والتكلفات الرديئة والبعد عن الحقائق الدينية ولذلك لا أستطيع أن
أقول انها صورة قريبة من الاسلام .

❶ ❷ . بداية تطبيق الشريعة الإسلامية .. هل ترى أنه ينبع
أولاً من نفوسنا واقتناعنا أم يأتى أولاً بقوانين ؟

بـ الشريعة الإسلامية من يضع وسبعين شعبة لأن الايمان كما جاء
فى الحديث الشريف يضع وسبعون أو يضع وستون شعبة أعلاها
لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من
الايمان ، فهناك شعب لا دخل للقانون فيها فى هذه الشريعة
العظيمة ، فلا اله الا الله رمز الايمان ، والحياء شعبة من الايمان
فما دخل القانون فيها ؟ هذا للتعليم والدعوة . أما ان القاتل يقتل
وتنفذ شريعة القصاص فهذا عمل أولى الأمر ورأى أنهم لو جربوا
القصاص الآن فان آلاف جرائم الثأر أو الاستهانة بحق الحياة
وغيرها من أمور أخرى سوف تختفى من حياة الأمة المصرية بالذات
لأن الاسلام قال : القاتل يقتل ، من قتل عمدا يقتل ، فإذا
ما جاء القانون يقول ان القاتل لا يقتل الا اذا كان هناك ترصد
وسبق اصرار ثم جاء من يدافع عن المجرم فينفي الترصّد وينفى
سبق الاصرار فإذا بالّف جريمة قتل تقع فلا يعدم الا عشرون أو
ثلاثون ويدخل الباقي السجن ثم يخرجون بعد بضع سنين ، فان
هذا معناه اهدار شريعة القصاص وبالتالي مضاعفة جريمة القتل
والاكثار من عدد المفقودين فى هذا الميدان ، والاسلام يقول فى هذا
المجال « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » والعرب يقوون
« القتل أنفى للقتل » ، وأنا متأكد أن أناساً قتلوا أمهاتهم وقتلوا
آباءهم وقتلوا أقاربهم وقتلوا أمهاتهم وقتلوا أناساً كثيرين وسيوف

يخرجون أو يفرون من العقوبة الصائمة التي قررها الاسلام بعدد من
الأعداء تبعاً للقانون الوضعي القائم الذي يلزم القضاة بأحكامها أنزل
الله بها من سلطان . .

❶ ❷ الدين بين العسر والتشدد وبين اليسر والتساهل . .
إلى أي فريق يقف فضيلة الشيخ الفزائي ؟

— نحن لا نقف إلا مع توجيهات النبي وهو يرسل صاحبيه عمرو
ابن العاص وأبا موسى الأشعري للقبضاء بين الناس : يسرا ولا تعسرا
والفا ولا تنفرا وتطوعا ولا تجتلفا : فنحن في ديننا نتبع رسولا
ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن أثماً ، ونعلم حديث
النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيقية السمحة ، ويقول
لأصحابه : « إنما بعثتم ممسرين لا معسرين » .

❶ ❷ بعض الدين يكتبون باسم الدين يقولون لنكتف
بالقرآن وما جاء فيه دون الحديث والسنة لأنه مشكوك فيهما وفي
روايتهما ماذا تقول لهؤلاء ؟

— هؤلاء نوع من البشر لو كان لهم عقل أكلهم أو أخاطبهم به
لكان هناك ما يستدعى مخاطبتهم ، فمن قال ان السنة مشكوك
فيها ؟ ان وجودهم هم قد يكون مشكوكا فيه ، أما السنة نفسها
فكيف يكون مشكوكا فيها ، وإذا كان التاريخ مشكوكا فيه فلماذا
يدرس التاريخ في عواصم العالم مدنه وقراه ، والسنة من أصدق
ما عرف في تاريخ البشرية لكن هؤلاء لا يدرسون تاريخا ولا يعرفون
سنة وهم يعيشون بأوهام أما أن السنة مشكوك فيها ، لم يقل بها
عاقل ، والحديث لكي يكون صحيحا ويدخل في السنة لابد أن
يكون ما يرويه الثقة العدل الضابط عن مثله الى منتهى السند من
غير شذوذ ولا علة قاذحة ، فأين يجيء الشك في مثل هذا التعريف

لضوابط التلقى وأخذ الآثار عن أصحابها ، هؤلاء لا يعرفون كيف يتكلمون .

ثم يبقى سؤال : القرآن وحده قال « حافظوا على الصلوات » فكيف أصلي ، ومن قال ان الصلوات سبع عشرة ركعة موزعة على الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ؟ اننا لا يمكن أن نستغني عن السنة ، وإذا مسحنا السنة فلماذا تبقى فلسفة أرسطو وفلسفة أفلاطون وفلسفة سقراط ؟ ولماذا يبقى تاريخ نابليون وتاريخ هتلر وتاريخ نلسون أليست كلها روايات ؟ ما الذي يجعل تاريخ محمد هو الذي يمسح وتاريخ هؤلاء هو الذي يبقى ؟

ان الذين يتحدثون هذه الأحاديث هم أناس أقل رتبة من أن يسمع منهم عاقل ، واعتقد أن تكبير هؤلاء جزء من الغزو الاستعماري الحديث للإسلام بل قد يكون عملاً لبعض وكالات المخابرات العالمية تكبير هؤلاء عمداً مع أن وجودهم طفيل في الأمة الإسلامية وليس له كيان حقيقي ، أرى أن تكبير هؤلاء مقصود للشغب على الأمة الإسلامية ، وهيهات فإن الإسلام بمصدره الكتاب والسنة باقيا إلى قيام الساعة .

يوسف ادريس ●

أنا أغلى كتاب في مصر

من قلب الحركة الوطنية ضد الاحتلال الإنجليزي في عام ١٩٤٦
خرج يوسف ادريس الذي كان وقتها طالبا في كلية الطب .. لذلك
كان كتابه المفتوح .. هم الناس الذين تعلم منهم ..
والكتاب عند يوسف ادريس وسيلة للتعبير عن احساسه العازم
بالشعب وقضايا واحلامه بل وخرافاته .. فهو .. كما يقول - يكتب
من طرف عتيقة كتبها الشعب كانه « ليلاه » وهو « قيسه »
« المجنون به » ..

فلو تأخرت فكرة الأهرام التي يكتبها يوسف ادريس ، يلجأ
في اليوم التالي بقراء يتصلون به للاطمئنان عليه ..
يقول يوسف ادريس انه فخور جدا بهذا .. فهو يعتبر نفسه
للمجد الحياة ، ويمكنه ان يتعلم من رجل جاهل ما لا يتعلمه من احد
العلماء .. ومن كاتب صغير ما لا يتعلمه من طه حسين .. بل ومن
ابنته الصغيرة ما لم يتعلمه من امه !!
لماذا يقول ل الوطن .. ؟

● ● رتب نفسك يا شعب

● ● وأسأله عما يشغله الآن ؟

- هموم الشعب .. رذن كثيرة ما تلقيت من مشاكل فردية
وشخصية نتيجة البيروقراطية ، توصلت الى ان الحل في التفكير
الاستراتيجي .. لا يمكن اصلاح عيوب المجتمع بعلاج العيوب
الفردية .. لا بد من وقفة مع مشاكلنا بعد دراسة كل المشاكل في
المجتمع .. وعلى الحكومة في هذه الحالة ان تحدد المشاكل التي

تقدر على حلها . والمشاكل التي يحلها القطاع الخاص . والمشاكل
تحلها النقابات مثلا . . أما المشاكل التي لا تقدر على حلها فيجب
أن تقول للشعب . . رتب نفسك يا شعب على هذا .

● ● نوعية المشاكل التي تحفل بها وسائل القراء اليك ؟

— البيروقراطية هي الهم العام لكل الناس وهي التي تسبب
« عكنة » للمواطن — تسعون في المائة من المشاكل يسببها اجراء
حكومي خاطئ . وفيها مضي كان هناك في كل جهاز من أجهزة
الحكومة قسم يسمى التفتيش تحول اليه المشاكل . . ولما الفى هذا
القسم تاه المواطن ومشاكله في سراديب البيروقراطية المعتمة .

ومن المشاكل الأخرى الغلاء . . وانخفاض مستوى التفكير
لدرجة أن هناك من يستطيع القول بأن الفن والموسيقى والمسرح
والتمثيل حرام .

● ● وأسباب انخفاض التفكير من وجهة نظرك ؟

— أسبابه اقتصادية في الحقيقة ، فهناك قطاعات كبيرة من
المجتمع تعاني الفاقة ، فاتجهت بعجزها الى الغيبيات . . وفي المقابل
ركب كثير من العلماء هذا الاتجاه وأصبحت الاتكالية واضحة ومتفشية
في أوساط كثيرة والمشكلة الاقتصادية لا تأتي حلولها من السماء ،
وانما بالأخذ بالأسباب ومزاولة الدنيا ، ومن التجارة والانتاج ،
ونحن في هذا أعلم بشؤون دنيانا .

● ● أصبح معروفا مدى تعقد مشاكلنا الاقتصادية . . هل
نستطيع أن نحقق الاكتفاء في الغداء من مواردنا الذاتية بدون أن نمد
أيدينا لأحد ؟ .

- صعب صعب جدا على ٥٤ مليون انسان يعيشون على ٤٪ فقط من الأرض الزراعية أن يحققوا الاكتفاء الذاتي ٠٠ الا اذا حدث نوع من الانفراج السكاني بمعنى أن تتوزع القوى العاملة المصرية كقوى وطنية عربية على مختلف البلدان العربية ، بدلا من العمال الكوريين والتايلانديين والفلبينيين ٠٠ والحقيقة أن مصر تحتاج لمشروع قومي يحدد الهدف ، لأن تحسين مستوى المعيشة ليس هدفا ٠٠ واذا عدنا الى التاريخ سنلاحظ أن مصر لم تنهض على مدى تاريخها الا بمشروع قومي ، فى ثورة ١٩ كان هناك مشروع قومي وهو جلاء الانجليز ٠ ثورة يوليو كان المشروع القومى هو القضاء على الاقطاع والاستبداد ٠

لابد اذن من مشروع قومي مع أو ضد ٠٠ فاذا أخذنا زراعة الصحراء مثلا كمشروع قومي وقمنا بالدعاية والإعداد والدراسة مستصلين الى حل ٠

ووصلتني رسائل كثيرة تتضمن مشاكل لمواطنين طلبوا أرضا فى الصحراء للاستصلاح ، والحكومة البيروقراطية هي التي لا تزال تحكم مصر وليس العقلية الصالحة للمشروع القومى ، لذلك أرى أن مشروعنا القومى هو الاكتفاء الغذائى الذاتى بزراعة الصحراء ، واذا نظرنا الى اليابانيين سنرى أنهم يزرعون البحر جبالا والأرز والصحراء عندنا صالحة للزراعة وقد نجحت السعودية فى زراعة الصحراء ٠

● ● كيف اذن نتخلص من هذه البيروقراطية ؟

- هذه المسألة تحتاج من الرئيس مبارك ان يوجه اهتمامه الى الوضع الداخلى ٠ وقد بذل الكثير جدا من مجهوده لتحسين وضع

فصر العربي والدولى لذلك عليه ان يركز اهتمامه داخليا ويتفادى الذين خدموا كل العهود وأكلوا على كل الموائد .

وان يستعين بمن لديهم الحماس الكافى لقيادة المشروع القوسى . تلك مسؤوليته ، واذا نجح فيها ، فان حسنى مياوله سيكتب فى التاريخ على ان حكمه من أفضل أنواع الحكم التى مرت بها مصر واذا فشل المشروع القومى ، فان نتائجه ستكون خطيرة جدا جدا ، أخطر ما يمكن ان نتصور .

● لقد تعودنا ان تلقى كل العبء على الزعيم أو الحكومة ، اليس للشعب دور ؟

— هذا غير صحيح لأننى عندما أقدم حكومة مركزية ، لا تكون حكومة فقط ولكنها قيادة ونموذج ومثل .

خذ اليابان مثلا ، الطلبة يدخلون الجامعة الحكومية بدون مصروفات والذى يتخرج فى هذه الجامعة هم أنبغ الشباب ، وهم يعملون فى الحكومة بأجر أقل من أجر القطاع الخاص . ولستكن الاحساس بأنه يخدم وطنه يمنحه مكانة ضخمة بين مواطنيه . أما فى مصر فان من يعمل فى الحكومة هم أغبى الناس وأكثرهم حماقة وأقلهم قدرة على اتخاذ القرار ، وبالطبع هذه البيروقراطية فى حاجة الى استئصال ، وكان خطأ جمال عبد الناصر الأكبر انه لم يستأصل الحكومة ويحل محلها حكومة ثورية تغير المجتمع واستعان بدلا من ذلك بنفس الدولة وأجهزتها التى كانت قائمة أيام الملك ، بل ان التأميم أضفأ أعباء المؤسسات المؤممة على جهاز الدولة فخسرت هذه المؤسسات وفستت .

كان يجب استئصال البيروقراطية ، ولأن ذلك لم يتم حتى الآن ، فان هذا معناه ان الثورة لم تنجح فى هذا ، وان كانت نتيجة

خارجيا ، اننى اعتقد ان الحكومة حتى الآن فاشلة فى قيادة المجتمع
المصرى .

● ● ولو بدأنا من الآن فى القضاء على البروقراطية هل تكون
قد تأخرنا ؟

- لا . لا يزال هناك أمل لأن الشباب المصرى بخير ، وان
كان يلجأ الى التطرف فهو يلجأ اليه يأسا ، أما اذا فتحت أمامه
طاقات الحلم والأمل فسوف يعطى .

● ● النموذج الديمقراطى الحريص ، هل نحتاج الى تنقيته
ما دمنا نتحدث عن النموذج اليابانى ؟

- الديمقراطية ليسوا حريصين ولكن نظرا لقربهم من الخارج
فقد تعلموا التدبير من الشوام والخواجات واليونانيين ، فمثلا أنا
كنت طالبا فى مدرسة دمياط الثانوية وكنت أرى صاحب البيت
يعمل وزوجته تعمل فى الغزل المنزل ، وابنته فى مصنع النسيج
وابنه فى مصنع أحذية ، يعنى العائلة كلها تعمل ، انهم مدبرون
ويقدرون قيمة العمل ، حتى التلاميذ يعملون بعد الظهر .

● ● هل نحن فى حاجة اذن الى « تعميم » النموذج الديمقراطى ؟

- نعم ، نحن فى حاجة الى ان نرفع من قيمة العمل لأن نظرنا
الى العمل . وخصوصا العمل اليدوى يشوبها الكثير من الاحتقار
با رغم من ان العمل اليدوى الآن يعلمونه فى الجامعات الأجنبية ،
لأنهم اكتشفوا ان التعليم النظرى وحده لا يخلق المواطن .

فى اليابان مثلا يتعلمون كيفية تركيب الراديو الترانزستور
فى المرحلة الابتدائية . وقد جدت ان دعييت المتمر أدبى ومعنى راديو
توقف عن العمل ، وكان هناك كاتب يابانى فقلت له انه يصنعاة

اليابانية رديئة بدليل هذا الراديو المعطوب ، فأخذه منى وقام بتفكيكه قطعة قطعة واصلاحه .. ولما أبدت دهشتى ، أخبرنى انهم فى اليابان يتعلمون صناعة الراديو فى المرحلة الابتدائية .

● ● هل تدعو اذن الى نموذج المواطن العربى اليابانى ؟

— هذا النموذج تخلقه بالعمل .. فى الكويت مثلا هناك رجال أعمال فى منتهى النشاط ويعتبرون ان العمل شرف .. والنموذج الكويتى نموذج ناجح جدا ولا يعتمد على البترول .. لذلك أرى ان النموذج الكويتى نموذج عربى ناجح جدا للبلاد البترولية ، لأن هناك دولا بترولية تأتى بناس يشتغلون لها بالرغم من هذه الثروة الزائلة .

العمل فى حد ذاته يخلق شخصية الانسان ، وينميها ، تصور شخصا يجلس فى البيت بدون عمل .. كيف يعيش ؟ لابد أن يصاب باكتئاب ..

● ● هل تقدم الدولة للناس ما يدفعهم لمزيد من الانتاج ؟

— مصر انهكت .. قامت بثلاث حروب وحتى لو كانت خسرت حربين وكسبت الثالثة فقد انهكت هذه الحروب جهاز الدولة سياسيا واداريا .. وكل الجهاز الادارى الجيد تركها أما ليعمل فى القطاع الخاص أو فى البلاد العربية وأصبحوا مليونيرات .. هل تعلم ان حجم الأموال المصرية فى الخارج .. وصل الى ٢٥٠ مليار دولار ! يعنى بحجم ما عند السعودية والكويت وغيرهما .. ولا يأتون بها الى مصر ، ويوظفونها فى خدمة الاقتصاد العالمى الذى يعمل على استحقاقنا .

● ● : ربما كان الجافز غير موجود لكنى يعمل المواطن وينتج
بإخلاص ؟

- أمامى الآن خطاب من والد طبيب يقول إن ابنه يقضى فى
التعليم حوالى ٢٠ عاما ٠٠ وعندما يتخرج يعين بمرتب ٤٨ جنيها ٠٠
هذا المبلغ لا يكفى لشراء قميص وحذاء ٠٠ بالأجور الحالية فى مصر
لا يمكن الحصول على التاج

● ● : إذن ٠٠ الناس فى مصر معدونون فى أنهم لا يعملون ؟

- أنهم يعتبرون ان المرتبات التى يحصلون عليها اعانة لهم
من الدولة ، وبعد ذلك يعملون فى أى شىء آخر ٠٠ يعنى الطبيب
مثلا يفتح عيادة ليكسب والا مات من الجوع

● ● : وكيف نحل هذه المسألة الصعبة : ان يعمل الناس
ويقدرن ظروف الوطن ومصاعبه ؟

- مرة أخرى لابد من مشروع قومى ، جهاز أو حزب جديد
يتبنى هذا المشروع القومى ، ويتولى الدعاية له فى أجهزة الاعلام
ويقود حملة قومية من أجل انقاذ مصر

● ● : انتشرت - مؤخرًا - كتابة المذكرات السياسية التى
يعارض بعضها البعض ٠٠ كيف يمكن كتابة التاريخ بغير تزيف ؟

- وان كان هذا السؤال ليس من اختصاصى ، لأننى لست
مؤرخا ولا مسؤولا عن التاريخ ، ولكنى أعتقد أن كثيرين ممن يكتبون
مذكراتهم يكتبونها دفاعا عن أنفسهم والدور الرديء الذى لعبوه ٠٠
والقليل جدا منهم يكتب بصندوق حتى الذين يعرفون الحقيقة
لا يقولونها كلها ، لأن الحقائق فى مجتمعنا العربى من الصعب
كشفها للناس وما زال أبطالها أحياء ، نحن نمتلك كمية رهيبه جدا
من النفاق

هل يستطيع أحد أن يكتب مذكرات كـمذكرات غاندى الذى كتب أنه كان يذهب الى بيوت الدعارة مثلاً ؟ وهل هناك زعيم عربى يكتب مذكراته كما كتبها تشرشل ؟

ان ما يكتب فى عالمنا إما دعاية للذات أو لاعطاء أهمية أكبر للدور الذى لعبه من يكتبون ، لذلك أنصح الشباب ان يقرأ هذم المذكرات باحتراس شديد جداً ، فعليه أولاً أن يعرف تاريخ كاتب المذكرات وما قاله عنه الآخرون ثم يقرأ المذكرات بعد ذلك ليتبين الحقيقة ومن السهل دائماً أن يميز بين الكذب والصدق ، حتى بالنسبة للانسان المتوسط الذكاء .

● ● هذا التمييز بين الفث والسمين قد لا يتوفر لكثير من الشباب ، خاصة فى ظل غياب الوعي الثقافى ؟

— أعتقد ان الشباب لا يقرأ هذه المذكرات ولم أر شاباً يقرأون مذكرات سياسية لأنهم يعرفون أن لا أحد يكتب الحقيقة . انهم يقرأون للكتاب الصادقين الذين يعرفونهم ويعرفون تاريخهم .

● ● ذكرت ان رسائل القراء تدل على انخفاض مستوى التفكير ، فهل يعنى ذلك ان المثقفين وقادة الرأى والفكر فشلوا فى تكوين رأى عام فاضح ؟

— المثقفون يؤثرون فى المتعلمين فقط لذلك فتأثيرهم محدود . والمتعلمون الحقيقيون — أعدادهم قليلة ، وخرجو الجامعات لم يعودوا متعلمين ، وتأثير المثقفين يشبه المدفعية الثقيلة التى لا تصيب جندياً واحداً بل تضرب فى حلقات التفكير الكبرى .

● ● بعد ١٩٦٧ دعيت انت ولجيب محفوظ الى مؤتمر لأدباء الأقاليم هل كانت الدعوة ليدن كل منكما نفسه ؟

- كانت الحكومة - مساهما الله بالخير - تريد ان تقول ان الهزيمة التي لحقت بمصر سنة ١٩٦٧ لم تكن هزيمة جيش لكنها هزيمة جيل ٠٠٠ وكان صاحب هذه النظرية الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل - غفر الله له هذه السقطة - وكانوا يريدون عقد مؤتمر لأدياء الأقاليم ورأسه أنا ونجيب محفوظ لنخرج من المؤتمر باعتبارنا مدانين وسبب الهزيمة ٠ طبعاً لم نذهب أنا ونجيب محفوظ ٠

لكن هذا المؤتمر كان سبباً في تقسيم الحركة الأدبية الى جيل الستينات من الذين حضروا المؤتمر وجيلنا ٠٠٠ وحدثت العداوة بالرغم من اننا لم نفعل شيئاً ، ولم نشترك في الحرب أو الهزيمة ، بل كنا نفقد الأوضاع التي أدت الى الهزيمة ٠٠٠ نحن الجيل الذي تنبأ بالهزيمة قبل ان تحدث ، ولكنهم حملونا مسؤولية الهزيمة ووجدوا تشجيعاً من الكتاب ٠

فالهزيمة عندما تلصق بى ونجيب محفوظ « يقولوا هم جديعان قوى » ٠

وفى هذا المؤتمر شارك شاب من بلدنا ، وهذا الشاب ذهب فيما بعد الى اسرائيل وهو الآن فى المخابرات الاسرائيلية ، وقد جاء مع بيجن أثناء زيارته لمصر ٠ فقبضت عليه المخابرات المصرية ، لكن بيجن أصر على عدم مغادرة القاهرة الا بعد ان أفرج عن هذا الشاب ، وأخذته معه ، وهو الآن الوحيد المسموح له بدخول الكنيسة الاسرائيلية حاملاً السلاح ، وكان شاعراً موهوباً ، ولكن غسيل المخ الذى حدث بعد الهزيمة سبب له « لخبطة م مما جعله يفقد انتماءه بل وهويته ٠

وهذا يحدث لكثير من الكتاب الذين أخذوا المسألة على نحو شخصى ، لأنه مثلاً يكتب ولا ينشر له وغير معترف به ، لأن نجيب

محفوظ ويوسف ادريس موجودان ، بالرغم من اننى فى بداية حياتى وجدت كتابا عمالقة كتوفيق الحكيم ، العقاد ، المازنى ، الشرقاوى ، عبد الرحمن الحميسى ، سعد مكاوى ، فلم أشعر اطلاقا انهم ضدى أو انهم منافسين لى .

اننى أكتب لأننى أعتقد ان ما أكتبه لا يستطيع أحد غيرى كتابته ، لكن بعد هزيمة ٦٧ حاول البعض الفصل بين الأجيال مما أدى الى احباطات شديدة أصابت الكثير من كتاب الستينيات ولذلك بعضهم هاجر وبعضهم نفى يديه من الكتابة نهائيا لأنهم تعاملوا مع المشكلة باعتبارها شخصية وليست قضية عامة .

والكاتب يكتب لأنه يتبنى وجدان أمة ، ومستعد ان يسجن ويضحي ويذهب الى المصائب دفاعا عن موقفه ، وكل مقال أو قصة أكتبها أحمل يدى على كفى لأنها ممكن ان تقطع ، ولو كنت أحافظ على ذاتى كما يفعل البعض ، ولا أريد ان أذكر أسماء ، ولو كنت أتكلم بأدب فى الحدود المعقولة ، لا أشتم اسرائيل .. كنت أصبحت شيئا آخر .

لا يهمنى العقاب

● ● اذن الكتابة ليست مجرد تحقيق الذات فقط ؟

- اطلاقا .. لأن تحقيق الذات يكون عن طريق ان تحقق للشعب ذاته فتتحقق ذاتك تلقائيا لأن الشعب نفسه يحقق لك ذاتك بصرف النظر عن التضحيات ، وعندما اعتقلت وفصلت من عمل سبع مرات لم أشعر بالتضحية ، لأننى لو لم أعتقل أو أفصل لكنت مضطرا لمجاراة الجو ، لكن أنا لا أهتم بالعقاب ويهمنى ما أكتبه : صبح أم لا .. قد أعانى بالطبع لكنى لم أشعر بالاستشهاد لأن هذا جزء من الضريبة التى أدفعها ككاتب ، هذا شئ طبيعى لأننى وأنا

أكتب المقال أشعر بخطورته وأتحمل مسؤوليته ، ولو فصلت خلاص
« أزعل ليه » فى حالة واحدة فقط وهى لو كتبت مقالا عاديا
وفوجئت بفصلى .

وأعتقد اننى كتبت مقالات لم تكتب من قبل فى الصحافة
المصرية الحكومية ، وهناك من يذكرنى بهذه المقالات وقله نسيته
بعد كتابتها ، واذا كانت جماهير الشعب تقدرنى فليس ذلك لانى
أقدر نفسى ولكننى أكتب لها وهى ترد لى هذا بتقديرها .

● ● ننتقل الى الجوائز يا دكتور يوسف . . أيهما افضل
ان تكون لكل دولة عربية جائزتها الخاصة ، أم يجب ان تكون هناك
جائزة عربية تشترك كل دولة بحصة فيها ؟

— لابد أن تكون هناك جائزة عربية كبرى ، عالمية ، قيمتها
مليون دولار ، على الأقل وتكون لجنة التحكيم فيها عالمية وفيها
أعضاء عرب بالطبع ، يجب ان تفوق جائزة نوبل فى قيمتها
ومستواها ، وليس فى الأدب فقط بل فى العلم أيضا ، يجب أن
يكون لنا دورنا الحضارى فى العالم على الأقل لنخفف من غلواء
النظرة الأوروبية لنا باعتبارنا متخلفين لا يهمنا سوى اطعام البطون !!
لا . . نحن متحضرون .

● ● واذا عدنا للأدب . . هل يجب ان يكون للمقربة كتابها ،
وللمدينة كتابها ؟

— هذا سؤال مضحك جدا ، فالكاتب يخرج من كل الشعب
ليعبّر عن كل الشعب ، ولذلك فتعبير أدباء القاهرة وأدباء الأقاليم
تعبير مصطنع ، لا يوجد شيء اسمه أدباء أقاليم ، ولكن هذه التعبيرات

دخلت حياتنا الأدبية نتيجة لسيطرة المركزية القاهرية بشدة على الحياة الأدبية .

● ● أين مدرستك الأدبية الآن يا دكتور يوسف ؟

— مدرستي الحقيقية هي ما أكتبه وليس ما أقوله ، وأنا لا أحب مقاهي الأدباء ولا أدباء المقاهي ، لأن هذا نوع من الثروة الفارغة ، وكتابة قصة جديدة يقرأها الآلاف من الناس أفضل من كل الجلسات غير المثمرة .

● ● هل صحيح أنك كنت غريبا لكامل الشناوى وتنافسها في غرامياته ؟

● ● يا راجل ٠٠ حرام عليك

● ● هل انت بطل قصيدة لا تكذبى كما قال يوسف الشريف في كتابه « ظرفاء ذلك الزمان » وان لم يذكر بك بالاسم ؟

● ● هذا السؤال تسأله ليوسف الشريف :

— أين عصر الظرفاء الآن بعد رحيل عبد الحميد قطامش وعبد الرحمن الخميسي ، وكامل الشناوى ؟

● ● عندنا محمود السعدنى ، أظرفهم جميعا !

● ● الا ترى ان هناك ضرورة لتسجيل حياة هؤلاء الناس مثل حياة الخميسى ؟

— الكتابة عن الخميسى صعبة جدا لأنه لا بد من كاتب يعرفه معرفة جيدة ، والذين يعرفونه جيدا ليسوا على قيد الحياة فضلا عن أنه قضى حوالى ٢٠ سنة خارج مصر ، فتسجيل حياته يتطلب ان يتولى هذه العملية ابنه ، والعتور عليه مشكلة .

ليس تجاه السودان فقط

● ● الا تعتقد بوجود تقصير أدبي مصرى تجاه السودان ؟

- ليس تجاه السودان فقط بل تجاه العالم العربى كله ،
وان كنا بدأنا نتلافى ذلك ، الآن هناك اهتمام بأدب المغرب العربى ،
وأدب المشرق العربى ولدينا مهرجانات مسرحية عربية ومهرجانات
سينمائية عربية .

● ● هل زرت السودان ؟

- زرت السودان أيام جعفر نميرى الذى قام باعتقالى وترحيل
بعد أربع وعشرين ساعة من وصولى ، كنت مدعوا للحديث فى
ندوة بجامعة الخرطوم ، وخاف نميرى ان تنقلب الندوة الى مظاهرة
فأعادنى الى مصر قبل ان تبدأ هذه الندوة .

● ● تضاؤل انتاجك الأدبى يا دكتور يوسف .. الا يرجع
الى اهتمامك بالصحافة على حساب الأدب ؟

- يا سيدى ما أكتبه فى الصحافة والقصة والرواية والمسرح
كله أدب .. وأنتم أحرار فى هذه التقسيمات .. صحافة ، مسرح ،
قصة ، التصنيف يتولاه التاريخ . وبرنارد شو لم يبق له من
٤٣ مسرحية الا مقدمات هذه المسرحيات التى هى مقدمات ..
وشكسبير لم يبق من كل مسرحياته الا الأربع الأخيرة والباقى كلام
فارغ ، والكثير من مقالاتى أكثر جودة من أى قصة قصيرة حتى لكاتب
عربى .

زمن العبقریات

● ● السينما والمسرح هل أضافا اليك شيئا ؟

- المسرح أضاف لى الكثير .. ولكننى ما زلت على اعتاب
السينما .

● ● وبماذا تفسر عدم ظهور عبقریات جديدة فى الأدب والفن ؟

- العبقریات لا تباع مثل « الخيار » مثلا ، العبقریات تخرج
فى كل جيل .. كل خمسين وأحيانا مائة سنة . ومنذ رحيل
الكتاب الكبار فى روسيا من ٨٠ سنة لم يظهر كاتب كبير . وفى
فرنسا لم يظهر من هو فى حجم سارتر . وفى أميركا ليس هناك
سوى آرثر ميللر .. كتاب القصة القصيرة والمسرح فى العالم
نستطيع أن نعددهم على أصابع اليد الواحدة .

● ● نعود الى الصحافة .. هل تمارس الأدب خلال الصحافة ؟

- الصحافة وسيلة تحمل الأدب الى الناس .

● ● والأيام الثلاثة التى قضيتها كرئيس لتحرير جريدة الجمهورية ؟

- كانت تجربة سيئة لأن الأستاذ الحناوى رئيس مجلس
الإدارة عيننى رئيسا للتحرير ليضرب كتلة غير متعاونة معه ..
وطبعا كانوا هم الأقوى ، وخلال هذه الأيام الثلاثة وقعت على
أوراقى .. ولكن ليس هذا عمل رئيس التحرير ، لكن عمله أن
يفكر لصحيفته ويتعاون المحررين معه ، فإذا لم يتعاونوا يشتغل
أزى .

● ● هل صحيح انك اغلى كاتب في مصر ؟

- هذا صحيح لأننى لا أحب أن أكتب كثيرا فأطلب كثيرا .

● ● ألم تطمح في أن تكون وزيرا ؟

- عرضت على الوزارة فى الستينات وأنا رفضتها لأننى

لا أصلح ان أكون وزيرا .. أنا كاتب .

● ● هل هناك مناخ معين تكتب فيه أو وقت محدد للكتابة ؟

- الكتابة للصحافة لا وقت محدد لها لأنها مرتبطة بالمطبعة ..

أما الفن فيأخذ وقتا ، وعموما ليس هناك مناخ معين .. اننى أفكر طويلا ، وفى وقت محدد أجلس لأكتب .

دعوة للقتال

● ● هذا يصل بنا الى السؤال عن الشخصية المصرية

وسماتها المفقودة ؟

- لم تفقد الشخصية المصرية سماتها ، لكنها فى أزمة

اقتصادية ونفسية وسياسية وبالرغم من ذلك فأنا متفائل وأظن ان هذه المرحلة عابرة وسوف تمر ، لأن الشعب مر بأزمات أخطر من هذه وتجاوزها .

● ● اذن مستقبلنا هل يدعو الى التشاؤم أم التفاؤل ؟

- انه يدعو للقتال ، بمعنى اننا اذا تركنا المستقبل يحدده

ما يجرى الآن فى مصر ، فهو مستقبل سيئ جدا ، أما اذا أخذنا المستقبل بأيدينا وكافحنا لايجاده فسيكون مستقبلا طيبا .

● ● أليست هذه مهمة المثقفين ؟

- المثقفون يحاولون رغم انهم لا يملكون ، فليس لديهم جريدة

ولا فلوس ولا أى حاجة .

● ● لكن لديهم الكلمة ؟

— هم يقولونها المشوار ما يزال طويلا .

● ● ما هو احساسك بتجربة فصلك من الصحافة سبعة أشهر أيام عبد الناصر عندها أجريت حوارا مع أنور السادات رئيس مجلس الأمة ولم يرض هذا السلطة ؟

د • يوسف ادريس : كنت سعيدا بالرفق لأنى لو لم أرفق كنت مضطرا أجازى الجو وأكتب ما يريدونه • • فالرفق تجربة مفيدة • • لا يهمنى الرفق انما يهمنى ما أكتبه صح أو لا •

● ● يعنى لم تعان ؟

د • يوسف ادريس : عانيت المعاناة العادية لكننى لم أشعر أنى شهيد لأن هذا جزء من الضريبة التى أدفعها ككاتب •

● ● بعد ذلك منعت من الكتابة أيام السادات بسبب توقيعك على العريضة التى كتبها توفيق الحكيم ووقعها الأدباء بشأن أوضاع الاسلام واللاحرب ونقلت ضمن من نقلوا الى هيئة الاستعلامات ثم جاء عهد حسنى مبارك فغيرت وجهة نظرك فى الحكم ؟

د • يوسف ادريس : لأن حسنى مبارك رجل لا يجب السلطة وغير متعال مثل عبد الناصر أو السادات ، ولذلك أتعامل معه ، وكتبت أويد ترشيحه لفترة رئاسية أخرى لكى يستطيع الشعب أن يقوى فى عهده ولذلك أنا أويد عدم ترشيحه نائبا لرئيس الجمهورية لكى يختار الشعب رئيسه بنفسه •

● ● بعد زيارتك لليبيا التزمت الصمت عن الكتابة بعد ما أثير غبار حولك • • فهل من السهل على الكاتب ان يصمت باختياره عن الكتابة ؟

أنا لم أصمت ولكن فرض على الصمت • • منعونى من الكتابة

فى الصحف القومية فنشرت فى الأحرار .. ثم رفع المنع وبعث لى
توفيق الحكيم رسالة يستحثنى فيها على الكتابة ورددت عليه وعدت
لاكتب .

لا أصلح للوزارة

● بمناسبة ذكر توفيق الحكيم يقول المثل أنه لا يوجد زمان
يجب زمان فهل الأديب لا يجب أديبا مثله ؟
د . يوسف ادريس : لا .. أنا أحب الأدباء الموهوبين وأكره
جدا المدعين .

● ● ولكن حدثت بينك وبين الحكيم معركة ؟
د . يوسف ادريس : معارك طريفة .. والحكيم كاتب موهوب
وأحبه وكان فيه بعض الناس يدسون فيما بينى وبينه ويقولون
على كلام فكنت ألقت نظره .

● ● ولكنك تحدثته على صفحات مجلة صباح الخير .. فما
هى الحكاية ؟

كان ذلك بمناسبة دعوة تلقيتها من « اليونسكو » للمشاركة
فى مؤتمر عن التعليم سنة ألفين ، ونشر الخبر ، فتوفيق الحكيم
تصور ان الدعوة كانت آتية له . ثم ان ثروت أباطة قال له : ان
يوسف ادريس يعمل دعاية لنفسه ، فعازين يفصلونى من اتحاد
الكتاب فأنا استقلت .. ومازلت مستقيلا لأننى غير مقتنع باتحاد
الكتاب .

● ● ما المفروض ان يفعله اتحاد الكتاب ؟

د . يوسف ادريس :

- أولا : يصدر مجلة أدبية راقية قيمة تستوعب كل كتاب
مصر .

ثانيا : يشجع الكتاب الشبان وينشر لهم •

ثالثا : يرفع الكتاب اجتماعيا وصحيا ونفسيا •

رابعا : انه ما ييقاش الكتاب « شلة » .. لأن اتحاد الكتاب عبارة عن « شلة » مسيطرة على الاتحاد وتتصرف في أمواله لا أعرف كيف ، وهذا وضع خطأ يجب اصلاحه أو تأليف جمعية للكتاب غير اتحاد الكتاب •

● ● لماذا لا تؤلف انت هذه الجمعية ؟

د يوسف ادريس : أنا عجزت •

● ● لكن الشباب شباب القلب والشباب كما يقول الانجليز

يبدأ في الستين ؟

الأدباء يعلمون الجمعية ويجتمعون ولا مانع عندي من أن

أساعدهم •

● ● هل صحيح انك تلميذ لتوفيق الحكيم في فنون

الدعاية ؟

د يوسف ادريس : دعاية ايه .. يمكن الحكيم كان يفجر

قضايا للفت النظر اليه .. لكن أنا لا أفجر الا قضايا حقيقية

يعاديني فيها الناس ، وأنا مطلوب للنياحة في أربع جهات بسبب

مقالات نشرتها في المفكرة •

فهل فيه حد يعمل دعاية لنفسه بالشكل ده .

● ● هل صحيح أنك وشجيت لجائزة نوبل ثم سحب ترشيحك في آخر لحظة ؟

د . يوسف ادريس : حدث .. لكنى لا أزال على قائمة الترشيح .. ولا أريد أن أزيد فى هذا الموضوع ..

● ● نريد أن نعرف فقط أسباب سحب الجائزة عنك ؟

د . يوسف ادريس : النفوذ المعادى للعرب ول مصر .

● ● وهل هذا يجعل للجائزة قيمة فى عدم حيادها ؟

د . يوسف ادريس : أعتقد أن المثقفين فى العالم بدأوا يقتنعون بعدم حياد جائزة نوبل وبدأوا ينتقدونها وأعتقد أن هذا سينعكس على تصحيح الأوضاع .

● ● هل هناك مناخ معين تكتب فيه أو توقيت محمد للكتابة ؟

فيه كتابة لها وقت وهى المرتبطة بالصحف للارتباط بالمطبعة ،
انما فيه كتابة تأخذ وقتها وهى « الفن » .

● ● الا يحتاج الفن الى تهيئة مناخ معين تبذل فيه ؟

د . يوسف ادريس : لا يوجد مناخ معين .. انما أنا أفكر طويلا وفى وقت محدد أجلس لأكتب ..

المشوار يحتاج للجري

● ● هل من الصعب على الكاتب اذا تبين له خطأ ما كتبه
ان يتراجع .. فى هذه الحالة ماذا يحدث لك مثلا ؟

د. يوسف ادريس : عملية المحاسبة ليست بعد الكتابة انما
وأنا أكتب لأن العقل شغال مع المبدع وهو شغال .. وأرى ان كانت
هذه الكلمة جارحة أحذفها .. هذه الكلمة قليلة أوضحتها .. هذا
فى الكتابة الصحفية .. انما فى الكتابة الفنية لا أسيطر اطلاقا .

● ● الا تعتقد أنك أخطأت فى حق د. أحمد شفيق عندما
خضت معركة ضده ؟

د. يوسف ادريس : أنا لم أخض معركة ضده .. دا راجل
قال انه اخترع دواء يشفى « الايدز » .. وأنا سألته أسئلة
علمية .. الاختراع تم ازاي .. فرد شتمنى وقال للأسف انه لم
يكن تلميذى ا وأنا طالبت ان الراجل ده تتولى جهة علمية فحصه ..
فرفع على قضية وأنا رفعت عليه قضية قذف .. مقال ليس فيه
قذف لأننى سألته كيف اخترع الدواء لعلاج « الايدز » وما هى
الاحتياطات اللازمة التى اتخذها حتى لا يتسرب الميكروب لأنه لازم
درجة الأمان تكون مائة بالمائة .. معمل مغلق وحوله معمل
مغلق .. يعنى فيه حاجات فى البحث واحتياجات لأنه لو تسرب
الميكروب يعمل مضيبة .

● ● هل دراستك للطب تنعكس على كتاباتك ؟

د. يوسف ادريس : الطب كحرفة لا أظهره انما أعرف المسخ
بیشغل ازاي .. النبضات العصبية تشتغل ازاي .. وفاهم علاقة
المعدة بالقلب بالطحال بالكبد .. انما ممارسة الطب لا .. انما
أنا من الأول أحب العلم وكنت أحب أدرس طبيعة نوية .. ووجدت

فى الطب طبيعة أيضا فدخلت ٠٠ وتفكرى علمى وما يتعارض مع العلم عندى فهو خطأ مهما كانت الأدلية العقلية ٠٠ من هذا المنطق تحدثت الى أحمد شفيق ٠٠ وتشيكوف له كلمة يقول فيها : « أنا مقياسى للحقيقة أن أرى هل الموضوع الذى أكتب فيه ينسجم مع الحقائق العلمية أم لا » ، أصل الكاتب ممكن يخرف يشط بالقارى يأخذه بعيد خالص ويفهمه معلومات غير حقيقية وغير علمية ٠٠ لذلك لازم يكون فيه مقياس يحد من اتجاه الكاتب ٠٠ لا يحد من خياله ٠٠ انما عارف بيضرب فى ٠٠ لازم يكون للكاتب « ونس » من الحقائق العلمية .

● ● هل المناخ الثقافى يتفق مع الحقائق ؟

— نحن نعانى من حالة جذر ثقافى وأرجو أن نخرج منها قريباً .

● ● المستقبل بالنسبة للواقع هل يدعو للتشاؤم أم

التفاؤل ؟

— يدعو للقتال .

● ● بمعنى ؟

— بمعنى أنه اذا تركنا المستقبل تحدده الأمور الجارية الآن فى مصر فهو مستقبل سيىء جداً ، أما اذا أخذنا المستقبل بأيدينا وكافحنا لايجاده فسيكون مستقبلاً طيباً .

● ● خلال الثلاثين سنة الأخيرة التي مارست فيها الكتابة
لم تحقق رسالتك التي سعت في سبيلها لانارة العقل المصرى ؟

— الى حد ما لكن المشوار لا يزال طويلا .. كنا فاهمين ان
المسألة تنتهى خلال عشر سنين .. سنة ١٩٦٢ هنبس وناكل
ديمقراطية .. لكن اتضح ان المشوار طويل .

● ● يحتاج لوقفه ؟

— يحتاج الجرى وليس الى وقفة .

ابنتى موهوبة

● ● قضيت تحتشد لنفسك لكى تكون كاتبا .. فهل جيلنا
متسرع بعضى السرعة الذى يعيش فيه لكى يحقق طموحاته ايضا
بسرعة ؟

د يوسف ادريس : هذا الجيل محتاج لمشرفين .. لأن
الاسراع هنا اسراع مفتعل .. لأنه لا توجد مشكلة ان الواحد يكتب ،
لكن المشكلة ان الواحد يعمل ايه لما يكتب .. هل يكتب علشان
فلوس ؟ . يبقى سريع جدا ولا فائلة من اقناعه .. ومعظمهم ينتج
ليس لأجل الفلوس انما ليثبت ذاته .

● ● هل هناك احد من أبنائك الثلاثة ينهج نهجك ؟

د يوسف ادريس : ابنتى نسمة كاتبة وأعتقد أنها موهوبة ،
أما بهاء فهو مخرج سينمائى ، وسامح مهندس كمبيوتر .

أخذت عن أمي عنادها

● ● حياة يوسف ادريس هل يمكن ان تنقسم الى مرحلة في الريف • مرحلة في المدينة ••• وما هو تأثير كل منهما على أدبك ؟

ـ هذه التقسيمات ميكانيكية •• أنا نشأت مثلما ينشأ أي مصري في قرية ، ثم يتعلم في المدينة ، ثم يأتي الى القاهرة • يسافر الى الخارج • يعمل أو يكتب • حياتي غير مقسمة وأنا ما زلت على اتصال بقريتي أزورها كل ثلاثة أو أربعة أشهر وأعرف كل واحد فيها كما أعرف جيرانى فى القاهرة وأصحابى فى القاهرة وناس من الخارج ••

● ● والدتك •• هل ما تزال تعاملك باعتبارك يوسف الطفل الصغير وتزجرك مثلاً اذا اقتضى الأمر ؟

ـ لقد كبرت فى السن ولم تعد لها القوة التى كانت لها زمان ، تعاني صعوبة فى المشى ، وهى تحببني جداً لأننى ابنها البكر ، وقد أخذت عنها عنادها بمعنى الاستمالة فى الوصول الى الهدف الذى أؤمن به ، كما أعطتني تركيبها الجسماني القوي جداً • وأعطتني تركيبها العقلي المنظم • ورغم أنها أمية لا تقرأ ولا تكتب ، إلا انها مقنعة جداً ، تلتقط الأشياء بسرعة من حولها وتعيد تركيبها من جديد ، بحيث تتكون لديها رؤية ويتكون منطق خاص بها •

❶ ❶ وأصلقاء القرية ٠٠ هل ما زالت صلتك حميمة بهم ؟

— بالطبع ليس كما كان من قبل ٠ بعض أبناء جيلي مات وبعضهم كبر في السن ٠٠

وعموما القرية تغيرت ولم تعد هي نفس القرية ٠٠ أصبحت شبيهة بمدينة ٠٠ الناس يشتررون الخبز والفول والطعمية من الدكاكين ، ولا يقومون بعمل ذلك في البيوت كما كانوا من قبل ٠

❶ ❶ والمدينة هل غيرت تكوينك الريفى كفنان خرج من القرية ؟

— القرية تكسب الانسان أصالة لأنها الخلية الحية للمجتمع المصرى والكثير من تقاليد المدينة خارج عن عرف القرية أو الحارة ٠ ولأن القاهرة اليوم ليس فيها شخصية اعتبارية ، فستجد فيها الحرامى وتاجر المخدرات والمليونير وقاتل ابنه وقاتل أخته ٠٠٠ هذا كله لن تجده فى الريف ٠٠٠ تجده فقط فى المدينة التى لا تملك شخصية محددة ٠٠٠ حتى فى مبانيها الحديث مع القديم وناطحات السحاب مع أى حاجة ٠٠٠ حالة من حالات فقدان الشخصية ٠٠٠

أنا والشيخ الشعراوى

❶ ❶ ما الذى يغضبك من الشيخ الشعراوى ؟

❶ فضيلة الشيخ الشعراوى يذهب الفنانون اليه ليتربوا على يديه من التمثيل ثم يذهب هو ليتفرج على مسرحية ويقول هذا تمثيل جيد ٠٠ اذن التمثيل ليس خطأ ٠٠ لكن ايه حكاية التحريم دى ٠٠ الشيخ الشعراوى يقول مكروه ، الجماعات الاسلامية تقول ممنوع خالص ، اذن أما من عاقل واحد فى مجال الدعوة الاسلامية يوضح لنا هذا ؟ لأن فيه علماء مسلمين يختلفون تماما مثلا مع حرمة

الموسيقى .. أما أن يصدر قرار من جماعة إسلامية بالغاء حفلة موسيقية فهذا يستحق الضرب بأقصى قوة ، وأنا أعتقد أن الحكومة يجب أن تضرب هذا الاتجاه ضربا عضليا رغم أني راجل كاتب ولا أؤمن بالضرب العضلي لكن لأنهم يستخدمون القنابل والجنازير يضربون بالمثل .

● ● ألم تكن قد تصالحت مع الشيخ الشعراوي ؟

ينفي د . يوسف ادريس :

« أنا لم أتخاق مع الشيخ الشعراوي لكي أصطلح معه .. أنا اختلفت معه حول حقه في تكفير المواطنين .. وللأسف بعد ما أوضح المسائل وقال على صفحات جريدة الجمهورية : أنا لا أملك التكفير ولا أكفر أحدا إذا به في حديثه الأخير بأخبار اليوم يسألونه عن يوسف ادريس أين هو الآن ؟ قال : هو في المنطقة الأولى .. يعنى منطقة الكفر والتحدى لله ، وأنا استغربت جدا من عالم جليل كالشيخ الشعراوي أن يعود مرة أخرى ليمنح صكوك الغفران لهذا ويمنعها عن ذلك ويقول هذا كافر وهذا مؤمن ، ويقول عن مصطفى محمود وشادية أن حالهم انصليح ثم يقول أن شادية التي تطرب الناس طربت لصوته ، وكلام غير علمي .. وما دام الشيخ الشعراوي قد نصب من نفسه مفتيا اجتماعيا حول الفن فمن حقنا أن نقول له في بعض الأحيان لا وألف لا وأرفض تصنيفه لى في الباب الأول أو مرحلة الكفر .. فانا أكثر ايمانا من بعض علماء المسلمين والعلاقة بيني وبين ربي وبين ضلّيتي أنظف بكثير من بعضهم ولا أسمع حتى للشيخ الشعراوي بأن يرفع في وجهي هذه التهمة .

لم يخلوا مني شيئا

● قلب الدكتور يوسف ادريس .. تحدثت عما تدل عليه

رحلة - ٢٢٦٩

رسائل قرأتك لك من انخفاض مستوى التفكير .. فما هي أسبابه ؟

أجاب :

- أسبابه اقتصادية لأن فيه قطاعات كبيرة من المجتمع تعاني القلق فأتجهوا الى الله .. فعلماء الدعوة ركبوا الموجة وقالوا لهم تبطلوا « دومينو » وتبطلوا « كوتشينة » وتبطلوا تسمعوا « مزيكا » فهل هذا يحل المشكلة الاقتصادية ؟ .. حلواها لا تأتي من السماء وانما تأتي بمزاولة الدنيا ومن التجارة والانتاج ونحن في هذا أعلم بشئون دنيانا .

❶ ❷ هل يعنى ذلك ان المثقفين وقادة الفكر والرأى فشلوا

فى تكوين رأى عام ناضج ؟

- المثقفون تأثروهم محدود لأن تأثيرهم في المتعلمين ، والمتعلمون الحقيقيون فى مصر قليلون حتى خريجى الجامعات لم يعبودوا متعلمين .. وتأثير المثقفين مثل المدفعية الثقيلة لا تضرب عسكريا واحدا بل تضرب فى حلقات التفكير الكبرى .. فأذن المثقفون لم يفسلوا انما ضربوا فى عصرين عصر عبد الناصر وعصر السادات وبداية عصر مبارك انما الآن عندهم فرصة من الحرية لكن فيه ضرب مستمر من سنة خمسين حتى الآن .

❸ ❹ أليست الحرية مع صعوبة لقمة العيش افضل من لقمة

العيش مع فقدان الحرية ؟

- ليه الزنقة دى .. ليه ما تكونشن لقمة العيش مع الحرية والحرية تدعم لقمة العيش وليس على حسابها ، يعنى ليه بتضعنى

أمام خيارين كلاهما صعب ، الحرية هي عنصر انجاز فى المجتمع
والانسان بدون حرية لا يمكن أن ينتج لأنه غير ممكن واحد يأتى
بمستدس فوق دماغك ويقول لك : لا تشرب قهوة ولا تلعب مزيكا
وما تعملش الا ذكر الله طول النهار ٠٠ وتنتج ، العقل البشرى
لم يخلق هكذا لأن الدين اختيار ٠٠ يعنى مسلمين صحيح لكننا
نسلم مرة أخرى بعقولنا وتفكيرنا واختيارنا ٠

● لكن لماذا لم تؤد الحرية الى زيادة الانتاج ؟

— لأن الفوضى الموجودة وعدم الاطمئنان على المستقبل يحول
دون الانتاج ٠٠ وكتبت كتابا عن هذا اسمه «خلو البال المصرى» لأن
المصرى قلق جدا على مستقبله ٠٠ ولنر الآن ٠٠ نتكلم بصراحة ٠٠
جميعيات توظيف الأموال عمالة تتمدد وتكتل ، والحكومة مديونة ولها
ميزانية معينة وبرنامج اصلاح ٠٠ يعنى انت كآب عايز ولادك
يتعلموا ويسكنوا تعمل ايه ؟ تحط فلوسك مع جميعيات توظيف
الأموال وتأتى لك بدخل جيد أم تنتظر الحكومة ومشاريعها ؟ وأنا
رايى ان الارتباك الموجود سببه الحكومة لأنها لا تأخذ مواقف .
اطلاقا ، ولازم تأخذ مواقف مبدئية وتضع دعائم وأسسا نراها أنت
وأنا والوزير ، واللى يخرج عليها يتحاكم ٠

● الشیخ الباقوری :

اقبل عذر أخيك ولو كاذبا

كان الشيخ أحمد حسن الباقوري من الرجال المقربين الى الثورة التي اختارته وزيرا بها كممثل للاخوان المسلمين الذين اعتبروه خارجا عليهم لأنهم رفضوا أن يكون لهم وزير واحد فقبل الباقوري بينما كانوا يريدون أكثر من وزير من بين صفوفهم وحدث الصدام المعروف بين الاخوان والثورة ولم يسلم الباقوري من الابعاد والهجران ولكن يبقى من الرجل كونه داعية اسلاميا البعض يقبله والبعض يرفضه لأنه في دعوته وفتاواه يأخذ بيسر الاسلام ويتجنب التشدد . . ولم يكن يعنيه ان يرضى معارضييه او يتملقهم لاكتساب شعبية على حساب قناعاته التي يقوم دليله فيها على كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لنا هذا الحوار معه والذي بدأناه بالسؤال حول احوال المسلمين ولماذا هانوا على انفسهم وعلى غيرهم ؟

وأجاب فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري :

نستصحب في الجواب عن هذا السؤال الحكيم قوله تعالى عز وجل :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

صدق الله العظيم

فذهاب الريح يعنى ضعف القوة وفقدان الهيبة في صدور العدو المتربص وفي صدر الولي المنتفع . فتستطيع أن ترد جواب السؤال الى أنهم متفرون لا يكاد يجمعهم شأن من شئون الدنيا ولا الدين ، وعملت المذهبية البغيضة على تفريق صفوفهم ، وأعانت الأثرات الشخصية على هذا التفريق ، والله نسأل أن يرفع البلاء

وأن يعز هذه الأمة التي لا خير لها في دنيا الا بالاسلام تلتزم أدبه وتنزل على شرائعه وأحكامه ، والله ولي المؤمنين •

• • • كيف يعيد المسلمون اليوم مجد ماضيهم الذي سادوا به الدنيا ؟ •

• إذا تأملنا في ماضيهم زائنه مشرقا من خلال اعتناقهم الاقبال على أصول ثلاثة هي :

المنهج • • وكل مجتمع ينشد الاعتزاز بالحياة سيدا فيها ، لابد أن يكون له من منهاج يلتزمه ، وأن يكون له قدوة يمشى على أثرها ، وأن يكون هؤلاء السادة أتباع تلك القدوة ، لذلك فالمسلمون نجحوا في ماضيهم لأن القرآن من منهاج حياتهم ، ولأن رسول الله كان قدوة في أعينهم ، وهو نفسه كان يلتزم هذا المنهاج ، وهم لم يكونوا الا أتباعا يؤمنون • بالمنهاج ويحترمون القدوة ، فإذا أرادوا لأنفسهم أن يعودوا لقوتهم ، فسر قوتهم هو أن يكون لهم منهاج يجمع بين اليسر والعزم •

وسيدنا رسول الله بين ذلك في حديث صحيح شريف فقال :
« ايسرُوا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا » •

ثم هم أيضا لا تنقصهم محبتهم لرسول الله ، والمحبة أول طريق الى القدوة واتباعها •

وبتأمل هذه الكلمات يكون الجواب : عودوا الى الله تعد اليكم أمجادكم •

قضية حياتي

• • • من هو المسلم الحق ؟ • • •

• هو الذي فسرته رسول الله في حديث البخاري ، به

المسائل : ما الاسلام يا رسول الله ؟ فقال : بأن تشهد ألا اله الا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

فلما جاء إلى المسلم ليعرفه عرفه هكذا :

« المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . وأما أثر الرواية فهو : من سلم الناس

— سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين — من لسانه ويده .

● ● كيف يعرف المسلم أن الله راض عنه ؟ .

بآية المؤمن ثلاث : يصدق إذا حدث ويوفى إذا وعد ، ويؤدي الأمانة إذا أؤتمن . فإذا أضفت إلى هذه الأصول الثلاثة ، أنه يؤدي صلاته وصيامه وزكاته وحجه . فهو مثيق في هذه الصورة أن الله راض عنه .

● ● كيف يواجه المسلم اسماة المسيئين إليه ؟

— أن يعامل الناس بالتجاوز عن سيئاتهم معه وإشاعة حسناتهم . فإذا حرص الإنسان في الناس على أن يعتز بحسناتهم يذيعها عنهم ويتجاوز عن سيئاتهم فلا تؤثر في علاقته بهم ، فذلك هو الطريق الثنوي لنجاح المرء في دنياه وآخرته . وهذا هو ما أخذت به نفسي على مبلغ علمي في كل موقع وكل عمل قمت به .

● ● ما هي قضية حياة الشيخ الباقوري التي عاشها

ومن أجلها ؟ .

« يا سيدي . . . الإنسان يعيش لنفسه وأسرته وشعبه وأُمَّته . وأول ذلك وأصله أن يعمل دائماً في إطار يرضى الله تعالى عنه ، ويعتز الناس بالعامل فيه . »

وأعتقد أنني هكذا كنت بحكم الأسرة التي نشأت فيها ،
 وكانت أسرة ذات طابع ديني لأن أبني كان اماما في مسجد القرية .
 وجدى لامي كان مفتيا لأسيوط في عهد محمد علي ، وكان لكل
 مديرية أو اقليم مفتي خاص به فكان الشيخ فراج الخطيب
 الباقوري ، بهذا الاسم « مفتي » في قنا ثم نقل الى أسيوط فالتيا ،
 مفتيا في هذه الأقاليم الثلاثة ، وطبعاً دائماً كلما كان للطفل في
 أسرته من يلفته اليه كممثل أعلى يخرج ناشئاً على خطوات هذا المثل
 الأعلى ليصل الى ما وصل اليه آباؤه وأجداده .

ومن هنا قال الأديب :

ان لفلان حسبا في آبائه وأجداده ينهاء عن صفات الأمور .
 ويروى الناس أهل العلم الثقاة عن أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه ، أنه كتب الى عمرو بن العاص واليه علي
 مصر : لقد بلغني أنه فشت لك فاشية من ابل وغنم فمن أين لك
 هذا ؟ واني مرسل اليك بصاحب رسول الله محمد بن مسلمة ،
 فإذا وردك محمد فاقسم مالك بينه وبينك ، وابق لنفسك نصفاً
 وابعث الى جيران رسول الله في المدينة النصف الآخر ، .

وأحس عمرو رضي الله عنه كان أمير المؤمنين عمر يتهمه
 بالخيانة ، فكتب يرد عليه :

أما بعد .. انك تعلم يا أمير المؤمنين ..

.. انني لم أطلب منك هذه الولاية على مصر فلم أطرق لك عليها
 باباً ولا فتحت لك عليها قفلاً ، والله يا أمير المؤمنين لو كانت
 خيانتك حلالاً ما خنتك فان لنا أحساباً تمنعنا أن نخون ..

امثلة لليسر

• • كيف تنظر فضيلتكم الى قضية الشباب والتطرف ؟ •

— التطرف حيث كان لا يرضي الله تعالى به ولو كان التطرف في الخير فما بالك اذا كان تطرفا له عواقب سيئة تغضب الله ورسوله ، وقد قال الصادق المصدوق :

ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أقطع •

يريد صلى الله عليه وسلم أن يقول في هذا المثل الذي ضربه ، أن الانسان يركب دابة مع موكب ويمضي معه ، فإذا ما استحث مطيته فأسرعت اسراعاً شديداً ، فانه لن يصل الى الغاية التي يريدونها لأن الدابة ستنفق وتموت من السرعة ، ففقد دابته وانفصل عن موكبه ولم يصل الى غايته ، فذلك هو مثل المتطرفين دائماً ، والمتطرفون ليسوا في عصرنا ولا في العصور التي تجيء من بعدنا ، ولكنهم كانوا في عهد رسول الله ، فقد روى الامام البخاري أن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهم علي بن أبي طالب ، تذكروا فيما بينهم شئون الدين وموضع رسول الله منه ، فقالوا نحن نسأل في وفد الى أبياته ، فذهبوا وسألوا ، فرأوا عبادة الرسول قليلة لأنه يصلي ويصوم كما يفعلون ، فلما انصرفوا قالوا ما لنا وله فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، أما نحن فمساكين ، فقال أحدهم : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا سأقوم الليل ولا أنام ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أتزوج النساء •

وكان طبعياً أن يبلغ حديثهم رسول الله ، فاستدعاهم ، وقد استنداهم وقال لهم هذه الكلمة التي يخشع لها التاريخ : أما والله

انى لا تقاكم الله وأخشاكم له ، ولكننى أصوم وأفطر ، وأقوم الليل وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .
ثم جاء صلى الله عليه وسلم يوصي المسلمين بعامته فى كل زمان ومكان فيقول :

« لا تشددوا فيشدد عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلک بقاياهم فى الديار . .
رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله فما رعوها حق رعايتها .

وما خير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما . وما أكثر ما كان يوصي الذين يبعثهم دعاة الى الله ، فيقول لهم : يسروا ولا تعسروا ، وسبكروا ولا تنفروا . وفى رواية أخرى : يسروا ولا تنفروا .

أريد أن أقول ان التطرف موجود فى كل وقت وكل بيئة ، وخير الناس الذين يتخذون من رسول الله القدوة . ومن أصحابة المثل ، ومن سلف هذه الأمة . الطريق الذى سار عليه . ومن لا سلف له لا خير فى خلفه ، ومن لا ماضى له لا حاضر له .
● اعط لنا أمثلة ليسر الاسلام وعدم تشدده ؟

تجنىء سيده قاضية تقول لى . فات موعد السحور وأنا شربت لآخذ الدواء فهل صيامى باطل ؟

فأقول لها : بيتى وبينك حديث رسول الله ، فاقريه ولا تغشى نفسك ، وأنا لا أغشك . والحديث لرسول الله فى جامع الأصول لحديث الرسول للامام الشيبانى . يقول صلى الله عليه وسلم :
إذا سمعت النداء (لفجر) والاناء على يدك فلا تضعه حتى تنال منه حاجتك .

• وفسر الشيباني ، الحديث بأنه ان لم يشرب الصائم والآناء في يده والفجر يؤذن ، فان أصابه الطما وسط النهار سيقضى بقية يومه قلنا يقول : ياليتنى شربت ، ويشعر بالندم والحسرة • وهذا ليس من أخلاق المسلمين ، لذلك يقول الرسول اشرب ولو أذن الفجر حتى لا تبقى يومك أسفا نادما •

ثم اذا سمح للزوجة أن تتذوق الطعام على طرف لسانها وهي صائمة ، حتى تعد طعاما لزوجها ، أليس هذا أفضل من أن يفضب عليها زوجها ويسب ويلعن ، والرجال في غاية الكثرة ، والرجل لا يخاطب الا من بطنه •

اذن فالاسلام أكبر من المسلمين ، والمسلمون نريدكم على قدر الاسلام وفي مستواه ، فذلك خير الدنيا والآخرة ، والا فان الله فادر على أن يأتي بقرم غيرنا ، والله يقول :

« ان تتولوا يستبدل قوما غيركم » •

أحد رجلين

● ● كيف ينظر فضيلة الشيخ الباقوري الى قضايا :

خروج المرأة للعمل أو عدم خروجها

والمرأة بين الحجاب أو عدمه ؟ •

— الحكم في ذلك للقرآن الكريم ، فالله تبارك وتعالى أمر نساء الرسول بلزوم المنزل ، فمن شاءت أن تقتدى بنساء الرسول فلتفعل ، وان لم تشأ فلها الحرية ألا تفعل . يقول الله تعالى في سورة الأحزاب :

« يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها

**العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ، ومن يقنت متكن لله
ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا
كراما » .**

فأزواج رسول الله ان أساءت احداهن فلهما عقابين واذا
أحسننت فلها أجرين ، لانهن قدوة ولانهن لسن كبقية النساء كما
يقول الله تعالى :

« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » .

والمقيس عليه ، اذا أرادت المرأة أن تقعد في بيتها ولا ترهق
زوجها وهو يكفيها أمرها منعمة مترفة ، فلتبقى في البيت ، ولكن
ان أرادت العمل فليس هناك نص ديني يمنعها من ذلك .

أما بالنسبة للحجاب ، فالله يقول في سورة الأحزاب أيضا :

« وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

ويقول في سورة النور « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها » . ولما جاء رسول الله يفسر واليه وكل الله
تفسير القرآن ، كما قال له « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس » .
وقد بين الرسول ما الذي يجوز للمرأة أن تكشفه ، فتكشف وجهها
ويديها ، ثم أمسك على منتصف الذراعين . وراجع تفسير سورة
النور للقرطبي الحزرجي من علماء المسلمين الزهاد .

اذن فللمرأة أن تكشف من وجهها ويديها كما أمر الرسول ،
ولها أن تخرج للعمل مادامت تخرج غير مريبة وفي عمل شريف
محتشمة تحت سمع الناس وبصرهم .

... ومن لا يعي ذلك فهو أحد رجلين : حمار لا يفهم ، وأما انسان لا يريد أن يفهم .

● ● كيف كانت نشأتك الدينية وكيف انعكست على حياتك فيما بعد ؟ .

— لا أقدر أن أتكلم على نفسى لأن الانسان قد يكون له ظروف خاصة لا يشاركه فيها أحد .

وأستطيع أن أقول ان الاقبال على التدين العميق فى سن مبكرة خطر ، لأن الطفل ان لم يلعب وهو صغير فسيلعب وهو كبير ، واذا لعب وهو صغير فان ذلك يجعله يكبر على الجد ، والأم يجب أن تعطى ابنها أقصى ما يمكن من الحنان ، لأن الطفل الفاقد الحنان من أمه صغيرا ، يجب أن يلتمس هذا الحنان فى الزوجة التى يتزوجها ، والا صار انسانا فى غاية الشقاء .

● ● ما هى المواقف التى مروت بهما فى حياتك وتعلمت منها ؟ .

— فى بعض ظروف حياتى كان معى مال كثير أنفقته بسفه وتبذير ، فلما جاء الوقت الذى احتجت فيه لبعض المال ، عشت شقيا .

... كما أننى أتمثل صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه ، مثل المجلس الصالح كمثل حامل المسبك . أما أن يحذيك (يعطيك) من مسكه وأما أن تتنازع منه ، وأما أن تجد منه ريحا طيبة . ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكيز (الحداد) أما أن يحرق ثوبك وأما أن تجد منه ريحا خبيثة .

وقد مرت بي شذائذ في حياتي أعتقد أن ما عانيت من ظروف قاسية سببه الصديق السيء ، وما أصبته من خير في حياتي كان مرده إلى أنني اخترت صديقا طيبا .

كذلك من الأمور التي أحرص عليها وينبغي ألا تفوت مسيلما أو مسلمة هي قبول عذر الآخرين ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من تنصل إلى أخيه من ذنب صادق أو كاذب فلم يقبله لم يرد على الخوض يوم القيامة » .

ويقول : « خير الناس أعذرهم للناس » .
فالرسول يدعوك إلى أن تقبل عذر غيرك حتى ولو كان كاذبا ،
والا فستبعت يوم القيامة عطشان .

عندما رأيت الله

● ● هل هناك مواقف رأيت فيها الله ؟

- يقول الشيخ أحمد حسن الباقوري :

احساسى بجلال الله وهيبته ملا قلبي عندما كنت أميرا للحج سنة ١٩٥٣ ، وقد جرت العادة أن يفتح لأمر الحج ، الضريح الشريف ، وقد كنت أستعد للدخول مع صديق لي لقيته هناك ، وكانت له قيمته وقدره ولكنه لم يرض أن يدخل معي ، فتعجبت أن يضيع هذه الفرصة النادرة ، ولكنه قال لي ، انه مذنب ، وهو يخشى أن يدخل على رسول الله وهو مذنب ، لذلك طلبا مني أن أدخل على الرسول وأعذرن له عنه وأسأله أن يستغفر الله له ،

لقد رأيت الله في هذا الإنسان

موقف آخر لاحظته فيه أن رجلا من داخل معنا غير المسئول

ألقى السلام وحمد لله وأخذ شيئا من رمل القبر وابتلعه ، وعرفت
أن هذا الرجل كان يعاني من امساك مزمن وصداع مستمر ، فلما
ابتلع ما ابتلع من رمل الحجرة الشريفة وهو يزور الرسول قد زالت
أمراضه في اليوم التالي .

وهنا رأيت الله للمرة الثانية .

الحرب الرابعة

● ● بماذا تدعو الله ؟

- يقول الشيخ الباقرى :

أرجو أن تكون مضر على فضلها وخيرها في أرضها وسماؤها
وأهلها .

وأرجو أن يكون هذا البلد قدوة لكل شعوب أمتنا العربية
والاسلامية ، أولا في سيادة الديمقراطية في هذا البلد ، وأقول
الديمقراطية بالتعبير الحديث ، والمساواة والأخوة بين الناس - وهي
الأصل في الاسلام - والتكافل الاجتماعي .

أمر ثان أدعو الله ليل نهار أن نعود اليه وهو النيل ، حتى
تعود الى بلدنا خصوبة أرضها وحلاوة فاكهتها وخصوبة حيوانها ،
وأن نستمتع بالأسماك التي لا نظير لها .

الأهم من كل هذا أن يسود السلام منطقة الشرق الأوسط
عن طريق الاعتزاز بالحرية الشاملة والعدالة الكاملة والسلام
العزیز ، فإن الحرب التي يتوقعها الآتون من بعدنا ، ستأتى على
الأخضر واليابس . وأبرز مثل أسوقه في هذه العجالة من الحديث ،
عندما سئل « أينشتين » صاحب نظرية النسبية : لقد شهدت

حربين عالميتين ورأيت الأسلحة المستخدمة فيهما فماذا تتوقع
بوصفك رجلا فيلسوفا وفيك جانب روحاني - وهذا حق - فيما لو
نشأت الحرب الثالثة ؟

فقال الرجل الفيلسوف المتصوف :

صدقني لا أعرف ما الأسلحة التي سوف تستخدم في الحرب
الثالثة لو نشبت ، ولكنني أعرف على وجه اليقين الأسلحة التي
سوف تستخدم في الحرب الرابعة بعد أن تنتهي الحرب الثالثة .
فقال له سائله : حدثني عن هذه الحرب الرابعة .

قال أينشتين : سوف يقاتل الناس بعضهم بعضا في الغابات
بأسلحتهم وأطافيرهم . مشيرا بذلك الى أنه لن تكون هناك حضارة ،
فستكون قد زالت كل معاني الحياة والانسانية ، ويعود الانسان
وحشا في الكهوف والغابات .

● د • مصطفى محمود :

شيء لم أفعله بعد

« الكون مشروع فاشل والحياة صقلية خاسرة نهائية لها الموت ،
والعطب والفساد يكتنف كل شيء » .

هذه كلمات « رجل تحت الصفر » من الايمان حيث كانت بدايته .
رفض كل المسلمات فركبة « ابليس » الشك في « الله والانسان »
وكل شيء حيث كان من « المستحيل » ان يتصور احد انه سيقطع
« وحلته » هذه من « الشك » حتى يصل « الى الايمان » ليخرج من
« التابوت » حيث الظلمات والحيرة والضياع الى « الله » « السر الأعظم »
حيث النور والهدى واليقين لتبدأ سحابة التشاؤم والشك تنقشع عن
عقله وقلبه ليبدأ هجرة الى الله خادما لكلمته فيجرب « حوارا مع صديقه
الملحد » ليقتنعه وكل المشككين بـ « العلم والايمان » ان لا اله الا الله .
وليربط الانسان بالكون وخالفه وليقدم للشسباب مزيدا من الحقائق
التي تحببهم في الدين فيكون مقنعا لتراثه ومستمعيه ومشاهديه كبارا
وصغارا مثقفين ومتعلمين وما بينهم وما بعدهم فيشعروا جميعا انه
واحد منا لذلك فانه يدخل الى قلوبنا وعقولنا .. انه ومنذ البسطور
الاولى نعرفه د . مصطفى محمود .

● ● ونسأله في البداية عن سر نجاحه في اجتذابنا اليه ؟

فيقول : يمكن أن أقول لك ان هذا فضل الله أولا وأخيرا ،
وعناصر النجاح واحدة عندي وعندك وعند غيرنا وهي الصديق
والاخلاص فيما نقول وأن نعيش عصرنا بمعنى أننا ونحن في عصر
العلم لابد أن نحس بأكبر قدر من العلم ، ونحن في عصر اللغة
الموضوعية المختصرة البليغة الواضحة التي يجب أن نلجأ اليها .

❁ ❁ ألا ترى أن الشباب يفتقد الى هذا النوع من الدعاة ؟

— بالعكس نحن لدينا دعاة عظام ويكفى أننا نعيش عصر الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي والشيخ الباقوري رحمه الله وأن لم يمنع هذا من وجود بعض من يتكلمون وكأنهم على بعد ١٤٠٠ سنة والنبي كان يوصي الدعاة أن يكونوا مبشرين لا منفرين .

❁ ❁ أين تكمن مشكلة الشباب وما هو الحل ؟

— مشكلة الشباب هو الشباب نفسه لأنه يبحث لنفسه عن أقصر الطرق لتحقيق أهدافه صحيح أن ظروف مصر صعبة وكان يجب أن يكون هذا حافزا للشباب على أن يحمل مصر على كتفيه ويبنيها طوبة طوبة بالمشاريح بالتعمير بالعرق بالكفاح لأن الأمم لا تبني بالكلام ، وهذه هي اليابان خرجت من تحت دمار ذرى وأصبحت من أولى دول العالم في قوتها الاقتصادية . وهذه ألمانيا هزمت هزيمة كاسحة وسويت فيها مدن بالتراب واليوم أصبح المارك الألماني ولا الدولار في قوته . كيف حدث كل هذا ؟ لم يحدث بالهتاف والعنف وإنما الشباب هناك ذاكر واشتغل وبنى وتعب ووقفوا طواير وصبروا وكافحوا ، فهكذا تبني الأمم . أما أن بعض شبابنا يلجأ بالهتاف والعنف أو يهاجر للخارج يغسل صحون ويبيع جرائد فهذه سلبية والأكرم له أن يلصق القيشاني على الحيطان في بلاده أو يشتغل في السباكة أو النقاشية أو الحدادة أو كهربة الترانزستور فيحصل على ٤٠٠ أو ٥٠٠ جنيه أحسن من مرتب وزير وياريت لو الشباب فكر انه يعمل منحل أو مزرعة دواجن أو أرانب أو مشروع تاكسي يتبادلون عليه « السواقية » ، والدولة تعطى خريجي كلية الزراعة من ٣٠ الى ٤٠ فدانا ، والمفروض يستغلوا هذه الفرصة ويزرعوا بلدهم ، والصحراء فيها مياه جوفية تطلع لهم

ذهب بدل ما يزرعوا ويفيدوا بلاد غير بلادهم ، فانا أقول للشباب
كفى غسلا للصحن في بلاد بره ..

● كلمات تحرص على أن يفهمها ويعيها الشباب ؟

– الصدق مع الله ومع النفس ومع الآخرين وأن يؤمن كل
شاب بأن قيمته هي بقدر ما يضيفه الى الحياة ما بين ميلاده وموته
وأن يعرف أنه سيكون انسانا بقدر ما يقاوم ما يحب ويتحمل
ما يكره .

● سلام الانسان مع نفسه كيف يجده ؟

– سلام الانسان مع نفسه بأن يكون انسانا خيرا لا تصحو
ولا تنام الا وقلبك في صفاء كامل لا تضر لانسان حقدا ولا شرا
وانما تبغى الخير للجميع نية وقولا وفعلا واتقانا وهذا هو أساس
الصلح بينك وبين نفسك وبين الله وبين الآخرين وأساس السلام
والطمأنينة وأن تؤمن ايمانا كاملا بعدل الله ووحدانيته وقدرته وأنه
لن يستطيع أن يفر مجرم من عقاب أو أن تأتي عملا صالحا دون
ثواب وأن تحس أنك تعيش في مملكة لا ينام مليكها وهو الله فتنام
أنت لأن العدالة ساهرة فتعيش في سلام كامل بلا خوف لأن « كل
نفس لما عليها حافظ » و « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

● لماذا يختلف الدين والعلم في بعض الأحيان ؟

– الدين والعلم لا يختلفان ولكن الاختلافات تأتي حول
تظريات أو تخمينات عمية انما العلم النابت لا يختلف ولن يختلف
مع الدين لسبب بسيط هو أن العلم بالله لا يتناقض مع العلم
بمخلوقات الله لأن العلم الله هو صانعه لذلك فلا يمكن أن يكون
هناك تناقض بين العلم وصانعه ، ولكن لكل صنعة قوانينها ونحن
كبشر نخطئ الفهم ونشطط في التخمين ولكن بعد كذا سنة نكتشف

أن النظرية غلط فيلتقى الصواب فى النهاية مع الدين فلا تناقض بين الدين والعلم الصحيح .

● ● هل تقف حركة العلم بالانسان عن الحركة بعد أن أصبح كل شئ يتم بالأزراد والالكترونيات ؟ .

— بالعكس حركة الانسان تزيد بزيادة حركة العلم فبعد ما كان يركب « الحمار » أصبح يركب الصاروخ الى القمر والمريخ واذا استطاع الانسان حل معادلة الطاقة فانه يستطيع أن يتجول خارج الكرة الأرضية بين المجرات عدة سنوات فالعلم اذن يوسع حركة الانسان ولا يقللها .

● ● فى عصر المادية الطاغية اليس الدين فى خطر ؟

— غير صحيح أن الدين فى خطر بل الحضارة المادية هى التى فى خطر لأنها أفلست عند المتهالكين عليها ولم تعد تأتى لهم الا بالمآسى والكوارث وارتفاع نسب الجنون والانتحار والشذوذ الجنسى وأمراضه التى لا علاج لها وصار الشباب فى الدول الأوربية يعانون من الاكتئاب وحالات الانحلال والتطرف حتى موسيقاهم تلاحظ فيها القلق ، فالموسيقى التى يسمونها « الديسكو » تعبر عن حالة واحد عنده « مخصص » واحد « مصروع » بالتأكيد ليس سعيدا لأنه يلجأ الى نوع من « الزاد » لأنه يعيش فى نوع من التراجيدا أو المأساة النفسية التى تلف المجتمع الغربى كله والفارقين فى الحضارة المادية رغم الترف الذى بلغ الذروة عندهم ومع ذلك يعانون معاناة فظيعة تدمرهم وتدمر من حولهم ، أما الدين فهو بخير وتستطيع أن تلمس ذلك من اسلام الأجانب وعندنا مثال يجب أن نتأمله جيدا وهو اسلام « جارودى » المفكر الفرنسى وهذا مثال على حيوية الاسلام وقدرته على الوصول الى العقول والقلوب بدون دعاة يعبرون البحر وهذا دليل قوة ذاتية فى الاسلام .

● ● رحلتك من الشك الى الايمان هل جاءت عن عمد
وترتيب أم أنها جاءت بالمصادفة وكيفما اتفق ؟

- جاءت كيفما اتفق فلم أخطط أنى أشك متبلاً حتى السابعة
السادسة وبعد ذلك أبداً فى الايمان ولكننى كانسان مفكر أعدت
النظر فى كل المسلمات فى حياتى ويمكن هذا هو عيب المفكرين
كلهم يبدأون فى نفى المسلمات ليصلوا الى اليقين الذى لا شك
بعده .

● ● هل من الضرورى على كل انسان له عقل يفكر أن يقطع
رحلة الشك حتى يصل الى اليقين ؟

- لا ضرورة اطلاقاً لكن عند المفكر ربنا يجعله مفكراً يعيد
النظر فيما حوله أما الشخص العادى فقد يكرمه الله بالجلالة البصرى
والشفافية فيدرك الأمور بقلبه ، تقول له ربنا موجود اثبت لى يقول
لك أنا حاسس بالله مثلما تحس انك ميسوط والدنيا نهار والشمس
طالعة فلا اثبات فى مثل هذه الأمور كذلك مسألة وجود الله بالنسبة
لى الآن مثل شمس النهار وبالعكس وجودك أنت يا انسان هو الذى
يحتاج الى اثبات لأنك محل شك فانت اليوم موجود غداً غير موجود
تموت ويحملونك فوق خشبة وتتلحد فى القبر فوجودك يحتاج الى
اثبات لأنك محل شك لكن الوجود الوحيد الثابت هو الله ؛ وكل
المخلوقات وهمية فليس الانسان بحاجة الى أن يبدأ رحلة الشك
ولكن يمكن لأن العصر الذى نعيشه هو عصر اللجاجة واثبيسات
وبراهين ، والعقل تبجح لأنه اخترع له كذا اختراع وقال « أنا يامل
هنا ياما هناك » وأصبح يتدخل فى كل شئ ، وكل حاجة يقول لك
اثبت لى لدرجة أن فيه علم اسمه «علم الكلام» لذلك يجب على المفكرين
المؤمنين أن يردوا على اللجاجة والتنطع ومواجهة كل من هم فى
سنة أولى حضارة فى الدين والرد على ما يدور فى الأذهان خاصة

الشباب مثلما جاء في « حوارى مع صديقى الملحد » وهو نوعية جديدة لمشاكل عصر المنطق واللجاجة ولكن الانسان السوى بفطرته السليمة لا حجاب بينه وبين الله لأن الله عنده حيلة مائلة ليس فى حاجة الى برهان .

● لم تصل الفلسفة بأصحابها الى شىء خاصة فيما يتعلق بالبحث فى الميتافيزيقا وراء الطبيعة عن الغيبات فهل هناك حاجة للفلسفة ؟

— صحيح الفلسفة لا توصل الى شىء ولكنها مثل لعبة الشطرنج تمرينات عقلية واستخلاص من مقومات وجزيئات صغيرة لحقائق وقوانين ، انما الفلسفة التى تبحث فى الله فلا جدوى منها لأن الله فوق العقل وهو غيب الغيب تستشعره اذا كنت من أهل التقوى والقلوب الشفافة ، والفلسفة اذا كان لها من فائدة فهي لهواة التأمل والتمرينات العقلية .

● هل ترى أن عودة المرأة للمنزل ينقص من حقوقها ومساواتها ؟

— غير صحيح لأن المكان الطبيعى للمرأة هو بيتها وهى ستمتاز بذلك أكثر عن الرجل لأنه سيعهد اليها ببناء الانسان وهذا قمة التشريف الذى يرفع من قدرها .

● ومساءلة ارتداء المرأة للحجاب يقال انه حجاب على عقلها وفكرها فما رأيك ؟

— على العكس مما يقال فالحجاب عفة وصيانة وطهارة تكف نفس من ترتدينه ومن حولهن عن الاثارة الغريزية وهنا ينطلق العقل من عقله فهو حجاب شكلا ولكنه فى الحقيقة ارتفاع للحجاب

وما أكثر العراة وهن محجبات عقلا وما أكثر المحجبات وهن ظليقات
فكرا .

● ● ما هو مفهومك للجمال ؟

– الجمال فى مفهومى هو سجايا نفسية لأن الجمال الظاهر لا يلبث أن يزول ويذبل مثل جمال الوردة عمرها قصير ولكن الجمال الباقي هو الجمال الداخلى ، والجمال الباطنى ، الذى هو جمال الأخلاق .

● ● هل نجد مساحة من التشاؤم فى شخصية د. مصطفى محمود ؟ .

– زمان من ٣٠ سنة فى بداية كتاباتى كانت مساحة التشاؤم والشك كبيرة وقائمة وتستطيع أن تجد تغلب الفكر المادى على شخصيتى فى القصص القصيرة وكتبى الأولى حتى بدأت مسجوبة التشاؤم تنقشع عنى شيئا فشيئا فلم أعد أرى نفسى متشاؤما .

● ● هل تفاؤل وتشائم بأشياء معينة ؟

– اذا كان قصدك اتفاؤل اذا رأيت قطة بيضاء وتشائم لو رأيت قطة سوداء وأفعل الباب فهذا كلام فارغ ولكننى أغلب التفاؤل فى حياتى وأكون كلما ألم بى مكروه كما قال الله جل وعلا « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » وهذا هو معنى التفاؤل عندى أمارسه وأنا شديد الأمل فى الله .

● ● من هو د. مصطفى محمود ؟ .

– مجرد مفكر يحاول أن يفهم ويتأمل على الحياة . ويتعلم من كل انسان يصادفه وكل مخلوق من النحلة والزهرة والفراشة وكل أمل فى الحياة أن أكون خادما لكلمة لا اله الا الله وأن أستطيع أن أجلو للشباب مزيدا من الحقائق التى تحببهم فى الدين أكثر وأكثر .

• • • إلى أي حد نجحت في دعوتك إلى العلم والإيمان ؟ •

— اعتقد أنني مشيت مجرد خطوة واحدة إلى الأمام وكل ما قلته وكتبته إما هو إلا عبارة عن مسودة أو بروفة شيء لم أفعله بعد •

• • • وما هو هذا الشيء الذي تريد أن تفعله بعد ؟ •

— لا أعرف ، وربنا يعطيني العمر وأكتبه •

• • • عنوان قراه مناسباً لمسيرة حياتك ؟

— « هجرة إلى الله » •

● د • لويس عوض

وتهم بعضها صحيح وبعضها ظالم

● الدكتور النسيان الكبير د. لويس عوض منبر دائم للجدل والنقاش حتى لو بدا أنه يكتب في عصر غير العصر الذي يعيش فيه . وإذا كنت تظن أنك قادر على استقراؤه بأسئلتك فإن إجابته يجعلك مستقرا . ولأنه صنع بقلمه الناقد أجيالا وأسبغهم في أضواء الطريق أمام كثيرين فمن حقه علينا أن نسلمه ، ومن حقنا نحن أيضا أن نختلف معه .

● ● سألته : كيف تشخص الحالة الثقافية الآن ؟

قال د. لويس عوض : نحن نعيش حاليا مرحلة الفراغ الطبيعي الناشئ من انتهاء مدرسة وظهور مدرسة جديدة سواء في الأدب أو الفن أو السياسة ، وربما أيضا من الناحية الاجتماعية ، فهذا فراغ طبيعي لأن المجتمعات لا بد لها من فترات تحضيرية حتى تظهر فيها الحركات الجديدة ، هذا ما نسميه المراحل الانتقالية .

● ● إذن فنحن على عتبة مرحلة جديدة ؟

- مرحلة تتخلق الآن في أحشاء المجتمع المصري وفي عالم الفنون والآداب بدايات أمل في نظام أكثر موضوعية وأقدر على التوازن مما نراه الآن .

● ● وعلى هذا فانت لا ترى أن هناك داعيا للتشاؤم ؟

- نعم لأن التشاؤم هو وليد النظرة على المدى القصير ، أما الذي يقيس الأشياء بالمستقبل التازيني يرى أن المجتمع المصري وهو يمر بمرحلة النقد الذاتي حاليا ، إنما يساعد نفسه على تكوين هذه

الفلسفة الجديدة ، ودعائم نظام حياتنا الجديدة ، وفي تصوري أن
جو الحرية المتوفر الآن يساعد على تبلور هذه الأفكار الجديدة والقيم
الجديدة .

● ● وكيف السبيل ؟

في اعتقادي أن أهم شيء قبل البحث عن نظام حياة جديد
وهو أن يعرف المصريون ماذا يريدون بالضبط وما هو حلمهم
الاجتماعي الكبير ، هل هم يطلبون العدالة الاجتماعية أم يطلبون
المجد والقوة . . . الى آخره .

لا بد أن يعرف المصريون بالضبط ماذا يريدون وما هو حلمهم
الاجتماعي والسياسي .

● ● ماذا تقصد بالحلم هنا . . هل ترى أن نترك الواقع لنخلق في الأوهام ؟

لا أقصد الوهم ، ولكن الحلم عندي هو ما يمكن تحقيقه ،
وهي العبارة الأخرى لكلمة الأمل العظيم ، فلا بد أن يعرف المصريون
ماذا يريدون ، وعلى هذا تبني بقية تصوراتهم لنظام المجتمع
والعلاقات بين البشر في الداخل والخارج وعلاقات الثقافات المصرية
بقية الثقافات المجاورة وهكذا .

● ● وأهم شيء يجب أن نعمل حسابه ونحن نحلم من أجل مستقبل جديد ؟

المهم ألا يتحول الحلم الى وهم ، لأن الحلم هو الذي يزودنا
بالبوصلة لنعرف اتجاهنا ، فالبوصلة تتجه ناحية النجم القطبي ،
المصريون يجب أن يكون لهم دائما نجم قطبي يزونه بوضوح ،
ويتجهون نحوه ، شأن الملاح في وسط الأمواج والأعاصير وطلعات
الشمس .

● ● تحديد اتجاهنا نحو المستقبل ليس ذلك أساسا مهمة

جيل القادة أى جيل الرواد المثقفين ؟ •

- أنا أقول انه لكى نأمل شيئا كبيرا من قيادة المثقفين يجب أن نعرف بأمانة ما لديهم من امكانيات ، وفى تصورى أن الأجيال الرائدة بحكم تكوينها التقليدى وبحكم آمالها واحلامها القديمة الصائبة والخائبة ، وبحكم صلتها غير الواضحة بالجيل الحالى من الشباب ، وربما عدم فاعليتها بسبب فقدان التواصل بينها وبين جيل الشباب ، لذا فى تصورى يجب أن ندرك أنها أدت رسالتها وأنها يجب أن تعد العدة لتسليم الراية الى من يأتى بعد •

● ● هذا جيد جدا • • فهل يعنى هذا أن جيلكم قد اقتنع

اخيرا بأن جيل الشباب أصبح على مستوى المسؤولية ليمسك الراية من جيلكم ؟ •

- اسأل نفسك هذا السؤال • • الى أى مدى يثق الجيل الحالى من الشباب فى الجيل الرائد من المفكرين وإلى أى مدى يقرأونه وإلى أى مدى يقيمونه وإذا كان الجواب بالإيجاب فستخرج بنتيجة واحدة وهى أن جيل الرواد لا يزال له دور فى حياتنا الفكرية والثقافية والأدبية والفنية ، أما إذا كان الجواب بالسلب فيجب أن نخرج قوانين الحياة لتطبق علينا كما تنطبق على غيرها من المجتمعات ، وأن لكل جيل رجاله أو ما يسمونه فرسانه ، وأنه لابد أن تعد العدة لتسليم القيادة الفكرية لأجيال جديدة •

● ● ولكن جيل الرواد ينظر الى جيل الشباب بعدم الثقة ويرى انه جيل متسرع يريد أن يتحقق في أيام ما حققه جيل من الرواد في سنوات ؟ .

- المشكلة في نظري هي أنه الى أى مدى يمكن أن تثق في تبلور القيادات الجديدة الفكرية والأدبية والفنية في جيل الشباب ، هل نضجوا بما فيه الكفاية . أم أنهم لازالوا في دور التكوين ؟ هذا سؤال خطير لأنه سيترتب عليه أننا اذا كنا نحس احساساً موضوعياً بعدم اكتمال القيادات الشابة ، فيجب أن نهيم أنفسنا لقبول نظرية الفراغ كمحلة غيبوبة لظهور مجتمع جديد . ومعنى هذا أن فترة الانتقال قد تستمر عشر سنوات أخرى حتى ينضج الجيل الجديد .

● ● كما يتهم جيل الرواد ، الجيل الجديد بالتعجل وعدم اكتمال التكوين الثقافي فإن جيل الشباب يتهم ، جيل الرواد بأنه لا يحاول أن يسمعه ولا يحاول أن يفهمه لياخذ فرصته ودوره في تحمل المسؤولية ؟ .

- هذه تهمة بعضها صحيح وبعضها ظالم لأن على الجيل الجديد أن يثبت أنه قد نضج ليتسلم القيادة ، أما أن تسلم الراية للجيل لم يكتمل بعد ففي هذا مجازفة كبيرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك وجه حق في اتهام الجيل الجديد لجيل الرواد بأنه لا يحاول أن يسمعه ويفهمه ، ومنشأ هذا الاتهام ليس سوء النية أو أنانية الجيل

القديم ، ولكنه فقدان التواصل بين الأجيال ، فنحن في بعض الأحيان نبدو كمن يمثلون في مسرحية اللامعقول • حيث كل منا يخاطب نفسه وهو يحسب انه يخاطب غيره ، فالمونولوج هو السائد في مجتمعنا وليس الديالوج •

فإذا كان الشباب يريد أن يأخذها على الجاهز فهو واهم ، وإذا كان يتصور أن غيره سيدفع الثمن وهو يتسلم القيادة دون تضحية فهو أيضا واهم ، وهذا الكلام ينطبق على الكتاب والصحفيين الشباب وعلى أساتذة الجامعة وعلى كل فئة لها وجود فكري أو ثقافي من بين الشباب •

● ● نعود اليك •• لماذا تركت واقع المجتمع المصري لتعيش في عصر النهضة الأوروبية من خلال كتاباتك الأخيرة ؟ •

– كلامك هذا نموذج آخر لعدم التفاهم بين الأجيال لأن بعض أبناء الجيل اللاحق بي مثل سامي السلاموني وخيري شلبي تصوروا أنني ابتعدت عن الموضوع والمعركة ، وربما أنا في حقيقة الأمر كنت أجمع وقودا جديدا للمعركة ، وفي الوقت الذي كان كل الناس تبحث عن عصر ذهبي في مجتمع ماضٍ قائم على الغيبيات ، كنت من الأصوات القليلة التي كانت تذكر الناس بالصراع بين دعاة المجتمع الإلهي والمجتمع الوضعي في عصر النهضة الأوروبية • وكان هذا هو جوهر كل الناس في هذا العصر ، وهو حتمية الانتصار الإنسان على المقولات الغيبية ، فمن تصور أنني ابتعدت عن الحاضر

عجز عن الربط بين ما أكتب وبين ما يجرى الآن على الساحة .
بينما أن كل مثقف يعرف جيدا مضمون ما أكتب وأنا فى الواقع
كنت حائرا فى سبب عجزهم عن المتابعة لأنى أعرف عنهم أنهم من
خيرة المثقفين الجدد فى مصر .

❶ ❷ هل تمنى محاولتك تطبيق ما حدث فى عصر النهضة
الأوروبية على مجتمعنا أن التاريخ يعيد نفسه ؟

— التاريخ لا يعيد نفسه بخلافه انما هناك مستويات فى
تطور الأمم متشابهة ويجب دائما أن ننظر الى الوراء للاستفادة من
تجارب التاريخ سواء فى بلادنا أو فى بلاد الغير ، لأننا لسنا نسبح
وحدنا بين الأمم ، وما يقال عما يسمى بالبحث عن الأصالة هو فى
نظري أكذوبة كبرى .

❸ ❹ ولكن يا دكتور للشرقيين وضعيتهم المختلفة عن الغرب
الأوروبى فى ماضيه وحاضره ؟

— أنا متأسف . . لا أعتقد أن للشرقيين سمات جوهرية
تختلف عن سمات بقية أبناء البشر ، لأن التراث الحضارى متصل
فى الزمان والمكان ، وأرقى أنواع الحضارة دائما يستوعب كل ما هو
إيجابى فى الحضارة السابقة عليه ، ولذا فأنا أحس مثلا بأن
« بيتهوفن » ليس ألمانيا ولكنه مصرى ، وكل العمالة فى العلم والفن
والادب . وعبر التاريخ ، ما وجدوا لولا الحضارات السابقة .

والحياة الاجتماعية لابد أن يكون فيها حد أدنى من الديالوج ،

فالشباب للأسف شغل نفسه أكثر من عشر سنوات ، ولا سيما بعد الهزيمة بالبحث عن حلول ميثاقية غيبية لمشكلات المجتمع المصرى ، وكانت هذه أول صعوبة فى اجراء الحوار بين الأجيال لأنك لا تستطيع أن تتصور رجلا مثل د. زكى نجيب محمود تربى على الوضعية المنطقية وأبنى حياته فى الدعوة لها ، يقبل أن نكون الغيبيات هى أساس الدعوة الاجتماعية .

نفس الكلام ينطبق على توفيق الحكيم رغم أنه صاحب عصفور من الشرق وبعض الاتجاهات التى تجسم الروحانية ، الا أنه فى نهاية الأمر ينظر إلينا وإلى نفسه نظرة المستشرق أو على الأصح نظرة الرجل الغربى عندما يتحدث عن حضارة القرن العشرين . فهذا النقد الذاتى الذى نجده فى أعمال توفيق الحكيم للحضارة الغربية شبيه بنقد « شبنجلر » للحضارة الغربية تصورها أنها آيلة للاندثار والانحيار ، فهذه الموضة الشائعة أيام كان طالبا ، حتى قلقه ضد الديمقراطية الذى نجده فى مؤلفه « شجرة الحكم » هو ثمرة لتأثر الحكيم بالتيارات الفكرية السياسية التى بدأت فى العشرينات والثلاثينات ، والحكيم تعلم فى هذه الفترة فى أوروبا وتأثر بهذه التيارات السياسية .

● ● تحديد ما الذى تأخذه على الحكيم و د. زكى نجيب

محمود ؟

— يعنى أنا أقول ان هذه الأجيال التى تكونت هذا التكوين الذى لا مجال فيه للغيبيات كان من الصعب عليهم أن يقدموا حلولاً

مقبولة للأجيال الشابة الجديدة التي كانت تبحث عن حلول للمجتمع
المصرى فى الغيبيات ، وهذا معنى ما ذكرته من أن هناك عدم
تواصل بين الأجيال ولا تفاهم .

انما أنا أحس بأن شباب مصر بدأ يخرج من البحث عن عصر
ذهبى فى الماضى البعيد ، وبدأ تحت ضغط الأحوال الاقتصادية يبحث
تحت مواقع أقدامه ، وهذه بداية اكتشاف الحلول العملية لمشكلات
المجتمع المصرى .

● ● نصل اذن الى السؤال عن المطلوب بالضبط من الأجيال
الجديدة لتتسلم الراية من جيل الرواد ؟ .

— لابد للأجيال الجديدة من أن تخوض معركتها بشجاعة وأن
تتقدم لتتسلم الراية مع كل ما يتضمنه هذا من المجازفات ، لأن طه
حسين عندما عاد من فرنسا عاد بروح المجازفة والتحدى للقيم
التقليدية ، ومنصور فهمى أيضا رغم أنه تحول بعدها الى محافظ
كبير الا أنه بدأ حياته ثابتا ، لا أكاد أذكر اسما من هذه الأسماء
الرائدة الا وكانت فى حياته حقبة من التحدى وتحمل مسئوليات
التحدى .

● اُنیس منصور :

فصلونی بسبب حمار

❶ ندم أنيس منصور على مغامرة قام بها في روما أيام الشباب حيث كان سبباً في عذاب فتاة هناك وكانت الغلطة غلطته ثم أنه كان يتهرب في مصر من فتاة ويتهرب من سيدة عجوز تمنى لو كان معه مسدس يطلقه عليها ولكن الله سلم .. وكان هذا طبعاً أيام الصبا والشباب حيث لم يكن أنيس منصور قد تزوج بعد لدرجة أنه سئل وقد قاربت سنوات عمره الثالثة والثلاثين عما إذا لم يكن لديه قلب يحب به ويتزوج من يحبها ، فأجاب بطريقة ساخرة :

« علمياً طبعاً لي قلب وأحببت ولكن لا توجد علاقة بين الحب والزواج كما أنه لا علاقة بين إعجابك بالقمر وشرائه أو إعجابك بالفاكهة وشراء محل فاكهاني ، والزواج يحتاج الى مؤهلات من بينها الاستقرار والوفاء والصبر والتضحية وحب البيت والأولاد وحاجة ثانية يا أخى هي بنت الحلال » .

بالقميص والشورت

ويبدو أن أنيس منصور قد وجد « بنت الحلال » التي جعلته يخرج عن صمته عن الزواج الذي دخل قفصه الذهبي في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٣ .

وبين رأى أنيس منصور فيما قبل وبعد الزواج عبر عن ذلك بعد زواجه قائلاً « لقد وجدت الزواج مختلفاً تماماً عما فكرت أو تصورت ، فهو أحسن وأعمق وأكمل علاقة بين رجل وامرأة متفاهمين ومتحابين أيضاً وهذا ما لم أكن أعرفه قبل أن أتزوج » .

● ● ولما سألته : لماذا لا يعرف أحد شبيئنا عن حياتك البيتية ؟

— قال الزوج أنيس منصور .. يعرف عنى الأصدقاء .
● ولكن القارئ يهمل أن يعرف أيضا ؟

● ● القارئ يهمل الكاتب لأنه معروف انما زوجته غير معروفة .. وأنا لست ممثلا حتى يتفرج علينا الجمهور .

— وبمناسبة حكاية التمثيل ربما لا يعرف كثيرون أنا لأنيس منصور قصة مع التمثيل وهو لم يزل بعد تلميذا بمدرسة أبى حمص الابتدائية حين قام بتمثيل دور أحد الحراس على باب « معن ابن زائدة » فى مسرحية قدمت بالمدرسة اشترك فيها الطفل أنيس محمد منصور وقد ظهر على مسرح المدرسة بالقميص — و « الشورت » وعلى كتفيه سيف خشبى ، وكان الذى يهم أنيس منصور من دوره فى التمثيل الذى قام به لأول وآخر مرة كما قال هو « فقط أن أمثل » أن أظهر .. أن أف على المسرح وأظل واقفا فى مواجهة الجمهور طوال هذه المسرحية » .

زوجتى مؤلفة تليفزيونية

● ● ونعود للحياة البيتية للزوج أنيس منصور ونسأله كيف تعرفت على زوجتك ؟

فيصر أنيس منصور على الاحتفاظ بهذه القصة لنفسه .

● ● واسأله .. عن أهم صفات زوجته ؟

— فيقول .. أننا متكاملان ذكاء وواقعية وحبا اجتماعيا وبعد نظر وهى تفهمنى وتعرف احتياجاتى بالضبط ، وحكمها على الأشياء

حكيم منطقي حاد ، لا تعرف جبرا لحواطر فيما يتعلق بما أكتبه ،
فهي لا ترحم ولا تجامل •

• • كلامك هذا عن زوجتك يعنى إنها مثقفة ؟ •

نعم هي مثقفة وكان عندها استعداد وموهبة لكتابة القصص
وجربت وكان لها قصة عرضها التلفزيون اسمها « حقنة بنج »
وأخذت جوائز ، وكانت من اخراج نور الدمرداش وأعدّها ممدوح
الليثي وأنا كتبتها •

• فما هي فكرة أو حكاية قصة « حقنة بنج » ؟ •

لقد سألت مخرجها نور الدمرداش الذي قال •• ان حقنة
بنج قد تم اعدادها في سهرة تليفزيونية لمدة ساعتين في أوائل
السبعينات •• حوالي ٧٢ تقريبا ، وهي تحكي عن واحد جاءته أزمة
صحية استدعت اجراء جراحة له ، وبعد اعطائه « حقنة البنج » راح
(يهلوس) كاشفا أثناء الهلوسة عن أسرار خطيرة تتعلق بعصابة
كان ينتمى اليها هذا المريض الذي اكتشف بعد نجاح الجراحة التي
أجريت له أن أسرارها عن العصابة تناثرت هنا وهناك فبدأ يطارد
كل من يظن أنه سمعه أثناء تخديره بحقنة البنج وكانت أولى
ضحاياه إحدى الممرضات التي كانت تعالجه وتوالت جرائم القتل بعد
ذلك •• وكان هو مرتكبها المجهول ، في نفس الوقت الذي كانت
تطارده العصابة وتهدهه بعد أن أفشى أسرارها ويتتبع البوليس
خيوط ما يحدث لتدور مشاهد مطاردة مثيرة بدأت « بحقنة بنج »
التي يقول عنها المخرج التليفزيوني الكبير أنها كانت سهرة مثيرة
كثيرا ما طالب اعدادتها المشاهدون •

● ● ونعود الى ضيفنا أنيس منصور لأقول له .. ذكرت
أنك أنت الذى كتبت « حقنة بنج » فماذا كان دور زوجتك ؟

فيقول : هى فكرتها ولكننى كتبتها باسمى .

● ● والسبب ايه ؟

ـ لأن القصة لو كتبتها باسمها ستأخذ مثلا مائة جنيه لكن لما
أكتبها باسمى أحصل على ٥٠٠ أو ألف جنيه باعتبارى كاتباً
مشهوراً .

● ● يتبنى هى خسرت أول عمل .. فهل هذا هو السبب الذى
لم يجعلها تستمر ؟

ـ كان من الممكن أن تستمر وتصبح مؤلفة معروفة لكن كانت
عندها مشكلة وهى أنها مهما كتبت سيقال أن زوجها أنيس منصور
هو الذى يساعدها مما يجعلها تفقد ميزة الاحساس بموهبتها من
أول عمل أدبى .

● ● ألم تحاول أن تشجع زوجتك على تنمية مواهبها
الأدبية ؟

ـ كل ما أعمله يكفى جداً ألا يكون عندى وقت .

فصلونى بسبب حمار

● ● أستاذ أنيس منصور ألم يكن لديك وقت أيضاً لأن
تنجب أطفالاً ؟

ـ لقد وجدت أبى وأمى يتعذبان جداً وتعذبت بسببهما وكان
من الممكن أن أزداد تعاسة لو كان عندى أطفال صغار مرضى ، لأن

أشد ما يثير عطفى وشفقتى هو مرض أو بكاء طفل .. هذه مسألة
مفزعة جدا بالنسبة لى تنكد على حياتى كما أننى ضعيف أمام كل
أب وأم .

ويلخص أنيس منصور نشأته فى هذه العبارات فى كتابه
« الا قليلا » حينما يقول (لم أجد الاستقرار العائلى ولا الجدران
المتينة كأنى يتيم أو أننى يتيم .. كأننى طفل قد تبناه فى ظروف
لا أعرفها .. كأننى شرعى المظهر لا شرعى الاحساس » ، هذا لدرجة
أن أنيس منصور تد حاول الانتحار ، وأسأله ..

❶ ❷ لكن لا شك أن ظروفك وزوجتك أفضل من والدك
وظروف ابنائك فيما لو جاءوا ستكون أحسن منك حين كنت
طفلا ؟ .

فيجيب أنيس منصور .. لا أعرف ولا أضمن .
❶ ❷ أليست هذه مبالغة فى التشاؤم ؟

— أتراح فى كثير من الأحيان بين التفاؤل والتشاؤم .

❶ ❷ والقدر والنصيب أليس لهما مكان فى حياتك ؟

— لهما مكان طبعاً ، وقد تعلمت من والدتى التوكل على الله
والإيمان بالقدر والنصيب .. « زى ما تطلع » .. (زى ماتيجى) .

❶ ❷ ورغم ذلك فانك لم تتسوكل « زى ما تطلع وزى
تيجى » ؟ .

— ذلك لأن ما عانيه جعلنى مترددا لأن احتمالا ولو بسيطا لأن
يشقى أبائى يجعلنى أتجنب المجازفة .

• • • وماذا تعلمت من والدك ؟ •

• - تعلمت منه تذوق الآداب والشعر والفن •

• • • يبدو أن ارتباطك بوالدك جعلك شديد الحب لهما ؟

• - جدا لدرجة أن من أشقى يومين من ثلاثة أيام في حياتي هما يوم توفي والدي ١٩٤٧ ، ويوم ماتت أمي ١٩٧١ وبكائي كله يتعلق بالترحم عليهما •

• • • ما هو اليوم الثالث الذي شقيت به حياتك ؟

• - يوم فصلت بسبب مقال كتبته عن حمار الشيخ العز بن عبد السلام ١٩٦١ •

وبالعودة الى هذا المقال المنشور في صحيفة أخبار اليوم ١٩٦١ وجدنا أن حكايته تدور حول خلاف بين الشيخ العز بن عبد السلام أيام المماليك وبين السلطان ، على سيادة القانون ، فالقانون مع الشيخ يحميه إيمانه ، والسيوف مع السلطان يحميه ألوف المماليك الطغاة الظالمين •• وخاف الناس وأشفقوا على الشيخ وقانونه من سيف السلطان وظلمه ، وقالوا له ، الصبر يا شيخ •• قال : لا صبر على ظالم ، قالوا له : الحلم يا شيخ •• قال : لا حلم من جاهل •

ويمضي الشيخ مغادرا مصر مع حماره. ولكن السلطان يسترضيه ويوافق على تنفيذ أوامره بتأديب أمراء المماليك الذين كانوا رقيقا يبيعوا في الأسواق وجرى بهم الى مصر عبيدا ليحكموا الأحرار ، ولذلك أمر الشيخ العز بن عبد السلام باعادة بيعهم عقبا لهم على ظلمهم ، وباع الشيخ حماره في نفس السوق فلا فرق بين الحميز والأمير كلها أو كلهم حيوانات مادامت بلا عقل ولا حرية •• باع حماره لأنه قرر البقاء في مصر بعد أن تحررت من العبيد الذين

يحكمون الأحرار .. وطويت صفحة العز بن عبد السلام ولكنه
الشيخ يطل برأسه وبروحه فى ساعات الأزمات فى التاريخ .

وبعد نشر المقال فصل أنيس منصور لأنه يبدو أن السلطات
آنذاك قد فهمت أن المقال تعريض بها رغم أن أنيس منصور لم يخطر
فى باله شيء من هذا فهو شرف لا يدعيه وتهمة لا يدفعها . ومع ذلك
ظل مفصولا سنة كاملة من بلاط صاحبة الجلالة .

مجرد صدفة

● ● واسأل كاتبنا الكبير أنيس منصور عن بداية علاقته
بالصحافة ؟ .

فيفاجننى بأن اشتغاله بالصحافة مجرد صدفة .. « لأن أعمل
بالصحافة ، وما حدث هو أننى ذهبت مع زميل لى يعمل بصحيفة
« الأساس » ١٩٤٧ ومن هنا بدأت علاقتى مع الصحافة حيث بدأت
عملى صحفيا كاتبا .. أول وثانى ما نشرت كان قصتين ، وثالث
ما نشرت « شعر » من الأدب الألمانى المترجم الى اللغة العربية ..
وهكذا فقد اشتغلت صحفيا ولم أكن صحفيا بالدرجة الأولى وانما
كنت صحفيا يعمل بالمؤسسات الصحفية المختلفة ، ولم أمارس
٩٠٪ من الأعمال الصحفية فلم أعمل مثلا مندوبا فى وزارة ولا مخبرا
ولم أعمل ريبورتاجات صحفية أبدا ، انما بدأت عملى صحفيا
كاتبا .

● ● ولكنك توليت أعلى ما يطمح اليه صحفى وهو رئيس
تحرير ورئيس مجلس ادارة ؟ .

— هذا لا يمنع لأنه لما يكون رئيس التحرير ورئيس مجلس
الادارة ، مثقفا وأديبا فسيفيد من يعملون معه جدا ، فقد كنت

أشجع كل صاحب موهبة وأعطيه فرصته ليكتب ومهما يكتب لا يهمني .. ليس عندي عقد .. إنما لما يكون فيه رئيس تحرير بلا ثقافة فإنه سيجنى على أجيال كثيرة تعمل معه ، فليس من مصلحته أن فيه واحد عنده حس أدبي مثلك أنه يأخذ فرصته لأنه لا يريد لأحد أن يكون أحسن منه ، فتجد أن السقف يهبط ، وأى واحد يحاول أن يرفع رأسه بموهبته سيضطدم بالسقف «الوطني» لرئيس تحرير غير مثقف ، فكيف يؤمن مثل هذا على الأسباب الذين يعملون معه ممن عندهم موهبة وثقافة .

● ● حينما التحقت للعمل بالصحافة أخذت فرصتك بقوة .. كيف حدث هذا ؟

— لان الذين كنت أعمل بينهم رهوس كبيرة ، وقد كنت أصغر من كتب اليوميات في « الأخبار » بين عمالقة كالتابعي والعقاد وعلى ومصطفى أمين وسلامة موسى .. فليس لدى أحد منهم عقد تجاه أى واحد يلمع أو يظهر بموهبته ، وكانت مسئولية بالنسبة لى ، وسألت نفسى .. ماذا أفعل بين هؤلاء المفكرين الكبار ، فاخترت أن يكون لى أسلوبى المتميز بينهم واستطعت أن أطاولهم لأن السقف كان عاليا والكل كبار فلا أحد يخشى من أحد على نفسه اذا نجح وأصبح كبيرا .

مشاكلى بعد التخرج

● ● ذكرت أنك عرفت طريقك الى الصحافة بالصدفة .. فهل يعنى هذا أنك لم تكن تعرف طريقك بعد تخرجك ؟

— لقد بدأت مشاكلى كشاب بعد تخرجى .

● ● قبل التخرج .. ألم يكن لديك مشاكلى ؟

... أنا أعتبر أن فترة الدراسة الجامعية مجذوفة من شبائى لأننى كنت طالبا نظاميا يقرأ ويكتب ، غائب عن المجتمع تماما ولا أعرف عنه « حاجة » ولا عندى استعداد لأن أعرف .

● ● بعد التخرج كيف بدأت مشاكلك ؟

... لقد كنت مثل مجند ليس بدلة عسكرية وتدريب واستلم سلاحه ، المفروض أنه ذاهب للجبهة .. فأنا كذلك تخرجت في الجامعة ومعنى أسلحة لأواجه بها المجتمع وأتغلب على مشاكله ، فوجدت أن الأسلحة التى أعطتها لى الجامعة غير مناسبة لمواجهة المجتمع .. فأنا دارس فلسفة « هعمل بيها ايه » فى المجتمع .. فاكشفت فجأة أن الأسلحة التى معى لا تصلح فى جبهة الحياة .. واحد يريد مسكنا ماذا يفعل له أفلاطون .. واحد يريد عملا يأتى له بمرتب ما الذى يقدر أن يعمل له أرسطو أو ما هى علاقة المنطق الوضعى أو الفلسفة الوجودية بالسكن فى مدينة « امبابه » وصعوبة المواصلات وصعوبة الحياة .

ويكفى أن أضرب لك مثلا .. أننى لم أشاهد فيلما سينمائيا فى حياتى الا بعد التخرج ولا مسرحا ولا أى « حاجة » وهذه من أبسط متع الحياة أو الثقافة العملية ، فلما اتنى أبحث عن مشاكل كشاب أجد أننى أبحث عن العمل وتحسين وضعى المادى والأدبى فى نفس الوقت الذى أنا حريص فيه على توسيع مداركى وتحسين وتجميل أسلوبى الأدبى والمشاركة فى الحياة الفكرية .

وما عدا ذلك فهو ثانوى .. واعتقد أن هذه مشاكل أى شاب ولكن بدرجات متفاوتة .

● من خلال لقاءاتك بالشباب أليس هناك خلاف أو انقطاع فى الاتصال الفكرى بين جيلنا نحن الشباب وجيلكم ؟

لا أعتقد أن هناك خلاقات فردية إنما هي خلاقات عُنصرية ..
فكل واحد يتحرك في ظروفه ، يعنى لما أسألك .. ما هي البيئة ؟
هي أثر العقل والجسم الانساني في الظروف المحيطة بك ، فكل
واحد جيله أو ظروفه أو بيئته الفكرية مختلفة ولكن القضايا واحدة
في جميع العصور ، لكن أسلوب التعبير يختلف .

وفيه عبارة مشهورة للفيلسوف الايطالى « كروتشه » ! أن
التاريخ ليس الا تاريخ الحرية ، كل تاريخ البشرية هو تاريخ من
أجل مزيد من التحرر من الجوع والخوف والمرض والقهر والجهل فكل
مشاكل البشرية واحدة لكن التعبير عنها في مواجهتها أو استسلاما
أو معارضة لها يختلف من جيل الى جيل ، وأنا أرى أن لهذا الجيل
نفس المشاكل ، لكن المشاكل نفسها .. أحجامها وأوزانها تغيرت
وأساليب الشبان في مواجهتها تغيرت .

● ● لقد كان من السهل على شباب جيلكم أن يلتقى برواد
الفكر والثقافة والأدب في مصر بينما أصبح ذلك صعبا بالنسبة
لشبان جيلنا .. فما تعليقك ؟

— عن نفسى فإن بابى مفتوح دائما لكل الشباب سواء فرادى
أو جماعات وأرحب بأى دعوة الى ندوة أو حوار .

الحقيقة عارضة

● ● وأسأل الرحالة أنيس منصور تما اذا كان قد وجد
اختلافا كبيرا بين الشعوب خلال رحلاته المتعددة ؟

فيقول :

الشعوب فوق الجلد مختلفين .. أصفر وأحمر وأسود

وأبيض، ولكنهم تحت الجلد سواء ، فقط الظروف تتغير والتاريخ
والانسان ، مثل حيوان « الكانجرو » الذي يجلس على ذيله ، يجلس
على تاريخه .

● ● رغم أن الشعوب تحت الجلد سواء وفوق الجلد مختلفين
إلا أن هذا الاختلاف الشكلي يعمقه الانسان بنفسه رغم تطور الحضارة
.. فكيف تتنبأ بمستقبل العالم والانسان ؟

— نحن نعيش في خطر مستمر وأصبح تطور الحضارة الانسانية
خطرا على الانسان ، كلما تقدم العلم تقدمت وسائل الدمار ..
أيضا فنحن كنا نتصور أن الانسان يعيش في قنبلة موقوتة ، ولكن
المشكلة الآن أن القنبلة الموجودة هي قنبلة نووية لا فكاك منها .
فهى لا تصيب القريب منها أو تصيب من فجرها .

بل تصيب الآخرين .. مثلما حدث من انفجار المفاعل النووي
فى « تشيرنوبيل » لم يصب أهل مدينة « كييف » وحدهم وإنما
أصاب أوروبا الشرقية كلها زرعاً وضرعاً وثماراً ونساء وأطفالاً .

غير هذا هناك خطر الهباب الذى يخرج من مصانع أوروبا
الوسطى ينزل عبارة عن ملح وأحماض ، فى النرويج والسويد مما
يقتل الأشجار والنباتات ، ويخرج من ألمانيا وفرنسا وسط أوروبا
مارابانجلترا ويصل لكندا . فهذا العالم الذى نعيشه أصبح
بتطوره المستمر خطرا على أصحابه ، فنحن ننتقل من خطر الى
خطر ، واثنيها من الحرب النووية الى حرب الكواكب ، وبعد حرب
الكواكب ستصبح حرب الكواكب النووية .

فأنا أرى أن الانسانية تنتهى من خطر الى خطر ، لذا فالنظر
الى المستقبل ليس نظرة وردية لأنه لا توجد ضوابط لقوى الدول
العظمى على الفتك والدمار ، لذلك فلن يمضى وقت طويل حتى نفاجا

بأنفجار مقصود أو غير مقصود يقتل ملايين الناس ، ويصيب ملايين آخرين بالمرض ، وملايين آخرين بالمرض حتى الموت .

وهكذا نجد نوعا من الفتك الحضارى القائم على التطور الهائل جدا فى النشاط النووى .

فأنا أرى أن الانسانية فى خطر اذا لم تتمكن من كبح جماح نفسها .

● ● أين تكمن عظمة الإنسان ؟

— عظمته فى أنه فان محدود ومع ذلك مشغول بالجلود والأبدية .

● ● وأين تكمن مأساته ؟

— هذه مأساته أيضا .

● ● ما هو الاختراع الذى ترى أنه لم يخترع بعد ليكمل نقص الإنسان ؟

— الإنسان ناقص بطبعه ، ولم يخترع بعد الجهاز الذى يجعلك تتحمل وتستسيغ ما لا تحب ولا تتحمل ، وأعتقد أنه لن يوجد جهاز يجعلك تتحمل شخصا ثقيل الدم أو انسانا غبيا لأنه من أسوأ الأشياء التى يقابلها الإنسان فى حياته أن يجد انسانا غبيا أو ثقيل الظل .

● ● هل دائما على الإنسان أن يكون صريحا وصادقا خاصة مع هذا الصنف من الناس ؟

— بقدر استطاعته لأن الصراحة أحيانا منجية وأحيانا مؤذية . وهناك تعبير يقول . . ان الإنسان اخترع اللغة ليخفى بها مشاعره ، وفى أسطورة عند الاغريق أن الحقيقة جاءت للناس عريانة فنقروا منها فلما تغطت اقبلوا عليها .

● وهكذا يجب على الانسان أن يستر الحقيقة ولو بورقة توت
كما جاء في كتاب قالوا للفيلسوف أنيس منصور حيث يقول :
« ان الانسان ينجى الى الدنيا عاريا ويتركها عاريا ، ولكنه
يجادل طول عمره أن يختار ورقة التوت المناسبة التي يضعها على
قلبه وعقله ولسانه وقلبه أيضا » .

لا أعرف نفسي

● ● وأسأل فارسنا أنيس منصور .. هل معنى ذلك أنك
تستطيع أن تخفى مشاعرك ؟

فرد بصراحة مفلسفة .. فيه حاجات أخفيها اما لأن المعنى
لم يكتمل بعد أو أنه ليس من الحكمة أن تصارخ الناس برأيك
فيهم ، لأن الناس لو صارحت بعضها يمكن تقتل بعضها ، لكنه نوع
من الاخفاء أو الكذب الاجتماعي أو المجاملة ، يعنى أنك تعرف
الحقيقة لكن تغض النظر عنها .

● ● قدرة الناس على اخفاء مشاعرهم ألا يجعلك تنسى الظن
بهم ولو في بعض الأحيان ؟

.. - سوء الظن من بعض الفطن كما يقول الحكماء ، ومن السذاجة
أن تحسن الظن بالناس . ومن القسوة أن تنسى الظن بهم ، ولكن
الاعتدال بين حسن الظن وسوء الظن هو أصعب الفضائل ، لذا قال
أرسطو منذ ٢٤ قرنا : أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، فتكون
القضية هي بين الاسراف في الثقة وعدم الاسراف في الثقة ، وأنا
أعتقد أن هذه الحكمة لا يدركها الانسان الا متأخرا .

● ● وحينما تعرف حقيقة انسان متأخرا هل تصدم ؟

حدث أن صدمت كثيرا .. في الأول كنت أبدهش .. الآن

أصبح شيئا عاديا فلم أعد أستغرب من أى إنسان أطلع مغشوش فيه لأن هذه طبيعة الأشياء ..

● ● ما هو أسوأ ما فى أنيس منصور الإنسان ؟

ـ يجوز سلامة نيتي أو سهولة تصديقي لما يوجعني أو يؤلمني لأنني رجل عاطفي جدا من السهل أن تحركني اذا شيئا ألمني .

● ● متى ترى أنه يجب أن تكون ناكرا للجميل ؟

ـ أنا لا أذكر أنني أنكرت من كان له فضل على .

● ● حتى لو طعنك بعد ذلك ؟

ـ أنا أقول أنه كان له فضل على لكن بعد ذلك أصبح رجلا شريرا ، والناس عادة تنسى المعروف وتذكر الاساءة ..

● ● مثل ماذا ؟

ـ افرض واحد ماشى معاك فى الشارع وجاءت سيارة ندىسه قانت بسرعة جذبته بعيدا عن السيارة فاصطدم بعمود النور .. فهو لن يذكر لك أنك أنقذت حياته وانما سيدكر أنك « خبطته عورته » ، فممكنا جدا شخص يعطيك ثم يسىء اليك ، فهذه الاساءة تذكرها وتنسى كل ما قدمه لك .

● ● ماذا تلعن ؟

ـ أنا لا ألعن الا بعض الناس نتيجة أفعالهم .

● ● هل تفقد صبرك ؟

ـ أنا غالبا صبور .. لسبت عصيبا .. مزاجي معتدل وأميل للهدوء والتكامل والانضواء .

● ● هذه الصفات التي ذكرتها هل تعنى أنك اكتشفت نفسك ؟ •

— من الصعب جدا أن أعرف نفسي ، لدرجة أنه رغم رؤيتي لنفسي كل يوم في المرآة وأنا أحلق ذقني لكنني أؤكد لك انني لا أعرف ملامحي بوضوح شديد لأنني لا أتفرس وجهي وانما أرى مجموعة من المساحات تتغطى بالصابون فأزيلها دون نظر الى ملامحي الجسمية ، فما بالك بملامحي النفسية •

● اذن أنت لا تعرف من أنت ؟

— لا أعرف بالضبط من أنا ويمكن يكون من السهل أن أعرف الآخرين ولكن من الصعب أن أعرف نفسي •

● لكنك كثيرا ما تتحدث عن نفسك وآلامك وتنب عينيـك ومصرانك .. فلماذا ؟

— أي فنان مشغول بنفسه لأنه بالنسبة لي أنا الجرس أو الوسيلة لمعرفة الآخرين •

● ● وأخيرا سألت الأديب والفيلسوف مجروح المواهب أنيس منصور عن العنوان الذي يرغب أن يتصدر ملف حياته ؟ •

فقال بعد لحظات تفكير لم تطل ..

« جاء في ظروف غامضة وسوف يختفي في ظروف أكثر غموضا » •

● صلاح أبو سيف :

من بولاق الى العالمية

رغم أنه رائد الواقعية في مصر ورغم أنه أحد المخرجين التلائ
الذين يتمتعون بسمعة عالمية وحاصل على جائزة الاخراج الأولى من
الدولة عشر مرات كما حصل على وسام الفنون والفنون ٠٠ ولا تفتح
كتابا أو موسوعة سينمائية بأى لغة إلا وتجد اسم صلاح أبو سيف
وتاريخ حياته وأفلامه ، إلا أن مخرجنا العظيم يرى أنه لم يحقق أكثر
من عشرة فى المائة من طموحاته السينمائية رغم أنه قد اكتشف
السينما وعالمها فى العقد الأول من عمره .

يحدثنا صلاح أبو سيف عن ذكرياته من البداية وحتى اليوم .

وكانت البداية فى حي بولاق حي العمال والثورات حيث نشأ
فى عائلة متوسطة وفى سن العاشرة اكتشف السينما صدفة وبهر
بها ، كان ذلك سنة ١٩٢٥ حينما أصبح اسماعيل صدقي رئيسا
للوزراء فغير نظام التعليم وجعل المرحلة الابتدائية تسد من أربع
سنوات الى خمس سنوات ، ولذلك حاولت المدرسة أن يستوعب
تلاميذها هذه السنة الزائدة فى دراسة مسائية على أن تبقى الدراسة
كما هى أربع سنوات ، وفى يوم من الأيام لم يكن صلاح أبو سيف
على استعداد للدراسة المسائية ولكن عليه أن يعود فى نفس موعد
الاكصراف من المدرسة الى بيته فراح يتمشى فى شوارع القاهرة
لتضييع الوقت حتى وجد زحاما فى أحد الامكنة فدخل يسأل عن
السبب فقيل له « انها السينما » التى دخلها الفتى صلاح أبو سيف
ليجد « شاولى شابلن » و « طرزان » فبهز وراح يعمل دعاية فى
مدرسته عن السينما فى اليوم التالى ، وأصبحت مشاهدة السينما
عادة تعود عليها صلاح أبو سيف وأصبح يتطلع الى أن يكون ممثلا

فلنا منه ان الفنان الذى يظهر على الشاشة هو كل شىء فى الفيلم ، وظل هذا الاعتقاد فى ذهن الفتى من سن عشر سنوات حتى الثانية عشرة حتى اكتشف عكس ذلك تماما .

من القاهرة الى المحلة

ففى أحد الأيام التى خرج فيها من السينما وجد فى أحد المكتبات كتابا بعنوان « كيف تكون ممثلا سينمائيا » .

وراح صلاح أبو سيف يتصفح الكتاب وتطلع الى اقتنائه لقراءته ولكن ثمنه كان أغلى من قدراته المادية « قرشين صاغ » ، فطلب من البائع فى شارع محمد على بسداجة أن يحتفظ بالكتاب معه حتى يحضر له الفلوس ، فضحك البائع وقال له : « روح » . يعنى اذهب لدارك يا شاطر ، وهكذا فعل الفتى صلاح أبو سيف وأحضر القرشين صاغ ولا يدري كيف حصل عليهما ، المهم أنه حصل على الكتاب ولم يجده متضمنا لعنوانه « كيف تكون ممثلا » ، وانما وجد به موضوعات متعددة عن صناعة الفيلم والمشاركين فيه ومنه موضوع عن المدير الفنى أو المخرج ، تقول بعض سطورره .

« اذا دخلت استديو من الاستديوهات ستجد رجلا مهما جدا يجلس على كرسي ، متجهما يفكر ، لذلك لا تحاول أن تقترب منه أو تسأله أو تكلمه فى شىء لآنك ستزعجه لانه أهم وأحد فى البلاتوه ، انه المخرج الذى يحرك الممثلين ويعيد صياغة كل ما يتعلق بالفيلم » .

وبعد أن قرأ صلاح أبو سيف ما قرأه فهم لأول مرة أن الممثل ليس وحده ، بل هناك شخصية أخرى متحركة ومتسلطة على صناعة الفيلم هى شخصية المخرج ، فقرر صلاح أبو سيف أن يكون مخرجا ولكن كيف يكون ذلك ؟

لقد حاول أن يسأل ويتقصى من الجرائد والمجلات للوصول الى معلومات عن المخرج ، ولكن اهتمام الصحافة كان متجها أساسا الى الحديث عن الممثلين ، حتى وقع فى يد صلاح مجلة مسرحية تصدر فى القاهرة وبها مقال يتحدث عن المعهد الوحيد لدراسة السينما فى العالم وهو معهد «موسكو» ، ولكن أنى لابن بولاق «بموسكو» :

واستمر صلاح أبو سيف فى دراسته فانتقل الى المرحلة الثانوية ، وبدأ الحديث عن السينما يكثر بينه وبين زملائه ، وراح هو يعمق اهتمامه بهذا بقراءة المجلات الأجنبية التى تكتب عن السينما ، ولحسن الحظ كانوا يدرسون لغات مكثفة ، حتى استطاع قراءته فى المجلات الأجنبية أن تتكون لديه حصيلة جيدة وكثيرة عن السينما الى درجة أن راح يترجم بعضها ويبعث للمجلات الفنية لنشره ، كمجلة «المصباح» .

وبعد انتقاله من المرحلة الثانوية الى مرحلة الدراسة النهائية فى المدرسة التجارية العليا ازداد اهتمامه باللغات وبالكتابة للصحافة فى النقد الفنى عن صناعة السينما فى وقت لم تكن هناك معلومات متوفرة عنها لانه لم تكن هناك صناعة للسينما فى مصر ، وصار الشاب صلاح أبو سيف يحرر صفتين فى مجلة أسبوعية وأراد الاستمرار فى الكتابة فى النقد الفنى ولكن المكافأة التى كان يتقاضاها شهريا كانت مئة وخمسين قرشا ، لم تكن بالطبع تسمح بمعيشته فى ظروفه العائلية الصعبة فأضطر الى الالتحاق بوظيفة مبرى فى شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، وكان صلاح خزينا مبتثسا بها هو يترك القاهرة حيث السينما والمسارح ، ولكن وجوده فى المحلة مع مرتب الوظيفة أعطاه فرصة للدراسة المكثفة والمتخصصة لفن السينما فراح يبعث لشراء كتب من الخارج عن فن السينما ، وعرف الكثير الذى لا بد أن يتصف به المخرج .

دائما في قلبي

عرف صلاح أبو سيف أن المخرج لابد أن يكون متمكنا من فنون وعلوم كثيرة ، كالموسيقى ، والمنطق والفلسفة وعلم النفس ، والفنانون التشكيلية ، والدراما والمسرح والنقد . ولديك درس تاريخ الفن والسينما ، وتسليح بالثقافة الفنية اللازمة لأي مخرج ، ولكنه كان يريد أن يحول دراسته النظرية الى دراسة عملية ، ففكر في السفر الى الخارج ، الى أوروبا لتكملة دراسته الفنية السينمائية ، صحيح أن أوروبا ليس بها معاهد للسينما لكن المجال هناك أوسع للاحتكاك بصناعة السينما واستديوهاتها ، التي سبقتنا إليها أوروبا ، وبينما كانت فكرة السفر تراود صلاح أبو سيف وصل الى مصر نيازي مصطفى الذي حضر من ألمانيا حيث درس هناك السينما عمليا ونظريا وكتب عدة مقالات أسبوعية دسمة عن فن السينما .

وبينما صلاح داخلا الى مكتبه بشركة الغزل والنسيج شاهد نيازي مصطفى يقف حائرا لا أحد يلتفت اليه من الموظفين ، حتى دعاه صلاح أبو سيف الى فنجان من القهوة وكانت دهشة المخرج العائد من ألمانيا لمعلومات صلاح عن السينما ومخرجيها الكبار ونظرياتهم وحرفيتهم : وأتبع نيازي دهشته بسؤال صلاح عن كيفية معرفته بكل هذه المعلومات ، ولما أجابه بأنها نتيجة اجتهاده وثقافته لنفسه ، قال له : وما الذي يجلسك هنا فليس هذا مكانك ، ان مكانك هناك في القاهرة : « تعال معنا الى استديو مصر » وكان العمل جاريا في تكوينه ، واشترك صلاح معه في فيلم تسجيلي عن بنك مصر وشركاته ، وكان الجزء الذي اختص به هو شركة مصر للغزل والنسيج التي يعمل بها : كان دوره في الفيلم مرافقا يشرح كيفية العمل في شركة الغزل ، التي نقله منها نيازي مصطفى الى العمل معه في استديو مصر بعد تكوينه ، ليبدأ فيه حياته العملية مع فن السينما ، كمساعد في قسم المونتاج ، في نفس الوقت الذي يعمل

فيه كمساعد مخرج ، واشترك في عدة افلام اهمها « العزيمة » ، وجاءت الفرصة لصلاح أبو سيف للسفر في بعثة الى فرنسا ١٩٣٩ مكنته من مشاهدة أفلام العباقرة الروس والانجليز والامريكان في دور السينما الخاصة التي تعرضها وقراءة ما يكتب عنها ، لدراسة هذه الافلام ، لكن للأسف قامت الحرب العالمية الثانية ، فصارت معيشة صلاح أبو سيف صعبة في جو الحرب وصفارات الانذار وضرب الطائرات والمببیت ليلا في الملاجئ حتى جاءت باخرة مصرية لنقل المصريين من أوروبا بعد تجمعهم في « مرسيلا » .

وعاد صلاح الى مصر ليرأس قسم المونتاج في استديو مصر في الوقت الذي اخرج فيه بعض الافلام التسجيلية ، وبعض الافلام القصيرة . حتى سنة ١٩٤٥ حين جاءته الفرصة لخراج فيلم روائي طويل هو « دائما في قلبي » بطولة عقيلة راتب وعماد حمدي : ولتبدأ مرحلة جديدة في حياة الفنان المخرج صلاح أبو سيف .

جس النبض

بدأت هذه المرحلة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ قدم خلالها صلاح أبو سيف خمسة أفلام مختلفة ما بين العاطفية والغنائية والتاريخية ، والكوميديّة ، الى درجة أن النقاد قالوا ان صلاح أبو سيف قد تفوق في كل هذه الانواع وكلما قدم نوعا منها قالوا انه النوع الذي سيتخصص فيه : لكن نوع الافلام التي يريدّها صلاح أبو سيف لم يكن قد اخرجها بعد ، انها أفلام النقد الاجتماعي ، ولكن قبل أن تأتي هذه المرحلة قدم مخرجنا الكبير أول عمل سينمائي كائناتج مشترك بين مصر وايطاليا : ورغم ذلك فان هذه المرحلة يسميها صلاح أبو سيف مرحلة « جس النبض » أو « تحسس مواقع الاقدام » ، لتبدأ مرحلة جديدة هي التي تطلق اليها مخرجنا منذ خطواته الأولى في عالم السينما .

لك يوم يا ظالم

بدأت هذه المرحلة منذ سنة ١٩٥٠ الى ١٩٥١ والتي عمل فيها صلاح أبو سيف على تصوير كفاح الشعب المصرى فى بولاق مستط رأسه : وكيف يعانى الناس هناك ويكافحون من أجل الحصول على لقمة العيش .

فأقدم مخرجنا العظيم على فيلم « لك يوم يا ظالم » الذى يتم تصويره فى الأحياء الشعبية والحمامات البلدية ، ولكن كل المنتجين تخوفوا من مثل هذا الفيلم ورفضوه : حتى استديو مصر رفضه ، وكانت الحجة هى أن هذا النوع من الافلام لا ينجح ، لأن موجة الافلام التى كانت سائدة كان يطلقها « الشرير » وليس الطيب ، ووجد صلاح أبو سيف نفسه أمام تحد لا بد ان يواجهه ، فاما أن يكون هو على صواب ، واما أن يكونوا هم على صواب ولا عمل له حينئذ فى السينما وليتركها الى عمل آخر ، وقبل التحدى واضطر الى انتاج فيلم « لك يوم يا ظالم » على حسابه رغم موارده المحدودة ولكن كان لا بد من شيء من التضحيات الكبيرة فى سبيل عمل عظيم ، وأثبتت التجربة أن صلاح أبو سيف كان على حق فقد نجح فيلمه نجاحا ماديا وأدبيا . واعتبر بداية للافلام الواقعية وان كان قد سبقه فيلم « العزيمة » الذى عمل فيه مساعد مخرج .

رسالة لعبد الناصر

وتأتى بعد ذلك مرحلة أخرى فى حياة صلاح أبو سيف لها أهميتها أيضا .

تبدأ هذه المرحلة من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٦ حيث عمل ستة أفلام اعتبرها النقاد أهم ستة أفلام فى الواقعية بدأت بـ

« لك يوم يا ظالم » كما ذكرنا وتلتها أفلام « الاسطى حسن » ،
 « ريا وسكينة » ، « الوحش » ، « شباب امرأة » ، « الفتوة »
 وكلها أفلام تعبر بصدق وأمانة عن مشاكل وهموم وحياة الشعب
 المصرى . تلت هذه المجموعة من الافلام مجموعة أخرى تمثل مرحلة
 جديدة ، هى ما يسمونها بمرحلة « افلام المرأة » ، تحدث فيها
 صلاح أبو سيف عن العاطفة والحب ومشاكل المرأة المصرية : من
 هذه الأفلام « لا أنام » « الوسادة الخالية » ، « الطريق المسدود » ،
 « أنا حرة » ، « هذا هو الحب » ، « لا تطفى الشمس » وتلا كل
 ذلك ما يعتبر عودة صلاح أبو سيف لأفلام النقد الاجتماعى وتمثلت
 فى فيلميه « بداية ونهاية » ، « لا وقت للحب » .

بعدها اختير المخرج الكبير ليكون أول رئيس لمجلس ادارة
 أول شركة للانتاج للقطاع العام ، وحاول أن يغير وجه السينما
 المصرية بالانتقال من السينما التجارية الى الهادفة المفيدة ، ولكن
 أمل صلاح أبو سيف حورب داخليا وخارجيا فقد أدى تحويل الانتاج
 السينمائى الى قطاع عام الى إيقاف مطاعم المستغلين والموزعين الأجانب
 الموجودين بكثرة فى ذلك الوقت الى درجة أنهم بعد ما أنشئ القطاع
 العام للانتاج السينمائى ، أوقفوا انتاجهم وقاموا بتهديب أموالهم
 الى لبنان والخارج ، وقد كان لذلك أثره فى تعطيل الانتاج
 السينمائى ، وكان من نتيجته أن صغار العاملين والسينمائيين
 بعثوا بتلغرافات الى الرئيس جمال عبد الناصر يقولون له فيها
 « نحن متعطلون ولا نجد ما نأكل به فى عهد الاشتراكية » .

لذلك كان لابد من خطة لنظام جديد لتغيير النظام القديم فى
 صناعة السينما المصرية للبعد بها عن الاسفاف لانتاج أفلام لها
 قيمة فنية وتمتع الجمهور فى نفس الوقت « لأنى أعتقد أن الفن
 متعة » كما يقول صلاح أبو سيف ، ذلك فى الوقت الذى راح فيه

من هربوا بأموالهم الى لبنان لمحاربة السينما المصرية بتشجيع من دول كبرى يهمها ضمن ما يهمها اضعاف صناعة السينما في مصر ، بقيام صناعة كبيرة للسينما في لبنان تسحب البساط من السينما في مصر ، خاصة وانهم استعانوا بفنيين وفنانين من مصر ، لعمل أفلام باللهجة المصرية ، ولكن المخطط ضد صناعة السينما المصرية فشل لأن الجمهور المصري لم يقبل على فيلم مما أنتجته القوى المعادية في الخارج .

وفي هذا الوقت صدرت الأوامر للشروع في انتاج افلام مصرية لمواجهة شكاوى صغار العاملين والسينمائيين الذين استنجدوا بعبد الناصر ، وكانت الخطة الموضوعة هي انتاج عشرين فيلما في السنة وتلك كانت مهمة شاقة كما يقول صلاح أبو سيف لأن المسألة تحتاج الى اختيار قصص وتوزيع انتاج : وسيناريو ، وغيرها مما يستلزم التحضير للفيلم ، وكان ذلك يحتاج على الأقل لفترة تحضير سنتين ولكن الذي حدث هو انتاج أفلام سريعة ومسلوقة لتشغيل السينمائيين والعاملين فيها ، وسميت هذه الأفلام ، أفلام «حرف ب» على ان تعرض في التلفزيون فقط ولكن بعض المشتغلين في صناعة السينما قالوا انه يمكن عرض هذه الافلام لتسد الفراغ في دور السينما : وكانت فرصة لاعداء القطاع العام ، اعداء النظام ، لمهاجمة صناعة السينما في مصر مستبدلين بما عرض من أفلام على « ان هذا هو انتاج الحكومة عندما تدخلت في الفن ويجب ان ترفع يدها عن الفن » .

ولكن استطاع صلاح أبو سيف ومعه المخلصون من السينمائيين رغم كل الظروف أن يتغلبوا على الازمة وتم انتاج أفلام مثل « الأرض » ليوسف شاهين ، « الحرام » لبركات : « ثورة اليمن » لعاطف سالم ، « القاهرة ٣٠ » لصلاح أبو سيف ، وغيرها من الافلام التي لازالت خالدة حتى اليوم وهى من انتاج القطاع العام ،

سألنا المخرج الكبير فجاءت اجابته أن انتاج مثل هفم الافلام وان نجح على المستوى الفنى الا أن نتيجته كانت خسارة مادية .

ورغم ذلك لم يستمر صلاح أبو سيف الا ثلاث سنوات رئيسا لمجلس اداة أول شركة للانتاج السينمائى فما هى الأسباب ؟

مؤرخ فرنسى يتحدث للوزير عن « أبو سيف »

وعندما جاء « جورج سادول » وهو مؤرخ فنى فرنسى ، فى زيارة للقاهرة قال للدكتور حاتم وزير الاعلام آنذاك « حرام أن يكون لديكم مخرج كبير كصلاح أبو سيف وتجلسونه على مكتب بينما يمكنه أن يقيده ببلدكم بما يقدمه من أفلام أكثر مما يفيدكم من كونه مديرا » ، وقال د . حاتم لصلاح أبو سيف هذا الرأى للمؤرخ الفرنسى ، فوافقه عليه ، وعاد الى عمله مخرجا بعد توقف ثلاث سنوات فى أعمال ادارية ، وكان من أكبر افجازاته فى تلك الفترة انشاء « معهد السيناريو » الذى تخرج فيه أعظم « السيناريست » فى مصر .

وتوالى أفلام صلاح أبو سيف « الزوجة الثانية » ، القضية ٦٨ ، وغيرهما مما خلد مخرجنا الكبير كواحد من العظماء فى مجاله وكانت سياسته هى عمل فيلم كل سنة أو سنتين أو ثلاثة حتى لا يقدم الا الأفضل والأجمل والأروع والأمتع ، ولذلك لم يكن غريبا أن يقدم « القادسية » ، وكان على وشك أن يقدم فيلما مصرية انجليزيا ، بانتاج بريطانى لولا أن تكاليف الفيلم المقترح كانت هائلة « ١٥ مليون جنيه استرلينى » بأسعار بداية الثمانينات .

المهم نريد أن نقول ان المخرج المصرى العبقري صلاح أبو سيف هو مخرج ذو مكانة عالمية ، ومن أعظم آماله أن ينتشر الفيلم المصرى والعربى على المستوى الدولى .

● ● وأسأل صلاح أبو سيف عن أسباب أزمة السينما المصرية الآن ؟

انها أزمة ضمير عند من يعملون بصناعة السينما ، لانهم يعتبرون السينما وسيلة ثراء ولا هدف آخر .

● ● اذن ما هي السينما يا مخرجنا الكبير ؟ .

- السينما رسالة لأن الفن رسالة لخدمة الناس والمجتمع مع الامتاع أيضا .

● ● ولكن ما نشاهده الآن ماذا تسميه ؟

- أسميه اسفافا من مجموعة تجار يسيئون الى سمعة مصر وسمعة شعبها في الخارج ، بأفلام تافهة .

● ● وما الحل ؟

- لابد من عقابهم مثلما يعاقب تجار المخدرات لانهم مثلهم يخربون العقل والذوق ويدمرون الانسان .

● ومسئولية عقاب من يسيئون الى صناعة السينما مسئولية من ؟

- يقول صلاح أبو سيف : مسئولية نقابة السينمائيين ، وغرفة صناعة السينما .

● د • عبد العظيم رمضان

والطريقة السحرية لشعب مصر

للتغلب على الصعوبات

د. عبد العظيم رمضان صدم كثيرين عند تصحيحه لبعض الأخطاء الثابتة عن الثورة العراقية والتي صارت كحقائق تدرس في المدارس .. فقد ذكر مؤرخنا أن مظاهرة عابدين أطلق فيها ٠٠ الحديو توفيق مع عرابي نفسه - كما ذكر في مذكراته وأيده فيها الامام محمد عبده - وذلك لأقصاء رياضي باشا رئيس النظام الذي لم يكن الحديو يقبله ، ولكن مظاهرة عابدين تحولت بعد ذلك الى مطالب شعبية وهكذا كما يقول د. عبد العظيم رمضان فان الحوادث يسيطر عليها أصحابها في البداية ثم تسيطر هي عليهم في النهاية ولكن ذكر مثل هذه الحقيقة أغضب البعض وجعلهم يتهمون الدكتور المؤرخ ، وقد اردنا في هذا الحديث أن نتعرف على المزيد من الحقائق خاصة امام سبل المذكرات التي بعضها يشوه التاريخ وبعضها يميل عليه الوجه وبعضها مثل الدبة التي ارادت هش ذبابة عن صاحبها فقتلته والبعض الآخر لا يخلو من غرض في نفس يعقوب ، ولذلك كان سؤال الأول للدكتور عبد العظيم رمضان :

● ● ما الفائدة من داب المؤرخ وبحثه هو وغيره من المؤرخين عن حقائق تاريخية تظل مقبورة في بطون كتب لا يقرأها الا دائرة محدودة من الناس بينما تظل الأخطاء شائعة والحقائق تائهة والمعلومات المغلوطة سائدة ؟

د. رمضان : هذا هو الذي جعلني أهتم بنشر دراساتي التاريخية كحلقات في الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية ، لتقرأها جماهير الشعب من كافة الطبقات ، وكانت بداية هذه الفكرة عندما دفعت بكتابي « عبد الناصر وأزمة مارس » منذ أكثر من عشر سنوات ، الى دار روزاليوسف لتطبعه ككتاب ولكن الأستاذ الكاتب

والمفكر الفنان حسن فؤاد رأى أن تنشر فصوله كحلقات فى مجلة « صباح الخير » التى يرأس تحريرها وقد اعترضت فى ذلك الحين اعتراضا شديدا واعتبرت ذلك امتحانا للكتاب وللتاريخ ، فقد كنت حتى ذلك الحين أفخر بانى أكتب للخاصة ولا أكتب للعامة ، أى اننى كنت أعيش فى برج عاجى ، وقد قلت له انه يحسن به نشر بعض صور الفتيات الجميلات فذلك أنفع لصحيفته من نشر دراسة تاريخية علمية ، ولكنه أجابنى أنه يتحمل المسئولية ثم فوجئت حين بدأ نشر فصول الكتاب بأن مجلة « صباح الخير » قد ارتفع توزيعها بضع عشرات من الالوف كما عرفت ، وعندئذ أيقنت بأن الشعب المصرى يجب أن يقرأ التاريخ وأنه ليس كما يزعم خصومه شعب لا يحب القراءة ، وانما هذا الشعب له معدة عقلية قوية تستطيع أن تهضم الأعمال العلمية الجادة .

التبر والتراب

● ● ولكن كما تنشر الصحف السيارة . . الحقائق التاريخية لمؤرخين فانها تنشر أيضا ما يشوه التاريخ لهواة كتابة التاريخ وأصحاب المذكرات التى لا تغلو من غرض خاصة وأن بعضهم كان بوابا أو ساعيا فى ميدان الاحداث ؟

د . رمضان : على القارئ أن يميز بين ما يكتبه مؤرخ أكاديمى محترف وبين ما يكتبه صحفى يريد أن يعمل ريبورتاجا ، أو ما يكتبه أحد الذين لعبوا دورا فى الاحداث عن ذكرياته أو مذكراته التى هى بالضرورة منحازة ، على سبيل المثال فان ما يكتبه الأستاذ محمده حسنين هيكل أو ما كتبه عن « ملفات السويس » هو كتاب سياسى وليس كتابا تاريخيا .

❖ ❖ وما هو الفرق بين الكتاب السياسي والكتاب التاريخي ؟

- د. رمضان : المؤرخ ليس لديه موقف سياسي يريد أن يخدمه ويجند الاحداث والوثائق لخدمة هذا الهدف السياسي وانما المؤرخ تهمة الحقيقة التاريخية بالدرجة الأولى ، رغم أنها مصطبغة بإيدولوجيته وبفكره وبنظريته الاجتماعية وبتفسيره التاريخي ، حتى أنني أقول أن المؤرخ يقدم رؤيته التاريخية للحدث التاريخي ولا يقدم كتابا تاريخيا بالمعنى التسامح ، ولكن الكاتب السياسي هو الذي يكتب ليس بهدف توضيح الحقيقة التاريخية من منظور معين وانما هو الذي يكتب لخدمة موقف سياسي أو شخصية سياسية أو غرض سياسي ، فمسألة توظيف الوثائق لخدمة هدف سياسي غير مطروحة في ذهن المؤرخ وانما هي مطروحة في ذهن الكاتب السياسي .

❖ ❖ ولكن كاتباً لحسين هيكل قد رد على مثل هذا الرأي ضمنا عندما دعم بكم كبير من الوثائق كل واقعة أو حدث يرويه ؟

- د. رمضان : نشر الكم الكبير من الوثائق في كتاب الاستاذ هيكل كملاحق لدراسته التي وظف فيها تلك الوثائق لخدمة موقفه السياسي وخدمة النظام السياسي الذي لعب دورا فيه ، هو من قبيل الذكاء الذي اشتهر به الكاتب الكبير محمد حسين هيكل ، فهو يعرف أن الوثيقة التاريخية هي وثيقة صامتة لا تنطق الا اذا استنطقها المؤرخ ، فالوثيقة ممكن أن تشبهها بقطعة من الصلصال يمكن تشكيلها ، يضاف الى ذلك أن الوثيقة في رأيي هي حفنة من تراب قد تكون غالبيتها تبرا « ذهبا » والباقي ترابا ، وقد تكون غالبيتها ترابا والقليل منها تبرا ، وقد يكون فيها ذرة ثبر واحدة ، وعلى المؤرخ أقول المؤرخ وليس الكاتب السياسي ، أن يستخرج

الحقائق منها ، أما اذا تناولها سياسى فهو يستطيع أن يشكل منها
كما يشاء .

حياد المؤرخ

● ● ليس للمؤرخ أيضا وجهة نظر واتجاهات يمكن ان
يوظف الوثائق لخدمتها ؟ *

— هذا الذى تقوله عن المؤرخ صحيح ، وهذا ما جعل
« شليجل » يصف المؤرخ بأنه « نبي استردادى ، فاذا لم يكن
نبيا استرداديا فهو ليس بمؤرخ » ، ومعنى ذلك أننى لا أصف كل
من يحمل درجة الدكتوراه فى التاريخ بأنه مؤرخ وانما المؤرخ هو
الذى لا يملك فقط الدرجة العلمية وانما يملك قبلها الملكة التاريخية
والثقافة الواسعة العريضة التى تشمل كل فنون المعرفة أو معظمها ،
والذى ينطلق من ايدولوجية اجتماعية بالضرورة والذى يملك رؤية
تاريخية للاحداث والذى يفهم فلسفة التاريخ ويهضمها هضمًا جيدًا
وهو المثقف الذى يشارك فى قضايا بناء بلد له ولا ينعزل عنها ، وهو
الذى يفهم التاريخ ليس مجرد استرداد جثة الحدث من الماضى وانما
هو الذى يبعث الحياة فى الحدث التاريخي ويجعله يتحرك لينفعل
به القارئ كما ينفعل بأى حدث معاصر وهذا ما جعل « كروتشه »
يقول : ان كل التاريخ تاريخ معاصر *

● ● ولكن المؤرخ بشر مهما كان ولن يكون محايدا ؟

— د . رمضان : من الذى تحدث عن حياد المؤرخ ، المطلوب من
المؤرخ ان يكون موضوعيا وأن يكون أميناً لا ينحرف بالحقائق
التاريخية الى غايات سياسية أو مواقف شخصية ، ولكن لابد أن
يكون له موقف يخدمه بمعنى أن هذا الموقف هو الذى يحدد له

اختياره ، وعلى سبيل المثال فان حركة اليسار في مصر قبل أن
أكتبها كتابة علمية في كتاب عن « تطور الحركة الوطنية » لم يكن
يدري عنها المؤرخون شيئا ، لأنهم ببساطة شديدة لم يكونوا يرونها
على الإطلاق تدخل عندهم في الحركة الوطنية ، حتى جاء مؤرخ يساري
مثل رأى في الحركة اليسارية جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية
وأنها ليست حركة أجماعية وتخريبية كما كان يصورها رجال
القانون في ذلك الوقت .

حرية الصراخ

● ● ●
بالمناسبة أين تقف الحركة اليسارية اليوم من الحركة
الوطنية ؟

— د . رمضان : تعتبر في مرحلة انحسار محزن بالمقارنة الى
ما كانت عليه في العشرينات والأربعينات ، حيث أنها الآن في حالة
انحسار شديد بسبب عجز قياداتها عن تفهم واحتضان الظروف
والتغيرات العالمية التي طرأت على الفكر اليساري ، وأستطيع القول
أن اليسار عندنا في « جريدة الاهالي » هو يسار عتيق جدا وعفى
عليه الدهر ، وهو يشبه في تخلفه اليمين في مصر فهو يمين عتيق
ومتخلف فكريا ، وبدون مواكبة للمتغيرات الفكرية العالمية سواء على
صعيد اليسار أو على صعيد اليمين فان الوسط في مصر سوف يبقى
هو أقوى التيارات .

● ● ● ما هو الحزب الذي ترى انه يعبر عن حركة الجماهير
في الشارع المصري ؟

— د . رمضان : الجماهير في مصر ليست في حالة حركة حتى
يعبر عنها حزب من الاحزاب ، وإنما هي في حالة جمود وسبكوت
وصمت ، فهي مشغولة بلقمة العيش وبمواكبة القفزات المجنونة

المتوالية في الأسعار وهي مذهولة لا تكاد تصدق ما يحدث ، هذا بالإضافة الى الانقلابات الاجتماعية التي حدثت في مصر المعاصرة بنزول المثقفين إلى أسفل السلم الاقتصادي وصعود الجهلاء إلى أعلى السلم الاقتصادي ، مما جعل الجماهير المصرية التي تمثل ضمير المجتمع ووعيه ومبعث النشاط فيه في حالة شلل عام ، وبالتالي فلا يوجد حزب يعبر عن حركة الجماهير .

● ● اذن فما هي أهمية وجود الأحزاب على الساحة الديمقراطية الآن ؟

ـ د. رمضان : الأحزاب الموجودة أهميتها هي فيما أطلق أنا عليه اسم ممارسة حرية الصراخ .

عابر طريق

● ● نعود الى كتب المذكرات .. ما رأيك في كتاب اعتماد خورشيد ؟

ـ د. رمضان : لم أقرأ كتاب اعتماد ولا أنوى أن أقرأه حتى لا أفسد معلوماتي التاريخية ولأنه نوع من المذكرات التي لا يستطيع أى مؤرخ فى العالم يحترم نفسه أن يستند اليها فى إعادة بناء الحدث التاريخى ، فالمؤرخ عليه أن ينتقى مادة بناء الحدث التاريخى من مصادر أكثر مصداقية .

● ● ولكن عدم قراءة مثل هذه النوعية من الكتب لا تعنى أنها لا تنتشر بل هي تجد اهتماما أكثر من الكتب العلمية الجادة ؟

ـ د. رمضان : اننى لا أعترض على نشر هذا الكتاب أو غيره ، ولكن على الجمهور ان يحذر باستمرار من الخلط بين كتاب تاريخ يتضمن دراسة تاريخية محققة وهوثقة وبين أى شهادة تاريخية ،

والفرق بين الاثنين هو كالفارق بين حكم يصدره قاضى على مستوى عال بعد تحقيق الوقائع والشهادات المتعلقة بحدث من الاحداث ، وبين شهادة عابر طريق .

الفرق مع المغرب

● ● كنت فى المغرب .. ما هى نظرتك الخاصة التى عدت بها من هناك ؟ .

— د . رمضان : الاستمرارية والتواصل بين القديم والحديث أو بين التراث والحداثة فهناك يعنون بتطوير القديم ووصله بالحديث ، فالحديث عندهم تطوير للقديم ، والأمـر مختلف هنا فالتراث عندنا لا صلة له بالمعاصرة فانت تسمع موسيقى التراث التى لا صلة بينها وبين الموسيقى الحديثة ، ولكن موسيقى التراث هناك هى امتداد مستمر حتى الوقت الحاضر يشترك فيها الشعب كما اشترك على مدى العصور ، وكذلك الامر بالنسبة للفكر فهو استمرار وامتداد وليس انقطاعا .

تسييس الثقافة

● ● تم تعيينك عضوا بالمجلس الاعلى للثقافة .. ما النبى يمكن أن تؤديه لهذا المكان ؟

— د . رمضان : اذا كان ثمة دور يمكن أن أعبه فى المجلس الاعلى للثقافة فهو هز الجمود الذى يسيطر على بعض لجانه وخصوصا لجنة التاريخ والآثار ، وقد تكلمت بالفعل مع وزير الثقافة فى فصل التاريخ عن الآثار ، وبعث الحياة فى هذه اللجنة الخالدة ، وفى الوقت نفسه فان مهمة المجلس الاعلى للثقافة فى رأى هى مهمة حضارية تتمثل فى ضرورة وقوفه ضد التيارات الرجعية التى تريد

أن تدفع بمجتمعنا الى الورا ، وبمعنى آخر لابد من تسييس المجلس الأعلى للثقافة .

● ● ماذا تقصد بذلك ؟

— د . رمضان : الثقافة بدون سياسة ليست ثقافة ، لأن المثقف مرتبط بعصره وغير منعزل وهو الذى لا يدفن نفسه فى الكتب وانما يخرج الى الحياة الاجتماعية العامة ويدلى برأيه فى كل ما يحدث ويحاول أن يطور المجتمع للامام ، هذه هى نفس مهمة المجلس الأعلى للثقافة . ألا يدفن فى الأعمال العلمية وانما عليه أن يعايش مجتمعه ويحاول أن يدفعه للامام .

لست متقللا

● ● يقال انك تنتقل بين الاحزاب . من التجمع الى الوفد الى الوطنى . ما هى الحكاية ؟ .

— د . رمضان : لم انتقل من موقعى وانما الآخرون هم الذين ينتقلون . وعلى سبيل المثال فانا رجل أو كاتب أو مفكر أو مؤرخ يسارى « اليسار هو المعارضة وقد يفهمه البعض على انه الشيوعية ولكنه جبهة عريضة تمتد من أقصى اليسار الى الوسط وتشمل الشيوعيين والناصريين والتيار الاسلامى وتشمل فى الوسط الوفد من الناحية السياسية » ولم أغير هذا الموقع على الاطلاق ، وفى نفس الوقت أن التجربة العالمية للاشتراكية قد أثبتت ضرورة أن « الليبرالية هى الحرية السياسية وتعصد الرأى والليبرالية فى الاقتصاد تعنى النظام الرأسمالى » وليست نظاما اقتصاديا فقط وانما هى نظام سياسى أو محاولة تزويجها بالفكر الاشتراكى ، ومن هنا فقد أيدت الوفد لأنه حزب ليبرالى ولكنى لا أؤيد سياسته

الاقتصادية ، وأنا أؤيد الحزب الوطنى فى سياسته الخارجية ولكنى لا أؤيده فى سياسته الداخلية ، وأنا أؤيد حزب التجمع فى سياسته الداخلية ولا أؤيده فى سياسته الخارجية ، وحتى الآن لا يوجد الحزب الذى يعبر عن فكرى السياسى والاجتماعى بالشكل الذى يدفعنى الى الالتحاق به ، وهذا ما يجعل البعض يظن أننى أتنقل ، وعلى سبيل المثال فلم أؤيد اطلاقا سياسة حزب الوفد الاقتصادية ولم أؤيد اطلاقا سياسة الحزب الوطنى الداخلية ولم أؤيد اطلاقا سياسة حزب التجمع الخارجية فأين التناقض فى موقفى ؟!

المستبشرون

● ● كيف تنظر الى المستقبل فى مصر ؟ ● ●

— د • رمضان : انظر الى المستقبل فى مصر فى ضوء التاريخ الطويل لمصر الممتد عبر سبعة آلاف عام ، فانا على اقتناع تام بأن مصر التى عاشت سبعة آلاف عام لا تستطيع أية قوة أو حدث تاريخى أن يقتلها أو يوقف تقدمها • وانما الحركة التاريخية لأى شعب تبطئ أحيانا وتتوقف أحيانا ولكنها تستقر بشكل جذرى • واعتقادى الراسخ أن شعب مصر سوف يتغلب بطريقته السحرية التى لم يعترف التاريخ كنهها حتى الآن ، على كل الصعوبات التى تواجهه ، وأضرب لك مثلا على ذلك : فان مصر قبل صلاح الدين الأيووبى وفى أواخر عهد الدولة الفاطمية كانت دولة ضعيفة للغاية حتى انها تحالفت مع دولة بيت المقدس الصليبية ، ولكن لم يتكبد يتولاها صلاح الدين حتى انقلبت الى دولة عظمى بتلك الطريقة السحرية التى لا يعرف كنهها التاريخ ، واستطيع القول بأننا فى حاجة الى قضية عامة نلتف حولها •

● صبرى أبو المجد :

نعم ٠٠ ألفت كتابا يشيد بالملك فاروق

خمسون عاما قضاها الكاتب الكبير صبرى ابو المجد فى بلاط صاحبة الجلالة .. كانت هذه الفترة كافية لأن يعى التاريخ ويعيد صياغته فى كتبه ومقالاته العديدة .. والحوار مع صبرى ابو المجد مهم بقدر أهمية التاريخ الذى يحفظه فى ذاكرته .. وبقدر أهمية كتاباته التى تلجج دائما للعديد من القضايا .. وعلى هذه الصفحات نستضيف صبرى ابو المجد المحلى وعضو مجلس الشورى .. والمجالس القومية المتخصصة وامين المجلس الأعلى للصحافة ليرى لنا وقائع خمسين عاما قضاها فى سارع الصحافة ، وليكشف الكثير من الأسرار لأول مرة ..

❁ ❁ لماذا تأخرت عن كتابة مشوار عمرك مع الصحافة بتوغم من كونها هى الجديرة بأن تكون البداية التى تبدأ بها سلسلة كتبك ؟

— أنا مجرد هاو ، يحب هذه المهنة الشاقة ، ففى محرابها تعمدت ، ومنها نلت الكثير وسوف اكتب ان شاء الله كتابا عن نصف قرن صحافة ، واعتقد ان هذا الكتاب لو قدر له ان يصدر فسيغضب منه الكثيرون .

— حتى عام ١٩٥٢ كان للصحافة المصرية وضعها الخاص ، ولقد تميز هذا الوضع بان الصحفيين كانوا اسرة واحدة بالرغم من اختلافهم حزبيا وايدولوجيا حيث كان لهم ناد متواضع فى قصر النيل . يجتمع فيه كل أصحاب القلم ، وكان الصحفي منا يأتى

ليقول : « غدا انا كاتب كذا فى الموضوع الفلانى » فيقول صحفى آخر « سارد عليك بعد غد » ، ثم يتناول الجميع طعام العشاء معا ، ويلعبون ويتسامرون معا ، اذ كانت العلاقات بينهم أخوية ، يؤدى كل منهم واجبه وان اختلفت السبل والأدوات .

ولقد كانت الصحافة - عندئذ - تتمتع بحرية أكثر مع ملاحظة انها كانت حرية الحزب أو حرية مالك الصحيفة . بعضنا يبالح حينما يقول انها كانت حرية مطلقة ، بل كانت حرية تسير مع خط الصحيفة وخط الحزب الذى تصدر عنه ، ومن كان يرى من الصحفيين ان توجهات الحزب أصبحت دون هواه كآى ينتقل بسهولة الى صحيفة اخرى يتفق خطها أو يقترب من خطه هو ، فلم يكن فى مقدور صحفى ممن يعملون فى صحف حزب الوفد مثلا ان ينتقد سياسة الحزب .

الخديعة

● واذا اتينا الى ملامح الصحافة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ؟

— منذ عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٤ استطيع ان اقرر أن الصحافة كانت موجهة حتى قبل تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ ، كان يوجد رقيب عسكرى ورقيب مدنى . وكان للصحفيين نطاق معين يتحركون فى حدوده ، واذا اصطدم صاحب القلم بامور خارجة عن هذا النطاق مثل الثورة أو قاداتها يحدث ما لا تحمد عقباه ، وهناك تجربتان فى هذا الصدد .

التجربة الأولى هى جريدة « المصرى » التى اختلفت مع مبادئ الثورة فتم تعطيلها ، والتجربة الثانية تمسنى أنا شخصيا .

● كيف ؟

- فى بيان صدر فى يونيو ١٩٥٥ أكد مجلس قيادة الثورة على أن الرقابة لن تتدخل فيما يتعلق بنظام الحكم بعد فترة الانتقال المحددة من يوليو الى ديسمبر من العام ذاته ، وسوف تكون حرية الصحافة مطلقة ، فائخدع البعض بهذا البيان وكنت من بينهم فرحت أكتب عن الديمقراطية . وعن ضرورة تكوين الأحزاب . ونشرت تحقيقا صحفيا عن هذا الموضوع . وضعت له استمارة استفتاء وزعتها على عشرة آلاف مواطن تناولت فيها رأيهم فى نظام الحكم بعد الفترة الانتقالية .

ومازلت أذكر أن مواطنا أجاب ردا على سؤال : هل لك ملاحظات أخرى ؟ بأنه يطالب بمحاكمة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وعندما صدرت مجلة المصور وبها التحقيق والاستفتاء انقلبت الدنيا رأسا على عقب فصودرت المجلة وتم اعتقالى .

معني هذا ، أن خطوطا رئيسية لم يكن فى استطاعة الصحفي تجاوزها ، ومن ملامح هذه الفترة أيضا ارتباط الصحفي بالدولة سيواء فى عمله أو فى لقمة العيش ، لهذا لم يستطع كتاب كبار مثل : احسان عبد القدوس وأحمد أبو الفتوح ، وغيرهما أن يعملوا فى أية صحيفة بعد أن غضب عليهم المسئولون وهو أخطر ما فى هذه المرحلة .

هذا السبب وحده ، هو الذى دفع بعضنا الى الجبن . وجعل الكثيرين منا ينظرون الى الصحافة على أنها مهنة موظفين ، فانعكس الخطر فى انعدام الثقة بالنفس أولا . وانعدام الحرية ثانيا ، ليس على المستوى الصحفى وحسب بل على جميع المستويات .

حرية الصحافة اليوم

❶ ❷ وما هي سمات المرحلة الثالثة في تاريخ الصحافة المصرية بعد عام ١٩٧٤ ؟

- من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨١ كانت حرية الصحافة حرية محدودة ، فبدلاً من أن تكون الرقابة على أمور لا تتصل بأجهزة الدولة أو سياساتها أصبحت الرقابة مقصورة على حماية موظف في الإذاعة أو التليفزيون أو في وزارة الثقافة مما يدل على أن الرقابة حتى ١٩٧٤ كانت تحمي أفراداً لا سياسات ، ولقد توارى هذا البعد بعد ذلك وانحصرت الرقابة على الجوانب العسكرية أو أمور أخرى بسيطة تصدر بشأنها تعليمات الى القيادات الصحفية ، ولكن الشيء المؤكد أن حرية الصحفيين اتسع مداها عما قبل .

❸ ❹ وإذا وصلنا الى المرحلة التي نعيشها الآن ؟

- بلا أدنى شك أو جدال ، فمنذ عام ١٩٨١ حتى اليوم نعيش في حرية ذات نطاق واسع ، فلم يقصف قلم ، ولم تصدر صحيفة ، ولئن كانت هناك صحيفة أو أخرى قد صودرت فالمصادرة لم تكن لأسباب رقابية بل لأسباب ترجع الى الصحيفة ذاتها . كخلاف حول الجمعية التي تصدر عنها ، أو خلاف حول تجاوزها للأغراض التي صدرت من أجلها .

انا و . . مباحث أمن الدولة

❺ ❻ نعود الى مجلة المصور حينما كنت رئيساً لتحريرها ، فهناك من يتهمك بأن الراحل عبد الفتاح حسن ، أحد قيادات حزب الوفد ، أرسل اليك مقالا لتشره فاذا بك ترسل المقال الى مباحث أمن الدولة ؟

عندما أثير في أواخر السبعينات الحديث عن نقل مياه النيل إلى إسرائيل ، وأنا أعلم أن هذا الموضوع لا صحة له مطلقا حيث كنت قد قاتحت المرحوم السادات فيه فنفاه نفيا قاطعا ، وقال ان الموضوع محاولة من جانبنا لاثارة الرأي العام في إسرائيل ضد بيجن . عندئذ أرسل لي عبد الفتاح حسن خطابا يفيض رقة ووطنية يطلب مني نشره في المصور . فقلت له أن حقيقة الموضوع كذا كذا . كما أخبرني الرئيس السادات - فهل أنشر رسالتك أم أبلغ الرئيس السادات بها ؟ فقال لي عبد الفتاح حسن ، يكفي أن يصل صوتي الى الرئيس ليعرف أنني من المعارضين لنقل مياه النيل إلى إسرائيل .

اذن للمرحوم عبد الفتاح حسن هو الذي سمح لي بأن أنقل للرئيس السادات مضمون خطابه ، وقد نشرت في الأسبوع ذاته أن الأستاذ عبد الفتاح حسن أرسل لي خطابا يتعلق بموضوع نقل مياه النيل إلى إسرائيل . ثم أرسلت صورة من الخطاب الى الرئيس السادات . مثلما طلب مني عبد الفتاح حسن فبعثتها واحتفظت بالأصل .

انني أقول هذا لأول مرة ، بعد ذلك حينما اعتقل المرحوم عبد الفتاح حسن في أحداث سبتمبر ١٩٨١ فوجيء في التحقيق بصورة خطابه التي أرسلتها الى رئاسة الجمهورية بناء على طلبه ولم يكن الخطاب به ما يدين عبد الفتاح حسن بل كان ضفحة فخر له ، لأنه كان يدافع عن قضية وطنية .

المهم أن جريدة « الأهالي » لسان حال حزب التجمع ، نشرت على لسان عبد الفتاح حسن أنه غاضب مني بل ويطلب التحقيق معي . وعندما حدثته نفي لي أن يكون هذا الكلام المنشور أثناء سجنه قد صدر عنه . وانني موضع تقدير عنده ، ثم طالب زميل

صحفى بعد ذلك نقانة الصحفيين بأحالتى الى مجلس تحقيق ،
فبعث لهم عبد الفتاح حسن نفيًا لاتهامى ، وطلبت من على منصور
المحامى رفع دعوى قضائية على ناشرى هذا الاتهام ، ولقد اتصل على
منصور بالمرحوم عبد الفتاح حسن فأخبره أنه على استعداد
لأن يشهد لصالحى أمام المحكمة .

ومما يقطع بأن هذا الاتهام صراع حزبى ، أن د . حلمى مراد
بعث لى أثناء تلك الفترة خطابا قاسيا يتناول الموضوع نفسه ، فلم
أشأ أن أكون وسيطا أنقل للسادات ما قاله عنه ، فلماذا لم تثر
قصة هذا الخطاب ؟ ان اثاره مثل هذا الموضوع جرح لاجساسى ،
بعد أن قضيت ما قضيت فى العمل الوطنى ، وما يؤلمنى أن تظل
هذه الموضوعات عالقة فى أذهان الآخرين .

فاروق . . أمل الشعب

● ● وماذا عن أنك كتبت كتابا تمدح فيه الملك السابق

فاروق ؟

- نعم كتبت عن الملك فاروق ، وكنت سأحدثك أنا عنه قبل
أن تطرح سؤالك لقد نشرت جريدة « الأهالى » أننى ألفت كتابا عن
فاروق ، وأنا لا أذكر ذلك ، فقد شاركت فى تأليف كتاب عنه فى
نوفمبر ١٩٤٣ حينما كنت تلميذا فى المرحلة الثانوية وذلك بمناسبة
حادث «القصاصين» ، حيث تأثرت كشاب بهذا الحادث ، وطلبت من
كبار الصحفيين أن يكتبوا ذكرياتهم ومشاعرهم عن هذا الحادث ،
اذ أن فاروق وقتها كان يمثل الأمل لهذا الشعب ، ولم يكن فساده
قد ظهر بعد ، وقد كتب عن فاروق مثلى : حافظ محمود ، واحسان
عبد القدوس ، ومحمد حسنين هيكل ، والسيدة روز اليوسف ،
ثم قمت بجمع هذه المقالات لتصدر فى كتاب صدر فى أوائل أو

متنصف عام ١٩٤٤ ، وبعد صدور هذا الكتاب بعدة أشهر تم اعتقالى
بتهمة قتل الوزير الأول للملك وهو الدكتور أحمد ماهر رئيس
وزرائه .

أنا لا أتذكر لتاريخى ، فقد أيدت الملك لأن الحزب الوطنى
الذى كنت أنتمى إليه كان يؤيده ، ولأن البلد جميعها كانت تؤيده
فى حادث القصاصين الذى أصيب فيه ، ثم انقلبت عليه بعدئذ ،
لأن الكاتب السياسى ليس جامدا ، ثم كيف تحاسبنى الآن ، وبعد
كل هذه الأعوام عن صفحتين كتبتهما فى المرحلة الثانوية ؟ ولماذا
لا تحاسب هؤلاء الذين مدحوا الملك فاروق ثم أصبحوا ضده ،
ومدحوا عبد الناصر ثم هاجموا بشدة وكانوا مع السادات فانقلبوا
عليه ، والذين تاجروا بالكلمة وأثروا من ورائها ثراء فاحشا ؟ .

أسرار ووثائق ..

❶ ❷ من الملاحظ أنك تعتمد فى كتاباتك على الوثائق ..
كيف تحصل عليها ؟ وما أهم الوثائق التى حصلت عليها ؟ .

— الحصول على الوثائق مسألة حظ ويعتمد على حب الناس ،
فمثلا المستشار سميح طلعت وزير العدل الأسبق — وابن
عبد الوهاب باشا طلعت وكيل الديوان الملكى وأحد خصوم الانجليز
الذين طالبوا باخراجه من السراى — أعطانى وثائق لا أعتقد بوجودها
فى « عابدين » ولا فى أى مكان آخر ، وهذه الوثائق ستفتح الباب

لإلقاء أضواء جديده على بعض الأحداث كاشتراك مصر في حرب ٤٨ :

ومن الوثائق الهامة جدا رسائل محمد فريد ، فقد حصلت الثورة في الستينات على مذكرات هذا الزعيم بقرار وزارى نقله أحد المحضرين بما اعتبره نجله المستشار عبد الخالق فريد اهانة وقد نفذ القرار باعتباره رجل قانون ولكنه قال لى سأعطيك ما هو أخطر منها ، فأعطاني كل رسائل والده الى جده ووالدته وأصدقائه . . . وقد كانت كلها فى مظروف لم يفتح منذ وفاته ، وهو يحتوى على أكثر من مائتى رسالة بخط يده ، يتناول فيها تاريخ مصر السياسى . . . ولو كان فى العمر بقية وكتبت حياة محمد فريد فى المنفى من خلال هذه الرسائل ، فانه سيكون عملا يسقط القداسة عن شخصيات عديدة ، وينصف شخصيات أخرى ظلمناها كثيرا .

أيضا من الوثائق الهامة محاضر التحقيقات فى قضية مقتل السردار التى كان من المتهمين فيها ابراهيم موسى أحد عمال العنابر « الأمى » الذى لا يقرأ ولا يكتب ويعمل باليومية والذى رفض الاغراءات والبراءة نظير اعترافه على زملائه فاعدم ، فى حين اعترف أحد حملة الدكتوراة فى القانون من فرنسا ونائب سابق على زملائه . . . وقد بحثت عن أهل هذا العامل الشريف ، فوجدت ابنتيه تعيشان فى غرفة بالشرابية وأعطتني احدى البنيتين مخطوطا (١٥٠٠) صفحة تركه المحامى عندهم وهو نسخة من محاضر التحقيقات فى مقتل السردار فوجدته كنزا يحوى معلومات عن نشأة الجمعيات السرية مما ضمنته الجزء الأول من مذكراتى فى السجن .

● جمال حماد :

والمبدأ الذي تحقق في عهد مبارك
ولم تحققه الثورة

② أحد المشاركين في ثورة يوليو ، ووثقها في أهم كتاب عنها منذ قيامها بعنوان « ٢٢ يوليو أطول يوم في تاريخ مصر » . كما يكتب الآن دراسات هامة عن حزب أكتوبر من خلال الوثائق التي سمحت له القيادة العسكرية بالاطلاع عليها لأول مرة .

بدأ محدثنا جمال حماد حكايته مع التاريخ منذ المرحلة الثانوية .. حيث كان يحصل في امتحانات هذه المادة على الدرجات النهائية .

كما كان أول كتبه « معارك الاسلام الكبرى » وآخرها عن « غزوة بدر الكبرى » .

.. ومعه .. مع المؤرخ . جمال حماد . كان هذا اللقاء ..

● ● ماذا تذكر من طرائف ثورة يوليو :

من المواقف الطريفة أن الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش بعد ما تم أسره في مكتبه بمعرفة المقدم يوسف صديق ورجاله . كان يهبط السلم في مبنى رئاسة الجيش في طريقه الى المعتقل الذي كان الكلية الحربية التي كانت تواجه رئاسة الجيش مباشرة وتصادف أن عددا من قادة الضباط الأحرار كانوا واقفين في مبنى رئاسة الجيش ومنهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وذكريا محيي الدين وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم وانا .. فرأينا أن رئيس الأركان سيمر من أمامنا وخلفه الرجال مصوبين السونكيات في ظهره ، وفي اتفاق لا شعورى وجدنا أنفسنا مصطفى صفا واحدا وأدينا له التحية العسكرية بطريقة مثالية فكانت مسألة غريبة جدا بالنسبة للرجل وهو في هذا الموقف الصعب فرد علينا

بلهجنه الجافة الخاطفة المعتادة قائلا : متشكر جدا ، واستمر في سيره الى المعتقل .

وأبرز مثل على ذلك الاحتفال برحيل الملك فاروق فعملنا له حرس شرف وحرس سلاح وموسيقى وسلام ملكي . . فهي مراسم الاحتفال بنهاية عهد وبداية عهد جديد .

● ● كيف تسلسل هرميا دور القادة في ثورة يوليو ؟

على الرغم من صعوبة هذا الموضوع فأننى فى نهاية كتابى عن ثورة يوليو قمت بكتابة سطور قليلة أعتقد أن فيها الرد على سؤالك . . قلت : ان لثورة يوليو أب روحى هو الفريق عزيز على المصرى ، وللثورة قائد هو اللواء أركان حرب محمد نجيب ، وللثورة صانع ومدير هو المقدم أركان حرب جمال عبد الناصر . وللثورة جنود مجهولون هم ضباط الصف والجنود الذين خرجوا معنا فى ٢٣ يوليو وأدوا دورهم فى سبيل تحرير شعب مصر ولم يسمح عنهم بعد ذلك ولم تدون لهم أسماء .

● ● وأهم أحداث الثورة بترتيب أهميتها ؟

إنهاء عهد أسرة محمد على وإعلان الجمهورية ، وجلاء القوات البريطانية عن مصر ، وتأميم قناة السويس وإنشاء السد العالى .

● ● ألم تتأثر عاطفيا كانسان وأنت تؤرخ للثورة خصوصا وأنت أحد المشاركين فى قيامها ؟

.. رغم أن لى بالقطع ميولا شخصية أو عواطف بالنسبة لبعض الأشخاص فى الثورة الا أننى حاولت قدر طاقتى البشرية ان أتجرد من هذه العواطف وأن أكتب الحقيقة وحدها بكل أنصاف خاصة وأننى لم أكن لأى حزب أو أى مذهب من المذاهب طوال حياتى .

❶❷ ولماذا تأخر كتابك عن ثورة يوليو ثلاثين سنة ؟

كان من المحال أن أكتب عن الثورة وعبد الناصر والسادات في الحكم أصحاب القوة فلو جاملتهم سبأتهم بالبنفاق ، وإن لم أجاملهم ربما يحدث لي أضرار أو أذى ، لهذا كان من المحتم الانتظار حتى تنهيا الظروف لأن أكتب بحياد ، وأنت تلاحظ أن كل ما كتب عن الثورة أثناء وجود الرئيسين الراحلين لم يكن بالتاريخ الصحيح .

الثورة مبادئ لا تنتهى

❶❷ كتب البعض أخيرا مجيذا نهايات تاريخية للثورة فهل انتهت ثورة يوليو ؟

اطلاقا لأن الثورة مبادئ مستمرة . وإن زالت أشخاص الثوار فهل يمكن القول ان مبادئ الثورة التي نادت بها من القضاء على الاستعمار وأعوانه واقامة جيش وطنى قوى والتخلص من تسلط رأس المال والاقطاع واقامة عدالة اجتماعية وحياة ديمقراطية سليمة . . هل من الممكن القول أننا لا نريد هذه المبادئ اليوم أو أنها انتهت : انها مبادئ حية ومازالت مستمرة ولا يمكن أن تتغير وإن حدث خطأ فى تطبيقها فإن هذا ليس عيب الثورة بل عيب الأشخاص القائمين بالتطبيق أما الثورة فمستمرة ولن تنتهى .

❶❷ اقامة حياة ديمقراطية سليمة لماذا تأخرت الثورة فى تحقيقها ؟

ليس من المنتظر بعد قيام ثورة أى ثورة أن تحقق الحرية فى الحال رغم أن الثورة نادت بهذا والدليل على ذلك الثورة الفرنسية رغم مبادئها العظيمة التى كانت تنبأى بها من الحرية والاخاء والمساواة (والتى ما زالت موجودة حتى اليوم دليل استمرار

الثورة) قد تولد عنها أكبر حكم ديمقراطي وهو حكم الامبراطور نابليون ثم عادت مرة أخرى أسرة البربون الحاكمة ولكن الشعب الفرنسي ثار بعد ذلك وانتصر لمبادئ الثورة وسرت الحياة الديمقراطية وان تآخرت ولكنها جاءت وتحققت وثبتت واستمرت ، كذلك ثورتنا بدأت بحكم فردى هذا أمر لا ننكره فى عهد عبد الناصر ثم حصل نوع من التغير الواضح الى طريق الديمقراطية فى عهد السادات ولكنه لم يكن طريقا مكتملا ، ولكن نحمد الله اننا استطعنا بعد ثلاثين سنة من الثورة أن نتمتع بحكم ديمقراطى سليم وانى أشهد أنه لأول مرة فى عهد الرئيس مبارك قد تحقق المبدأ السادس من مبادئ ثورة يوليو .

❶ ❷ وانت تؤرخ لحرب أكتوبر الا ترى انها عملية شاقة خاصة وان المسائل العسكرية تحاط بسرية تامة أكثر من المسائل السياسية ؟

نعم الكتابة عن المعارك العسكرية شاقة جدا لأنك تكتب بدون وثائق أو مراجع موثقة لذا تصبح الكتابة العسكرية نوعا من الاجتهاد والتحليل الفنى ، لذا يحتاج الباحث العسكرى الى ثقافة عسكرية أكاديمية راقية وتجارب شخصية وخبرة فى القيادة حتى يمكنه عقد المقارنات وتوضيح أوجه الاختلاف فى النظريات العسكرية وتخيل بعض الأحداث التى تحتاج لمثل هذا التخيل بالاضافة الى القدرة على الكتابة والتحليل .

❸ ❹ ما هو ترتيب أبطال حرب أكتوبر حسب أهمية دور كل منهم كما تراه ؟

لا أستطيع أن أقوم بهذا الترتيب وانما أقول لك أن البطل الحقيقى هو الجندى المصرى البسيط الذى حمل بندقيته وركب الزورق الصغير فى طريقه الى الساتر الترابى ليتسلقه بأظفاره

وأقدمه ويواجه بعد ذلك حصون خط بارليف فيقتحمها ويدمرها ..
وينطلق الى الأمام بصدده ضد أحدث أسلحة العدو ومعداته ويرفع
علم مصر على الضفة الشرقية للقناة .. هذا هو البطل الأول والأخير
مهما تحدثنا عن دور الأسلحة والقادة ..

● ● لماذا كانت إسرائيل تهزمن دائما قبل انتصار أكتوبر ؟

— لأننا لم نكن نستفيد من تجاربنا السابقة أو نعترف بأخطائنا
وحولنا الهزائم في حرب ١٩٥٦ الى انتصارات وأخيرا صدقنا
أنفسنا ، ومن العجيب أن الخطة الحربية التي اتبعتها إسرائيل سنة
٦٧ كانت صورة طبق الأصل من خطتها الحربية سنة ٥٦ لذلك
لما سئل موسى ديان وزير الدفاع كيف تكرر نفس الخطة في
حربين متتاليتين ألم تكونوا تحسبون امكان أن يكتشفها المصريون ؟
فاجابهم بأنه لا أحد يقرأ ، وهذا هو الواقع لأن الكتيب الاسرائيلية
كانت ممنوعة من دخول مصر في حين أنه من المفروض ان كل ما كتب
مثلا عن حرب ٥٦ كان لابد من ترجمته وتوزيعه على قادة القوات
المسلحة على أوسع نطاق لكي نستفيد من التجربة والخطا .

● ● ما هي اهم نتيجة لحرب أكتوبر ؟

— الى جانب أنها نقطة تحول استراتيجية كبرى بالنسبة لمصر
في جميع النواحي العسكرية والسياسية والمعنوية والاقتصادية
يعتبارها أول انتصار للقوات المسلحة المصرية منذ عهد طويل ،
الا أن أهم ما فيها أن المصري استعاد كرامته المفقودة .

● ● كيف تكون لمصر اعادة عسكرية مستقلة بعيدا عن خضوع القوى الكبرى التي تتحكم في انتاج السلاح ؟

— الدولة الصغير التي تريد ان تكون حرة في جميع تصرفاتها
لا بد أن تكون لديها مصانع لانتاج السلاح والذخائر ، ووقود لإحطنا

أن وزير الدفاع المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة السابق قد كشف الستار عن الجهود التي تبذل لانتاج أسلحة وذخائر مصرية وهذا طبعاً خطوة عظيمة في سبيل تحقيق الاعتماد الذاتي على أنفسنا وقت الحرب ولو أن هذا طبعاً يحتاج الى تكاليف كثيرة وتضحيات كثيرة من الشعب لأنه لا يمكن أن نصل الى ما نبتغيه بدون تضحيات .

❁ ❁ كيف ترى دور الصدفة في أحداث التاريخ ؟

— من المحتمل أن تحدث قطعاً مصادفات يلعب فيها الحظ دوره في بعض المعارك الحربية مما يؤدي الى تغيير مجرى المعركة بشكل كامل .

❁ ❁ على سبيل المثال ؟

— « مونتجمري » عندما قام بهجومه في معركة العلمين في سنة ١٩٤٢ ، بالصدفة المحضة كان عدوه الفيلد مارشال « روميل » ثعلب الصحراء غائباً عن مسرح العمليات وكان موجوداً في ألمانيا ولم يحضر الا بعد بضعة أيام ، وطبعاً هذه صدفة ، لأن مونتجمري لم يكن يخطط للمعركة على أساس غياب روميل ، ولو كان روميل موجوداً لا شك أن المعركة كان سيتغير مجراها لأنه يتمتع بعبقريّة فذة على تكتيكات حرب الصحراء ، ولكنه عندما عاد كانت المراحل الأولى الحاسمة قد انتهت وتمكنت القوات البريطانية من اختراق الخطوط الدفاعية الألمانية فكان هم روميل كيف يقوم بسحب قواته من مواقعها بعد فوات الأوان أو اللحظة الحاسمة لأن لكل معركة لحظة حاسمة ، وكانت تلك اللحظة قد لعبت فيها الصدفة دورها بغياب ثعلب الصحراء عن أرض المعركة .

● ● كانت فرنسا وانجلترا القوتين الكبريين في عالم الأمم
واليوم روسيا وأمريكا هما هي فرصة الأمة العربية في المستقبل
لتكون قوة كبرى ؟

- العرب بما لديهم من موارد وموقع استراتيجي وامكانيات ،
لديهم فرصة كبيرة جدا أن يكونوا احدى القوى الكبيرة التي
تؤثر على مجريات الأمور في العالم ، ولكن للأسف يكفى أن
أقول المثل الذي يقال عن اسرائيل انها جزيرة صغيرة تعيش في
بحر من الخلافات العربية .

● ● أي مرحلة من التاريخ قديمة ووسيلة وحديثة تود
العيش فيها ؟

- كنت أتمنى من أعماق قلبي أن أعيش في فترة الرسالة
النبوية المحمدية وأن أكون جنديا من جنود الجيش الاسلامي .

● ● من هو القائد الذي يحظى بتقديرك ؟

- أنا أعتبر أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو القائد الأول
حقا لا شك في هذا فاذا استثنيناه فان القائد الذي أعجب به كل
الاعجاب في التاريخ الاسلامي هو خالد بن الوليد لأنه قائد فذ على
مستوى يفوق أعظم مستويات القادة في التاريخ ، أما التاريخ
الحديث فمن القادة الأفاضل قطعاً الفيلد مارشال روميل ، وفي
التاريخ الفرعوني تحتمس الثالث ورمسيس الثاني وحمور محب .

● ● هل تتخيل قيام حرب عالمية ثالثة ؟

- من المستحيل قيام حرب ثالثة لأن معنى ذلك انتهاء الحياة
من فوق سطح الكرة الأرضية .

• • • أخيرا • • • كانسان مصرى • • • كيف ترى مستقبل مصر ؟

أتمنى أن كل مصرى لا ينتظر من أحد ان يوجهه لأداء واجبه ،
ولو ان كل مصرى فى موقعه قام بالواجب المفروض عليه باخلاص
وإتقان وبضمير حى ، ولو نزعنا من قلوبنا الأحقاد والمهاترات
والمهاجمات الشخصية وانصرفنا جميعا الى ما فيه خير أمتنا ،
لأصبحت مصر هى المستقبل ، نريد لها كلنا الرفعة والرخاء
والتقدم لنحتل مكاننا الذى كان دائما على مر العصور حتى تعود
مصر دائما كما كانت هى التى تقود المنطقة •

● مكرم محمد أحمد :

تأثرت بسيرة عبد الناصر

وشجاعة السادات

● حينما يكون لديه وقت فراغ يشمر عن ساعديه لمعاونة زوجته
في شغل البيت ..

وعندما سألته عن طبيعة هذا الشغل قال :

« انه يبدأ بفسيل الصحون الى اى شيء تصوره ، وهذا شيء
يشرفنى رغم اننى رجل صارم » .

يقول هذا مجدى رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير
مجلة « المصور » ونقيب الصحفيين الأستاذ مكرم محمد احمد .

وهو يعاون زوجته في عمل البيت لسببين :

أولهما : ان كل من يمارس عملا فكريا عليه أن يريح رأسه
وذهنه لبعض الوقت عن طريق ممارسة أى عمل يدوى يبدأ بفسيل
الصحون وينتهى برعاية شجرة صغيرة .

وممارسة هذه الأعمال البسيطة فى البيت أفضل من ممارستها
مثلا فى بلاد أوروبا من أجل بضعة دولارات يضطر الزوج من أجلها
الى مكابدة العناء تحت ضغط زوجة كثيرة المطالب قد تفكك شمل
الأسرة .

ومما يحمد مكرم محمد احمد ، ربه عليه أن منحه زوجة
اختارها منذ كانت زميلته بقسم الفلسفة بجامعة القاهرة .

وهو يتحدث عنها بحب شديد وتقدير أشد لأنها كانت مقدرة
لكل ظروفه ، فيقول عنها : « كانت مطالبها فى حدود قدراتي ولم

تكن تمثل ضغطا على لأنها تنتمى الى أسرة كريمة وأنا أعتبر أن هذه
نعمة من ربنا » .

ذلك بعكس نوع آخر من النساء كثير المطالب يقول عنه
رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير المصور ونقيب
الصحفيين انك لو استسلمت لهذا الصنف من النساء اللائى لا يعرفن
مطالبهن أين تقف فمن الممكن « تلاقى » نفسك فى طريق مسدود » .

ولأن مكرم محمد أحمد قد تزوج ممن تقدره وتضع لنفسها
حدودا لمطالبها فى حدود قدراته فهو أيضا يقدرها ولا يجد غضاضة
فى مساعدتها فى شغل البيت اذا وجد وقتا لذلك ، ولهذا عندما
سألته :

● ● لمن تهذى زهرة ؟ قال : لزوجتى .

عالم مختلف

ومن الزوجة الى الاولاد : أمل وأمنية .. تزوجتا ، وانتهت
سياتى دوره .

سألت مكرم محمد أحمد : كيف تعامل أبنائك ؟

وأجاب : أعطيتهم قدرا كبيرا جدا من مساحة الحرية
والاستقلال ، وقد صانوهما حقيقة ، وكانوا على مستواهما .

● ● ولكن هل كانت مطالبهم كمطالب مكرم محمد أحمد
حينما كان فى مثل عمر أبنائه ؟

ـ كنت وأنا صغير أدرك حجمى فى البيت ومقدرا لظروف
والدى وقدراته كصاحب دخل محدود ، ولا أستطيع أن أقول لك

اليوم ان ابنك عندما يطلب مطالب فوق طاقتك انه لا يخبك ولا يحترمك ، ولكنه يعيش فى مناخ تسوده قيم استهلاكية وتسوده المحاكاة بعد أن ضمرت قيمة العمل ، وضمرت قيمة الثقافة فهو بالتالى وفقا للقيم المتاحة يريد أن يكون مثل أقرانه • وكون هذا منيتعبنى أكثر أو أقل ، وهو صحيح يفكر فى هذا ويعرفه ؛ ولكن ضئيل أيضا أن عالمه مختلف تماما عن عالمنا •

على الجمال والاقدام

ولا أحد ينكر طبعاً أن عالم جيلنا يختلف كثيراً مثلاً عن جيل مكرم محمد أحمد ، الذى يمثله بحياته التى بدأت فى مكان بين القرية والمدينة •

— فى منوف بمحافظة المنوفية فى يوليو ١٩٣٥ حيث ولد •

— من أسرة متوسطة الحال تتكون من أشقائه الخمسة ، الذى هو أكبرهم ، عدا أختين أكبر منه ، علمهم الأب جميعاً رغم دخله المحدود من عمله كمستول عن إدارة أعمال أسرة الدفراوى ، خاصة فيما يتعلق بمصانع الدخان •

— بدأ علاقته بالصحافة منذ الصف الثالث الابتدائى حينما كان يقرأ لأحد أفراد أسرة الدفراوى ، وكان كفيفاً ، صحيفتين على الأقل يومياً خاصة أخبار الوفيات ليجاهل الناس •

— بعد تخرجه من قسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة ١٩٥٢ •

عمل مكرم محمد أحمد محرراً بقسم الحوادث بصحيفة الأهرام •

وكان ضائق الصدر لاهتماماته الأدبية والثقافية ولذا كان يود العمل بالقسم الثقافى ، غير انه أحب قسم الجريمة الذى عمل

به من ثلاث الى اربع سنوات يعتبرها من أخصب سنوات حياته لأنه رأى المجتمع من خلال الجريمة .

- أول مكافأة حصل عليها كصحفي كانت عن « جريمة في المتحف » ، شكره عليها في خطاب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل دون أن يعرفه ، ورفع مكافأته من ثمانية جنيهات الى ثمانية عشر جنيها .

- ومن قسم الجريمة الى قسم الأخبار ثم الى قسم التحقيقات الصحفية ، وكان أول تحقيق كبير قام به كان عن حقائق صراع « الهوارة والعرب » الذي كشف فيه لأول مرة قصة الناس الذين يقدمون أنفسهم داخل أكفان طلبا للسماحة ، أو الأخذ بالثار ، وحرك هذا التحقيق ، التليفزيون الفرنسى ليتعاقد على تصوير قصة العرب والهوارة .

- ثم عمل مكرم محمد أحمد مراسلا « للأهرام » فى دمشق ، ثم مراسلا حربيا فى الجزائر واليمن ، وجنوب اليمن ، وحرب الصومال والحبشة ، والثورة الاريتريه ، وفى اليمن ركب « الجمال » وسار أكثر الأيام والليالى على قدميه وهو لذلك يعرفها قبيلة .
قبيلة ، وموقعا . وموقعا ، ومدينة . مدينة ، كما يقول .

- آخر مرة عمل فيها مراسلا حربيا كانت فى موقع متقدم فى غزة فى ١٩٦٧ فى الأيام البائسة كما يسميها .

- ثم عمل سكرتيرا لتحرير الأهرام ثم رئيسا لجهاز « الديسك » المركزى ، ثم مديرا لتحرير الأهرام ثم أخيرا رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور ، ثم أخيرا نقيباً للصحفيين .

التغيير ثلاث مرات

وأسأل مكرم محمد أحمد .

● ● هل ندمت مرة على شيء كتبتة ؟

— يقول : لم أندم على شيء كتبتة لسبب بسيط هو أنني لا أستبطن ذاتي جالسا فوق مكتبي ، وإنما أسعى جادا لقراءة الواقع على ضوء التاريخ والرؤية المستقبلية ، وأن أكون صادقا في هذا ، وهذا هو المطلوب من كل كاتب صحفى ، وليس في كل مرة تتوفر هذه العناصر ، لأن الانسسان ينضج بالتجربة وينضج بالزمن ، ولكن أحس أن رؤيتي لم تكن كاملة في هذا الموضوع أو غاب عنى شيء فى ذاك الموضوع ، إنما الندم لا أعتقد .

● ● هل تكتب في ظروف معينة ؟

— الكتابة ترتبط بظروف القلق الذى أكون موجودا فيه ، فعندما كنت فى صحيفة يومية تقع لى جميع توترات عملية الكتابة وتحت ضغوط استعجال المطبعة لى ورقة ورقة ، لكن ربما تكون الكتابة فى مجلة أسبوعية مستريحة ، وأزعم أن الكتابة عندى ليست شيئا سهلا .

● ● هل تغير شيئا بعد أن تكتبه ؟

— أحيانا أغير الكلمة ثلاث مرات حتى لا تخرج من مدلولها الذى أقصده .

رئيس ورشة !

● ● واسأل مكرم محمد أحمد عن علاقته بالصحفيين الذين يعملون معه ؟

- فيقول : علاقتى تقوم على أساس أن ما لدى وأستطيع أن أعطيه لا أبخل به ، وفى نفس الوقت كنت متصورا أن « الورشة » قد انتهت فى الصحافة المصرية ، ولكن مازال على أن أكون رئيس « الورشة » ، وأى شاب صحفى يكتب موضوعا أقوم بتعديل المقدمة أو تقديم عبارة محل أخرى ، أو أعيد لآخر صياغة خبر صغير ، وذلك لكى يتعلم كل واحد كيف يكتب .. من الخبر الى التحقيق الصحفى ، كما أن علاقتى بالمحررين هى علاقة حوار مستمر .

● ● من تعتقد أنه خليفتك من الصحفيين ؟

- لست فى مكانة من يبقى له خليفة ، لأنه يوجد عشرات ومئات الصحفيين الذين « ييزوننا » وسيكونون أحسن منا .

● ● ولكن بوجه عام أليس هناك فرق بين جيل وجيل ؟

- لم يكن مهما بالنسبة لنا على وجه الاطلاق ماذا نرتدى .. أو ماذا نأكل .. أو ما هى الفروق الطبقية بيننا .. بل كان مهما .. كيف نفكر .. وماذا نقرأ .. وماذا نعرف .. وكانت الفروق بيننا تتعلق بالمعرفة والحس ، وكان يكفى لكى أكون سعيدا أن أعب مع رفقة من الأصدقاء ، « الكرة الشراپ » ، وكان يكفى لسعادتى الحصول على درجات متقدمة فى الدراسة لكى أصبح موضع اهتمام الأسرة والشارع والجيران .

● ● إذن كان جيلكم أفضل ؟

- لا يمكن أن أقول هذا بل لكل جيل مميزاته ورؤاه وظروفه ،

وانا أرى أن جيلكم أكثر من الناحية العملية ، وهو بالتالى مؤهل أكثر لتجاوز الصعوبات الضخمة التى تكتنف حياته .

● ● ترى من كان له الفضل عليك ؟

- كل أستاذ كان يدرس لنا فى الجامعة ، مدرسة فى حد ذاته ، وكان د. زكى نجيب محمود من أكثر الناس الذين أثروا على ، وعلى جيلى وأجيال أخرى ، حيث كان يتبنى ما يمكن أن نسميه الحماس الصارم جدا للنظرة العلمية ، وقد غرس فىنا هذه النظرة وأهميتها ، كما عرفنا الامام محمد عبده ، كأحد أئمة التنوير ، من خلال عثمان أمين الذى كان يدرسه لنا ، كما كان خالد محمد خالد يثير اهتمامنا بقضاياها الهامة والحيوية عن الديمقراطية واحترامه للنظام الديمقراطى الغربى الذى كان يعتبره التجسيد الحقيقى للشورى الاسلامية .

● ● ماذا علمك والدك ؟

- تعلمت منه المباشرة والصدق حتى ولو كان على نفسى . وأن أواجه الحقائق بوضوح شديد ، وتكون عندى شجاعة الرأى ، وأعتقد أننى تعلمت من والدى كل ما يمكن أن يكون فى من فضيلة .

● ● أين الفلوس من اهتماماتك ؟

- لم تكن قضية المال بالنسبة لى محور حياة ، ولا مشكلة ، ولا حافزا .

● ● والمسافة بين ما تقول وما تفعل ؟

- دائما تقع المفارقة بين ما تعتقله وما تفعل ، بين ما تعتقد وبين سلوكك ، والفارق بينهما عندى محدود .

طوابير الكف

● ● هل من بين قراءاتك للصحف أبواب الحظ والنجوم ؟

— لا أستطيع أن أمنع نفسى من أن أقرأ الحظ ، وربما يرجع ذلك الى أنه كلما تعقدت الحياة ، تحب النفس هذه الأشياء ، لا تحبها لأنها تثق فيها ، بل لأنها تجد فيها نوعا من الراحة أو الانفراج النفسى .

وأكثر ناس تشتري كتب الطالع والنجوم هم الأمريكان رغم أنهم أكثر المجتمعات رقىا وعلميا وتكنولوجيا ، كذلك فى اليابان عندما تذهب الى شارع « الجينزا » فى طوكيو بعد أن تغلق كل المحلات أبوابها ، تجد اليابانيين واليابانيات يقفون طوابير أمام قراء الكف . فالإنسان يتجه دائما الى الغيب والمستقبل لأنه يحس أنه أصغر من القدر وأصغر من المجهول وأصغر من الغد .

فى لقاء الرئيس

● ● ومن الحظ الى الألوان أيها تفضل ؟

— أفضل الدرجات متفاوتة جدا بين الخضرة المضبنة الفاتحة حتى تغمق وتصل الى الحمرة .

● ● بأي زهرة تشبه الديمقراطية ؟

— الديمقراطية ليست زهرة بل هى بناء وجهد ونضج ، تنمو يوما بعد يوم ، وهى اصرار على موقف .

● ● فى كل لقاءاتك بالرئيس حسنى مبارك ما الذى تجده يتكرر دائما ؟

— شيثان اثنان ، رغبته الشديدة فى أن يفهم الجميع تبعات الديمقراطية ، وصبره العظيم على كل أخطائها .

● ● الشخصية التاريخية التي تعجب بها ؟

— فى كل فترة من فترات الحياة كل منا يعجب ويتأثر بالعديد من الشخصوس ، فمن منا فى الاسلاميات لم يتأثر بعمر ابن الخطاب الذى يقى بداخلنا ووجداننا ، ومن منا لم يتأثر مثلا بسيرة سعد زغلول ، ومن منا لم يتأثر بشكل ما بسيرة عبد الناصر ومن منا لم يعجب بشجاعة السادات عندما أراد أن يواجه مشكلة ما بطريقة ما ، ومن منا لم يتأثر بشخصية السيد أحمد عبد الجواد فى قصص نجيب محفوظ . . فهناك عشرات بل المئات من الشخصيات التي تأثرنا وأعجبنا بها .

● ● ومن يعجبك من الكتاب ؟

— محمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، ومجموعة كبيرة من الأدباء الشبان والكتاب الصحفيين الشبان .

أنا لم من هؤلاء

● ● ومن يكون مكرم محمد أحمد ؟

— أنا صحفي حاول أن يؤدي مهمته بالصورة التي يراها هو كاملة وربما لا تكون كاملة ، ولا أتصور أبدا اننى قادر على أن أصل الى القمر ، وانما لى أهداف صغيرة متتابعة ولكنها على طريق متقدم .

● ● هل هناك سببا صحفيا حزنت لأن رئيس تحرير صحيفة أخرى سبقك به ؟

— لا يوجد .

● ● وفلسفتك فى الحياة ؟

- هى أننى أكثر الناس حماسا للنظرة العلمية التى هى دائما جزء من تفكيرى ويجب أن تكون جزءا من تفكير كل انسان بصرف النظر عن أنه يعمل فى معمل ، أو يمارس العمل الأكاديمى .

● ● وممن تنالم ؟

- من الناس الذين يزيفون الحقيقة أو يجبنون عن مواجهتها .

● ● وردود فعلك لمن ينتقدونك ؟

- عندما يكون انتقادا جادا أو حقيقة تتعلق بفكرة ، سوف أكون على استعداد دائم لأن أقول لمن ينتقدوننى أنهم على حق اذا كانوا على حق ، انما عندما يتعلق الأمر بتزييف ووهم وتلفيق ضلالات صغيرة فاننى أفضل الصمت لأن من حولي يعرفون الحقيقة .

● ● متى تجرى وتلهث ؟

- وراء الحدث .

● ● ما هو أسعد يوم فى حياتك ؟

- حقيقة بلا شك ٦ أكتوبر .

هذا العصر احبه

● ● من يطربك .

فيقول مكرم محمد أحمد :

- كل واحد يحب فترة شبابه ، وكان أحب وأجمل الأشياء
الى ، حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وأنا نائم أو قاعده فى البيت
أقرأ مجلة ، وأستمع الى أغاني عبد الوهاب الطويلة مثل .. عاشق
الروح .. والجنودول .. وغيرهما مما تربى عليه وجدانى .
وأكثر مطربتين أحبهما .. وهما على طرفى نقيض ولا يمتضى
يوم دون أن أسمعهما .. وهما فيروز واسمهان .

● ● لماذا فيروز واسمهان ؟

- فيروز هى الصوت الحالم .. القيثارة التى جسدت لبنان
بداخلها وصهرته من خلال شموخها وغناها الجميل وحسها المرفف
وعالمها الذى يكاد يكون عالم عرائس وأخيلة . كما أن فيروز تعكس
كل صفو السماء .
أما « اسمهان » فهى تجسيد حقيقى بالفعل للحياة فى شحمتها
وفى دمها ، تكاد تعكس كل سخونة الأرض .

● ● من الغناء الى الرياضة هل لك هوايات ؟

- كنت فى الثانوى منضمنا للفريق « الهوكى » ، وكنت ألعب
- البنج بونج - حتى كنت عضوا فى نقابة الصحفيين ، لكن على
الأقل أخلص أن العمل اليدوى مهم جدا لآى واحد يشغل عملا
فكريا ، لذا فأنا حريص جدا . جدا على العمل اليدوى لمدة ثلاث
ساعة على الأقل ، والعمل اليدوى يبدأ بغسل الصحون وينتهى بأن
ترعى شجرة صغيرة .

● ● ما العصر الذى تحب أن تعيش فيه ؟

- لا أحب أن أعيش عصرا غير عصرنا هذا لأنه عصر مناهج
العلم والرؤية واكتمال المعرفة وتشعبها ، مما لم يكن موجودا من
قبل .

● ● وهل يمكن أن تفقد الكلمة المكتوبة جاذبيتها أمام

الفيديو بعد التليفزيون وما قبله يستجد ؟

- انهم يقرأون جريدة اخبارية على شاشة التليفزيون في أوروبا ، وفيه قنوات فقط للأخبار طول النهار ، لكن سيظل القلب المقروء له أهميته الكبيرة ، وستبقى العلاقة بين الكاتب والقارئ ، والمحلل والقارئ ، لأن اضافة الحدث وجوانبه عمل يحتاج الى الكلمة والتعليق .

هذه أشياء تسعدني

● ● وأسأله :

● ● هل ترى أن الحياة الشخصية للشخصية العامة شيء

يخصصها فقط ؟

ويجب :

- ما دمت قررت أن تكون جزءا من العالم العام ، تصبح مسئولاً عن حياتك الخاصة في القول والمسلك ، وبالتالي فالحدود الواسعة بين العام والخاص غير موجودة ولا ينبغي أن تكون موجودة .

● ● ومن هو صديقك ؟

- الذي عندما أحججه أجده

● ● ولماذا نراك نادر الابتسامة ؟ هل ذلك من سمات

رئيس مجلس الإدارة ؟

ويقول :

— عندما يكون هناك داع للابتسام ابتسم ، عندما أقرأ مقالا
جيذا لصحفي شاب ابتسم اعجابا ، عندما أكون بصحبة أصدقاء
عندما أسمع نكتة .

● ● واخيرا اسأل : لمن تفتح بابك ؟

فيقول مكرم محمد أحمد :

— أفتح بابي دائما لكل من معه خبر جديد أو تحقيق جيد .
وأظنك جربت .

فقلت : نعم بالتأكيد .

● سعد زغلول فؤاد :

قال لي الرئيس مبارك

• قال للرئيس حسنى مبارك عندما قابله :

طوال عمرى وأنا فى العمل السياسى لكننى منذ أن سجنحت لأول مرة عام ١٩٤١ وحتى اليوم وأنا معارض لكل الحكام واطش لكل الحكومات .. واليوم ولأول مرة فى حياتى أكون مؤيدا لك .. وهؤمنا بك .. لقد مكثت ١٣ سنة بعيدا عن مصر أعانى مرارة الاغتراب والحرمان من الوطن وأنا الذى فى سبيل حرية هذا الوطن بذلت الكثير من الدم والعرق ، واعتصرت المعتقلات والسجون كل شهابى ورحيق عمرى ، فكم كان مؤلما أن أجدنى محروما حتى من زيارة وطنى واليوم وعلى يديك عدت الى بلدى .

فقال الرئيس : طبعاً تعود الى بلدك ، مصر مفتوحة أبوابها لكل عربى .

قال المواطن المصرى للرئيس : حقيقة أول ما توليتم الحكم عارضتكم واستهزئت فى معارضتكم اى اننى ظلمت معارضا واطشا مثلما كنت مع الحكام السابقين .

قال الرئيس مبارك : خليك معارض أنا مزعلش من المعارضة ، اليوم فى مصر المعارضة من مقومات الدولة .

ويضيف المواطن المصرى الهارب الى باريس عبر سنوات طويلة ماضية :

لقد وجدت فى الرئيس حسنى مبارك النموذج للحاكم المصرى الذى ظلمت أبحث عنه طوال السنوات الأربعين الماضية .

هذا الحوار حدث بين الرئيس مبارك وبين المناضل المصرى

القديم الذى يعيش فى باريس صحفيا يكتب فى مجلة كل العرب .
انه سعد زغلول فؤاد الذى استطاع لأول مرة فى عهد الرئيس
مبارك أن يأتى الى مصر آمنا مطمئنا ، ومعه دار حوار طويل . بدأ
بنشاطه الوطنى منذ أن كان طالبا فى كلية الحقوق فى الأربعينات
حيث كان الاحتلال البريطانى لا يزال جائما فوق الصدور ، وفى
مظاهرة تضم حوالى أربعين ألف طالب وقف بينهم سعد زغلول
فؤاد خطيبا ، موجها اندازا الى دولة الاحتلال بالجلاء والا فعلى
بريطانيا أن تتحمل ما سوف يسيل من دماء ، وهتف : تحيا
الثورة . الثورة يا مصر الثورة ، وطافت المظاهرة كليات جامعة فؤاد
الأول « سابقا » - القاهرة الآن - مرددة هذا الهتاف .

يقول سعد زغلول فؤاد « مستعيدا ذكريات هذه الأيام من
شهر نوفمبر ١٩٤٥ » كان معى زميلى المرحوم مصطفى موسى رئيس
الطلبة الوفدين ، وبعد هذه المظاهرة صدر قرار مجلس الجامعة
برئاسة على ابراهيم باشا بفصلى وزميلي نهائيا من الجامعة ، فرد
الطلبة بالاضراب احتجاجا على هذا الفصل ، فدعا محمد حسين هيكل
باشا رئيس مجلس الشيوخ الى اجتماع حضره مندوبون عن الطلبة
يعرض فيه عودتى وزميلي الى الجامعة والغاء قرار الفصل بشرط
تقديم اعتذار ينشر فى الصحف ، فرفضنا هذا الشرط وأصدرنا بيانا
نشر فى صحيفة « البلاغ » نقول فيه « لن ندنس أيدينا باعتذار » .

جمعية سرية فى المستشفى

وبعد الفصل من الجامعة ورفض الاعتذار للعودة قدم سعد

زغلول فؤاد أوراقه الى الجامعة الأمريكية بنفسه الصحافة ، وفي المساء يدرس في «الحقوق» اللغة الفرنسية ، ولكن في العام التالي وبالتحديد في ٢١ فبراير ٤٦ تلاحقت الأحداث ، يقول سعد « في هذا اليوم الذي كان يسمى يوم الجلاء قامت مظاهرة أسقط فيها الانجليز برصاصهم أكثر من عشرين شهيدا بميدان التحرير ، وكنت أحد الذين يساعدون في نقل الجرحى الى أن أصبت أنا الآخر مع من كنت أنقلهم من الجرحى الى المستشفى ، وفيها كُتبت وزملائي بجميلة سرية لاغتيال جنود الاحتلال الانجليزى ، فقلد أقمسنا الا هتافات ولا مظاهرات وانما ستقاوم السلاح بالسلاح ، قنابل نلقها على تجمعات جنود الاحتلال »

أما كيف تحصل هذه الجمعية السرية المكونة من طلبة الحقوق على القنابل ؟ يقول سعد زغلول فؤاد « كنا نحصل على القنابل بواسطة أحد العمال المصريين بمعسكر الانجليز بالغباسية ، كما كان الضابط مجدى حسنين يحصل لنا على القنابل بسرقتها من الجيش الانجليزى » .

ولكن هل كانوا يضربون غير الانجليز ممن يتعاونون معهم ؟

يقول محدثى « لم تكن تضرب غير العسكريين من الانجليز ، وقد حاولت معنا بعض الأحزاب أن تقوم باغتيال بعض الأسماء المضرة العملية ، ولكننا رفضنا أن نقتل مدنيا واحدا ولو كان خائنا » .

وأذكر - يضيف سعد زغلول فؤاد - انه في يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ ذكرى ضرب الانجليز للاسكندرية ، وقفت على توبرى قصر النيل من ناحية ميدان التحرير خلف تمثال الأسد حيث كان موجودا في هذه المنطقة فندق سميراميس مقر قيادة الانجليز ومعسكراتهم ، وعندما نزعتم مسمار الأمان وهمت بقذف القنبلة

من خلف تمثال الأسد بكوبرى قصر النيل ، على ثلاثة جنود انجليز ، لاحظت على رصيف آخر مصرية معمما ، فتراجعت عن القاء القنبلة ، وضغطت على مسبارها خشية اصابة هذا المواطن المصرى ، مفضلا لو حدث وانفجرت القنبلة ان تنفجر فى ولا يصاب بها برى ، وفوجئت بزميلين كانا فى حمايتي هما صلاح محمود صالح ، وعباس حسن . . يقتربان منى ويسألانى .

لماذا لم تلقى بالقنبلة ، فقلت ايتعنوا قبل ان تنفجر ، وحينما شاهدت سبعة من الجنود الانجليز القيت بالقنبلة عليهم .

وهنا يجب ان نتوقف ونقارن بين هذا الموقف ، وبعض من يحملون مدافعهم يطلقونها فيصيبون الأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جريرة ، سوى أنه يتصادف مروهم فى الوقت الذى يطلق فيه حملة رصاص الارهاب طلقاتهم على هدف حاكمه غايايا ، وحكموا عليه بالاعدام حتى ولو كان هذا الهدف لا يختلف معهم سوى بالكلمة يملكها ، فراق بين الكفاح الوطنى وبين الارهاب ، ولنتذكر مع ضيفنا سبعة زغلول فؤاد وزملائه الطلبة كيف كانوا لا يمارسون الارهاب ضد مواطن مدنى حتى لو كان بخائبا عميلا .

رئيس محكمة شجاع

يقول محمدي « فى يوم عيد جلوس الملك فى ٦ مايو ١٩٤٧ قررنا أن نحدث أكبر عدد ممكن من الانفجارات فى القاهرة حتى نطفىء أنوار الأفراح المصطنعة بعيد الجلوس ، فالقيت وزملائي قنابل على دار وزارة الأغذية الانجليزية ، ومبنى الاستعلامات الانجليزية ، وكنا حريصين الا تحدث هذه الانفجارات الا بعد خروج الموظفين بحيث تخلو هذه الأبنية تماما بحيث لا يصاب أحد ، ولكن حدث ما لم نتوقعه ، فقد انفجرت قنبلة فى سينما « مترو » وأصيب

مصريون ، وانتابنا الفزع فمن الذىلقى هذه القنبلة وأصاب
المدنيين ؟ لقد كنت قد كلفت « كودت » الألماني ، وكان أسيرا
هاربا ضمنناه الى جمعيتنا السرية ، كلفته والمرحوم كمال يعقوب
يضرِب السفارة الانجليزية ولكنهما لم ينجحا لشدة الحراسة على
السفارة فظننت أنهما فجرا بدلا منها سينما مترو ، وتمت محاكمتهما
وثبتت براءتهما ، واتضح أن الذىلقى القنبلة على السينما هو
عملاء الصهيونية فى مصر .

يستكمل سعد زغلول فؤاد ذكرياته فيقول :

بعد نجاح هذه الانفجارات فى منشآت انجليزية اختفيت
هاربا ، فتم رصد عشرة آلاف جنيه - بأسعار ذلك الزمان ١٩٤٧
تعتبر ثروة ضخمة - لمن يرشد عنى ، ونشر اعلان بذلك فى الاذاعة
والصحف وظل ذلك الاعلان يتردد يوميا الى أن تم القبض على
بعد ذلك ، بواسطة أحد العملاء ، ولكنه لم ينل سوى عشرة
جنيهات فقط ، ونال العشرة آلاف جنيه « ألماني »
كان المسئول عن توريد أسرى الألمان الذين كنا نضم
بعضهم الى جمعيتنا ، فكان أول المرشدين عنى ، وظلت محاكمتى
وزملائى سنتين ، وكانت محاكمة وطنية ترافع فيها ثلاثة وثلاثون
محاميا كان على رأسهم مكرم عبيد باشا الذى وقف يترافع ببلاغته
المعروفة قائلا : « اذا كنا لا نعاقب اذا أطلقت الأعمرة النارية فى
الأفراح ابتهاجا . فكيف نعاقب عليها اذا ما أطلقت احتجاجا »
وترافع المحامون الآخرون متحدثون عن جرائم بريطانيا ضد الشعب
المصرى وانتهت المحاكمة بالسجن مع الأشغال الشاقة ، ثم خففت
الى حدها الأدنى بالحبس سنتين ، وكنت وزملائى قد قضينا ثلاث
سنوات ، فأفرج عنا ، وصرح رئيس المحكمة حسن بسيونى للصحف

يقوله « لو استطعت أن أحكم بالبراة لحكمت بالبراة » وقال في الحيشيات « ... واستفزتهم اعتداءات جنود الاحتلال على المواطنين المصريين ، ومع صغر سنهم أساءوا اختيار الوسيلة » .

دون تفتيش

ومن مرحلة الجهاد بالقنبلة انتقل الكفاح بالكلمة ولكن كان لابد من العودة للقنبلة مرة أخرى أمام محتل لم يعد في الامكان ازاحته الا بالقوة .

يستمر محدثي سعد زغلول فؤاد متذكرا فترة من التاريخ ، فيقول « بعدما خرجت من السجن عملت بالصحافة في جريدة « الجهورى المصرى » واستخدمت الكلمة كوسيلة للمقاومة فكشفت أوكار الاحتلال وعملائهم .. وحملت على البوليس السياسى ، وظللت هكذا الى أن ألغيت معاهدة ١٩٣٦ ، وبدأ الكفاح في منطقة القناة ، فتطوعت في فرق الفدائيين في التل الكبير قائدا لكتيبة خالد بن الوليد التي كان المتطوعون فيها من طلبة جامعة القاهرة والاسكندرية ، وكان القائد المباشر لى وجيه أباطه ..

وكانت قيادة قوات الفدائيين تتكون من مجموعة من القيادات الوطنية من مختلف الفئات ، أذكر أنها كانت تضم احسان عبد القدوس ، وأحمد أبو الفتوح ، وجمال عزام ، وعبد الوهاب حسنى ، المحامى ، ومدحت عاصم الذى كان يشتمز فلامحه التى يتوه فيها الانجليز فكان يأتى لنا عبر ممرات التفتيش يرتدى جاكته قطيفة خضراء ، وقبعة قطيفة خضراء أيضا كان يرفعها لتحية الانجليز عبر ممرات التفتيش فيخسبونه وإحدا منهم فيسبحون له بالمرور دون تفتيش رغم انه كان يحمل السلاح لنا !

٤٩٢

احتجاجات دبلوماسية بسببي

وتقوم الثورة ويمضى الانجليز حاملين عصاهم يرحلون ، ولما كانت الديمقراطية لا تبدو بوادرها فقد كان محدثي واحدا ممن اعتقلوا لمطالبتهم بالحرية والديموقراطية وأفرج عنه فى ١٩٥٦ وفى يوم جلاء جنود الاحتلال بعد فشل العدوان الثلاثي يحكى سعاد زغلول فؤاد ماذا فعل فى ذلك اليوم وماذا فعل به بعد ذلك .

كنت مندوبا لمجلة روزاليوسف الى بورسعيد لتغطية انسحاب قوات العدوان الثلاثي ، وأردت استطلاع رأى القنصل الانجليزي والقنصل الأمريكي فأغضبوني وأغضبتهم ، وذهبت الى القنصلية السوفيتية فاعترضني أحد المخابرات المصريين .

ورأى القنصل الروسى المشهد ، وكانت نتيجة ما حدث ثلاثة احتجاجات ، من القنصلية الانجليزية والأمريكية ، والروسية التى احتجت على وجود حارس مصرى منعى من الدخول ، وكان لتلك الحادثة أثر فيما بعد عندما أصدر خالد محيى الدين جريدة المساء فعيننى محررا فيها ، ولكن زكريا محيى الدين اعترض على تعيينى أنا وثلاثة آخرون هم لطفى الحولى ، محمود عبد المنعم مراد ، على الشلقانى ، وكان اعتراض زكريا محيى الدين بالنسبة لى على أساس اننى أثرت مشاكل دبلوماسية أثناء عملى الصحفى ، فعملت بالقطعة ، وكتبت مقالا بعنوان « مؤامرات ضد الشعب المصرى » .

فى البلاد العربية

ولم يجد محدثي بدا من السير خارج الحدود إلى الجزائر

مندوبا عن مجلة « روزاليوسف » لتغطية ثورة الشعب الجزائري ، ولكن سعد زغلول فؤاد منع من السفر فذهب للدكتور عبد القادر حاتم رئيس هيئة الاستعلامات يستفسر منه عن سبب منعه من السفر فأخبره بأن ذلك بناء على تعليمات من جهات الأمن ، فقرر أن يغادر البلاد هاربا عبر الحدود الى بنغازي فشارك في مظاهرات هناك ضد الاحتلال الايطالي ، ثم ذهب الى طرابلس ومنها الى الجزائر بمساعدة جمعية المختار ، وجيش التحرير ، ومن الجزائر وافى مجلة « روزاليوسف » و « صباح الخير » ، واذاعة صوت العرب ، بربورتاجات عن ثورة الجزائر ، وتابع سعد زغلول فؤاد تنقله من بلد عربي الى آخر ، بقول « اعتقلت في المغرب لمدة أربعة شهور على يد سفاح العصر » بوفقي « بسبب مقال كتبتة ضد الحرب التي شنها ضد الجزائر ، وفي بغداد خطف جنود عبد الكريم قاسم كاميراتي وشجوا رأسي بكعوب بنادقهم انتقاما مني بسبب ما كنت أبعثه من أخبار وربورتاجات عن أعمال عبد الكريم قاسم في العراق ، وقام عبد المجيد فريد الملقق العسكري المصري بالعراق بتهريبى الى الكويت ، واتهمت هناك بالشيوعية وحُبست حتى وصل أمرى الى أحمد بناء الدين رئيس تحرير « صباح الخير » وأجرى اتصالاته التي انتهت بالافراج عني ، وسفرى الى سوريا .

هذا هو الحاكم الحقيقي

وظل سعد زغلول فؤاد مطاردا ومعارضاً سياسة كل العهود من عبد عبد الناصر الى السادات الى بدايات عهد الرئيس حسنى مبارك حتى وجد فيه الحاكم المصرى الحقيقى .

يقول « لقد وجدت فيه مصرى حقيقيا ينبض بالوطنية وبالحرية

وأود أن أشارك بقلمى فى مسيرة الديمقراطية التى تعيشها مصر ،
وعندما سمح لى الرئيس مبارك بالعودة وجدت شقتى قد اغتصبت
خلال غيابى عن مصر ولكنى سأعود فالحياة على الرصيف فى ظل
مناخ الحرية والديمقراطية أفضل مليون مرة من الحياة فى قصر
فى أمة مستعبدة » .

● د . عاطف العراقي :

مساحة الخرافة أكبر من مساحة العقل

•• أزعجني مدني بتحليلاته وتفسيراته واجاباته على أسئلتى ••
فهو يرى انه لا يوجد عندنا اديبة واحدة حقيقية رغم شهرة بعضهن
على مستوى الوطن العربي ، وهو يرى أن الغزو الثقافي ينبغي أن
نرحب به لا أن نطلق صيحات النفي والتحذير منه ، وقال ان أمريكا
على قوتها وتقدمها أكثر تغلغا من فرنسا وانجلترا ، ومن رايه ان
جائزة نوبل لا يوجد عربي تنطبق عليه شروطها الموضوعية كما يقول ،
وان انتاج ادبائنا في هبوط وليس في صعود ، ويسمى الشعر الحر
« الشعر السايب » ، ويؤكد ان مصر يمكن أن تعود لمجدها لو تم وضع
كبار ادبائنا ومفكرينا على رأس الصحافة المصرية ، وأكثر من موضوع
طرقناه مع د. عاطف العراقي استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة وخبر
الفلسفة بمجمع اللغة العربية وصاحب أكثر من عشرين كتابا منها
الترجمة العقلية في فلسفة ابن رشد ، الفلسفة الطبيعية
عند ابن سينا ، مذاهب فلاسفة المشرق ، تجديد في المذاهب
الفلسفية ، الميتافيزيقا في فلسفة ابن طفيل التي حصل بها على جائزة
الدولة التشجيعية ، وهو عضو لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى
للثقافة وعضو لجنة ابن رشد ، واتحاد الكتاب وهو صاحب فكر عقلي
نقدى ينشره في الصحف المصرية والعربية ، ولذلك كان الحوار ساخنا •

•• وبدايته بسؤالى الأول عن رأيه فيما يقال بان دراسة
الفلسفة قد تؤدي بصاحبها الى الاخاد ؟ •

فقال د. عاطف العراقي : ليس ذلك بالضرورة لأن ميزة
الفلسفة في جانبها العقلي النقدي ألا يكون الانسان امعة ولذلك
تقترن الفلسفة بالعقل مع حب العلم ، لهذا فأنا لا أسلم بكل شيء
حتى لو اجتمع على الموافقة عليه كل الناس ، ولذلك أنا أتعجب مثلاً

ممن يهاجمون الحضارة الغربية ويستفيدون بشمارها ، وأعجب لمن يخافون تلك الحضارة فهل نحن محتلون لنخاف ، فبدلاً من أن نخاف قوة الحضارة الغربية علينا أن نكون أقوياء لأنه ليس مطلوباً من القوي أن يضعف ولكن مطلوب من الضعيف أن يقوى ، كذلك يقلقني المتهافتون على ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية رغم أنها متغيرة والقرآن ثابت .

● ● ولكن لا يوجد تناقض بين العلم والدين ، فإذا كان العلم قائماً على العقل فإن الدين أيضاً يدعو إلى استعمال العقل ويحث على طلب العلم ولو في الصين وطلب العلم من المهد إلى اللحد والعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟ .

— هذا صحيح فالدين يدعو الإنسان إلى التأمل والبحث العلمي في الكون والإنسان ، ولكن من الخطر أن نحاول المطابقة بين النظريات العلمية والآيات القرآنية لأن هناك الجديد الذي يغير هذه النظريات .

● ● ألا ترى أن الحضارة الإسلامية التي قامت بفضل الدين هي التي كان لها الفضل في وضع أقدام أوروبا على عتبات النهضة ؟

— لا أحد ينكر ذلك فقد استفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية ولم نستفد نحن ، فبعد العصر العباسي حدث نوع من الانهيار الفكري وسادت الجرافات في حين أن أوروبا قدست المنهج العلمي ، ويكفي دليلاً على هذا أن العالم العربي يعتز بالغازي وابن تيمية رغم أنهما نموذجان غير عقلانيين ، بينما اختارت أوروبا ابن رشد كنموذج لأنه فيلسوف عقلي بالإضافة إلى أنه طبيب أيضاً .

● ● نريد تفصيلاً أكثر لآراءات التخلف عندنا ؟

— أولاً غياب القدوة فلم يعد المثل الأعلى نماذج اجتهدت

وصنعت نفسها بعصاميته كطه حسين ، ولكن أصبح المثل هو
لاعب الكرة والفنانون والراقصات والوصوليون •

أيضا وقوفنا عند التراث وتقديسنا له وكان ينبغي أن نأخذ
منه ما يفيدنا ونضيف اليه تطورات العصر فلا يتحكم فينا التراث.
ولكن نحن الذين يجب أن نتحكم فيه •

كذلك اسرافنا في التفكير المحلى ، لهذا لم يحصل أديب عربى
على جائزة نوبل (*) •

● ● فقطاعت د • عاطف العراقي قبل أن يكمل عرض داءات
تخلفنا - ولكن جائزة نوبل ليست موضوعية وتدخل فيها عوامل
سياسية ؟ •

- لقد درست كل ما يتعلق بهذه الجائزة وتأكد لى أنها
موضوعية الى أقصى درجة ، فاذا لم يحصل عليها أديب عربى
فالعيب فينا وليس فى من يمنحونها ، لأنه لو واحد حصل على جائزة
فى الثانوية ولم يقبل فى معهد رياضى فذلك لأنه ليس رياضيا
وان كان متفوقا دراسيا ، فشروط الجائزة لا تنطبق علينا ، ومن
الشروط أن يكون انتاج الأديب فى صعود وليس فى هبوط حين
ترشيحه للجائزة ، ولو طبقت هذا على أدبائنا لوجدت أن انتاجهم
فى هبوط فليس الحكيم أو نجيب محفوظ أو يوسف ادريس فى
انتاجهم الآن كانتاجهم زمان ، كذلك الجيل الجديد من الأدباء يكتبون
وعيونهم تجارية على شبك المسرح والسينما ومسلسلات
التلفزيون •

(*) كان ذلك قبل حصول نجيب محفوظ على الجائزة •

لو حدث هذا

لعاد مجد مصر

ويضيف د. عاطف العراقي مكملا تشخيصه لداءات تخلفنا -
 سببا آخر لتخلفنا هو الهجوم على العلم والعقل ، ومثل ذلك شائع
 في مصر بطريقة مستهجنة ، فهناك الخوف من الغزو الثقافي ، وأنا
 لا أصدق وجود ذلك الغزو ، فالعصر العباسي مثلا كان مفتوحا لكل
 التيارات واستفاد منها واستفادت الحضارة العالمية منه ، وإذا أنا
 قارنت ذلك العصر بعصرنا فأجد مضحكات مبكيات ، فحين نسمع عن
 شاب قتل أمه وأباه ويجدون في مكتبته بعض الكتب عن الفلسفة
 الوجودية فيقال انها السبب الذي دفعه لاغتيال والديه ، فأننى
 لا أملك الا الحزن لهذا التفكير السطحي لأنه لم يوجد فيلسوف
 « وجودى » قتل أباه أو أمه ، وحينما كتبت مقالا في حينه لتوضيح
 وجهة النظر الأخرى ، لم ينشر المقال ، وهذه مشكلة أخرى من
 مشاكلنا وهى أنه لا يتاح للرأى الآخر فى القضية الواحدة أن يدلى
 برأيه ولا يسود سوى أصحاب الصوت العالى .

كذلك اذا نظرت لوسائل النشر تجد أن نصيب الخرافة فيها
 أكثر بكثير من نصيب العقل ، كذلك تجد بعض المتحدثين الدينيين
 ينمون اللامعقول فى الرهوس ، لذلك أنا أرى أنه لو أصبح على
 رهوس أجهزتنا الاعلامية مفكرون كبار لانصلحت أحوالنا ، وعلى
 سبيل المثال لو كنا جعلنا توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ونجيب
 محفوظ ويحيى حقى رؤساء لتحرير صحفنا لتغيرت مصر .

● ● ولكن هذه القيم الفكرية فى اعتقادى لن يوافقوا على
 اقتراحك ؟

- رفضهم سيكون نوعا من الاحباط حزنا على المأساة الفكرية

غنى مصر ، لكن لو أعطيتهم كل الإمكانيات وكل واحد عنده رايه
يقوله لأصبح حالنا غير الحال ولعادت مصر للشباب مجددا .

❶ ❷ وأنت عضو في لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى
للثقافة . . لماذا لم تفعلوا شيئا ؟

— لجنة الفلسفة والاجتماع لا تملك الأموال التي تجعلها
تتحرك ، والمجلس الأعلى للثقافة لا يمكن أن يؤدي عمله الا اذا كان
هيئة مستقلة ماليا . ولكن ما المانع الآن لأن يكون جزء من ميزانية
الثقافة للمجلس الأعلى ؟ اننا نبحث عن خمسة جنيهات مكافأة
للأعضاء فلا نجد ، وهناك كتب أصدرها المجلس الأعلى للثقافة
منها كتاب عن أستاذ الجيل « لطفى السيد » لم يصدر وله أربع
سنوات بل لا توجد مجلة فلسفية واحدة في مصر .

❸ ❹ مع كل احترامنا للفلسفة يادكتور فمن يقرأ غير فلسفة
الحياة وواقعها الصعب حيث لا يعنى المواطن غير البحث عن لقمة
العيش ؟

— من الذى قال ان الفلسفة بعيدة عن نبض الجماهير ، والدليل
عن نفسى — متواضعا — لا توجد مشكلة ثقافية أو فكرية في مصر
الا وتكلمت فيها من قضايا الفن الى قضايا تنظيم النسل ، فالمثقف
لا يقف عند تخصصه بل يتجاوزه الى ما يهم المجتمع .

لماذا لا توجد

امراة فيلسوفة ؟

❺ ❻ رغم تقدم مصر القديمة فلم نثر فيها على
فيلسوف . . لماذا ؟

بسبب الكهنة لأنهم كانوا قيذا على كل فكر حر ، فلا يهمهم
الا التفسير الضيق للدين ، وعندما ظهرت جذور فلسفية عنده
« اخناتون » ، عن التوحيد ، حاربه الكهنة وقضوا على دعوته .

❶ ❷ مصر الآن والعالم العربي يرى د. زكي نجيب محمود
انه لا يوجد فيها فيلسوف واحد .. فما رأيك ؟ .

لقد انقطع وجود الفلاسفة في العالم العربي منذ وفاة
ابن رشد في ١٠ ديسمبر ١١٩٨ م ، والسبب في عدم وجود
فيلسوف عربي هو سيطرة الفكر المتزمت ، فكل من يقول برأى فيه
جرأة يقومون بتكفيره ، فوجود الفيلسوف مرتبط بالمجتمع
الحضاري ، فبينما غرنا صعد الى القمر ، مازلنا نحن نبحث في
قضية الأصالة والمعاصرة ، بل انه لا توجد لدينا شخصية في أي
شيء ، انظر الى الشارع المصرى حتى فى الأزياء تجد تشكيلة ..
فهذا يرتدى جلبابا ، وذاك يرتدى بدلة ، وثالث يرتدى عباءة ، هذا
عائى الرأس ، وذاك يلبس طاقية ، فحتى الأزياء لا توجد لنا
شخصية أو زى وطنى لتمييز به ، فكيف يمكن أن يوجد فيلسوف ،
لقد أصبحنا أصحاب توكيلات فكرية مستوردة فهذا يعبر عن
الوجودية ، وثان يعبر عن الماركسية ، وثالث يعبر عن الرأسمالية ،
وهكذا: .

أيضا تجد أن أصحاب الثروات لا يشجعون الا الفكر الرجعي
مثل « العملة » الذى يحكم قرية لا يهمه أن يتعلم أحد فيها لأن ذلك
سوف يفتح العيون على انتقاده مما يهدد حكمه ونفوذه .

❶ ❷ ولماذا لا توجد امرأة فيلسوفة ؟ .

١- المرأة لا صلة لها بالفلسفة لغلبة الناحية العاطفية عليها
لأن من المفروض فيمن يتعامل مع الفلسفة أن يكون عقلانيا

موضوعيا ، بل حتى في مجال الأدب الصادق لا تنتج المرأة لأن المرأة ذاتية فلا ينتظر منها على مستوى العالم كله أن تنتج أدبا عالميا يتجاوز الذات .

● ● ولكن هناك فلانة ، وفلانة ، وفلانة من الأدبيات
القديرات ؟ .

– انها الدعاية التي صنعت من تحدثت عنهن ، فكل أعمالهن الأدبية ان لم يكن كلها لا تساوى شيئا ، ولكن الدعاية المكثفة هي التي تجعل من أعمال من تسميهن أدبيات ، قيمة من أثر الضجيج ، ولكن في المنظور النقدي الصحيح تجد أعمالهن في غاية ٠٠ و ٠٠ .

ولذلك فلا توجد عندنا امرأة أدبية ولا يوجد عندنا امرأة ينتظر أن تكون بارعة في الفكر العقلي ، أقول ذلك رغم اعتزازي بالمرأة .

أسلحة الخرافة

● ● نتجاوز حدودنا الى الحدود الدولية كيف ترى مستقبل
تقدم أوروبا وأمريكا أمام غياب الأخلاق هناك ؟ .

– الفرق بين الحضارة والمدنية أن الحضارة لها أساس أخلاقي ، ولكن المدنية ليس بالضرورة أن تقوم على أساس أخلاقي ، فمن الممكن لفنان أن لا يعرف كيف يكتب اسمه ، وسلوكه وعلاقاته متخلفة ومع ذلك يركب سيارة على أحدث طراز ، فهو عند ذلك انسان متمدن ، ولكن سلوكه متخلف فلا يكون متحضرا ، ولذلك تجد أن أمريكا « مدنية » أكثر منها « متحضرة » ، بالمقارنة مثلا بفرنسا وانجلترا اللتين هما أكثر حضارة منها ، لذلك فأمريكا متخلفة حضاريا بالنسبة لفرنسا وانجلترا ، لأنه في زحمة الاختراعات

المدنية نسيت أمريكا البعد الانساني والجانب الخلقى ، فأصبحت
القوة المادية لديها هي المقياس والمعيار ، لذلك لا تجد فيها لا آداب
ولا فنون واذا وجدت فهي مذاهب أدبية تكون فيها عالية على العلماء
المهاجرين اليها ، بعكس إنجلترا وفرنسا اللتين تزدهر فيهما
الآداب والفنون وتخرج منهما مذاهب عالمية :

❶ ❷ ما رأى الفلسفة في قضية الفن للفن أو الفن للحياة ؟

— أنا من أنصار الفن للفن لأن للفن قواعد لا يصح أن أحطمها
عن طريق ربط الفن بالمجتمع ، لذلك فما نسمعه من أغان في
مناسبات وطنية هي أغان استهلاكية ضعيفة فنيا ، ولذلك تموت
بمجرد ولادتها ، وكذلك الشعر كفن من الفنون لابد أن يلتزم بالوزن
والقافية فاذا أخرج عن قواعده لم يعد فنا ولذلك فالشعر المسمى
« بالحر » اسميه أنا « الشعر السايب » ، ولهذا فأغلب شعرائنا
المعاصرين الآن غير جديرين بلقب « شاعر » .

❶ ❷ وأسأل د. عاطف العراقي : هل تجد صدى لآرائك التي تنشرها في مصر والعالم العربي ؟ .

— يقول أستاذ الفلسفة : لا يوجد صدى لأن للخرافة أسلحة
أكثر ، ولو استعرضت خريطة العالم العربي تجد مساحة الخرافة
أكبر من مساحة العقل ، وكلما تقدم العقل خطوة ، تصدت له الخرافة
لتؤخره خطوات الى الوراء .

ولذلك أرى أن التقدير لما أنجزه من آراء قد يأتي مستقبلا .

د + محمود عودة :



ورأى علم الاجتماع فيما حدث
للمجتمع المصري

● لا شك أن كل ما طرأ على المجتمع المصري .. هي تغيرات مؤقتة ، وليست ظواهر دائمة لأن طبيعة الشخصية المصرية لا تقبل أى قيم هابطة كما دلت على ذلك تجارب الفزو الأجنبي عبر التاريخ المصرى الطويل ، وهذا ما يطمئنا على الشخصية المصرية في ظل التحولات الاجتماعية الحالية ، التى تبدو أشبه بالنار التى تصهر مجتمعنا فتذيب الحُبث والشوائب والدخيل علينا ، وتبقى على الجيد الأصيل من شخصيتنا .

وحتى نعرف أين نحن الآن ، علينا أن نشخص أدواء المرحلة التى نعيشها ، لنكون على بصيرة ووعى ونحن نضع قائمة العلاج المطلوبة ،

● ● فما أهم هذه المتغيرات التى حدثت فى مجتمعنا خاصة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ؟

يحدثنا الدكتور محمود عودة أستاذ علم الاجتماع ورئيس قسم الاجتماع بجامعة عين شمس ، فيقول :

نستطيع أن نقول أن ثمة تغيرات كبرى قد حدثت فى المجتمع المصرى خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة ، وهى تغيرات بحكم عمقها وجذريتها وشمولها لكافة الأصعدة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والفكرية ، يمكن أن نصفها بأنها تحول اجتماعى بالمفهوم الدقيق للكلمة ،

بين ٦٧ و ٧٣

● ● هل انعكست هذه التغيرات على الشخصية المصرية ؟

— لقد شملت التغيرات التي جرت الى الدرجة التي انعكست فيها على سمات وخصائص الشخصية المصرية التي كان من المعتقد أنها تتمتع بدرجة عالية من الثبات والاستمرار النسبيين .
كالارتباط بالأرض والوطن ، وغير ذلك من السمات والخصائص .

● ● متى بدأت هذه التغيرات ؟

— الحقيقة أن هذه التغيرات قد بدأت في الاتجاه الذي اتخذته فيما بعد ، اثر هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهي الهزيمة التي ضربت في الصميم ، المشروع القومي الذي قاده جمال عبد الناصر في الستينات ، اقتصاديا وسياسيا .

● ● ومتى تبلورت ؟

أخذت هذه التغيرات تتبلور فيما عرف بسياسة الانفتاح الاقتصادي ، التي تبنتها الدولة رسميا ، كأيدولوجيا سياسية واقتصادية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

● ● ولكن الانفتاح كان له غاية طموح في بداية الأمر ؟

— هذا صحيح ، فقد تمثلت سياسة الانفتاح الاقتصادي .
— نظريا — في بداية الأمر ، في اتاحة الفرصة أمام تعددية النشاط الاقتصادية وتشجيع الاستثمارات الخاصة ، وجذب رأس المال العربي والأجنبي للاسهام في مشروعات التنمية .

❶ ❷ اذن فقد كانت النوايا طيبة ؟

— ربما كانت تلك هي النوايا الطيبة التي دفعت الى تبني مثل هذه السياسة على المستوى الرسمي .

❶ ❷ فما الذي حول هذه النوايا الطيبة الى واقع سلبي ؟

واقع الأمور قد يخلد النوايا في كثير من الأحيان ، وهنا نأتى الى تقييم عام لسياسة الانفتاح بعدما آلت اليه نتائجها بعدما يزيد على العشرة أعوام .

معيّار موضوعي

❶ ❷ قبل تقييم سياسة الانفتاح .. لماذا انقسمت الآراء حوله مؤيدين ومعارضين ؟

— لا بد أن نشير الى أن كل تحول اجتماعي ينتج آثارا ، يراها البعض ، ايجابية وطيبة ، ويرأها البعض الآخر ، بوصفها آثارا سلبية فليس ثمة حكم قيمي أو موحد ومطلق على نظام اجتماعي ما ، أو تغير اجتماعي ما ، ذلك لأن التحول الاجتماعي ، مهما كانت أهدافه ومراميّه ، فانه في الوقت الذي يضر فيه بمصالح البعض « وأعنى بعض الفئات الاجتماعية » ، فانه يفيد البعض الآخر ، ومن ثم فان الحكم على التحول الاجتماعي مرهون الى حد كبير بنوعية المصالح الاجتماعية والاقتصادية التي ينطلق منها هذا الحكم .

❶ ❷ هل يعني ذلك أنه لا يوجد معيار موضوعي للحكم على نتائج التحولات الاجتماعية ؟

— نعم .. ليس هناك معيار موضوعي للحكم على نتائج التحولات الاجتماعية الكبرى ، ويظل هذا المعيار الموضوعي محكوما بما اذا كان التحول يحقق مصالح القلة أو الكثرة من أفراد المجتمع وفئاته

وطبقاته ، وما اذا كان التحول الاجتماعى هذا يؤدى الى نمو قدرة المجتمع على اشباع حاجات أفراده ، أو يؤدى الى زيادة اعتماد المجتمع على غيره فى مواجهة هذه الحاجات .

● ● فلنحاول الآن تقييم الانفتاح طبقا للاعتبارات التى ذكرتها .

— ليس من شك أن سياسة الانفتاح التى جرى تبنيها فى حقبة السبعينات كان لها آثار بعيدة المدى على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، تتضح فى قضية إعادة توزيع الدخل القومى فى مصر لصالح فئة معينة من الأثرياء ، حيث انعكس نمط النمو فى هذه المرحلة على نمط توزيع الدخل بين شرائح المجتمع .

● ● هل يمكن الاستدلال ببعض الإحصائيات للتعرف بشكل عام على النتائج الاجتماعية للمهوسة ؟

طبقا لأحد تقارير البنك الدولى لعام ١٩٨٠ ، ارتفع نصيب أعلى ٥٪ من السكان دخلا من ١٧٪ فى أواخر الستينات الى ٢٢٪ فى أواخر السبعينات ، بينما انخفض نصيب أفقر ٢٠٪ من السكان من ٧٪ الى ٥٪ خلال نفس الفترة .

● ● على أى شئ يدل ذلك ؟

— يدل على أن توزيع الثروة فى مصر قد ازداد اختلالا لصالح الفئات العليا على حساب الفئات الدنيا ، وضاعف من آثار ذلك على البنية الاجتماعية ، موجات التضخم التى اجتاحت مصر فى نفس الحقبة ، والتى تراوح معدلها بين ٢٠٪ و ٣٠٪ فى المائة سنويا .

ويكشف ذلك عن وجود هوة واسعة بين ما تحصل عليه الطبقات العليا من جهة أخرى .

تطلعات استهلاكية

• • الى أى مدى كان الانفتاح انتاجيا ؟

— نستطيع أن نقول أن سياسة الانفتاح الاقتصادى لم تتمخض
فى نهاية الأمر عن تسمية قدرات المجتمع الانتاجية كما كان مأمولا ،
وزيادة اعتماده على ذاته ، بل ربما أدت فى كثير من الأحيان الى
نتائج عكسية ، تمثلت فى ضعف القدرات الانتاجية للمجتمع ،
وضعف قدرته على اشباع احتياج أفرادها ، ومن ثم زيادة اعتماده
على الخارج واندماجه مع النظام الرأسمالى العالمى .

• • ما الذى يوضح ذلك ؟

يتضح ذلك بجلاء فى التناقض الحثيث فى انتاج الغذاء ،
والتزايد المستمر فى معدلات المواد الغذائية وغيرها ، ونمو النشاطات
الاقتصادية الطفيلية .

• • اذن أصبح الانفتاح استهلاكيا ؟

بطبيعة الحال ، وتمثل ذلك فى ترك الأبواب على مصاريعها أمام
التغلغل السلعى الاستهلاكى ، من خلال الاستيراد غير المراقب .

• • وهل أثر ذلك على القطاعات الوطنية المنتجة ؟

أثر تأثيرا سلبيا ، بل وترك نفس التأثير على مجمل البنية
الاجتماعية .

• • تقصد القيم الاجتماعية والأخلاقية ؟

هو كذلك .

• • كيف حدث ذلك ؟

من خلال رفع التطلعات الاستهلاكية والقيم المرتبطة بها ،

وتنمية وتدعيم القيم الفردية « قيم الكسب والشاطرة والفهلوة والمتعة » فى مقابل تهديد القيم الجماعية والانتاجية ، طالما أن النشاطات الطفيلية أصبحت هى التى تحظى بنصيب الأسد من الدخل .

آثار الهجرة

● ● هل توجد علاقة بين التغيرات التى حدثت وبين الهجرة للخارج ؟

واكب هذه التغيرات فى السياسة الاقتصادية وصاحبه وترتب عليه ، تبنى سياسة حرية حركة العمل ، وفتح أبواب الهجرة الخارجية . والعمل فى الخارج ، فى نفس الحقبة التى تزايدت فيها أسعار النفط ، ومن ثم شهدت الدول النفطية ازدهارا مكنها من التسارع بمعدلات تنميتها ، وكانت قوة العمل المصرية المهاجرة هى وقود هذه التنمية العربية .

● ● ما هى انعكاسات هذه الهجرة على المجتمع المصرى ؟

لعبت الهجرة دورا هاما فى تغيير البنية الاجتماعية فى الريف والحضر ، وعلى الرغم من أن هذه الهجرة قد أدت الى بعض النتائج الايجابية الهامة ، والتى تتمثل فى تحويلات المهاجرين ، وما أدت اليه فى بعض الأحيان من تحسين ميزان المدفوعات « كما حدث فى أواخر السبعينات » وإعادة بناء جانب لا بأس به من مساكن القرية المصرية ، وبناء وتعمير - ربما أحياء بأكملها فى المدن المصرية الكبرى وتمويل جانب كبير من الاستيراد ، وتحسين مستوى معيشة قطاع لا بأس به من السكان فى الريف والحضر ، الا أن الهجرة كان لها نتائجها وآثارها السلبية التى لا يمكن تجاهلها .

● هل من أمثلة على ذلك ؟ ●

مثل استسراء التضخم والغلاء وانتشار القيم الاستهلاكية ، ونقص الكفاءات الفنية الانتاجية ، وتدهور القيم الاجتماعية المرتبطة بالانتاج ، وشيوع النمط الاستهلاكي ، وبعض مظاهر الارتداد الثقافي والقيمي .

وأخطر من ذلك كله ما يمكن أن نسميه التحول النقدي أو الاقتصادي في العلاقات الاجتماعية ، حيث أصبحت العلاقات الاجتماعية والانسانية مفرغة من مضمونها الانساني ومشحونة بدلا منه ، بالمصالح الاقتصادية والنفعية ، وما نلمسه من جرائم تصدم القيم والمشاعر التقليدية ، وتهدد العلاقات الحميمة والوثيقة مما يعتبر خير شاهد على مثل هذه التحولات الاجتماعية .

الثقافة الجديدة

● ● ما مدى انعكاس التغيرات الاجتماعية على الحركة الثقافية ؟ ●

حينما تطغى القيم المادية وما يرتبط بها من تطلعات ، تتوارى بالضرورة القيم المعنوية ، ومن بينها الثقافة والمعرفة ، وبصفة خاصة حين يكتشف الناس أن قيمة العلم والثقافة لا تحظى بعائد مادي ، يعادل الأنشطة الأخرى ، وحينما ينشغل الناس - في مجتمع استهلاكي - بأشباع احتياجات استهلاكية تفرضها القيم الجديدة « الاستهلاكية » وتطاردهم بها من خلال أجهزة الدعاية والاعلان وغير ذلك ، فان ذلك بالطبع ينعكس على المثقفين لانهم شريحة من المجتمع ، ومن ثم فهم أيضا يخضعون للتطورات التي تطرأ عليه ويتأثرون بها ، وما ينطبق على حركة قوة العمل والضغوط التي دفعت اليها ينطبق عليهم أيضا كقوة عمل فكرية ، بمعنى أنهم

يهاجرون ، ويضطرون الى بيع انتاجهم الثقافي ، وهم قد نشطوا وينشطون الآن فى الدوائر الثقافية فى المجتمعات التى هاجروا اليها .

وبصرف النظر عن الضغوط التى دفعت المثقفين الى الهجرة . فقد تأثرت الحياة الثقافية والحركة الثقافية ، وظهر ذلك بوضوح فيما هو معترف به الآن ، ويناقش على مستوى الصحف القسومية ، من أن هناك أزمة ثقافية فى مصر ، أزمة انتاج ثقافى وأزمة استهلاك ثقافى أيضا .

● ● والموجود الآن من الثقافة ماذا تسميه ؟

هى ثقافة أصبحت موجهة فى معظمها للفئات الجديدة الهامشية التى وجدت نفسها فجأة على قمة الهرم الاجتماعى ، ومن ثم فهى ثقافة استمتاع واستهلاك «ترفى» تتمثل فى المسرح الهابط والأفلام الهابطة والأغاني الهابطة ، وغير ذلك .

أسباب التحولات

● ● أخير .. ما أسباب كل هذه التحولات ؟

تأتى التحولات الاجتماعية والثقافية فى مجتمع ما ، نتيجة التحولات اقتصادية جذرية وهو ما حدث فى مصر ، وعادة ما يكون ذلك نتيجة لقرار سياسى ، ومرجع ذلك الى الوضع التاريخى للدولة فى مصر .

لقد كانت التغيرات الكبرى حتى فى النظام الاقتصادى تأتى فى مصر نتيجة لقرار سياسى وليس لحركة اجتماعية أو ثورية كما هو الحال مثلا فى التاريخ الأوروبى ، وربما يرجع ذلك الى الدور الاقتصادى التاريخى للدولة فى مصر .

- ● هل هناك عنوان أو تسمية بارزة لهذه التحولات في
الخمس عشرة سنة الأخيرة ؟
- يمكن أن نصفها بأنها « تحول اقتصادي للعلاقات الاجتماعية » ،
أو « الانقلاب الاجتماعي الصامت » .

د • أحمد شفيق :

لا بديل عن التقدم العلمي

حينما أعلن طبيب روماني - في مؤتمر صحفي بالقاهرة اكتشافه
لعلاج الروماتيزم عن طريق حقنة تحتوي على خلاصة الطين الروماني
.. لم تحدث ضجة أو ذوبعة كتلك التي ثارت حول الطبيب المصري
د. أحمد شفيق ولهذا فكرت ان اذهب للجراح العالمي د. أحمد شفيق
لاعرف رايه وازى كيف هو الآن بعد ان هدأت الضجة ..

● ● قلت: للدكتور أحمد شفيق: الضجة التي أثارت حصول
اكتشافك لعلاج مرض الروماتيد والأصوات الخافتة التي دارت حول
اعلان الطبيب الروماني عن اكتشافه لعلاج الروماتيزم بحقنة تحتوي
على خلاصة الطين الروماني .. كيف تنظر الى الموقفين ؟

قال : الموقف يدعو الى الاسى فعندما يظن المريض ان اكتشاف
علاج جديد لمرض من أخطر امراض العصر ثم يواجه بضجة مفتعلة
لا أساس لها ، مع اتخاذ عدة خطوات من إيقاف وعيدم اتصال
بالتلاميذ ومسائل تاريخيا لن يستطيع أحد ان يفسرها ..

● ● لقد فسروها بأنها لحماية المرضى ؟

- جهاية المرضى من ماذا ؟ نحن لا نعالج المرضى وهؤلاء ال ٢٢
مريضاً الذين عالجتهم كانوا جزءاً من البحث الذي اجرته حول فعالية
الدواء الذي اكتشفته وكانوا متطوعين بمحض إرادتهم - وانا لم أقل
اسم الدواء ولا قلت ان الدواء يتم تصنيعه وإمبياً قلت سيأطرجه
لشركات الدواء لتصنيعه ..

● ● اذن ما سبب هذه الخطوات التى اتخذت ضده ؟

- لا اقدر أن اقول الا انه لا كرامة لنبي فى قومه .

● ● هل لعقدة الخواجة دخل فى الضجة السلبية حول
والصمت الايجابى حول الطبيب الرومانى ؟

- طبعا بالتاكيد ، فنحن شعوب عانت من الاستعمار الاجنبى
فرونا وقرونا فأصبحنا ننظر للمستعمر كأنه طينة من غير طينتنا
وننظر اليه بعلو واكبار ونظرة كلها نوع من أنواع الاندهاش والانبهار
وانهم ليسوا بنى آدمين مثلنا ، فهذه هى النظرة التى ولدنا ونشأنا
عليها ، كان الاجنبى لا يمكن ان يخطئ وكل ما يفعله الاجنبى لابد
ان يكون صحيحا ، فللاسف ما زالت عقدة الاجنبى تمسك بخناقنا .

الخطا ايجابى

● ● عندما قرأت عن الطبيب الرومانى وعلاجه الطينى .. ماذا
كان رد فعلك كطبيب ؟

- انا لست ضد أى شىء جديد لانه ممكن من ابسط الاشياء
يخرج أكبر الابتكارات العلمية العالمية ، وهذه قاعدة معروفة ، ولهذا
نحن لا نهون من أى أمر حتى ولو لم يكن اختراعا جديدا أو ابتكارا
جديدا ، بل مجرد ملحوظة أو معلومة جديدة يأتى بها أحد الباحثين
وأكبر الاكتشافات التاريخية التمويلية التى غيرت مجرى التاريخ ،
بدأت بملاحظة ، فهذا « نيوتن » لاحظ ان التفاحة تقع الى أسفل
لا الى أعلى فوضع قانون الجاذبية ، وهذا « أرشميدس » لما دخل
« البانيو » لاحظ أن المياه تملو وتفيض فإذا خرج منها عادت الى
وضعها الأول ، فصاغ لنا قانون الطفو .

اذن انا لست ضد أى شىء جديد لكن لابد أولا ان يكون هذا

الجديد قد أخذ الأسلوب والطابع العلمي ، وثانياً ان نقوم بتقييم هذا الجديد بمعرفتنا ، وبعد هذا نستطيع أن نقول أن هذا شيء مفيد ، ولى ملاحظة أخرى وهى انه نفرض أن طين الطبيب الرومانى لعلاج الروماتيزم طلع غير مفيد فان هذا لا ينفى ان صاحبه اجتهد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » .. ونحن دائماً فى الناحية العلمية نقول ان النتائج السلبية للبحث العلمى تعادل فى نتائجها النتائج الايجابية ، بمعنى انك تقول لمن بعدك من جيل العلماء انه « خلاص » هذا الطريق أغلق لأن نتائجه سلبية حتى لا يكرر أحد ما قمت به من تجارب لا يجدى نفعها .

انتصرت عليهم

● ● الضجة التى ثارت حول اكتشافك لعلاج الروماتيد هل
هل اغضببتك وازعجتك أم ماذا كان شعورك بالضبط ؟

— فى الحقيقة هذه الضجة ليست غريبة على وليست غريبة على أى عالم يشغل فى مجال العلم لاننا نعلم ان هناك ما يسمى بالحقد العلمى ، لكن ما يدعو للمرارة ان هذا الحقد العلمى يكثر وجوده فى دول العالم الثالث بمعنى ان الناس العلميين الواحد منهم يجب ان يعلو على من حوله أو انه يضرب بهم الأرض .

اما الدول المتقدمة فقد استبدلت بالحقد العلمى بما يسمى التنافس العلمى ، بمعنى ان ابقى « كويس » وانت أيضاً تبقى « كويس » ، لكن الحقد العلمى يجعلنا ندمر أى واحد صغير عمل شيئاً جديداً ، أو يخطئه خبطات شديدة جداً يمكن ما يقدرش يقوم منها .

لكن بالنسبة لى انا متمرس على هذا الضجيج ولم يؤثر فى لانى

اعتقدت اننى اقف على أرض صلبة ، وتعودت ان مثل هذه الاعاصير
أو الزوايع التي اعتقد انها في فنجان لا تؤثر في بل بالعكس تزيدني
صلابة واصراراً وتصميماً على المضي قدماً في البحث العلمي .
وفي الوقت نفسه صممت ان آخذ حقى الشرعى والقانونى من
كل الذين أثاروا هذه الضجة ، والحمد لله انتصرت عليهم ، وكان
الحكم في صالحى بالنسبة للمسائل القانونية .

ملحوظة تقلب العالم

● ● كيف توصلت لاكتشافك ؟

— الاكتشاف عبارة عن عناصر مستخلصة من المادة البنية ،
وقد قابلنا هذه العناصر التي استفدنا بها في علاج الروماتيد أثناء
اجرائى لبحوث أخرى على علاج الخلايا السرطانية ، فقد ظهرت لنا
بعض العناصر التي استطعنا ان نستفيد بها في علاج بعض الامراض
التي نسميها مجموعة « القولاجين » التي على رأسها مرض الروماتيد
الذي يصيب اعداداً هائلة من الجنس البشرى في كل دولة من دول
العالم ، وإلى الآن لم يستطع أى دواء ان يشفيه ، وكل الادوية الموجودة
وإن هي إلا أدوية تسكينية وضررها أكثر من نفعها إلا أن المريض
يضطر إليها تحت وطأة الألم الشديد الذي يحس به .

● ● قلت .. انك اكتشفت دواء الروماتيد أثناء اجرائك
لبحوث أخرى .. فهل يعنى ذلك ان هذا الاكتشاف جاء بطريق
الصدفة ؟

— الصدفة كانت هي كل شيء بالنسبة لاكتشافى هذا ، ولكن
ماذا تعنى الصدفة ؟ انا احللها لك تحليلاً فلسفياً .. الصدفة هي
قوة الملاحظة ولا يوجد بحث يبدأ إلا بملاحظة أو معلومة ، والقسوة

هنا والقدرة هي ان توقف هذه الملاحظة اذا مرت امامك وتتفحصها وتتمحصها ، وتبدأ تأخذ من هذه الملاحظة بداية الخيط وتستكمل البحث الى ان تصل في النهاية الى شيء جديد .

ولا يمكن لشيء ان يحول مجرى التاريخ الا البحث العلمي فلا معارك ولا حروب ولا انتصارات ولا امبراطوريات انما هي الابحاث العلمية والتي تلعب فيها الصدفة دورا كبيرا .

● ● هل انت مستمر في علاج مرضى الروماتيد حتى الآن ؟ .

— لا أنا توقفت بعد علاج ٢٢ متطوعا كجزء من البحث العلمي ثم توقفت لانني كنت أجري بحثا ، انما انا أولا وأخيرا أستاذ جراحة ، والروماتيد ليس مجالى ولكن كل ما هنالك انه ظهرت في مرحلة من مراحل البحث العلمي في مرض السرطان وهو مرض جراحى نتيجة وجدت أنه يمكن الاستفادة بها في مرض آخر وهو الروماتيد .

قبل الضجة

● ● بصراحة هل أضافت لك ضجة اكتشافك لدواء الروماتيد شهرة كنت بحاجة اليها ؟ .

— أولا من ناحية الشهرة انا لم أكن في حياتى محتاجا للشهرة مثلما وصلت اليه في السنوات الأخيرة ، والشهرة جاءتني ليس عن الطريق الشخصى فيما يتعلق بالممارسات الخاصة في العيادات انما جاءت بالابحاث العلمية التى قمت بها في طريق العيلم في تاريخ العالم ، فتوجد عمليات باسم أحمد شفيق « عملية شفيق ١ » ، عملية شفيق ٢ ، وأضفت الى تاريخ البشرية « ثلاثين عملية » جديدة باسم أحمد شفيق .

وأضفت الى تاريخ البشرية توصيف «أ» أمراض جديدة لم
توصف من قبل ، وأضفت أيضا اضافات تشريحية وفسيولوجية
وباثولوجية ، كل هذا من نتيجته ان رشحت لجائزة نوبل ، وما زال
الترشيح ساريا ، وانتخبت لدائرة المعارف الامريكية لعام ١٩٨٥ ،
وانتخبت عضوا في هيئة تحرير المجلات العالمية في القولون والشرج
وفي المسالك البولية وفي جراحة سرطان العقم ، هذا اضافة الى انه
لا يوجد كتاب جراحة في العالم يخلو من اضافات أحمد شفيق .
• كل هذا كان قبل الضجة •

تغيير التعليم

• • بعد هذا الذي حققته على المستوى المحلى والعالمى هل
بقى من آمالك شيء لم تحققه بعد ؟ •

- انا اعتقد اننى ما زلت مجندا فى جيش البحث العلمى ،
لانه يوجد ما بين « ٨٠٪ و ٨٥٪ » من الامراض فى الطب غير معروفه
سببها ، وبالتالي غير معروف طريقة علاجها فتتعدد الأنماط العلاجية ،
فتجد السرطان له خمسين نوعا من العلاج لأن سببه غير معروف ،
وهذا يدعو الى مزيد من البحث العلمى لأن حقيقة الطب فى مجموعه
كعلم لم تواكب العلوم الاخرى فى التقدم ، لأن الاطباء غير متفرغين
للبحث العلمى لانهم يعتبرون انفسهم « مطبقين » فى عياداتهم وفى
المستشفى •

لكن البحث العلمى يريد شخصا متفرغا بالكامل للبحث العلمى
مثل راهب فى المحراب ، من أجل هذا يقولون انه يجب على اثنين من
الناس ألا يتزوجوا حتى يتفرغوا تفرغا كاملا لمسئولياتهم الجسيمه ،
هما : الزعيم والعالم •

● ● هل انت متزوج ؟

• للأسف انا متزوج •

● ● هل انت نادم على زواجك ؟

— طبعا نادم لأن مسئوليات الزواج عطلتني كثيرا عن التفرغ
الكامل للأبحاث العلمية •

● أخيرا ماذا ينقص مصر لتأخذ مكانها في طليعة الأمم
المتقدمة ؟

— خط واحد لا بديل له وهو التقدم العلمى ، ولن نصل الى
ذلك الا بتغيير طريقة التعليم التلقينية السائدة عندنا الى طريقة
منهجية هى طريقة الفكر والاخذ والعطاء ، الى جانب الاخذ بالمنهج
العلمى والبحث العلمى لابد من اهتمام الدولة بالعلماء والموهوبين ،
وأن تعتبر الصرف على البحث العلمى خطة من الخطط الاستثمارية
ولو ان عائدها ليس قريبا ولكنه سيأتى حتما على المدى الطويل •

● طاهر ابو فاشا :

هذه حكايتي مع شهر زاد

● كمادتها السنوية .. تستقطب الشاشة الصغيرة جماهير واسعة من كل مكان .. تشهدم لشاهدة الفوايز .. والاستمتاع بها .. وتنشيط الفكر على فوايزها .

والجدید أن .. « نلتقى بفزورة وحدوة » التي كتبها هذه المرة .. طاهر أبو فاشا .. وهو ليس غريبا على أجواء ألف ليلة وليلة .. فقد سبق له أن قدم وعلى مدى سنوات طويلة .. ألف ليلة وليلة ولكن في الاذاعة .

وفي حديث الذكريات .. يطوف طاهر أبو فاشا عبر الليالي .. موضعا الفرق بين ألف ليلة الاذاعية ، وألف ليلة التليفزيونية .. أيضا حكاياته مع أبطال هذا العمل التراثي الشهير .

● ● يقول طاهر أبو فاشا :

حكايتي مع ألف ليلة وليلة هي قصة المصادفة التي تنقلب الى واقع فقد اهدى الأستاذ «برانق» وزميل له كتاب « ألف ليلة وليلة » من طبعة مهذبة ، الى مدير الاذاعة في الخمسينات وما كاد يقرأها حتى خطر بباله أن يجعل منها برنامجا اذاعيا ، ووقع اختياره على لاعداد حلقاته .

وقد اختلفت مع مخرج ألف ليلة وليلة صديقي محمد محمود شعبان حول نهاية الحلقات فقد كانت نهايتها عبارة عن موسيقى تقول « جونج » ، ولكنني وانا اكتب الحلقات حتى الفجر وقد أذن الديك فكرت أن يكون صباح الديك هو ختام الحلقات .

كانت البداية ١٥ حلقة

ورغم أن « بابا شارو » تظاهر بتردده في الموافقة إلا أنه فاجأني بتنفيذها ، ورحمت استكمل كتابة الحلقات ، وكنت أتقاضى عن الحلقة الواحدة خمسة جنيهاً ، وكتبوا معي عقداً بخمس عشرة حلقة بخمسة وسبعين جنيهاً ، وكنت راضياً وسعيداً وقريراً بل كنت أرى أنهم مبدرون فكيف يدفعون لى هذه المبالغ الطائلة .

وبعد اذاعة الخمس عشرة حلقة تهافتت على الاذاعة ، التليفونات والخطابات يطلبون المزيد من ألف ليلة وليلة فزيد العقد من خمس عشرة حلقة الى ثلاثين واستمر النجاح وشدت « ألف ليلة وليلة » ، الجماهير أكثر حتى أننى بعد انتهاء كل حلقة كنت انظر من الشباك فإذا بى أسمع الناس فى البيوت والمقاهى يقولون مغنين « ألف ليلة وليلة » يعنى « حاجة لها العجب » فكان هذا يرضينى ويشعرنى بالزهو ، وظللت فى كتابة المزيد من الحلقات حتى ثمانمائة حلقة ارتفع أجرى خلالها من خمسة جنيهاً الى عشرة جنيهاً .

عقدة شهریار

ويضيف طاهر أبو فاشا :

وهذه الحلقات « ألف ليلة وليلة » تدور حول شهرزاد وشهریار ، وهى فى حقيقتها وجوهرها دفاع عن المرأة فقد كان الملك الدموى الظالم شهریار يتزوج كل يوم صبية حتى اذا أصبح الصباح قتلها والسبب أن زوجته خائنه مع عبد من عبيدها ، فأراد شهریار أن ينتقم من الجنس كله ، هكذا تقول الرواية فى الكتاب .

ولكن هناك رواية أخرى تقول ان شهریار عنده عقدة أخرى لذلك يقتل العروس فى الصباح حتى لا يتكشف أمره .

وأعود فأقول ان « ألف ليلة وليلة » دفاع عن المرأة فقد قبلت شهرزاد أن تقدم نفسها لشهريار واستطاعت أن تتركه معلقا ليلة بعد ليلة حتى قضت معه ألف ليلة وليلة وبرئ الملك من دمويته ..

بين الاذاعة والتلفزيون

يستكمل طاهر أبو فاشا حديثه عن « ألف ليلة وليلة » فيقول ان الثمانمائة حلقة التي أذيعت ليست كلها من الكتاب لان كل ما أخذناه من الكتاب هو من خمسين الى ستين حلقة فقط انتهى بعدها الكتاب ، وبدأت أنا أضنع حلقات جديدة من خيالي أو أصنعها من الحوادث التي اسمعها من جداتنا وما غير ذلك ، أما لماذا لم نستكمل الحلقات الى « ألف ليلة وليلة » فكان لذلك أسبابه اضافة الى اننا أزدنا اسدال الستار والناس يصفقون على أن نستمر وقد استنفدت الحلقات أغراضها .

● وعن الفرق بين ألف ليلة وليلة الاذاعية وألف ليلة وليلة التلفزيونية يقول طاهر أبو فاشا ..

انه فرق كبير جدا ، ومع احترامي وتقديري لاحمد بهجت كاتب اول عمل تلفزيوني لآلف ليلة الا أنها لم تكن «هي» ، رغم أنه كاتب متمكن .

شهرة واسعة

● ويضيف طاهر أبو فاشا في معرض ذكرياته عن ألف ليلة وشخصياتها الاسطورية .. ان هناك الشاطر حسن ، والملك السمندل من ملوك الجن ، وقد حاولت أن يكون الحديث بين هذه الشخصيات مسجوعا مما يعطيها طعما ومذاقا ، خاصة لأن الأبطال اذا كانوا عفاريت مثلا لا يصح أن يتكلموا كلاما عاديا فيقول عفريت

مثلا « هات كوب ماء » وانما يقول « دموعك يا انسى أثرت
فى نفسى » ، فالسجع يعطيها روحا أخرى ، وأنا اتصور أن
ألف ليلة وليلة فيها رائحة حى « خان الخليل » ورائحة العنبر الذى
فيه .

وعما تركته ألف ليلة لكاتبها طاهر أبو فاشا يستطرد معترفا :
انها أعطته شهرة واسعة لا يستحقها ، فالكل يعرف اسمي
ولكنهم لا يعرفون شخصي اذا قابلونى أو رأونى ولكنهم اذا عرفوا
هشوا وبشوا لى ، وكثيرا ما كنت أقدم نفسى لسائق التاكسى أو
بعض الموظفين فى بعض المصالح ، فتتفك العقد وتنحل المشاكل لأن
الناس يحبون ألف ليلة وكاتبها العبد الفقير .

وحتى الآن عندما أكون ذاهبا الى التلفزيون وأشير لسائق
التاكسى فيقول لى لا .. اننى ذاهب لمكان آخر ، فاقول له فى أذنه
أنا صديقك طاهر أبو فاشا الذى يكتب لك ألف ليلة وليلة ، فيقول :
أهلا ويأخذنى بكل ترحيب ولا يأخذ أجرا .

- • فكان الفن يقرب ما بين الناس ويحببهم بعضهم فى بعض .
- وأنا أحسست بهذا مع ألف ليلة وليلة التى أعطتنى شهرة كبيرة .

اضراب شهر زاد

● ● ولما سألت كاتب ألف ليلة وليلة عن تصوره للميلة
الثانية بعد الالف ؟

قال طاهر أبو فاشا :

كنت عامل الليلة الثانية بعد الالف وكتبتهما فعلا وكنت أنوى
تقديمها فى ختام الحلقات عندما تكتمل الالف ليلة وليلة ، ولكن

كما قلت لك لم تذع الا « ٨٠٠ » حلقة فقط ، وكان في تصوّر
أن شهرزاد في الليلة الثانية بعد الالف جاءت للملك ورفضت أن
تحكي له حكايات جديدة ، فيتعجب شهريار ويقول :

انت تعلمين اننى لا أنام الا على الجرعة التى تسكينها فى سمى
كل ليلة » .

فتقول « وأنا لا يمكن أن أحكى لك ، ونام الملك تلك الليلة
ورأى فيما يرى النائم أن جميع أبطال ألف ليلة يحاكمونه ، ومنهم
السندباد البحرى ، الشاطر حسن ، معروف الاسكافى ، الملك السمندل
وغيرهم ، يقولون لشهريار « ان كل الناس يعيشون مع زوجاتهم فى
أمان الله . فلماذا انت الذى تقتل زوجاتك ، انك مجرم » ويحكمون
عليه بالاعدام ويخرجون له السيف لقتله ، فالسيف يلامس رقبتة ،
فيئن أينما مكتوما تسمعه شهرزاد .

فتقول له : « مالك يامولاي » .

فيقول : « الحمد لله . الحمد لله » .

فتقول له شهريار : « ماذا حدث يامولاي » .

فيقول شهريار : « لا شىء ، لا شىء » ، وتدخل احدى الجوارى
فتقول لشهريار .

« ان الصبايا العذارى فى ساحة القصر ينشدن نشيد شهرزاد
ويحتفلن بك يا شهرزاد » ، ويغنون لها أغنية شهرزاد .

وبذلك تنتهى الليلة الثانية بعد الالف التى لم تذع ، وأهديا
لمجلىكم « الاذاعة والتليفزيون » بمناسبة شهر رمضان اعادة الله عليكم
وعلى المسلمين بخير .

● صلاح طاهر

الخيال هو بداية التاريخ الحضاري

● في الطريق إلى الفنان التشكيل المصور صلاح طاهر ذكرت
أن أغلبنا لا يفهم كثيرا في كثير من اللوحات المرسومة التي هي
عبارة عن خطوط في اليمين أو الشمال وأمام وتحت أو متداخلة بدون
أن توحى بشيء إلى من يراها إلا أعينا مثقفة على درجة واعية بالفن
التشكيل وآخر التطورات في مذاهبه ، وتذكرت مع ذلك أيضا حديثا
قديمًا لمفكرنا الكبير توفيق الحكيم يصف فيه دهشته وحيرته من عدم
فهمه لمذهب جديد في الفن التشكيل اسمه « الكوبيزم » .

ولطالما وقفت الساعات والأيام تأمل لوحات هذا الكوبيزم
وأضرب رأسي بيدى لأفقه ما فيها من جمال وأتتهم نفسي تارة ثم
أتعامل على ذهني المسكين أرغمه بالجهل تارة وبالغبوة تارة ويموت
الشعور على فهم أسرار الابداع في هذه اللوحات التي تصور مثلثات
ودوائر ومكعبات ومربعات داخل بعضها في بعض وقد صبغت
بالأحمر والكأبي والأزرق الزاهي والأصفر الفاقع ،

● ● وكان طبيعيا أن يكون سؤالى الأول للفنان صلاح طاهر عن
الاشكال الفنية للرسم من تكعيب وتجريد وسريالية وكل ما ليس له
علاقة بالواقع ؟

قال : الفن أصلا أو عموما هو تمرد على الطبيعة فالإنسان لجأ
إلى الفن لأنه لم يقنع بالواقع والطبيعة الموجودة أمامه فعمل على
تعديلها وتطويرها . وما هي الفائدة إذا صور الفنان الطبيعة كما
هي ؟ . إن التصوير الفوتوغرافي يكون أكثر دقة ، لذلك فإن الفنان
ينفصل عن الطبيعة ليصنع طبيعة أخرى مختلفة وهذا مما يفسر

مذاهب الفن المعاصر من تكعيب وتجريد وسريالية وكل ما له علاقة بالواقع لأن الفن في حقيقته مخالفة للواقع .

● ● هل يعنى مخالفة الفن التشكيل للواقع انه لا يواكب عصر العلم والتكنولوجيا ؟ .

لا نزاع أن عصر العلم والتكنولوجيا قد شكل الحياة بطريقة جديدة مختلفة عن الماضى لدرجة ان هناك فنونا استعملت فيها العلوم الالكترونية والكومبيوتر وان كانت محاولات لم تصل الى المستوى النهائى ، كذلك هناك فنون استعملت فيها الاشعة ومنها الفن التشكيلي .

وقد شاهدت هذا فى لندن وباريس وواشنطن ، فرايت لوحات مذهلة أمام الشاشة بالوان وخطوط متغيرة بلا فرشاة ولا ألوان ولا قماش ، انها لوحات أبدعها العلم عن طريق الأشعة ، وهذا الفن المتحرك هو أحدث صيحة فى عالم الفنون وهو مستقبل الفن ومنه التشكيل الذى لم يعد مجرد لوحات ثابتة بل سيصبح لوحات متحركة متغيرة الألوان والاشكال .

● ● هذا الاتجاه الى الفن المتحرك المعتمد على تكنولوجيا العلم افلا يؤذن بزوال دولة الفن التشكيل الذى يبدعه الانسان بالفرشاة والألوان بحركات اصابعه ؟ .

أن الانسان ترقى ولكن تبقى بقايا تمثل العمل بالاساليب العاديه وان اختلفت الصورة ، فالفن سيستعمل فيه العلم والتكنولوجيا . وان بقيت المادة مثل الألوان والفرشاة ولكن الابداع الفنى سيتمشى مع طبيعة العصر المتطور والذى ينفذ بتطوره الى اعماق الحياة فى كل ثانية وكل لحظة .

● ● كيف تستوحى موضوعات لوحاتك ؟ وما الذى يحدد استقلال الشخصية الفنية ؟ .

أشياء أتذكرها أو أراها قد توحى لى بعكسها أحيانا أو ممكنة لما فى ذهنى أحيانا أخرى ، ومصادر الایحاء كثيرة ومختلفة من قراءات أو سماع موسيقى ، أو الطبيعة نفسها ، وهذه هى مرحلة اجادة الصنعة والسيطرة عليها ، فأرسم لوحة وأضع عليها توقيعى وتمشى ولكن لابد أن يكون للفنان أسلوبه وشخصيته ، و « اناتول فرانس » يقول « الشخص هو الأسلوب » والعمل الفنى عمل إبداعى غير مسبوق حتى لو لم يوقع عليه صاحبه فتعرف انه هو الذى أبدعه ولكن رحلة التأثير ضرورية فى البداية حتى يستقل الفنان بشخصيته .

● ● ● التصوير هل نقرؤه بالعقل أكثر أم بالعين بمعنى هل الفن التشكيلى فن ذهنى أم فن حسى ؟

هو فن ذهنى فى اقله وحسى فى اكثره ، فهو فن الوجدان والحس لكنك لا تستطيع أن تفصله عن العملية الفكرية فالفنان يسلم نفسه للعقل الباطن وهو واع ليخرج المختزنات الفكرية لذلك العقل الباطن ليبدها خياله الذى هو أساس والفكر مكمل ، وكل التاريخ الحضارى للانسان بدأ بخيال .

● ● ● هل من الممكن أن ينفعل الحيوان بلوحة مرسومة ؟

من المعروف عن الحيوانات انها تتأثر بالاصوات ، تتمايل على الذبذبات التى تحس بها ، انما من ناحية البصريات لا أستطيع الحكم أن كان الحيوان يتأثر بها أم لا ، وذلك يتطلب تجارب علمية عملية لاثباتها أو نفيها .

● ● ● لو رسمت مثلا لوحة بها بعض اصابع ثمرة « الموز » وقربتها من قرد أو « سناس » الا يكون هناك انفعال واقبال لانتهاج ثمرة الموز ؟

ربما اذا كانت اصابع الموز مرسومة بصورة فوتوغرافية بالحجم

الطبيعى بشكل دقيق ، يجوز القرد أو النسناس :ينفعل لكن
لا أستطيع أن أحكم .

● ● متى اكتشفت فى نفسك موهبة فن الرسم ؟

لا أستطيع أن أحدد بالضبط متى كان ذلك ولكننى وعيت على
حبنى للرسم وولعى به فمارسته لانه لا يكفى ان تحب الشيء بل تعيش
فيه وتؤديه وذلك يحتاج مع الموهبة الى الدراسة والتذوق والتزود
مع كل المعارف والثقافات لأن ذلك يوسع مداركك ويعطيك
عمقا ووعيا وابداعا فى الفن الذى تمارسه أو العمل الذى تؤديه .

● ● ما هى اللوحة التى تعتز بها ؟

هناك لوحة اعترز بها الى حد ما وهى « سوق شهر زاد »
المستوحاة من حكايات ألف ليلة وليلة ولكن للاسف هذه اللوحة
أخذها سفير ايران منذ حوالى عشرين سنة ولا أعرف ما هو مصيرها
حتى الآن .

● ● وآخر لوحاتك ؟ ؟

رسمت أربع لوحات مستوحاة من السيمفونيات المشهورة
واستفدت لرسم السيمفونية الخامسة التى اضع فيها قوام العمل
الموسيقى وفى نفس الوقت الخصائص والقيم التشكيلية الخطية
واللونية التى احاول ان احققها بروح شرقية .

● ● هل من الممكن أن نقول أن هناك فنا تشكيليا عصريا

له سماته ومميزاته ؟

أولا أحب أن أنبه الى أن تعبير فن تشكيلى تعبير غير دقيق
لا اعترف به لأن كل الفنون تشكيلية لذلك يبقى على مجمع اللغة
العربية أن يبحث لنا عن اسم دقيق يعبر عن فن الرسم أو فن التصوير
أو ما يسمى الفن التشكيلى .

أيضا أنا لا وافق على النعرة المحلية أو الشرقية التي ببالغ فيها لأن الاتجاه العالمي يسود الفنون والثقافة والآداب وإذا ما عرفنا أن الطابع العالمي هو السائد وتحدثنا عن التصوير بالذات فإن المادة الخام المستعملة وهي الزيت والألوان والفرشاة تشكل اتجاه العمل .

وإذا تحدثنا عن الفنان الفرعوني فإنه كان يستخدم ألوانا معينة على الجدار الخائطي تتطلب تخطيطا معيناً ومسطحات لونية معينة لها تقاليد معينة تخدم الأغراض الدينية .

كذلك الفن الإسلامي قوامه التجريد وكانت له رسالة ومفهوم يختلف عن العصر الآن فالبيئة نفسها توحى بالشكل الفني المرسوم في بلدنا وغير بلدنا ، فمهما رسمنا على أحدث تقاليد الرسم فلا بد أن تجد شيئا مصرياً في اللون والاحساس وانت ترى ان الفن الإسلامي مكون من مؤشرات اندلسية وتركية وإيرانية انصهرت في الشكل الإسلامي العالمي ولكنك تجد مع ذلك فيه فنا إسلامياً تونسيا وفناً إسلامياً تركيا ، وهكذا ، ولكن كله فن إسلامي يصطبغ بالطابع الإسلامي .

● ● بصفتك فناناً تشكيميا هل ترى لهذا الفن دوراً في القضاء على غريزة القبيلة والقطيع في إطار رسالة الفن بوجه عام ؟

— من جمال الفن وقيمه انه يؤلف بين القلوب لدرجة ان مشاكل سياسية بين دولة وأخرى ممكن للفن أن يزيلها ، وأذكر أنه في فترة ما كان بيننا وبين الصين عداء وبين الصين والعالم عداء ولكن عندما نجد أن فيه فرقة صينية تقدم عروضها الفنية أو رسامين يقيمون معرضاً لرسوماتهم تجد نفسك تشعر بانسانية الانسان لأن الفن يعود بالانسان للحس البشري الجميل بصرف النظر عن الاتجاهات السياسية والوطن والدين .

• • أمانيك للفن التشكيل بوجه خاص وأمانيك العامة ؟ •

أمنيته للفن التشكيلي أن يتفهمه الناس عن طريق عيون مثقفة
واعية واعتقد أن الهوة بينهم وبين هذا الفن بدأت تضيق ، وأرجو
أن الوعي الثقافي والحضاري يزداد ، ويزداد معه عدد الناس الداخلين
في دائرته لأن ثقافة الحواس كلما زادت أصبح تصرف الإنسان
أرقى ، وأتمنى أن يصبح الحب هو دستور حياتنا العامة والخاصة •

● أحمد عبد المعطى حجازى :

وخطر ان يهددان الثقافة

بعد سنوات من عزلة القرية عن الوطن وبعد ما خط الشبيب
عودته وازدهمت في نفسه أغنيات الحنين إلى مسقط الرأس عاد الجديد
الكبير أحمد عبد المعطي حجازي إلى مصر ليشترك في إلقاء ضاحتها
الأدبية : عاد حجازي مع عودة المنسوخ الطيفي عصر مناخ الحرية
والديمقراطية الإزمان للإبداع الحقيقي ، عاد ليشترك كل إبداع من
خلال منبر الأهرام في تكوين رأى عام مستتب ، وبين رحلة البداية
حتى العودة إلى مصر كان للشاعر الكبير قصة طويلة ناقشنا خلالها
على مائدة الحوار الكثير من القضايا الساخنة التي تجيش بها مساحة
مجتمعتنا الآن .

دور قاصر

● ● عن الحال الذي آلت إليه الثقافة في مصر ؟

اجاب أحمد عبد المعطي حجازي :

صناك خطر ان داهمان على الثقافة :

أما الخطر الأول فهو ان الأساس الذي قامت عليه الثقافة
العربية الحديثة والذي يقوم عليه أية ثقافة إنسانية في أى عصر من
العصور ، هو أساس الآن مدمر ، وأقصد بهذا الأساس :

الايقان ، بالانسان وب عقله ، وب قدرته على الإبداع والاضافة
والتجديد والثقة فى المستقبل ، وفى قدرة الانسان على مواجهة
مشاكله واغناء حياته :

هذا الأساس مدمر بما نراه الآن من تيارات تدعو إلى

الانسحاب من العصر وتطعن في كل الانجازات العقلية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي حققناها في هذا القرن وفي القرن الماضي ٠٠ المرأة لا تتخلى فقط عن السفور بل تتخلى حتى عن فكرة مساواتها بالرجال ! ٠٠

الجامعة لا تتخلى فقط عن فكر طه حسين بل يصل الأمر الى ان تؤدى طالبات كلية الطب الامتحان وهن منقبات ! ٠٠ ويفرض كلية دار العلوم على اساتذتهم حذف قصائد الغزل من منهج الدراسة ! ٠٠ ويمنع طلاب الجامعات الاسلامية حفلا موسيقيا ٠٠ وبعض الكتاب يدعون الى مصادرة الكتب و ٠٠ بعض الكتاب والفنانين انقلبوا على أنفسهم وتحولوا الى دراويش ٠٠ والأرصفت والمكتبات ممتلئة بمؤلفات تدعو الى تدمير المجتمع وتدمير الدستور والعودة الى حكم العصور الوسطى .

ما معنى هذا ٠٠ معناه ان الأساس العقلاني والانساني الذي قامت عليه ثقافتنا الحديثة ، قد انهار من اساسه كاملا .

هناك من يتصدون بالطبع لهذه الغزوة البربرية ٠٠ لكن من الواضح أن الأغلبية بما فيها أجهزة الدولة نفسها يتفرون ٠٠

الخطر الداهم الآخر * يتمثل في عجز المؤسسات الثقافية الراهنة عن التصدي لهذا الخطر الأول ٠٠ فكثير من هذه المؤسسات الاعلامية والاتحادات الأدبية والفنية والمنابر الثقافية المختلفة ٠٠ تدار ادارة عاجزة ركيكة وتتحول في كثير من الاحيان الى ابعديات أو عزب أو اقطاعيات للسيطرين عليها يحققون من خلالها مصالحهم الانانية ويقربون صبيانهم ويستبعدون كل بذرة طيبة ويسدون كل نافذة يمكن ان تأتي ببصيص من الضوء .

ما هو الدور الذي تلعبه الصحافة في حياتنا ٠٠ ؟ ما هو الدور الذي تلعبه الاذاعة والتليفزيون والمجلات الثقافية واتحاد

الكتاب واتحادات الفنانين ، حتى الآن ٠٠ ؟ هذا الدور اما مقصور على الدعاية للأشخاص لا للأفكار أو انه دفاع عن المصالح الشخصية ، بل ان هذه الأجهزة لا تكتفى بالصمت بل هي التي تهدد ليس الثقافة فقط وانما الثقافة والامانة والسلام الوطنى والحاضر والمستقبل .

فى عقر داره

وبعد ان انتهى شاعرنا من بيان الاخطار التي تهدد الثقافة بدأت اناقشه واطرح عليه وجهة النظر الاخرى ٠٠

● ● قلت له : بعض النماذج التي ذكرتها لتطرف الطلبة هي حالات فردية لا ينبغي نعيمها على مجموعة طلاب جامعات مصر لأن هذا يظلم المجموع بجريرة افراد ؟

قال ما حدث ليس فى جامعة واحدة بل فى جامعات كثيرة ٠٠ جامعة القاهرة ٠٠ جامعة عين شمس ٠٠ جامعة اسيوط ٠٠ جامعة المنيا ٠٠ جامعة الاسكندرية ٠٠ اذن هي ظاهرة شاملة وحجبها كبير .

● لا خلاف على ان استعمال القوة لوقف حفل موسيقى أو تعطيل عرض مسرحى ٠٠ الخ ٠٠ شيء نستنكره جميعا ٠٠ ولكن الفنانين الذين اعتزلوا الفن بارادتهم واللواتى تحجبن أو تنقبن أو فضلن البيت على العمل باختيارهن ٠٠ ليس لنا أن نلومهن الا اذا تعدت ارادتهن فرضها على الآخرين وما عدا ذلك فهو حرية شخصية ؟ .

نظر الى احمد عبد المعطى حجازى نظرة فيها ريبة وقال :

الواقع انه ارهاب وليس حرية شخصية ، لأن من يعلن ان الغناء حرام وان لا تتوب هي واقعة فى الحرام ٠٠ فهذا يشكل

ارهابا على من يغنى ويشجع على الغناء ، وعندما يقال ان بحث طه حسين في الشعر الجاهلي كفر .. اذن كل من يفكر فهو كافر . وهذا ارهاب .

هذا الارهاب لم يقف عند حد الكلام والكتابة والاحاديث والكاسيتات والكتب الرجعية التي تغمر حياتنا .. بل وصل الى حد ان مسلحين يتصدون ليس فقط لوزارة الداخلية ولكن للكتاب كمكرم محمد أحمد الذي نعلم انه تعرض لمحاولة اغتيال ، وعشرات من الكتاب تلقوا خطابات تهديد .. هل هذه حرية شخصية ، وحوادث جزئية .. ان الذين يتبنون هذا الرأي متآمرون ولهم مصلحة شخصية وارتباطاتهم معروفة .

انا لا ادعو الدولة لأن تمنع هذا الرأي من التعبير عن نفسه . ولكن ايدي دهشتي لان الذين ينتقدون ما نحن فيه ويعبرون عن خوفهم وتشاؤمهم من المستقبل .. لا يجروون على التصدى لهذا التيار الذي يكفر طه حسين والذي ..

ولم ادع محدثي يكمل فقلت له .. تكفير طه حسين قضية قديمة انتهت .

فقال أحمد عبد المعطي حجازي : عشرات مثل أنور الجندى هاجموا طه حسين والعقاد وزكي نجيب محمود ، ويوسف ادريس ولويس عوض .

● ● ليس اعادة الكلام في موضوعات قديمة يعتبر فراغا عقليا ؟

حجازي : انه ليس مجرد تكرار لكلام قيل من قبل .. فقد هوجم طه حسين في جامعة المنيا هجوما مريرا في المدينة التي ولد فيها في عقر داره .. هذه حملة جديدة هدفها كتاب هذه الأيام ومثقفوها .. والذين يهاجمون الآن طه حسين ببجالة قدره وهو بطل

قومي ، يقصدون ان يرعبوا الأجيال الجديدة التي لم تستطع ان تصل الى مستوى طه حسين ، واذا كان طه حسين مهدفا للهجوم وهو من هو في ضمير الأمة فمن الطبيعي أن أخاف أنا ويخاف غيري من أن نقول أى كلام فيه شيء من الصدق والصرامة .

● ● هل كان المثقفون في برج عاجي ولم يكتشفوا خطر هذه التيارات الا اليوم ؟

حجازي : لقد ارغم العشرات من الفنانين والكتاب على الهجرة وسبنت قوانين تطارد أى رأى حر ، الى درجة انه جمع خمسة آلاف في يوم واحد من السياسيين والصحفيين والكتاب والشخصيات السامية وقذف بهم في المعتقلات ، وطردت العناصر الصالحة من أجهزة الاعلام .

صحة عقلانية

● ● اذن فما هو الحل لمواجهة الخطر الذي يواجه الثقافة ربما تحدثت عنه ؟

حجازي : الحل هو ايقاظ الفكر العقلاني وتنشيطه في مصر ومواجهة الحقائق كما هي وينبغي تطهير كل هذه الأجهزة ممن الذين ينافقون هذا التيار . . . ينبغي ان يسترد المجتمع روح الأمن والثقة في المستقبل . . . ينبغي ان نتكاتف لحل مشاكلنا المختلفة . . . ليس فقط حل المشكلة الثقافية ولكن كل مشاكلنا الاجتماعية والاقتصادية ، ومشاكل الشباب لأبد لها من حلول .

باختصار لابد من مشروع قومي قنهض به مصن وتلعب دورها في الداخل والخارج . . . هذا هو الحل .

● ● ولكن على الجانب الآخر هناك حل آخر مطروح ..
هو الحل الاسلامى او ما يسمى بالصحة الاسلامية .. فما رأيك ؟

حجازى : أنا لست ضد صحة اسلامية أو موجة من التدين
ولكن أنا أعلم ان الاسلام فى جوهره دين عقلى .

دين يمجّد العقل ويمجّد الانسان ويعترف بسطالِب وحاجات
الناس ويشجعهم على النظر فى دنياهم وتلبية مطالبهم ولا يسرف
فى التحريم بل يشجع على اليسر والدعوة بالموعظة الحسنة .

ان العودة الى جذور وأصول الفكر العربى الاسلامى دعوة
لا غبار عليها .. ولكن لماذا نختار الجوانب المظلمة والضيقة
والسلبية فى تاريخنا ونترك الجوانب المشرقة والايجابية
والعقلانية . لماذا نستورد وجهات نظر اسلامية غريبة عن مجتمعنا
ولا تتلاءم مع ظروفنا وتاريخنا وثقافتنا .

اننا نريد صحة اسلامية ليس فى مصر فقط ولكن فى كل
البلاد الاسلامية .. ولكنها الصحة التى تقدم الاسلام نقدياً
صحيحاً للعالم كله .

لذلك فإنه فى تصورى ينبغى ان تقوم الصحة الاسلامية على
عقده أساس ..

● الصحة العقلانية الانسانية فى التراث العربى الاسلامى .

● البحث عن حلول للمستقبل وليس اللجوء للماضى لأن

الصحة الاسلامية ليست تحقيقاً لنوع من الخلاص الفردى يعود
فيه الانسان الى نوع من التدين التقليدى أو يعود الى شئ شبهه
بالتسليم والفراغ من الحياة .

● أن تقوم هذه الصحة أيضاً على ادراك ان المستقبل لا يمكن

ان يتحقق الا بتعاون بشرى ٠٠ فنحن لا نستطيع ان نتحدث عن
صحوة ونقاط الثقافة والانسانية بل لابد ان نؤمن باخوة البشرية
على مختلف مذاهبهم وجنسياتهم ٠

الصحوة الاسلامية هي أولا وقبل كل شيء صحوة سلمية .
بمعنى انها صحوة بشر لا صحوة نصوص ٠

واذا كنا نريد ايقاظ النصوص فينبغي ان نكون نحن
متيقظين ٠٠ أما ان نتصور ان النصوص هي التي ستوقظنا من
نومنا فهذا غير صحيح ، وعلى هذا ينبغي أن نبدأ بانفسنا
ونستيقظ ٠٠

هذه هي الصحوة الاسلامية كما أتصورها ٠

الأمَل القادِم

● ● هل هناك أمل ؟

حجازي : الأمل قائم طالما ان الناس تسأل وتقرأ وتستمع
وتبحث عن اجابات وحلول للمشاكل ٠٠ وطالما أن هناك حياة فهناك
أمل ٠٠ لأن مصر لن تستطيع ان تعيش في هذا النفق الضيق الذي
لن يصل بها الا الى الظلمات ٠

● ولكن المَوطِ بهم الأمل سواء من الكتاب أو الدعاة - كما
جاء في مضمون مقالك الأول بالأهرام - اما قد غابوا أو غيبوا أو
استراحوا ٠٠ ؟

حجازي : آمالي ليست في المثقفين الحاليين ٠٠ هناك أجيال
جديدة مليئة بالحياة والرغبة الحقيقية في العمل وهؤلاء هم كتاب
المستقبل ومثقفوا المستقبل ولا يجدون أية فرصة ليقوموا
بدورهم ٠٠ هناك فنانون وشعراء وأدباء لا يجدون فرصة للظهور ٠

● ● اذن فالأمل مرهون بظهور الجيل الجديد واثاحة الفرصة امامه . . . وهى فرصة غير متاحة كما قلت الآن فاين المخرج ؟

حجازى : من قال لك ان الطريق سيظل مسدودا للأبد . . .
والذين يسدون الطريق ليست لهم قوة الا قوة الدولة . . . واذا
أرادت الدولة حقا أن تساهم فى العودة الى العقل . . . فينبغى عليها
على الأقل أن تكون عادلة فى اتاحة الفرصة أمام الشباب فى
المؤسسات الثقافية والأجهزة الاعلامية ، لأنها ليست ملكا لأشخاص
بعضهم ولكنها ملك للشعب ، وللشباب الحق فى أن يكونوا موجودين
فيها .

صدى البداية

● أما عن شاعرنا الكبير نفسه ، فقد ولد فى مدينة تلا بمحافظة
المنوفية ، جاء لوالده على كبر وهو فى الخمسين من عمره فاعتنى
بتربيته وتحفيظه القرآن الكريم ، وما كاد يصل الى سن التعليم
(ست سنوات) حتى حفظ نصف القرآن الكريم ، ونظرا لتفوق
قدراته عن مستوى الصف الأول الابتدائى فقد بدأ دراسته من
الصف الثانى ، وعندما أصبح عمره ثمان سنوات حفظ القرآن
الكريم كله ، وعندما صار فارسنا قادرا على القراءة والكتابة بدأ
يطالع فى مكتبة والده ، وبعد انتهائه من مرحلة التعليم كان أحمد
عبد المعطى حجازى بطبيعة الثقافة الشعرية المتاحة له فى هذه الأيام
من أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات مشدودا (الى الشعر
الرومانتيكى) .

● ● وأسأل فارسنا أحمد عبد المعطى حجازى : كيف تحولت
الى كتابة القصيدة الحديثة ؟

يجيبني : كانت قصيدتي « الطريق الى السيدة » وما تبعها مع تطور ذاتي ليس متأثرا بأحد ، مما جعلني أعتقد أنني أفضل من سيقوني سنة أو سنتين ، وكان تطوري هو باقاعى انخاص الذى أدى الى كتابتي للقصيدة الجديدة التى كانت تستقيم مع بدايتي لأنها تدور حول تجربتي فى المدينة بالإضافة الى أن القصائد وجدت صدى هائلا لدى الناس : القراء ، والمثقفون ، والنقاد الذين اعتبروا شعري الأول تعبيرا ليس فقط عن تجربة شخصية بل رأوا فيه تعبيرا عن تجربة البلاد .

أستاذ بجامعة باريس

وفي الوقت الذى تطورت فيه القصيدة الجديدة وتطور معها شاعرا أحمد عبد المعطي جازي ، كانت تحدث فى مصر أيضا تطورات وتغيرات فى المجتمع والناس على كل المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى جاءت هزيمة ١٩٦٧ فطهرت الجميع ، وحولت آمال كوكبة أهل الأدب والفن والثقافة الى أطلال ، ثم كانت عودة الروح بحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى انفعل بها كل المبدعين لدرجة أن شاعرا كتب ثلاثة قصائد خلال تسعة أيام نشرها منذ بدء الحرب المجيدة ، وتم الأيام ويكتب الشاعر مقالا ينتقد فيه تصريحات للوزير المسئول حول سياسة وزارة الثقافة آنذاك ، فيمنع نشر المقال ، فيسافر الشاعر الى باريس محتجا ولكنه يعمل كمراسل لمجلته « صباح الخير » ، وفي نفس الوقت انتهازها فرصة لاتقان اللغة الفرنسية والاتصال بالعالم عن طريق فرنس ، وكان مقدرا لهذا السفر الاستغراق أكثر من عام ولكنه امتد الى سنوات وصار هناك أستاذا لتدريس الشعر العربى بجامعة باريس .

● فكيف حدث ذلك ؟

اسأل شاعرنا فيجيبني :

أتيج لى أن أكتب مقالتان هامتان فى صحيفتين فرنسييتين مما لفت نظر أقسام الدراسات العربية بجامعة باريس التى دعتنى للقاء مع طلاب وأساتذة الدراسات العربية الذين أجبتهم عن أسئلتهم حول الشعر وشعرى بوجه خاص ، وبعد هذه الندوة عرض على رئيس القسم ان أقوم بتدريس الشعر العربى لمدة ساعتين فى الاسبوع ، واستطاعت الجامعة ان تقدم لى وظيفة مدرس بها .

انا ونزار قباني

وحتى الفرج الوضع وأصبح المناخ فى مصر مهيأ لعودة كل الطيور المهاجرة عاد شاعرنا واشترك فى احدى الأمسيات الشعرية لمعرض الكتاب الدولى ولكن حجم التأمل فى شعره كان أكبر من حجم التصفيق له .

● ● فسألته : قيل وقتها ان الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى لم يعد بذلك الوهج الذى كان عليه عندما كان فى مصر فقد أهدمت الغربة فى باريس جدوة شعره .. فما رأيك ؟

استفزه سؤالى فأجابنى :

عندما تكون هناك ندوة فى معرض الكتاب يكون الجمهور عشوائياً مختلطاً لا يشده الا الموضوع ، فاذا كانت القصيدة موضوعها « أطفال الحجارة » تشد الجمهور حتى لو كانت قصيدة رديئة ، ولو قدمت له قصيدة أفضل بكثير حول موضوع ليس هو موضوع الساعة يكون تأثيرها أقل .

اذن الموضوع هو الذى يحدد طبيعة تلقى الجمهور ، ولو كنت بمصر خلال الفترة التى قضيتها بباريس لتطورت نفس التطور ،

ثم انى اكتب الشعر بلغة غير اللغة الصحفية ، لكن بعض الشعراء
لكى يجذبوا الجمهور يختارون أسخن الموضوعات ويكتبون فيها
بلغة صحفية بسيطة ان لم تكن أحيانا مبتذلة .

● ● قلت لشاعرنا . . اذا لم يكن هدفك ان تصل للقاعدة
العريضة من الناس بمتابعة موضوعات الساعة . . فهل يكون الهدف
هو الاعتصام فى برج عاجي من التأملات الشعرية التى لا يتفاعل معها
الجمهور ؟

قال أحمد عبد المعطى حجازى متعلدا : انك لا تستطيع مع
جمهور المجتمعات الاستهلاكية الذى أتى لشراء « فرخة » ان تعرض
عليه صورة زيتية أو موسيقى سيمفونية ، لن يشد جمهور المجتمعات
الاستهلاكية الا أحمد عدوية ، والفن ليس هو « الجمهور عايز ايه »
انما « الشاعر عايز ايه » ، ولابد لمن يريد ان يفهمه ان تكون له
علاقة بالشعر ، لذا لابد من التأكيد على استقلالية لغة الفن عن لغة
الصحافة ، ولغة كل فن عن كل فن آخر .

● ● سألت شاعرنا : هل أنت أكثر توثيقا أم نزاو قبائى ؟
قال بغير مجاملة : لابد ان يكون هناك فرق بينى وبينه فهو
له طريقة خاصة فى الكتابة يبحث فيها عن الموضوعات التى تثير
الناس سواء ما نظمه فى ديوانه « طفولة نهد » أو فى دواوينه
الأخرى الشبيهة أو قصائده الأخيرة عن أطفال الحجازة وعن بيروت
وبغداد وغيرها من الموضوعات السيارة ، وشاعر مثل يعتقد ان
الموضوع مجرد مثير للشعر ، والشعر هو اللغة التى يعبر بها الشاعر
عن واقع العالم ، فانا أعبر بلغة الشعر التى هى مختلفة عن اللغة
التقريرية ، ولا شك ان الجمهور يفهم الخبر أكثر مما يفهم
القصيدة ، وبعض الشعراء يحاول أن يقترب من الخبر فيكسب
جمهور الصحافة ، ولكنه يخسر الشعر ، بعكس الشاعر الآخر الذى

يحاول أن يكون وفيًا لمتطلبات الشعر وبالتالي وفيًا للجمهور الشعر.
ولذلك فإن قصيدتي تجد قبولا واسعا لدى جمهور الشعر الذي يجب
أن يسمع ويتذوق ، وهو جمهور ليس ضعيفا ، ولكن نزار قباني
يوزع أكثر مني ، غير أن وصول الشاعر إلى جمهور واسع ليس شهادة
لشعره ولكنه مكسب للشاعر فقط ، وإذا سألت نفسك : من يوزع
أكثر : هل يوسف السباعي أم نجيب محفوظ ؟ ترى أن من
يشتركون ليوسف السباعي على الأقل إلى عهد قريب أكثر من نجيب
محفوظ ، لكن نجيب بشهادة النقاد والمثقفين لا يقارن بيوسف
السباعي ، انظر ما توزعه أغاني أم كلثوم وما توزعه أغاني
عشوية ، إنه يوزع أكثر لكن هل هذه شهادة له أم شهادة على العصر
الذي نعيش فيه ؟ ، والفنان الذي يزيّف تجربته حتى يستأثر
بالاعجاب الوقتي الواسع لا يخسر الفن وحده ولكن أيضا القيمة
الأخلاقية ، ولا يهمني كشاعر أن أكسب جمهورا بالتنازل عن قيمتي
لأنني أضع أمامي المستقبل والقيمة الباقية لأنني أمين مع نفسي ؛
ولا شك أن الشاعر الذي أتيجت له الثقافة والمعرفة وخرج من
مقاييس المحلية ودخل المقاييس العالمية يتصرف بطريقة مختلفة .

● ● اذن تجربتك في باريس قد انعكست آثارها عليك ؟

يقول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي : لقد أصبح اطلاعي
على الشعر الفرنسي والانجليزي مصدرا أساسيا لثقافتني ، ولذلك
أصبح حكمي على الشعر مختلفا عن الشاعر الذي لم يقرأ إلا ما تنشره
الصحف العربية ، والجديد في تجربتي الباريسية أن الموضوع
اليومي أصبح دوره محدودا جدا في شعري ، وأصبح موضوع شعري
هو في الأصل تجربتي الباطنية وذكرياتي القديمة وحنيني إلى أماكن
بالات ومشاهد وأزمنة ، وأدراكي لوضع الإنسان في الحضارة
الحديثة وتأملاتي في موضوع الموت والمصير والزمن ... الخ .

● ● اذن هي مرحلة تأملية فلسفية ؟

— هي كذلك اضافة الى ان اللغة تطورت عندي واضيفت لي تجربة باريس بعدا كونيا وعالميا ، فلم تعد مقتصرة على اهتماماتي القومية بل الانسان في أبعاده الواسعة ، وأتاحت لي فرصة اشتغالي بالتدريس في جامعة باريس ان أقوم بتدريس الشعر العربي تدريسا منهجيا باستخدام المنهج الأوربي مما فرض على قراءة الشعر من أيام الجاهلية حتى الوقت الحاضر ، فقامت بإعادة استكشاف للثقافة العربية بالإضافة الى الاتصال بالثقافة الغربية .

● ● وأسأل الشبان الكبير أحمد عبد المعطي حجازي عن الأمل الوحيد الباقي لوحدة أمة المحيط والخليج . . . وهو الثقافة ؟

فقال : الوحدة العربية غير قائمة الآن الا بالثقافة التي هي الأساس الراسخ أو الرمز الوحيد لامكانية قيام هذه الوحدة من خلال اللغة الواحدة والأدب الواحد وبالتالي صنع وجدان مشترك ، لأن الأدب يخلق الوجدان نتيجة ثقافة تمتد الى العصور التي بدأت فيها الثقافة العربية تصبح ثقافة أمة كبيرة خاصة بعد الإسلام .

فالثقافة لغبت وتلعب دورا كبيرا في وحدة هذه الأمة التي تحتل منطقة من أخطر المناطق وتمنع بالتالي التمزق والجلجلة . .

اذن وان كنا نتمنى قيام وحدة عربية سياسية واقتصادية الا أن أن مثل هذه الوحدة لا يمكن أن تقوم الا على أساس ثقافي ، والذي هو الأساس الباقي الذي يساعد الناس على الاستفادة من خبرة الماضي لبناء المستقبل .

● ● اذن انت ترى أن هذه رسالة المثقف ؟

— نعم ورسالة المثقف أيضا أن يحثي الوجدان العربي من الانهيار التام نتيجة الهزائم والنكبات والعدوان المستمر على الأمة

العربية والصراع والحروب الطائفية والاقليمية بين بلدانه ، وواجب المثقف هنا أن يقدم الأمل ويحاول باستمرار أن يحاصر اليأس من أن تنتشر عدواه ، وأن يقدم المثقف اجابات على الأسئلة المطروحة ، وأن يدرك الأمور العارضة والطارئة ويتجاوزها ، ويتمسك بما هو أساسى وجوهري ويشير اليه ، ويساعد الناس على التمسك به .

المقاس المطلوب

● ● ولكن الا ترى ان المثقف العربى لا يؤدى رسالته على الوجه الذى اشرت اليه ؟

— للأسف الناس يستسهلون اتهام المثقف العربى بأنه متواطئ مع السلطة ومشغول بمصالحه ومعزول ، وهذا غير صحيح ولكننى أعترف أن المثقف العربى لم يستطع أن يبنى تقاليد لعمله تسمح له بأداء واجبه حتى ولو كانت الظروف غير مواتية .

ولذلك فحتى يؤدى المثقف واجبه ، يجب على الأقل أن يكون له « منبر » ، لأنه الآن لا يستطيع أن يخطب فى الشارع مثلما كان يفعل مصطفى كامل فى العصر الحديث ، يجمع الناس فى مسرح ، لتصل كلمته من خلالهم الى الشعب كله ، الآن لا نستطيع أن نفعل هذا الا من خلال الصحف والاذاعة والتليفزيون والكتاب ، والسينما حتى المسرح ، والنادى ، يعنى أى تجمع .

وكما أنه يجب تمكين المثقف من اسماع صوته ورأيه للناس ، فيجب أيضا أن يتفاعل مع الآراء الأخرى .

العودة للقرن ال ١٨

● ● من خلال رؤيتك العامة للثقافة العربية . . الى أى مدى استطاعت التعبير عن الشخصية العربية ؟

هذا السؤال ليست عندي اجابة جاهزة عنه ، ولكن يمكنني ان اقول ان بعض الاعمال الادبية ، الروائية والشعرية والمسرحية ، نجحت في التعبير عن جوانب من الشخصية العربية .

● ● لماذا لم تنجح هذه الاعمال الادبية في التعبير الكامل عن الشخصية العربية ؟

لان الوجود الانساني ليس وجودا جزئيا ، بمعنى انه لكي تكون عندنا ثقافة متكاملة ، يجب ان يتكامل المجهود العلمي في هذه الثقافة مع المجهود الادبي ، بحيث يتم تشخيص واقعنا علميا ، وتشخيص الذات الداخلية ادبيا .

اذن لابد ان يكون لدينا ادب وعلم ، فكر وفلسفة ، وفن .. فاذا تكامل هذا النشاط نستطيع ان نقول ان هناك تعبيرا كاملا عن الشخصية العربية .

الآن طبعا هناك اعمال ادبية ، ولكن هذه الاعمال الادبية اذا وجدتها متوفرة في مجال فانك لا تجدها متوفرة في مجال آخر ، بمعنى ان هناك لا شك نشاطا في مجال الرواية ولكن هل هناك نشاط في مجال الشعر ؟ ، فيه نشاط في مجال الابداع الادبي فهل هناك نشاط يقابله في مجال النقد الادبي ؟ ، فيه نشاط في مجال الادب عامة فهل هناك نشاط في مجال العلم ؟ ..

فنحن صحيح نكتب باللغة العربية ادبا عربيا ، ولكن هل نكتب باللغة العربية بحوثا علمية .

اذن فالتعبير الثقافي اعرج وغير متكامل ، لانه موجود في مجال وغير موجود في مجال آخر ، لذلك فالانتاج الثقافي العربي غير متكامل ولا زال بدائيا ناقصا في التعبير عن الشخصية العربية .

رحلة - ٥٦١

● ● ولكن اليس المثقف يتحمل جزءا من مسئولية عدم قيامه بالتعبير واداء دوره ؟

— طبعا لأن الموضوع ليس عقبات أخلاقية بسبب وجود جوانب لا يستحب الكلام فيها أو أن بعض قوى تمنع المثقف من أن يؤدي دوره ، أيضا فالمثقف مقصر في حق نفسه ، فهو لا يزال يستخدم وسائل ومناهج بدائية ، ولم يستوعب بعد الثقافات العالمية ، ولم يستفد من التراث العربى ويطوره ولم يستفد بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات . بل ان البعض ما زالوا حتى الآن يشتمون طه حسين على كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، فهؤلاء الناس لا يريدون أن يغلّقوا باب الاجتهاد الآن ولكنهم يريدون أيضا أن يجرّموا أو يتهموا الاجتهادات التى حدثت بالأمس ، فماذا يريدون ، هل يريدون العودة بنا الى القرن الثامن عشر ؟!

الراى العام والضمير المشترك .

● ● اذا كان دور المثقف غائبا نتيجة الظروف التى شرحتها فمن اذن برأيك الذى يقود الراى العام العربى الآن ؟

السؤال الآن . . هل هناك رآى عام عربى ؟ لا يوجد ، والا عندما حدث ما يحدث فى لبنان (*) ، أو بين هذه العاصمة وتلك من العواصم العربيه . . لماذا لم تخرج مظاهرة واحدة من خمسة أشخاص .

وعندما تتعرض أمتنا للعدوان . . لماذا لا تتحرك الجماهير العربيه . . ليست فقط مظاهرات بل حتى فى الكتابة لا يوجد رآى عام ، لأن الراى تفكك وتمزق وأصبح طوائف وعشائر وقبائل

(*) أيام الحرب الأهلية واجتياح اسرائيل لبيروت .

وكل انسان عاد الى دائرته الصغيرة جدا ، في احسن الاحوال
عائلته . فنحن في حاجة الى ضمير مشترك . الى رأى عام .

● ● من هو المسئول عن خلق هذا الضمير المشترك والرأى
العام الواحد ؟

المثقف والشاعر والروائى والفنان والسياسى والاقتصادى
والمهندس . . المجتمع كله يشارك في هذا .

● ● دور المثقف والشاعر والروائى والفنان والسياسى
معروف ومفهوم . . فكيف نفهم دور الاقتصادى مثلا فى بلورة
الرأى العام ؟

الاقتصادى لابد ان يشرح لى أهدافه الاقتصادية التى تجعلنى
وأنا أسعى الى الربح لا أقوم بتجريف الأرض الزراعية وتحويلها الى
صحراء أو مبان ، أو واحد يقف بسيارته فى عرض الشارع ليشتري
« جبة » ويعطل السيارات التى خلفه ، ذلك لأنه لا يوجد احساس .
ولا رأى عام ، بعكس زمان كان يوجد رأى عام . .

● ● كيف كان يوجد رأى عام زمان ؟

فى العقود الأولى من هذا القرن ، كلنا نجد مثلا سيد درويش
يساهم فى خلق الرأى العام بأغانيه وألحانه ، وطه حسين كان
يساهم بأرائه النقدية ودراساته ومسرحياته ، أيضا العقاد ، والشيخ
على عبد الرازق . . فهؤلاء كانوا يساهمون فى بلورة الرأى العام
فى كافة الجوانب .

مجتمع رحب مفتوح

● ● الا يوجد أمل فى عودة مثل هذا الرأى العام قوية
مؤثرا ؟

نحن ننتظر عودة من هذا النوع الآن ، وأتوقع ذلك خاصة
بعد ما أصبحنا مجتمعا مفتوحا رحبا ولديه استعداد لتقبل الرأى

الآخر واعطاء الفرصة لهذه الآراء لكي تتفاعل وتتصارع وتنتهى الى حلول مفيدة منتجة .

أتوقع ذلك نتيجة الظروف الراهنة فى مصر والتى تساعد على ترسيخ تقاليد جديدة للعمل الثقافى ، تنتهى الى مفهوم أن المنقف ليس هو الاعلامى ، وانما هو الذى يقوم بواجبه بما يراه حق ، والرقيب على هذا هو وجدانه وضميره .

فاذا ترسخ هذا المفهوم ونشأ على أساسه جيل جديد من المثقفين ، تنشأ للثقافة مؤسسة معنوية .

وكذلك فى كل المجالات بحيث يكون هناك وجدان مشترك ، والا تحولنا الى حبشة . اذن لابد من « سلك » . . ينتظم الناس ليكونوا مجتمعاً .

وهذا « السلك » غير المرنى والذى ينتظم الناس هو العقل الوجدان . الثقافة ، والا ظل عقد المجتمع منفرداً . . ناس تذهب الى أمريكا . . كندا . . أوروبا الخ . . فأصبحنا أشبه « بعشة الفراخ » التى انفتحت فقفز الدجاج هنا وهناك وفوق السور وخارج البيت ، لا تستطيع أن تجمعهم ، نحن نريد أن نعود لنكون مجتمعاً نشيطاً ثقافياً وعلمياً وفنياً وأديباً واعلامياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وفى الجامعات . .

فكل فرع من هذه الفروع له دور فى قيام مجتمع حقيقى له وجدان مشترك وضمير مشترك ، يصنع فى النهاية الرأى العام الذى يحس ويشارك وأنا شخصياً عندما أرى معرضاً للكتاب يتردد عليه الناس يومياً بالمليون ، وأمسيات وندوات شعرية يترددون عليها بالآلاف ، فهذا شيء مطمئن ويدعو للتفاؤل والاستبشار .

فنحن الآن نعيش مرحلة أكثر ايجابية وأقل سلبية من السابق ، وينبغي تنمية ودفع وتعميق هذا لاعطائه صفة الدوام والتواصل التاريخي لأنك اذا أخرجت الانسان من تاريخه صار قردا ، هذا ما يجب أن ننتبه اليه لأن مشكلتنا هي انعدام التواصل بين الحاضر والماضى والمستقبل ، لأن كل من يعمل عملا ، يأتي شخص آخر جديد يحو القديم وينسخه •

لهذا فمن أجل أن يوجد التواصل لابد من عمل ثقافى دائم وثابت لكى يظهر رجل مثل طه حسين يغير العقل المصرى والعقل العربى •

● نزار قباني :

أنا أول من أمم الشعر وجعله ديمقراطيا

● الشاعر العربي الكبير نزار قباني قال لي ذات مرة لم يمكنني أن
يقول ما قال سوى في بلدين أحدهما بيروت ولكنها تشرق (*) فلم يبق
إلا مصر التي مهما يقال عنها فقد أكدت انتماءها القومي والعربي -
وستبقى ينبوعاً حضارياً وثقافياً وقومياً لنا جميعاً .

كانت البداية مع رحلة شاعرنا الكبير مع الشعر والحياة .
فقال . .

اكتشفت بذور الشعر في نفسي بالمصادفة ، فقد جربت قبل
الشعر عدة محاولات ، فحاولت أن أرسم ، وجربت تعلم الموسيقى ،
وفي النهاية وجدت أنني سأكون في كلا الفئتين ثانوياً ، وليس من
الدرجة الأولى ، فتحولت في سن ال ١٦ سنة عام - ١٩٣٩ - إلى
الشعر لأنني إما أن أكون الأول وإما ألا أكون .

وبعد خمس سنوات طبعت أول ديوان لي في دمشق سنة
١٩٤٤ بعنوان « قالت لي السمراء » ، ثم دخلت السلك الدبلوماسي
وأثبتت في أول بعثة دبلوماسية إلى مصر من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨ .
وأصدرت ديواني الثاني « طفولة نهد » .

ومنذ بداياتي حاولت أن يكون الشعر صوت الإنسان في كل
مكان وبوسائل كثيرة أهمها وسيلة اللغة ، واعتبرت الشعر أداة لانارة
واضاء وجدان الشعب العربي ومساعدته على أن يحقق ذاته وأفكاره
سواءً عاطفية أو سياسية .

(*) في زمن الحرب الأهلية حين أدلى نزار بهذا الحديث .

ثم تنقلت في السلك الدبلوماسي بين لندن والصين وأسبانيا
وبيروت ، ومن حصيلة هذا الترحال الدبلوماسي تكونت عندي
تجارب كثيرة اعتبرها أول وأهم كتاب في ثقافتى .

وكانت قضيتى في المرحلة الأولى من شعرى هى قضية « المرأة »
باعتبارها جزءا خطيرا وأساسيا من حياة المجتمع الذى كان لابد لى
أن أقاتل من أجل تحريره كما نقاتل فى سبيل تحرير أى جزء من
الأرض ، لأننى اعتقد أن المرأة فى مرحلة ما ، أهم من الأرض ،
لأنه إذا حررت الأرض ولم تحرر المرأة فما تكون قد فعلت شيئا ،
وأعنى بتحريرى للمرأة فى شعرى هو أن أضعها فى المكان الحضارى
اللائق وأن أجعلها مواطنة من الدرجة الأولى ، حيث لابد أن نعترف
بإنسانية المرأة ، وشعورنا بزمالتها لا شعورنا بامتلاكها ، بل هى
انسان له الفكر وذوق وأجاسيس .

ما تاجرت بالحشيش

● ● دفاعك هذا الخار عن المرأة هل كان هو سبب شهرتك
وكثرة معجيك من الجنس الآخر ؟

لا لا لا . قضية الشبهة عن طريق المرأة غير واردة ، لأن
شهرتى جاءت عن طريق « الصدق » فى معالجة القضايا سواء كانت
قضايا عاطفية أو سياسية .

أما بالنسبة للمرأة وشعر الحب فأنا أول من تحدثت عن الحب
كظاهرة طبيعية مرتبطة بالإنسان ، فحين ما لم يحب ؟
والحب فى نظرى فى مرحلة من المراحل عبارة عن غطاء
سماوى ، لكن هنا فى الشرق العربى تعاملنا مع الحب كنوع من
المهربات كالحشيش ، شئ ممنوع .

وقد كنت أشعر دائماً أن هذا خطأ لأنه لا يمكن ممارسة القمع على شعور طبيعي من مشاعر الإنسان ، لذلك أعلنت الثورة ضد التفرقة العنصرية في الحب بين الرجل والمرأة ، فبينما المرأة مقموعة ولا تستطيع أن تقول أو تعلن حبها أو كرهها فإن الرجل يستطيع أن يعيش متى يشاء ومن يشاء ، وهذا ما يجعلني أخطو إلى ثورتى التصحيحية :

ويقول عني الأغبياء
اني دخلت إلى مقاصير النساء وما خرجت
ويطالبون بنصب مشنقتي
لأنني عن شئون حبيبتى كنت
أنا مثل غيرهم ما تاجرت بالحشيش

شعب مصر يؤكد انتماءه

● ● بعد محاولتك لتصحيح أوضاع رأيها خاطئة بالنسبة للقضايا العاطفية فكيف بدأت محاولتك لتصحيح الأوضاع السياسية ؟

جاء دور السياسة بعد حرب ٦٧ ، فكتبت قصيدتي المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » ، التي عريت فيها عاهات الأمة العربية ، وتكلمت بسدق جارح ، لأنه لم يكن هناك مهرب من أن أنقد هذا النقد الذاتي ، لأن من بعده تبدأ حركات التأسيس والتصحيح ، ولا يزال الشعر السياسي بالنسبة لي مفصلاً رئيسياً ، لأن حياتنا كلها مغطاة بالسياسة ، فنحن نعيش السياسة في صبحونا ونومنا ، وطعامنا وشرابنا ، وأنا أعتقد أن الشاعر يستطيع أن يكون قائداً سياسياً يوقظ وجدان الجماهير العربية ويسكنهم

بلسانها ، لذلك فانا أعتبر الشاعر هو الناطق للرسمى بلسان
الامة .

● ● **الذلك يمكن القول أن مملكة الشعر والأدب تستطيع
أن تنتظم عقد العروبة المنفرط ؟**

طبعاً وهذا حاصل الآن ، فالشعراء والأدباء هم الذين يجمعون
الشمى ، فى حين أن الدول العربية لا تستطيع أن تتفق حتى على
موعد لقاء فيما بينها فى مؤتمر قمة أو حتى وزراء خارجية ، ذلك
بينما الشعراء والأدباء والفنانون يتنقلون من بلد غربى الى بلد
عربى آخر ، والجماهير تشعر أن هذا هو الطبيعى ، فمثلاً عندما نرى
وفداً من مصر يذهب الى دمشق ليشترك فى مهرجان المسرح ، أو
أتى أنا الى هنا لألقى شعراً فى معرض الكتاب أو أذهب الى ندوة فى
الأردن أو الجزائر ، ويتنقل الشعراء العرب بين البلدان العربية
كأنهم يتنقلون فى بيتهم ، أعتقد أن هذا دليل على أن الوحدة
العربية معاشة بصورة طبيعية ، وهى لا تحتاج الى موثيق ، لأن
الكلمة هى الموحدة ، والقصيدة عندى مثل بركان يتفجر من داخل
والشعر يلعب دوراً كبيراً فى عملية التوحيد هذه .

● ● **هل شعرت بذلك خلال استقبال الجمهور المصرى لك
فى معرض الكتاب الدولى ؟**

نعم . . . فالقصائد السياسية التى ألقيتها فى مصر وتجاوب
الجمهور معى كان استفتاء شعبياً رائعاً أكد به الشعب المصرى انتماءه
القومى العربى ، وأنا فخور بهذه النتيجة التى تؤكد أن مصر همما
يقال عنها فهى تبقى ينبوعاً حضارياً وثقافياً وقومياً لنا جميعاً .

لا تغضبوا مني

● ● ان ما تقوله الآن هو عكس ما قلته لمجلة عربية من ان
الثقافة في مصر قد أصبحت ثقافة عدوية ؟

أرجو ألا تغضبوا من هذا فأنا لا أتجاهل ، لأن مفكرين مصريين
كبارا قالوا مثل هذا الكلام ، فالأستاذ توفيق الحكيم قرأت له حديثا
في مجلة تصدر في باريس قال فيه ٠٠ « ان هذا عصر السباكين
في مصر ، وان أصغر راقصة في شارع الهرم تتقاضى أكثر مما
يتقاضى هو ونجيب محفوظ من مردود كتبهم في أربعين سنة
ماضية » ، كذلك د زكي نجيب محمود تكلم بنفس الصيغة وتحدث
عن هبوط الثقافة

ومن رأيي أنه ليس عيبا أن نعترف بأن هذا العصر سواء في
مصر أو البلاد العربية أو أوروبا ، هو عصر الهجمة المادية على الروح ،
وهذا ما وقع .

ولا يمكنني أن أقارن الثمانينات بالأربعينات في مصر حيث
كنت أنا دبلوماسيا هنا ، وشهدت عظمة الثقافة المصرية في عصر
نهضتها التي بدأت فيما بين الثلاثينات والخمسينات حيث برز العقاد
والزيات وطه حسين والبشرى والمازني ، وغيرهم كثيرون ، ومع
نهضة الأدب كانت هناك نهضة في الموسيقى بدأها سيد درويش
وعبد الوهاب ، وتآلفت فيها أم كلثوم .

فقد كانت هذه الفترة مثل النيل تفيض علينا وعلى العالم
العربي بكل أرجائه ، لذا عندما أقول أنه لم يعد في مصر ذلك الزخم
الثقافي فهذا مثلما ينطبق على مصر ، ينطبق على لندن ، مثلما ينطبق
على باريس ، مثلما ينطبق على روما ، وكل البلدان التي تمارس
الثقافة ، ولكن يبدو لي أننا نغضب ونريد أن نقول أننا دائما معلمو

الثقافة ٠٠ لا يا أخى نحن نعلم ونتعلم ، لأن المرحلة الثقافية عبارة عن دورة وخط بياني قابل للارتفاع كما هو قابل للهبوط ، ومثلما نحن منحدرين سياسيا الآن فكذا الثقافة لا يمكن أن تنجو من هذا لأنها جزء من حياة الأمة ، ولا يمكن أن نقول أن الثقافة بخير والسياسة منحطة ٠٠ لا ٠٠ لأن مرحلة الهبوط السياسى يقابلها مرحلة هبوط ثقافى ومرحلة هبوط شعري ، ويجب أن نعترف بهذا لأن الدولة القوية تنتج الثقافة القوية والشعر القوى العظيم ، لذا أعطنى هذه الدولة وخذ شعرا عظيما .

الفجر الجديد .

● ● هل يعنى اعترافنا بالواقع الأليم سياسيا وثقافيا أن نعترف أيضا بالياس ؟

لا يا أخى ، ما تبر به الأمة العربية هو مخاض يشبه مخاض الأم فى انتظار الوليد ، لذلك لا تحزننى حالة التدهور الموجودة الآن لأنها تمثل حالة قلق ، قلق فى الثقافة والشعر ، قلق فى السياسة ، قلق فى الاقتصاد ٠٠ وهذا القلق يسبق طلوع الفجر الذى لابد من طلوعه ، ولابد أن ينتهى هذا المخاض الى ولادة الانسان العربى الجديد .

● ● هذا الانسان العربى الجديد الذى نحلم معك بمولده هل يمكن تحديد دائه لاستئصاله وصولا الى الفجر الجديد ؟ .

داء الانسان العربى هو داء العصر كله ، عصر المادة أو ما أسميه العصر الاستهلاكى ، حيث ميدان الروح يضيق وميدان العقل يضيق ، بينما ميدان الجسد يكبر ، وهذه ظاهرة عالمية ، فتجد أن أوروبا تحاول الرجوع الى ماضيها مثل حزب « الحضر » الذين يعودون للطبيعة والغابة ، ومثل « الهيبين » الذين يريدون كسر

أنظمة المدينة ، والعودة الى الرعوية والفكر الرعوى ، والبساتين
والشجر ، هروبا من مدن الأسمنت .

فأنا أعتقد وأنا أتأمل هذه الدلالات الموجودة في العالم أن
الحياة الاستهلاكية التي يعيشها المواطن العربى تعتبر هامشا على
حياة الانسان العربى الذى لابد يوما عائدا لأصالته وتقائه الأول .

حكم المجانين

● ● هل يمكن فى ظل الرعب النووى وأسلحة حرب النجوم
أن يحقق دعاة السلام نجاحا فى العودة الى الأصالة التى ينشدها
الانسان فى كل مكان ؟

للأسف . . العالم واقع بين أيدي مجانين ، والذى أشعل فتيل
الحروب الماضية كانوا مجانين ، وياويل العالم يوم تقع حرب عالمية
جديدة ، ولكن أمام الأسلحة الفتاكة الهائلة التى نسمع عنها هناك
جماعات السلام فى كل البلاد ، وأحزاب تطالب بالحد من السلاح
النووى وتدميره ، ولكن على من تقرأ مزاميرك ياداد ، فهناك
شئنا أو أبينا نزاع على البقاء بين الدولتين الكبيرتين ، روسيا ،
و « أمريكا » ، ونحن لعبة بين الأرجل لا نستطيع أن نفعل شيئا
لأننا لا نملك السلاح النووى ، ولا نستطيع أن ننصح بشئ لأن
نصيحة الضعيف غير مقبولة .

● ● إذا تصورنا مجتمعاً يزيج حكماء المجانين وينصب
الشعراء حكما له . . فهل تتنبأ بمستقبل أفضل للعالم ؟

أنا لا أتصور أن يكون الشعراء حكما ، لأن الانسان بطبيعته
يحب السلطة ، فإذا كان ملاكا فى البداية ، فانه عندما يجلس على
كرسى الحكم ، يحدث لعقله تغييرات كبيرة بتأثير هذا الكرسي .

فيزداد غرورا واعتدادا بنفسه ، وتزيد مطامعه ، لذلك ابق على الشعراء كما هم لأن لديهم مجموعة مثل عليا ، وأخشي من وصولهم لممارسة الحكم فيسقطون ويتبدلون ، لذا أفضل أن يبقى الشاعر شاعرا والحاكم حاكما ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك مجلس استشاري لاستشارة أهل الفكر فيما يتعلق بالسياسة كما كان يجري في أثينا القديمة .

❁ ❁ مادمت غير موافق على حكم الشعراء فهل تراهم قد استطاعوا في عالمنا العربي كشعراء أن يكونوا معبرين عن آماله وآلامه ؟

هذا يختلف من شاعر الى شاعر ، فهناك شاعر يعتبر الشعر عملية استشهاد ، وأنا من هذا الرعيل ، يعني أنا ليست عندي أوساط حلول ، لأنني أومن أن الكلمة يجب أن تقال ولو على حدة السيف ، وهذا ما طبقته في شعري ، لكن هناك للأسف شعراء « بجسدهم » يفكرون ، يتحامون على أسرهم وحياتهم ووظائفهم ، ولا يريدون أن يجرحوا أحدا ، وهؤلاء ليسوا بشعراء لأن الشاعر الذي يمشى بجواز الحائط يقول « يارب سترا » فهذا شاعر مستسلم ولا خير منه في النهاية لأنه شاعر غير قادر على المجابهة ودفع الثمن ، لأن للشاعر ثمنا كبيرا جدا ، وعلى الشاعر الذي يريد أن يحمل بوليصة تأمين على قصائده ، أن يستقيل من مملكة الشعر .

❁ ❁ كم عدد الشعراء في الوطن العربي الذين يعتبرون الشعر عملية استشهاد ؟

أقل من عدد أصابع اليد ، لأن الانسان ضعيف أمام رزقه وأمام أولاده وزوجته وموقعه الاجتماعي ، لأن الانسان اذا غضب عليه ولا يملك أي مصدر رزق سوى الشعر أو الكتابة ، فماذا سيحل

به؟ أيتضور جزعاً أو يتسول؟ ، هذا منطق ، لكن هناك « ناس
بايعينها » ، مثلى ، يعنى تساوى الماء والحجر لديهم ، وبالنسبة لى
أعتبر أن شعرى رائج ، ومن مردود شعرى أستطيع أن أعيش عيشة
بسيطة ديمقراطية أربى أولادى ، وهذا كل ما أطلبه من حياتى ،
لا-أريد قصورا فى الجنة ولا على هذه الأرض ، ولا أريد « يخوتا »
تنقلنى عبر البحار ، ولكننى أريد أن أبحر الى جهة واحدة هى قلب
الجماهير العربية .

● ● إذا لم تكن تضع بوليصة تأمين على شعرك .. ألم تضع
بوليصة تأمين لأولادك من بعدك ؟ .

لا أملك الا الشعر ، وأعتقد أن أولادى وأسرته هم من أغنى
الناس بشعرى ، كما كان أبناء أحمد شوقى وكل الكتاب والشعراء
العرب ، لأن الاسم يحد ذاته ثروة أهم من السجادة العجمى وأهم
من القصور والفيلات كلها .

● ● هل يعنى هذا أن ليس لك رصيد فى البنك ؟

— رصيدى عشرون ديوان شعر ، وأعتبر نفسى بهذا أغنى
الأغنياء .

● ● كم عدد أولادك وهل يناقشونك فى أشعارك ؟

— عدد أولادى ثلاثة .. بنتان وولد ، وهم فخرون ويحبون
شعرى ، ولكنهم لم يصلوا بعد لمرحلة النقد ، فلأزالوا بعد فى مرحلة
العبادة والوثنية لأبيهم .

● ● هل هناك جو نفسى معين تنهيا فيه نفسك للكتابة ؟

— أنا لا أكتب القصيدة ، ولكن القصيدة هى التى تكتبنى ،
فأنا لا أخطط لها ولا أعرف متى ستأتى ، لأن القصيدة عندى مثل

رحلة - ٧٧

بركان ينفجر من داخل نتيجة تجمعات وتراكمات نفسية ثم لا نلبث
القصيد أن تشكل نفسها .

● ● هل بقي من طموحاتك شيء لم يتحقق ؟

- طموحي الكبير أن أجعل الشعر خبزا يوميا في تناول الجميع
وهواء يستنشقه الجميع ، وأستطيع أن أقول بكل اعتداد وفخر أنني
وصلت الى تحقيق هذه الأمنية ، فقد كان الشعر في الماضي رسميا
في بلاط الملوك والأمراء بعيدا عن الشعب ، فأردت أن أجعل الشعر
ديمقراطيا ، فكننت أول من أمم الشعر وجعلته في خدمة الجماهير
العربية .

وينتهي الحديث مع الشاعر العربي الكبير نزار قباني ، وقبل
أن يغادر ضيفنا الكبير « قاهرة المعز » أعلن في أمسية الشعر بمعرض
الكتاب « يدخل الشعراء العرب ليعلموا جمهورية الحب العربية في
وجه جمهوريات الحق والقبح والبغضاء » .

● عبد الوهاب البياتي :

الشعر العربي أشبه بحشرة الموتى

● قبل موعدي للقاء الشاعر العربي الكبير عبد الوهاب البياتي. القادم اليانا من العراق الشقيق لزيارة القاهرة التي يشتاقي اليها كلما ابتعد عنها ، جرى نقاش مع شاعر عربي آخر هو محمد مهران السيد حول العديد من قضايا الشعر ، وقد وجدت انه من المفيد ان اطرح هذه القضايا على الشاعر البياتي الذي يعمل مستشارا ثقافيا بالسفارة العراقية باسبانيا « أندلس العرب سابقا » ، وان كان يفضل مهمسا كان منصبه الا يناديه احد الا بصفته كشاعر له في رصيد مملكة الشعر أكثر من عشرين ديوانا ، وهو لا ينحاز الى الشعراء الا بحق ، ولذلك عكست اجابته حول قضية الوضع الراهن لحركة الشعر العربي ، مראה الحقيقة التي لم يشأ ان يزينها او يدور حولها .

قال الشاعر العربي عبد الوهاب البياتي :

وضع الشعر العربي الراهن هو أشبه بجزر عائمة منفصلة عن الأخرى ، ولذلك فليس هناك حركة شعرية ، لأن « الحركة » يراد بها الرؤية الشعرية الموحدة . فهل هناك رؤية شعرية عربية موحدة ، وإذا كان الجواب كلا فما هو موجود اذن ؟

هناك شعراء ومن خلال كل شاعر نستطيع أن نتبين السبيل الى الجواب .

والمرحلة الحاضرة التي يمر بها العرب كأمة وشعب لاتسمع أيضا بوجود رؤية شعرية موحدة ، ذلك لأن المؤسسات الثقافية القائمة في العالم العربي سواء كانت مؤسسات رسمية أم غير

رسمية ليست لها رؤية موحدة أيضا ، وهناك اختلاط بالأوراق
وبالاتجاهات وبالمدارس .

ويمكن أن أقول أن اللامعنى هو حجر الأساس فى الواقع
العربى الحاضر .

حشرات الموتى

● ● هل يمكن أن نقول ان اللامعنى الذى يخص واقع
الشعر الراهن من أسبابه ذلك الغموض كظاهرة اكتسحت
السبعينات بين الأجيال الجديدة ولا زالت آثاره سارية فى
الثمانينات ؟

نعم الغموض هو السائد فى الشعر العربى ، وهو ناتج عن
قصور فى الرؤية وعجز فى الأدوات الفنية ، ولكن ليس هناك
غموض كلى وليس هناك وضوح كلى فى الشعر ، انما هناك شعر ،
ولابد للشعر الأصيل الحقيقى أن يتواصل مع القراء ومع زمته ومع
قراء الأزمنة القادمة .

وإذا كان الغموض هو منتهى الشعر فان الشعر فى مثل هذه
الحالة يصبح ضربا من العبث ومحاولة غير مجدية لتحويل الواضح
الى غامض ، وهذا ما أراه فى كثير من الشعر الذى أقرؤه ، ويكاد
المثل القائل « أسمع جمجمة ولا أرى طحنا » أن يكون هو القانون
اليسائد .

● ● هذه الجمجمة بلا طحن التى تسود الشعراء .. هل
تفسر لنا عدم فعاليتهم فى مجتمعاتهم مقارنة بمن عرفت من الشعراء
العالمين ؟

— الحقيقة ربما معرفتى بهؤلاء الشعراء أفادت فى شئ مهم وهو
أن نمط حياتهم يختلف عن نمط أكثر الشعراء العرب الذين تقترب

حياتهم من حياة « الهجنة » ، أى الحياة العادية التى لا تدل على أنهم شعراء حقاً ، فهم يذبلون ويشيخون ويحنون رؤوسهم ويركعون أمام أية عاصفة صغيرة تهب ، ولا يلبث المجتمع بمعادته الجبارة أن يسحقهم مع العظام وفضلات المدن التى يعيشون فيها ، فهم أشبه بالنباتات المتسلقة التى تولد فى الصباح وتموت فى أول المساء ، باستثناء أسماء قليلة جداً .

وحتى هذه الأسماء القليلة تعيش بالقرب من الوصف الذى سقته . أما الشاعر الحقيقى فهو مغامر ومثقف هذا العصر ، وهو الرائد و « النبى » الذى آثر أن يعيش على حافة الخطر والشقاء الأبدى دائماً وأبداً .

كما أود أن أضيف أن معظم الشعراء الكبار والعالمين الذين تعرفت عليهم لا يكاد ينفصل موقفهم الأخلاقى والانسانى وسلوكهم الشخصى عن أعمالهم الإبداعية العظيمة ، فهم كل واحد ، أى الواحد الذى يصبح الكل ، والكل الذى هو الواحد .

● ● اذن ما الرسالة التى يقوم بها الشعر العربى الآن ؟

— لا توجد رسالة لأن الشعر العربى الآن هو أشبه بحشرات تنطلق من أفواه شبه موتى فوق رؤوس موتى آخرين لا يقلون عنهم موتاً .

● ● أنت تنظر للأمور بتشاؤم شديد ؟

— ليس تشاؤماً ولكنه الواقع للأسف الشديد .

● ● ولكن الواقع يقول أيضاً أن هناك شعراء تجاوزوا

الحدود الإقليمية ؟

— حتى الآن لم يستطع معظم الشعراء أن يتخطوا الحدود

الإقليمية لنجوم السينما والتلفزيون ونجوم السياسة فى أحسن حالاتهم .

● ● هل يمكن أن تحمل حركة النقد جزءاً من المسؤولية عما آلت اليه حركة الشعر الراهن ؟ .

— حركة النقد فى مد وجزر ، وهى تقف بازاء الابداع أحيانا وقد تنعدم أحيانا أخرى ، وقد تتخلف عنه أحيانا أخرى .

والنقد مهنة صعبة وشاقة تتطلب مقدرة كبيرة ومعرفة بجميع جوانب العلوم الانسانية ولا يقدر عليها الا المبدعون الكبار لأن النقد ابداع لا يقل عن الابداع . فى الشعر أو الرواية أو المسرح ، والنقاد الكبار قادرون قدرة الابداع العظيم .

● ● هل لدينا ما يسمى بالنظرية العربية فى النقد ؟ .

— لم تتكون حتى الآن معالم نظرية عربية فى النقد الأدبى ، ولكن هناك خليط من الاتجاهات المختلفة لنظريات نقدية قديمة وحديثة من مختلف الثقافات .

● ● هل سنظل نعيش على النظريات الأجنبية التى تصاغ من خلال موقف الناقد لما يطرحه الابداع الغربى ؟ .

— أرجو أن نكون حذرين فى التعامل مع مثل هذه الكلمات ، لأن قوانين النقد لا يمكن أن تتكون ما لم يتم استقراء الأعمال الأدبية نفسها ، وبدون الاستقراء فليست هناك نظرية نقدية أصلية ، وما النظريات القديمة والحديثة الا معالم وصور فى طريق معرفة الناقد بالمدخل الى الابداع الجديد لكى يكتشف قوانينه الموضوعية الجديدة من خلال سبر أغواره .

، وهذا يقودنا الى القول أنه ليست هناك نظريات نقدية سابقة

على الابداع العربى ، واذا كانت هناك نظريات سابقة فهى تستخدم للمعرفة وليست للتطبيق .

الترجمة .. وقصيدة النثر

● ● هل يمكن ترجمة روح الشعر الى اللغات الاخرى ؟

— يمكن ترجمة الشعر الجيد الذى تتوازن فيه وتتكافأ وتتوحد العناصر المكونة لقصيدة من كلمات ومعان ورموز وصور وجمال شعرية وموسيقى ، وعند طغيان أحد هذه العناصر على بقية العناصر الأخرى فان الاختلال فى الترجمة لا محالة واقع ، لأن هناك شعرا يعتمد على سحر اللغة التى يكتب بها ، وعند ترجمته الى لغة أخرى يزول السحر ولا تبقى الا الكلمات المرمية كما ترمى الأحجار على قارعة الطريق .

ولعل أهم معلم من معالم الشعر الجيد الذى يمكن ترجمته هو سمو تجربته الانسانية وكثافتها وعمقها وقدرتها على اختراق جدار اللغة للوصول الى ضفاف أزمنة أخرى ولغات أخرى .

● ● الدعوة الى تغليب « المحكيات » أو الشعر العامى ..

هل هى دعوة تفيد وجدان الأمة وتثريه ؟

— قد تثرى اللغة العامية أحيانا ، اللغة الفصحى لقدرتها على اكتشاف جوانب من الواقع الغائب أكثر من قدرة الفصحى ، ولكننى أتعصب تعصبا شعريا للفصحى ، وأرى أنها هى الأصل ، وأنها هى الينبوع ، وما اللهجة أو اللغة العامية أو المحكية الا علامات مندرسة فى طريق تقدم الفصحى وازدهارها .

● ● قصيدة النثر .. هل تندرج كفرع من فروع الشعر .. أم أنها جنس من أجناس الكتابة الأدبية فقط ؟ .

— عندما أقرأ ما تسميه أنت بقصيدة النثر وأسميه أنا نصا أدبيا لا أكثر ، أتعامل معه كما أتعامل مع أى نص أدبي ، فإذا كان هناك ما يثير الاهتمام فهو نص ابداعى ، ولهذا فانا لا أتعامل مع النصوص الأدبية من خلال النظر للأشكال التى كتبت بها ، بل من خلال كمية أو مقدار الابداع الكامن فيها .

وليس هناك حتى الآن أية أشكال تخطت القصيدة العربية بمفهومها القديم والحديث .

❁ ❁ هل ما يسمى قصيدة النثر أو ما نسميه نصا أدبيا .. له جذور فى تاريخنا المعاصر القديم ؟

— موجود منذ أقدم العصور فى أدبنا ولكن معظم النقاد لم يطلقوا عليه اسم قصيدة نثر أو ما شابه ذلك .

وهناك تناقض صارخ بين هاتين الكلمتين فكيف تكون " قصيدة " ونثر " ، فهى إما قصيدة وإما نثر . وأنساءل .. لماذا هذا التهاافت على الشعر إذا كان الكاتب لا يمتلك موهبة الشعر ، فهل النثر لون أدبي منحط الى هذه الدرجة حتى يتبرأ منه البعض فيالقرن عليه تسميات ليست منه فى شيء ، أو لا تمت اليه بأى صلة .

آلهة الشعر

❁ ❁ هل يتراجع الشعر الحديث أمام الشعر العمودى نتيجة وجود أزمة فى الابداع ؟

— لا يمكن طرح القضية بهذا الشكل لأن الابداع متى توفر فانه يخترق كل الحواجز والقيود ، وعند ذلك لا يمكن طرح هذا السؤال .

ولنقل وهذا مجرد افتراض أن هنالك أزمة شعرية أو أزمة إبداع ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الشعر نغمة نادرة ، ولأن آلهة الشعر عرفت بالبخل الشديد منذ أقدم العصور ، وهي أى هذه الآلهة لا توزع الخيرات على الجميع بعدالة ، وتلك قضية واقعية ، فنعود ونقول .. هل هناك أزمة إبداع ، الجواب كلا ، لأن وجود قلة مبدعة يكفي لانارة كل ليالى العصور القادمة .

وقد كان المتنبي أو أبو العلاء المعري أو أبو نواس أمثلة لهذا السؤال ، وقد كانوا شعراء عظاما بالرغم من بخل العصور التي عاشوا فيها والتي رمت على قارعة الطريق بالعشرات والمئات من الشعراء الذين لم يكتبوا بيتا شعريا واحدا حقيقيا .

الفن للفن

● ● لماذا لم تكتب للمسرح الشعرى حتى الآن ؟ .

— يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي :

ولادة الأنواع الأدبية والأشكال الشعرية ، ليست عملية آنية ظرفية وليس لها جدول زمني يعود اليه الشاعر فيقرر أنه سيكتب كذا أو لا يكتب كذا .

والمسرح الشعرى وليد حركة ثقافية ووليد عصر معين يستدعى ظهوره .

وبدون الحتمية التاريخية والشعرية فان ظهور هذا اللون الشعرى أو ذاك لا يتم بشكل عفوى .

● ● ما رأيك فى دعوة الفن للفن ؟

— هذه التعابير سقطت من زمان تحت سنانك خيل الإبداع

ان صح التعبير ، ولم يعد أحد يعرف بمثل هذه الدعوات في عصر الثورات والحيات وعصر استشهاد الانسان في كل مكان .

● ● اى الآداب أقرب الينا .. الغريسة ام آداب أمريكا اللاتينية والعالم الثالث بشكل عام ؟ .

— ظروف أمريكا اللاتينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية تكاد تقترب من ظروفنا .

● ● اى ديوان من دواوينك او اى قصيدة من قصائدك أقرب اليك ؟

— هذا سؤال تقليدى ولا أريد الاجابة عليه بشكل غير تقليدى ، لأنى أعتقد أن كل قصيدة أو ديوان يمثل مرحلة من حياتى ، ليست حياتى الشعرية وحسب ، بل يمثل وجودى كإنسان. على هذه الأرض ، ومن ثم يمكن القول ، اننى لا أكتب الشعر لكى أصبح شاعرا فقط بل لكى أصبح انسانا ، وهذا هو هدف الشاعر فى كل العصور .

فكتابات الشاعر اذن هى شهادة على مولد الانسان الجديد ، وهى تمثل مراحل صعود الشاعر من الأرض الى المجرة .

● ● متى شعرت أنك صعلت من الأرض الى المجرة ؟ .

— ربما فى منتصف حياتى الشعرية عندما اصطدمت بالواقع المرير وتحطم قلبى ، فشعرت أن خلاص الشاعر والانسان لا يتم فى مرحلة زمنية معينة ، بل ان نضال الانسان لا ينتهى ولن ينته أبدا .

● ● متى كتبت قصيدتك الأولى ؟

– قصيدتي الأولى بدأت عندما أطلقت صرختي الأولى في وجه
النور وأنا في يد القابلة .

● ● كيف تكتب الشعر ؟

– أكتب الشعر مثلما أتنفس ، وعندما لا أكتبه أشعر
بالاختناق ، وأشعر أن أيامي تذهب سدى ، وأن حياتي أصبحت
بلا معنى .

● فاروق شوشة :

الشاعر المدير

ما الذى يحدث للشاعر او المبدع حين يتولى المزيد من الأعباء والمسئوليات المتصلة بالعمل او الوظيفة ؟ هل تصبح هذه المسئولية عندئذ قيد فنه وإبداعه ؟ ام أن أعباء العمل تتحول الى مادة حية للتجربة الأدبية والإحساس الأعق بالحياة ؟ .

حول هذه التساؤلات وغيرها كان اللقاء مع الشاعر والأداعى فاروق شوشة بعد أن تولى أعباء مسئولياته الجديدة كرئيس للشبكة الرئيسية فى الإذاعة .

● ● كيف ترى العلاقة بين الشاعر والوظيفة ؟

— لا أدرى لماذا يحلو لبعض الناس أن يتصوروا حياة الشاعر بعيدة تباعا عن جو العمل والمسئولية ، وكأنما الصورة المثلى لديهم هى أن يكون الشاعر متفرغا تماما لتأملاته وانطلاقاته وشطحات خياله ، دون أن تربطه أية قيود أو مسئوليات من أى نوع وهى صورة كانت تلائم حياة الشعراء والمبدعين عموما فى زمان مضى بحثا عن المزيد من العطاء حتى ولو كان على حساب القيم الانسانية أولا . والفن ذاته ثانيا .

لكن المبدع الآن انسان مسئول يمارس عمله — أيا كان موقعه — بهذا الحس العالى من المسئولية ، ويشترك فى صياغة مجتمعه الجديد ، ويرى فى هذا العمل — مهما كانت أعباؤه وهوميه وسامياته — مادة حية للكثير من عناصر فنه ، وتنمية وانضاج لرؤيته الشاملة للحياة والانسان وتأملا للعديد من النماذج البشرية والمواقف الحياتية .

وبالنسبة لى ، فقد وضعنى العمل الاذاعى فى قلب الصورة الحية لحركة المجتمع والانسان ، وجعلنى أرى هذه الصورة فى وضوح ساطع بالرغم من اننى فى الكثير من الأحيان كنت أعيش تجربة الانفعال عنها فكرا ووجدانا وتطلعات لكننى من خلال هذا العمل عرفت الكثير واكتسبت الكثير وكتبت الكثير .

وإذا كانت الوظيفة « رقا » فعلينا أن نواجهه وننتصر عليه من خلال حرية الابداع .

هؤلاء والوظيفة

● ● هل يستطيع المبدع الاعتماد على ابداعه كمصدر للرؤى أم لابد له من وظيفة ؟

قال : حتى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين اضطر فى مراحل عمره الأخيرة ولعدة سنوات أن يعتمد على دخله كواحد من رؤساء تحرير جريدة الجمهورية وكان مبلغ الخمسمائة جنيه الذى ينقاضه - بشهادة من يعرفونه عن قرب - أساسيا فى مواجهته لأعباء الحياة ، وهو من حيث الأهمية والمكانة والشهرة والانتاج الغزير والعلاقات الواسعة والكتب التى تطبع بعشرات الألوف .

وربما يمثل العقاد الوجه الآخر من الصورة ، وجه الكاتب والأديب والمبدع الذى عاش طيلة حياته من قلمه بعد أن تمرد على الوظيفة مبكرا ، ولم يقبل أن يعيش مقيدا بشروطها ومسئوليتها ، لكن ماذا كان مصير العقاد ؟ لقد رحل عن الدنيا وكل ما فى جيبه قروش وهو الذى ملأ الدنيا فكرا ومعرفة وانتاجا يقدر بعشرات الكتب المتنوعة وآلاف المقالات التى لم يجمع منها الكثير بعد فى كتب جديدة .

وفى مثل ظروف مجتمعنا يصبح عدم الاعتماد على العمل والوظيفة لونا من المغامرة والقفز الى المجهول وأنا أتكلم هنا عن معنى الارتباط الوظيفى فى أية صورة من صوره ، وهو الارتباط الذى حرص عليه توفيق الحكيم حتى آخر يوم فى حياته ويحرص عليه نجيب محفوظ ويوسف ادريس حتى اليوم ، فلولا دخلهم جميعا من الكتابة فى الاهرام والعمل فيه ، لما استطاعوا مواجهة أعباء الحياة الضارية ، بالرغم من انتاجهم الهائل كما وكيفا .

وفى حالات كثيرة قد يضيق الانسان بالوظيفة وبارتباطات العمل ، ويرى انها لون من الرق كما كان يسميها الشاعر محمود حسن اسماعيل ، ولكن مواجهة هذا الرق والتمرد عليه - بين الحين والحين - هو بعض قدر المبدع وامتحانه لأصالته وعنفوانه وقدرته على العطاء والاستمرار والتجاوز .

الحقيقة المؤكدة

● ● هل يزيد العمل الاعلامى من الهالة المحيطة بالمبدع ويوسع فى شهرته وعلاقاته العامة ؟

- هذا صحيح لكن الناس لا يرون عادة الوجه الآخر من الصورة وهو ان هذا المبدع الذى يمارس عملا اعلاميا - يعطى الكثير من وقته واهتمامه ، ومن نفسه للآخرين ، انه بدوره يزيد بجهد من لمعانهم وشهرتهم ومعرفة الناس بهم ، وهو لا يكف عن اقامة حفلات تكريمه لهم كلما ظهر لهم عمل جديد أو فازوا بجوائز جديدة ، أو أسهموا بنشاطهم فى مهرجانات ومؤتمرات أو قالوا شيئا أو كتبوا شيئا وفى الحساب الأخير فان ما يأخذه هؤلاء جميعا منه جهدا واهتماما ومتابعة وتقديما وتكريما يفوق بكثير ما يناله هو سواء بالنسبة لنصيبه من الشهرة أم اهتمام الحياة الأدبية والثقافية ذاتها .

● ● ولكن هناك من يمارسون هذا العمل الاعلامى دون ان
يتمتعوا بموهبة أصلا ؟

- نعم ولا يستحقون عشر ما يتمتعون به من شهرة واسعة
أو شبكة علاقات مفيدة ومنظمة . لكن هذا الوجه من الوجوه السلبية
لا يطمس الحقيقة الأكبر وهى ان هذا العمل يعطيك من حب الناس
ومتابعاتهم واهتماماتهم ، لأنك تعطيه من نفسك واهتمامك ، وقد
أعطيته الكثير على مدار أكثر من ثلاثين عاما متصلة التزمت خلالها
بدايرة واحدة محددة هى دائرة العمل الثقافى ، وبمسئولية واضحة
ومؤكدة هى أن يكون العمل الاداعى الذى أمارسه فى أى مستوى
أو مجال عملا مفيدا للانسان المصرى والعربى .

ويضيف الشاعر والمذيع فاروق شنوشة لعلمنى العمل
الاعلامى - فى كل من الاذاعة والتلفزيون حقيقة مؤكدة وهى انه
لا يضيع أبدا أى جهد صادق وأصيل - ولقد لمست هذه الحقيقة
بنفسى فى كل مكان ذهبت اليه من أرجاء مصر ، وفى كل مكان من
أرجاء الوطن العربى ، كان هذا الوجه يسبقنى ويقدمنى الى الناس
ويفسح لى قلوبهم وعقولهم واهتمامهم فالحمد لله .

ثلاثون عاما ولا ملين

● ● وما هو العائد الذى استفاد منه الشاعر فاروق شنوشة
من جهاز الاذاعة فى اذاعة شعره ونشره على الناس ؟

- دعنى أقول لك عدة أشياء بسيطة جدا تمثل موقفى -
المبدئى - من هذا الأمر .

أولا : محظور على من يعملون معى حيث أعمل - داخل ادارة
البرامج الثقافية أن يقتربوا من دواوينى الشعرية ، أو كتبى الأدبية

والنقدية بالعرض والتقديم أو التناول في الوقت الذى من حقهم أن يفعلوا بما يريدون بانناج الآخرين من الشعراء من كل الأجيال والألوان والاتجاهات ولكننى أحظر عليهم تماما التعرض لانتاجى بأية صورة من الصور .

ثانيا : لم أتناقض طيلة عملى الاذاعى أى ما يزيد على ثلاثين عاما مليما واحدا عن أى شعر أذيع لى فى الاذاعة سواء قرأته أو قرأه غيرى ، بل لقد كنت طيلة سنوات متصلة شديد القرب من الشاعر محمود حسن اسماعيل الذى كان يعمل مستشارا ثقافيا للاذاعة ورئيسا للجنة النصوص وكان يأخذ رأيى فى تقييم أقدار الشعراء ووضعهم فى المرتبة التى يستحقونها من حيث المكافأة الاذاعية عن انتاجهم ، وأحيل الشاعر الكبير الى المعاش دون أن أكون بالفعل واحدا من هؤلاء الشعراء المعتمدين والمصنفين ، فما الذى يمكن أن يقال بعد هذا ؟

نُبسوة :

● ● هل يجد العمل الاعلامي من جرية الشاعر فى الإبداع والتعبير ؟

— من حسن حظ الشاعر انه يكتب بلغة شعرية أساسها الرمز والايحاء ، كلغة ظلال وايقاظ للأحاسيس والمشاعر وليست لغة مباشرة كلغة المقال أو الريبورتاج — ومن هنا فانه يستطيع أن يقول كل ما يريد مادام ما يقوله قد اتخذ طريق الفن الصحيح ومادام يملك أن يضع فيه صدقه ووعيه وتجربته .

ولقد مررت فى حياتى الشعرية — خلال عملى الاذاعى بفترات كنت فيها رافضا للكثير من المقولات التى رددناها طويلا وعرضناها على ساحة الكلام دون مضمون حقيقى ومع ذلك فقد استطعت أن

أحول عذاباتي الى شعر حملته مجموعاتي الشعرية الأولى بدءا من ديوان الى مسافرة والذي من يرجع فيه الى قصائد مثل : فلتنزل الستار ، من سفر أيوب ، الحصار ، يعرف انها أول قصائد كانت تحذر من خطر النكسة القادمة الذي يستشعره الشاعر قبل غيره ويشير اليه ، وقد تصور بعض النقاد أن لها ارتباطا بظروف حرب اليمن ، وأضحكني هذا التفسير لأنها في حقيقتها تعبير عن جوهر معاناتي في تلك الحقبة من سنوات الستينات التي بدأت فيها خيوط الصورة تتشكل وتتجمع قبل حدوث زلزال النكسة .

درس تعلمت منه

● ● سالت الشاعر فاروق شوشة : كيف استطعت أن تحتفظ بجمهورية الشعر في داخلك بالرغم من زحام العمل الاذاعي والتليفزيوني ؟

فقال : انك تضع يدك على أحد عذاباتي الحقيقية فقد اكتشفت عند اصداى لأعمالي الشعرية الكاملة ، انني لم أكن مخلصا للشعر كل الاخلاص ، صحيح أن الرباط الذي يربطني بالشعر قدرا وتعبيرا لم ينفصم قط ، لكنني أستطيع الآن أن أرى بوضوح كم شغلت عنه . وكما سمحت لشواغل العمل أن تبعدني ، وقد كان أخطر هذه الفترات وأطولها عند التحاقى بالعمل الاذاعي سنة ١٩٥٨ ، والتي استمرت عدة سنوات شغلت فيها بالشعراء عن الشعر وبالميكرفون عن القلم وبمعايشة التجارب والامتلاء بها عن الانصاح والافضاء ، لكنها كانت دوسا تعلمت منه الكثير واستطعت بعدها أن أجعل الشعر قبل العمل ، وأن يصبح اخلاصي له انعكاسا لاخلاص ذاتي ومعنى وجودي .

أعمالى تهتز وتتخلخل

● ● واسأل الشاعر فاروق شوشة عن موقعه الشعري بين شعراء عصره ؟ *

- فيوضح أنه أحد الأصوات الشعرية التي تبلور عنها ما يسمى فى حياتنا الأدبية بجيل الستينات ، والذي يلتصق من بين أسمائه : أمل دنقل وعفيفى مطر ومحمد إبراهيم أبو سنة وبدر توفيق وكمال جبار وفهمى سند وغيرهم ، ولقد تفتح وعيى فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات على تيار الجديد فى الشعر والفن والثقافة ، يدب ويتدفق من حولي ويكسب فى كل يوم أرضا وموقعا ومساحة ، وكانت أصوات السياب والبياتى ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وحجازى .. أكثر الأصوات الشعرية تألقا بالنسبة لجيلنا ، مرتبطة بإعادة تشكيل وعى المجتمع كله ، وإعادة صياغة فورته القومية والفكرية ، وكانت قوائم الكلاسيكية فى أعمالى تهتز بشدة وتتخلخل ، لقد وجدت - كما وجد كثيرون غيرى - فى هذا الشعر الجديد ما كنا نبحث عنه : الطريق والطريقة ، وانجرفت لأصبح واحدا من شعراء هذه الموجة الثالثة لجيل الرواد .

نبوة

● ● وعدت أسأل .. ولكن ما هى همومك الفكرية والثقافية كما تمثلتها خلال رحلتك الشعرية ؟ *

- أجابنى : يردنى سؤالك الى دوائر متعاقبة ومتداخلة أطلقت نفسى من خلالها كشاعر ، تفتحت عيناه على الوعي بالقرية المصرية ، وارتطم وجدانه بقسوة المدينة : العاصمة ، والاغتراب فيها ، وتشكل وعيه من خلال صراع العقائد والأفكار والانتماءات ، واستقر هذا الوعي - منذ مقتبل العمر - عند ركائز أساسية تمثلها معالم الفكرة

العربية وروح العدالة الاجتماعية والحرية ، دون اهتمام بالخلافات والصراعات الفرعية حول صورها وأشكالها ، فالجوهر - وحده - يظل مبعث الاهتمام ، ومثار التحدى ، والشغل الشاغل للشاعر الواعى بهموم قومه وعصره ، واعتقد ان عالمى الشعرى يرتبط فى جوهره بساحة الأحداث والتجارب التى تركت أثرها عميقا فى وجدان الانسان المعاصر ، وفيها اقتراب مطرد ومستمر من مناطق لم أعد أراها محظورة .

ومنذ ديوانى الأول « الى مسافرة » الذى تنبأت بعض قصائده بحتمية حدوث النكسة - قبل وقوعها - وكأنها كانت تراها بالعين ، الى ديوانى الأخير « الدائرة المحكمة » الذى تدين قصائده الواقع ، وتحض على تجاوزه وتغييره ، ويظل هذا الهم الاجتماعى الكونى وقرا مستمرا وعصبا مشدودا وممتدا فى رحلة الشاعر من البداية حتى النهاية .

أما على المستوى الفنى فثمة اهتمام رئيسى يشغلنى دوما ، ولا أتخلى عنه ، وهو أن يظل النسق اللغوى لما أكتبه من شعر عربى الوجه والملامح والسمات ، غير هجين أو مسف ، لا يحاكى أساليب الترجمة ، ولا تستهويه مايسمونه موهبة الحداثة البنائة ، وان ادعت الرغبة فى التجاوز ، لا من حيث الصيغة أو المضمار أو المفردات والتراكيب ، بعيدا كل البعد عن استرفاد الكليشيهات والقوالب التقليدية فى موروث الشعر العربى ، أو استدعاء المقولات الشعرية الجاهزة ، التى أصبحت فى عصور الضعف والتخلف نمطاً شائعا ، يدعيه كل شاعر لنفسه ، ولا يخجل من انتسابه اليه .

أحلى عشرين قصيدة

● ● سألت الشاعر فاروق شوشة : ما هو موقفك من التراث الشعرى وكيف تتعامل معه كشاعر معاصر ؟

فيقول : لا أظن أن هناك شاعرا معاصرا قد أتبع له أن يتعرف على تراثنا الشعري ، اقترابا وتذوقا ومراجعة ، كما أتبع لي ، من خلال قراءاتي المبكرة منذ اكتشاف بعض نماذجه في مكتبة أبي ، أو خلال ثمانية عشر عاما متتابة في رحلة الكشف عن أسرارهِ وكنوزه عبر برنامجي الاذاعي « لغتنا الجميلة » ، وأستطيع أن أقول لك وأنا على يقين أنه لا يوجد شاعر عربي ذو أهمية لم أعرف عليه . ولا نص شعري متميز لم أتوقف عنده بالنظر والتأمل ، بل إن هناك ما اعتبره مكتشفاتي الخاصة في رحلتي مع التراث مما لم يلتفت أو يتنبه اليه أحد أو لم يتعرف على مصادره ، وهو ما أنوى اخراجه للناس في كتب قادمة كما فعلت في كتابي « أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي » ، و « أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي » ، وكم أسعدني أن الكتاب الأول قد طبع أربع مرات في سنوات معدودة ووزع منه في بلد عربي واحد ما يزيد على تسعين ألف نسخة .

أدعياء الأدب

❶ ويضيف الشاعر فاروق شوشة :

« أقول هذا لأؤكد انتمائي العميق الى شجرة الشعر العربي ، في عطائها المستمر والمتجدد عبر العصور ، وبالرغم من هذا الانتماء فقد وجدت نفسي كما قلت لك واحدا من شعراء الحركة الشعرية الجديدة ، وفي دواويني الخمس المنشورة هناك الوجهان معا اللذان يمثلان حقيقتي الشعرية دون لبس ومواربة ، تلك الحقيقة التي لم يفهمها قصار النظر وأدعياء الأدب ، أنها حقيقة انتمائي الى شجرة الشعر العربي وما تنبته من غصون ، من خلال موقف يعي تراثنا في امتداده وتطاوله وينتسب الى العصر في جده وحساسيته وتطلعه .

ويستطرد قائلا : وأنا أتحدث هنا عن تراث شعري له من العمر ما يزيد على سبعة عشر قرنا من الزمان ، وليس تراث حركة الشعر الجديد الذى ظنه بعض الواهمين تراثه الشعري الوحيد ، مع أن عمره لا يتجاوز الأربعين عاما ، قدمت خلالها هذه الحركة الجديدة أربع موجات شعرية متتابة ، تكاد بعض أصوات أحدثها عهدا من الشعراء تغترب بالشعر لغة ومعجما ودلالات ، فلا تعود اللغة - على أيديهم - وسيلة اتصال ، ولا العروض الخليلي - أوزان الشعر العربى - ضابط إيقاع وموسيقية ، بل يصبح - فى نظرهم - مجرد الالتفات الى مسار الشعر العربى تخلصا وردة ، وهكذا انفتح الباب أمام أدعياء الشعر فى هذا الزمان ، نتيجة لهذا العبث لفنون من الألفاظ والأغراب والشعوذة باسم الحداثة والتجديد والتجاوز ، ولكن - يقول الشاعر فاروق شوشة - التيار الأصيل الممثل للحقيقة الشعر العربى المعاصر ، فى قدرته على التجديد والتمثل والاضافة ، وتحقيق الاتصال دون انقطاع ، ما يزال هو التيار الذى يسود الساحة الشعرية ويتحمل مسئولية قيادة المسيرة فى اتجاه المستقبل .

الديوان الثانى

● ● سألته عن خطوته القادمة كشاعر بعد إصدار المجلد الأول من أعماله الشعرية الكاملة الذى يضم دواوينه الخمسة التى أصدرها حتى الآن ؟

فأجاب : لا شك أن المزيد من الإخلاص للشعر هو ما أمارسه الآن بالفعل ، والقدرة على استيعاب حصاد هذا العمر الطويل من المعاناة ، والعمر الطويل من الشعر - قرابة ثلاثين عاما من الإبداع - كفيلا معا بتصحيح المسار ، وتحقيق الاندفاع الى تخوم عالم

شعري جديد ، أحس أننى الآن على مشارفه من خلال ديوانى الجديد
 القادم الذى سيصدر خلال أسابيع قليلة ويحمل عنوان « لغة
 من دم العاشقين » ، وأعتقد أن هذا الديوان الجديد أفضل وأنضج
 ما كتبته من قصائد ، وحقيقة الصيغة الشعرية التى انتهيت إليها
 بالتمرس والتجربة والمعاناة ، وفيه أيضا ملامح الاشارة الى خطواتى
 القادمة على الطريق ، وأرجو أن يشكل هذا الديوان القادم الصفحات
 الأولى من المجلد الثانى من الأعمال الشعرية الكاملة .

ارتباط القدر والمصير

● ● وأعود بالذاكرة مع الشاعر فاروق شوشة لأسأله عن
 أول عمل شعري نشر له ؟

— فيتذكر : أنه قرب ختام المرحلة الثانوية نشر أول عمل مطبوع
 لى ، وكان مسرحية شعرية عنوانها « على مسرح التاريخ » ، يتناول
 موضوعها الفتنة الكبرى بين على وعثمان ومعاوية ، مثلها فريق
 التمثيل بالمدرسة ، وطبعتها المدرسة على نفقتها ، وأحسست وقتها
 أن نشر هذه المسرحية الشعرية هو البداية الحقيقية لارتباطى بالشعر
 قدرا وحياة ومصيرا .

توقف لأبد منه

● ● وأسأل فى دهشة : لماذا لم تستمر فى الكتابة للمسرح
 الشعري إذن ؟

يقول : هذه هى المفارقة ، فبالرغم أن بدايتى الشعرية
 كانت مع المسرح الا أننى مع توالى مراحل النضج ومجيئى الى
 القاهرة وتجربتي الممتلئة فى المرحلة الجامعية بعدها ، بدأت أكتشف
 أن الكتابة للمسرح ليست بهذه السهولة ، وأن اندفاع الصبا هو

الذي جرّأني عليه وأنه لابد من أن يكون لدى الإنسان فكرة كبيرة
ووعى عميق بالتاريخ الانساني ، وبالتجربة الاجتماعية والحضارية
لوطنه ، والقدرة على رسم أو تصوير النماذج البشرية ، وتطور
القبالب والوسائل الفنية ، قبل أن يضم نفسه الى زمرة كتاب
المسرح ، ولذلك أعتقد أن خطواتي القادمة ستكون في هذا
الاتجاه .

● عبد الرحمن الأبنودي :

لا يوجد من يلبس جلبابا لا يعرفنى

● رغم أن الأب شاعر فقد مرق لابنه عبد الرحمن الأبنودى أول ديوان له ٥٠ حبة كلام ٥٠ وكانت الصدمة كفيفة بأن تحول مجرى حياة الفتى الصغير إلا أن موهبته الفنية كانت أقوى من أن تطفئ عليها أية صدمات غير متوقعة ، لأنه نشأ فى قرية أبنود وسط غناء الفلاحين والعمال ومواويلهم التى كان الفتى الصغير عبد الرحمن يرددتها ، كما يقول فى زوايا الساحات والأسواق لينغمها ويختزلها عقله الصغير الذى وجد نفسه فى أشرة تحب الشعر وتقرضه بدءاً من الأب إلى الأخ • حتى الأم الأمية البسيطة كانت تحتفظ بكنوز هائلة من النصوص والأغنيات والأشعار •

نشأ عبد الرحمن الأبنودى فى هذا الجو الذى تفوح منه رائحة التراث الشعبى مما حدد طريقه ومنهجه فى الحياة كشاعر بالعامية المصرية ، التف حولہ الناس فى « قنا » قبل أن يعرفه الناس فى القاهرة ، وفى قنا كان مع زملائه من الأدباء مثل أمل دنقل يعتقدون الأسميات الشعرية التى كانت تنتقل إليها كراسى المقاهى •

من المحكمة إلى الأرض والعيال

ولأن الشعر لا يؤكل عيشاً مثله سائر أنواع الأدب الأخرى ، فقد عمل الأبنودى « كاتب جلسة » فى محكمة « قنا » ، وكان معه أمل دنقل ، « محضراً » فى نفس المحكمة •

ولكنهما كانا من أسوأ أنواع الموظفين ، فقد كان الأدب بسيطاً على مخيلتهما ويصنع حلمهما فى المستقبل الذى يزونه كالطيف •

فلم يكن مكانهما هناك بل غى القاهرة النشطة بثورتها في
الحمسينات تدعو كل صاحب كلمة ليشترك في معاركها وانتصاراتها
وآمالها وآلامها ، واستجاب الأبنودى مع من استجابوا لنداء القاهرة
ليكون الجميع ما يسمى بجيل الستينات في الشعر والرواية والفن
التشكيل والتاريخ والنقد الأدبي .

الأرض والعيال

وكانت القاهرة رغم قسوتها على طبيعة الأبنودى
ونفسيته كقروى صعيدى ، إلا أن القاهرة كانت شديدة الانسانية ،
فقد وجد فيها الأبنودى من الأصدقاء من التف حوله وفتح أمامه
الطريق الى وسائل الاعلام فى الصحافة والاذاعة والندوات وفى كل
مكان ، لدرجة أن عبد الرحمن الأبنودى استطاع بعد عامين من مجيئه
للقاهرة أن يصدر ديوانه الأول « الأرض والعيال » ، ثم توالى
دواوين الأبنودى التى بلغت حتى الآن « ثلاثة عشر ديوانا » .

داعى غنم

ولأن لغة الشعر العامية كانت جديدة ، فقد اعتقد الأبنودى
أنه رائد هذا اللون من الشعر وأنه بذلك قد اختط أسلوبا فريدا
فى الأدب العربى شق لنفسه نهجا خاصا به ، ذلك لأنه لم يكن يعلم
أن الراحل فؤاد حداد ، وتلميذه صلاح جاهين قد سبقاه الى هذا
الأسلوب وذلك النهج .

واكتشف الأبنودى أن هناك من سبقوه فى تأسيس مدرسة
شعر العامية ولكنه استطاع أن يكون أحد أركانها وإن لم يكن رائدا
لها ، ولكنه كان رائدا بلا شك فى تصوير حياة الصعيدى المصرى
ونقل تفاصيل تلك الحياة الى المصرى فى المدينة ، وذلك كمسا

صورها الأبنودي في « جوابات حراجي القط » و « الأرض والعيال » و « أحمد سمعين » و « وجوه على الشط » ، وغيرها من دواوين الأبنودي التي كتبها باللغة التي تحمّل تاريخ الإنسان الصعيدي الذي عاشه وأحبه وراقب حياته بتفاصيلها ، حيث عمل لبعض الوقت « يجمع القطن » و « راعي غنم » ، الى آخر كل ما يمارسه طفل فقير في قريته .

وهيبة وموال النهار

❶ وكما تحدث الأبنودي بلسان قريته « أبنود » في أشعاره ، فقد تغنى بلسانهم أيضا ، لأنه في الوقت الذي كان فيه كل الأطفال ينامون ، كان الطفل عبد الرحمن يظل طوال ليالي الصيف ساهرا على سطح بيته ، يسمع الى الأصوات التي تشق الليل بالغناء تحت الشوايد وخلف السواقي .

❷ ومن منطلق معرفة الشاعر عبد الرحمن الأبنودي بنفسه وقيّمته ، يقول :

— أستطيع أن أقول أنه لا يوجد رجل في مصر يلبس جلبابا ، لا يعرف عبد الرحمن الأبنودي . . . وإذا لم يعرفني من أشعاري فهو يعرفني من أغنياتي ، ومن السير والملاحم الشعبية ، مثل سيرة أبوزيد الهلالي . . . حيث استطعت نقل التراث الشعبي الى الراديو . . . وأن أجعل له اعتباره واحترامه .

❸ ❹ ولما قلت للأبنودي أن خبرة الذاتية لديه عالية ؟ .

— أجبني بهدوء : أنا أعتبر أن كل أديب أو فنان لا ينطلق أدبه أو فنه من منطلق ذاتي فهو ليس أديبا أو فنانا صادقا ، بمعنى أن القصيدة التي لا أتواجد فيها لا تصبح قصيدتي حتى لو كنت كاتبها .

رحلة - ٦٩

● ● واستفسرت من الأبنودى عما يقصد بالذاتية ؟ •

— أوضح الشاعر الكبير أن الذاتية نوعان ، ذات مفردة منعزلة ضيقة ، وهناك ذات شاملة تستوعب ذوات الآخرين وتحتضن همومهم ، ولو كنت شاعرا بالمعنى الأول لما تحققت لى هذه الصلة الحميمة بينى وبين أبناء وطنى ، وحتى معاناتى الخاصة التى اعبر عنها فى قصائدى هى معاناة عامة ، ذلك لأننى أحتضن معاناة وهموم بلادى ولا أعيش لنفسى فقط •

● ● وسالت : ألهذا تجمع التراث الشعبى ؟ •

— قال الأبنودى : لأننا دخلنا فى فترة حرجة جدا تتغير فيها القيم بصورة سريعة ومخيفة ، وأن ظواهر بأكملها ووجوها بأكملها للشخصية المصرية نادرة وتندثر وتندثر .. ولا بد لهذا الجيل أن يسجل هذه الظواهر ، لأنها قد تختفى فى الجيل المقبل وهذا هو مبعث احساسى بالخطر ، وهذا ما يسدنى لدراسة المأثورات الشعبية كوجه لواقع العلاقات الاجتماعية والفكرية والروحية للإنسان المصرى ، وهو ما اعتبره دينا كبيرا على لابد من انجازه قبل أن أموت •

تحفيظ اللفظة

● ● قلت للأبنودى .. هل كونك شاعرا بالعامية يمثل

عداء للغة الفصحى ؟ •

— قال : أنا لم أعن بهذا ولكنى كتبت باللغة التى تحمل تاريخ الانسان الصعيدى الذى عشته فى قريتى أبسود ، الذى يمثل سكانها قبائل عربية مهاجرة من قلب الجزيرة العربية ، حملت ضمن ما حملت لفتها العربية التى أخذها عنها المدونون وعلماء اللغة فى القرن الثالث الهجرى ، ما وضعوه فى كتبهم ، ولكن النظرة الضيقة

« حنطت » هذه اللغة ، بينما تجاوزها أصحابها الذين أخذ عنهم العلماء ، وأنا اعتبر أن علماء الأدب في اللغة العربية قد ارتكبوا جريمة في حق أعمال أدبية شعبية « نفوها » ، ولم تدون باعتبار أنها نوع من الفن « الواطي » ، لأنها ليست باللغة الفصحى .

وهذا التقسيم يحكم الحياة الأدبية التي تحترم الأدب باللغة الفصحى وتحترق كل ما هو شعبي ، وهذه النظرة يجب أن تتغير خاصة وأنا في عصر اكتشاف الشعوب ، ولابد لنا من لقاء الضوء على تراث شعبنا ، حتى نفهم هذا الشعب جيدا وحتى نستطيع أن نستنهضه من أجل صنع الحياة الأفضل .

❊ ❊ وقلت : ألا تخشى من لفتك العامة أن تظل قاصرة الذهن على الإنسان المصري فقط دون الإنسان العربي ؟ .

فكان رده : أن لفتي التي أكتب بها أشعاري هي لغة العرب في كافة الأقطار العربية ، لذا قد تتعجب أنني أكثر شاعر عربي توجه له الدعوات لاقامة الأمسيات الشعرية في البلاد العربية رغم كتابتي بالعامة المصرية .

مصر لن تهزم أبدا

❊ ❊ وعن واقع الأدب والفن ؟ . سألت شاعر العامة المصرية ، فأجابني عبد الرحمن الأبنودي :

لا شك أن الأدب والفن هما الصفحة النقية التي ينعكس عليها وجه الأمة ، وكما يقولون : إذا أردت أن تتعرف على شعب فتعرف على أغانياته ، وهذا رمز لكل أنواع الفنون من شعر ورواية وسينما ومسرح ، فستستطيع أن تتعرف من خلالها على أحوال الأمة سلبا وإيجابا .

والقيم المختلفة في المجتمع لا شك أنها تعكس صورتها على الفن ، وانظر للسنيما ٠٠ مثلا ٠٠ والواقع الذي تعبر عنه والقيم التي تنطلق منها ، فتستطيع أن تعرف ماذا لحق بالمجتمع من تشوهات كبيرة .

ولكن دائما وأبدا سوف يظل هناك هؤلاء الذين لا يتاجرون بمأساة شعوبهم وتمزقات أمتهم وإنما يبحثون بمعاناة وأصالة مجدية عن سبل لتطبيب الجراح واضاءة الطريق في أقسى الليالي حلقة .

— وسوف تظل مصر التي عبرت عصور الظلام والظلم وقهرت كل النخاة ، باقية لن تهزم أبدا مهما كانت الصعاب ٠٠

ويحدثنا الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي عن سفارته التي تطوع للقيام بها فيقول : قد لا يعرف الشعب المصري أن جمهوري ومحبي أشعاري في العالم العربي ربما يفوق كثيرا جمهوري العريض في مصر ، فما ذهبت الى بلد عربي واحسست لحظة واحدة بالغرابة ، ولا أدري هل هذا ناتج من طبيعتي واحساسى بالآلفة دائما للانسان العربي في أى مكان ، أو أن لأشعاري « الصعيدية » طبيعة خاصة قد تكون لها أسرارها الخاصة باللغة أو التعبير الصادق عن قضايانا العربية ، هي التي تجذب الجمهور وتوحده بها ، وفي فترة ماضية كانت هناك هجمة شرسة على مصر لم تفرق بين الخلافات السياسية بين الأنظمة وبين الشعب المصري كشعب عميق الحضارة وذو تاريخ وحس قومي عال ، مما أدى الى غضبنا كمشقفين وأنا واحد منهم ، فكان لابد من الدفاع عن عروبة مصر ومكانتها وموقعها في صدارة النضال العربي ، وتضحياتها الجسام من أجل الدفاع عن قضايا الأمة العربية كافة ، وكان لابد من توضيح ذلك داخل المواقع العربية نفسها ، فلا أظن أنه كانت هناك سوء نية مبيتة لمصر وإنما

هو عدم وضوح الرؤية أمام البعض ، وخلال ذلك كنت ألقى قصائدي في مصر مثبتا أن شاعرا من أي بلد آخر لو أنشد مثل هذه الأشعار في بلاده لقتل رميا بالرصاص ، ولكن في مصر تستطيع أن تمارس وجودك وصدقك بوضوح .

كان الحكماء يحضرون ندواتي

● ● وأسأل الأبنودي : كيف كان يسمح لك بأن تلقى أشعارا ذاتة في بلاد عربية قد تجد حرجا في بعضها ؟

— يجيب شاعر « الأرض والعيال » : المعروف أن أشعاري نالزة ولكنها لا تلعب لعبة المزايذة والرقص على آلام الأمة العربية وإنما تحاول أن تضيء الطريق نحو بضيص من الأمل في هذه الظروف الصعبة .

وسنستأنوا كانت الدعوات التي توجه لي تتبين مقاصدي أو لا تتبين ، فقد كان على أن ألعب بضمير صادق الدور الذي هو أيس دوري شخصيا وإنما هو دور كل المثقفين المصريين الشرفاء ، وكنت أعتبر نفسي سفيرا شعبيا لبلادي في كافة الأقطار ، وقد كنت من أكثر الناس سعادة بغوذة مصر لثبتوا مكانها الطبيعي في قلب أمتها العربية ، فمصر دائما كانت القلب والفكر والصوت وتستظل أبدا . ولقد رأينا بأنفسنا ماذا حدث للعالم العربي حين عزلت مصر عن ممارسة دورها القائد في النضال العربي بل وماذا حدث لمصر نفسها ، فلا حياة لمصر بدون الأمة العربية ولا حياة للأمة العربية بدون مصر .

ومن هنا نشطت خطواتي وارتفع صوتي من القيروان بتونس

حتى رأس الحيمة مرورا بالسودان والاردن وقطر والامارات العربية
السبع ٠٠ الخ .

وكنت دائما ألتقي بنفس الوجوه ونفس الحفاوة وتتأكد لي
فكرة أن الوطن العربي هو بلد واحد محدد المعالم والوجوه ،
ولا تحس بالانتقال فيه مهما انتقلت ...

● وعن مدى اتساع صدور الحكام والمسئولين العرب
لأشعار الأبنودي ، قال شاعر « المشروع والمنوع » :

على الشاعر الصادق القابض على فكرته ألا يضع اعتبارات
الا لمبادئه وصدقته .

وبالطبع كان هناك من تزعجه أشعارى ، ولكن الجمهور الذى
أقصده بهذه الأشعار والذى يشكل الكتلة الأساسية للمستمعين
كانوا دائما يعجبون ويطربون. ويحتضنوننى بكل الدفء والمحبة ،
وعلى كل حال فلقد اتسعت لى حتى صدور الحكام العرب الذين كانوا
يواطبون على حضور أمسياتى ، كما كان يحضرها السفراء المصريون
الذين كانوا يرون أن ما أقوم به هو خير دفاع عن مصر وأننى أقوم
بالدور الذى يجب على المثقف الشريف أن يقوم به ، وكان يتم تكريمى
دائما على المستوى الرسمى والشعبى معا ، وكل ما يهمنى أننى
أسمعتهم صوت المصريين فى تلك الفترة حين « عبرت عن قضاياهم »
وأثبت أن مصر لم تغادر عروبتها للحظة واحدة .

● ويعبر شاعر « الزحمة » عن مدى الاقبال الذى حظيت به
أمسياته فى الأقطار العربية فيقول :

— مثلا أنا عادة تستغرق أمسيتى حوالى الساعتين وأذكر فى
أحدى المرات أن أقيمت أمسية فى الشارقة فى قاعة تسمى

« افريقيا » التى يحدث لها أن امتلأ حتى آخرها بالجمهور الا فى تلك الأمسية التى قدمتها لدرجة أن بعض الفنانين المصريين الذين كانوا يمثلون احدى المسلسلات فى أحد الاستديوهات هناك مثل سميحة أيوب ، وأنعام سالوسة ، وغيرهما ٠٠ استمعوا الى من خارج القاعة ولم يجدوا مكانا لقدم ، وتعجبت سميحة أيوب فلم تكن تعتقد أن شاعرا مصرية يمكن أن تكون له مثل هذه الجماهير الطاغية .

التمهنة سنة ولؤاد حناد

❁ ❁ واسأل عبد الرحمن الأبنودى عن سر تميزه وانتشاره كشاعر من شعراء العامية ؟

— يقول شاعر « أنا والناس » :

فى الواقع أنا لا أعتبر نفسى شاعرا عاما أكتب بالفصحى الحية « فصحى ما بعدالتدوين » ، فلو تركت اللغة العربية الفصحى التى سجلها المدونون فى أوائل القرن الثالث الهجرى على طبيعتها ، لصارت هى اللغة التى أقول بها أشعارى اليوم ، فانا من منطقة نقاء هوى ، وهى منطقة « قنا بالصعيد » وكانت هذه المنطقة دائما منطقة تجمع للتجار والحجاج العرب من شمال أفريقيا والجزيرة العربية ، ومعظم سكان هذه المنطقة هم قبائل عربية مهاجرة من الجزيرة . وهؤلاء الناس يتحدثون بفصحى غير مدونة ، لأن تطور الحياة وانقلاب ايقاعاتها أدى الى تطور شديد فى اللغة بينما ظلت الفصحى المدونة ثابتة ينظر اليها بقداسة تزيد من تحنيطها وتعليبها ، والغريب أن أحدا فى الواقع العربى لا يتحدث بهذه اللغة بما فيهم سكان الجزيرة العربية التى جمعت عنهم مفردات هذه اللغة ، وأنا شاعر محظوظ إذ أن فصحاى هى فصحى الواقع اللغوى العربى ، فانا مفهوم فى

« نجد » كما أنا مفهوم في « عجمان » أو « أم درمان » ، بينما يمكن للفصحى أن تتغرب في مثل هذه الأماكن ، كذلك لا تصلح عامة القاهرة لمخاطبة هذه المواقع اللغوية النائية ، ومن العسير على شاعر عامية أن يتواصل مع الجمهور العربي بهذه الصورة التي تحدثت لي ، بالإضافة إلى تعبيرى عن « هم » عربى مشترك ، لذلك فإن الجماهير قى تلك الأماكن تحسن أننى أتحدث بلغتها هى وليست لغة مصر .

● ● واسأل : ورغم ذلك فإن الحركة النقدية والتاريخ الأدبي لا يعترف بك ولا بشعراء عامية آخرين متميزين . فما هو السبب فى ذلك ؟

يقول شاعر « المد والجزر » عبد الرحمن الأبنودى :

.. اللغة كائن حي شأنها شأن المجتمعات . ولا يمكن أن تتقدم المجتمعات بنفس اللغة القديمة ، فاللغة بناء قومى لحركة التنامى الاجتماعى وللشعوب أديها العظيم القيمة بالغ الأهمية ، ومع ذلك لم ينتبه اليه هؤلاء المسيطرون على حياتنا الأدبية ، وأدى ذلك الى نفى الكثير من الابداع الأدبي لشعوبنا كالملاحم والمسرحيات . الخ .

ومازلنا نستلهم الملاحم اليونانية ، وابتلعنا فكرة أن شعرنا العربى كله شعر غنائى « مع أنه زاهر بالملاحم والابداعات الدرامية » فقط لأنه مكتوب بلغة الشعب ، فانظر معى كيف يؤدى التعسف الى القبول بالاقلال من شأن شعرنا العربى ، اذن من الواضح أن الخطأ فيهم وليس فينا .

يصيف الشاعر الأبنودى صاحب « وجوه على الشط » انظر الى شعر الراحل فؤاد حداد ، وأجبنى : هل تجد فى مصر خلال

المائة عام الأخيرة شاعرا عربيا روحا ولغة واستلهاما مثله ، ومع ذلك فهو في نظرهم شاعر عامية ، أي أنه أقل من ناظم ريك النظم يكتب بالفصحى ، وطبعا هذا قصور في النظر الى اللغة وفي النظر الى الشعر ، وهذا واحد من الأخطاء العديدة التي يزخر بها الواقع الأدبي في مصر .

● ● واسأل شاعر « الفصول » : اذن ايها تفضل ، تكريم حركة النقد الأدبي أم تكريم الجمهور ؟

— يقول الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي مؤكدا أنه يتحدى أي مسأول أدبي أن يدعي (أنني ذهبت اليه يوما بقصيدة ورجوته أن ينشرها) فانا أعرف كيف أنقش شعري في قلوب الناس حفاة وعراة ومثقفين ، وأنا أكثر الشعراء تمتعا بالنشر بغير نشر ، فانا أتجه دائما للتجمعات الجماهيرية وللجامعات ، وللغلاطين في الحقول وألقى أشعاري ، كما أنني أثبت لهم ملاحمهم من الراديو فتتعطل القرى انتظارا لصوتي وهذا شيء لا يعادله نشر أو اعتراف رسمي ، فانا مكرم من أبناء شعبي ، وأعرف أنني محبوب ومرحب بي سواء ارتفع صوتي أو خفت ، كما أن دواويني تنفذ بعد صدورها بأيام قلائل ، وأقولها — ليس على سبيل التباهي — أنني من أكثر الشعراء توزيعا ، ولو أن الأداء عندي عنصر هام في صلب العملية الإبداعية ، إلا أن الكتاب هو وسيلتي المحايدة في التسجيل ، ويكفي الشاعر أن يموت راضيا عن الدور الذي يلعبه وهو على قيد الحياة ، أما المجد والخلود ، والتكريم في هذه أشياء لا أفكر فيها ، وأتركها لمن يسعون بطرق شريفة وغير شريفة لنيلها ، وأؤمن أنه سوف يأتي اليوم الذي يكرم فيه من يستحق التكريم ، وعليك أن تنظر الى حالة كحالة فؤاد حداد إذ لم يبدأ الناس في التعرف على قيمته الحقيقية إلا بعد رحيله .

ويختتم شاعر « بعد التحية والسلام » حديثه فيقول : لن كدوم
الأخطاء المقصودة أو غير المقصودة ، فالشعب يعرف شعراؤه ويميز
أصواتهم ، و يقيم لهم التماثيل في قلبه ووجدانه وهذا يجعل الانسان
راضيا عن نفسه وسعيدا .

● حافظ عبد الوهاب :

لعنت قاروق على الهواء وثكننى نجوت

● انتهت تصفيات الترشيح لوظيفة مذيع بالاذاعة على خمسة اشخاص اربعة منهم من قسم اللغة العربية جاؤا بخطاب توصية من عميد كلية الآداب ماعدا حافظ عبد الرهاب خريج مدرسة التجساة العليا « كلية التجارة فيما بعد » ورغم ذلك فقد كان هو الفائز الوحيد في مسابقة الاذاعة للمتعيين كمذيع ولهذا قصة يرويها حافظ عبد الرهاب احد رواد الاذاعة الأوائل .

يقول : شجعني محمد فتحي الذي بدأ مع الاذاعة عام ٣٤ على أن أرشح نفسي كمذيع ، وكان هو أحد أعضاء لجنة الامتحان وقد اكتشف أن الزملاء الأربعة الذين انتهت بهم الاختبارات موصى عليهم والتوصية في الزمن الماضي كانت تفتح الأبواب المغلقة . فأراد محمد فتحى أن يتغادى هذا المأزق الذي سيضر بهى فاقترح على لجنة الامتحان عدم المناذاة على الممتحنين بأسمائهم خلال التصفيات النهائية بل ينادى عليهم بأرقامهم وكنت رقم ٣ وفزت بالترشيح كمذيع وبدأت رحلتى مع الاذاعة أول فبراير ١٩٣٦ ولكننى لم أسلم من الحائقين على نجاحى ومنهم المراقب العام بالاذاعة آنذاك الذى ناصبنى العداء فكان كلما يحدث خطأ فى الاذاعة يقول لابد أن المخطئ هو المذيع حافظ لدرجة أنه أيام الحرب العالمية الثانية كان على أن أقرأ بشرة الأخبار ومقطعات من أقوال الصحف فى العاشرة صباحا فكان لا يأمن أن أقرأها ويحضر بنفسه ليقرأها هو ! .

● ● ما هي نوعية العلاقة التي كانت تربط أسرة الاذاعة في هذا الزمن ؟

كان الدستور الاذاعي غير المكتوب فيما بيننا كزملاء هو الاخلاص والحب والتفاني والأمانة المطلقة في أداء الواجب ولو ظهر أن أحدنا أخطأ وخرج عن هذا الدستور كنا نجتمع ونحاسبه ، فكنا متعاونين وإذا كانت لدى أحدنا فكرة برنامج يأخذ برأى الجميع فيه ، لذلك نجحنا ونجحت كل برامجنا وساعد على ذلك قلة عددنا نسبيا ولكن هذه الرابطة فقدت الكثير جدا من أسبابها اليوم نظرا لكثرة الأعداد الموجودة •

● ● ألم تكن تواجهكم أزمة النطق الصحيح باللغة العربية ؟

من شدة اهتمامنا باللغة العربية كان قارىء الأخبار يتواجد في قسم الأخبار قبل النشرة بنصف ساعة على الأقل ليقراها ويراجعها مع مصحح اللغة العربية الذى أوجدناه خصيصا لتصحيح نطقنا باللغة العربية وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى يعنى دائما بالاستماع الينا الى أن جمع جملة من الأخطاء الشائعة في اللغة بلغت خمسين فقامت باعداد قائمة بها وتوزيعها على المذيعين • الى هذه الدرجة كنا مهتمين باحترام المستمع ، ورغم ذلك لم يسلم الأمر من مواقف صعبة فمثلا كان الشيخ المراغى يتحدث حديث العصر يوميا فكان أن مرض وكنت أنا المذيع الذى عليه قراءة حديثه فى ذلك اليوم وكان ضمن الحديث آية قرآنية فيها كلمة « وحين البأس » ولكن غلطة مطبعية حولت الباء الى ياء فأصبحت « وحين اليأس » فقامت قيامة الأزهر يتهموننى بالخطأ فى القرآن وكتب الشيخ المراغى فى الصفحة الأولى بالأهرام يتهم الاذاعة بالخطأ فى اذاعة الآية وأصبحت التهمة مسئولية جنائية كنت معرضا فيها للطرد •

❶ ❷ ماذا أيضا من ذكرياتك التي لا تنسى في الإذاعة ؟

كان الملك فاروق يفتتح الغرفة التجارية وكان معنا أجهزة ارسال جديدة لم نتمرن عليها جيدا ولما جاء دورى كمذيع لأصف موكب الملك وتحركاته بعد الافتتاح فتحت الميكروفون فلم أسمع نفسى فى السماعات التى أضعها على أذنى فأيقنت أن هناك خطأ من المهندس فاروق ابراهيم فى توصيل الارسال فتضايقت وقلت « يلعنك يا فاروق فى يومك الاسود الى موش فايت » ولم أدر أن هذا مذاع على الهواء ولولا أنهم اقتنعوا أن المقصود بكلامى هو المهندس فاروق لا الملك فاروق لما نجوت .

❸ ❹ حدثنا عن دور المرأة فى عهد الإذاعة ؟

فى أول عهد الإذاعة كانت هناك مذيعة بصفة استثنائية هى السيدة عفاف الرشيد التى مكنت بالإذاعة حوالى ستة شهور ولم تستطع الاستمرار لأن الظروف لم تمكنها من ذلك حيث كان الأمر يتطلب منها التواجد فى الإذاعة منذ السادسة صباحا ، وبقيت الإذاعة شاغرة من السيدات حتى سنة ١٩٤٥ حينما جاءت السيدة صفية المهندس وتلتها تماضر توفيق وظل الأمر مقصورا عليهما حتى ١٩٥١ حينما بدأ الفيض .

ويضيف حافظ عبد الوهاب - ولا أظن أن المرأة تركت بصمات فى تاريخ الإذاعة أكثر مما تركته صفية المهندس التى وضعت الأساس فى البرامج الناجحة للمرأة والتى اشتهرت بها وقلدها المذيعات بعد ذلك .

❺ ماذا تعلمت من الإذاعة ؟

التمسك بضبط المواعيد ، والأمانة فى أداء الواجب ، وحب لأصدقائى والاخلاص معهم ، وحب الاستماع الى الفن بمختلف

أشكاله ، واختيار الكلمة التي توضع في موضعها ، وأن أسجل على
نفسى فى تقريرى اليومى الذى أعده لنفسى أننى أخطأت أو تلغمت
أو تأخرت عن الإذاعة بضع ثوان وذكر الأسباب والا عوقبت عقوبة
معنوية من زملائى طبقا للدستور الإذاعى الذى بيننا ، فمثل هذه
الأشياء تكفى لأن تجعل الإنسان رجلا مستولا .

☺ ☺ نريد أن نناقش للإذاعة المصرية هل ترى أن نضع فى
الاعتبار الإذاعات الأهلية ؟

الإذاعات الأهلية كانت موجودة قبل الإذاعة الرسمية ١٩٣٤
وكانت منتشرة فى القاهرة والاسكندرية ولكنها لم تكن إذاعات
بالمعنى المنظم الموجود بعد ذلك لأنها كانت إذاعات للإعلانات تتخللها
فقرات غنائية وقد تعدت الاعلانات الى الاساءة الى المستمعين
لدرجة الشوائم وعندما جاءت الإذاعة الرسمية تم إلغاء هذه الإذاعات
طبقا لنص العقد بين « ماركونى » والإذاعة المصرية .

☺ ☺ ما مصدر دخل الإذاعة مع بداية نشأتها ؟

كان دخلها قائما أساسا على الاعلانات مصدر رأسمالها الذى
كانت تحصل شركة ماركونى منه على « ٧٠٪ » نظير ادارتها للإذاعة
ولا تحصل الحكومة المصرية الا على « ٣٠٪ » لذلك كان دخلها ضعيفا
لدرجة أنه بعد قيام الإذاعة بحوالى سنة كانت على وشك أن تشهر
أفلاسها .

☺ ☺ متى انتهى العقد مع شركة ماركونى ؟

كان عقد الامتياز لمدة عشر سنوات من سنة ٣٤ الى سنة
٤٤ ولكن من العجيب أنه بعد انتهاء مدة العقد لم تكن لدى الحكومة
المصرية آنذاك القدرة على إدارة الإذاعة لأن وزاراتها المختلفة بدأت
تنافس على ادارتها ، لذلك قررت رئاسة مجلس الوزراء هذا العقد

مع شركة ماركوني حتى ١٩٤٧ ، وبعدها انتقلت لاشراف الحكومة المصرية .

● ● هل ترى أن اذاعتنا اليوم قد وصلت الى مستوى الاذاعات الأخرى فى العالم المتقدم ؟

لقد كانت اذاعتنا ثانية اذاعة فى العالم وأولى اذاعات العالم العربى وهى بعد خمسين سنة قد وصلت الى مستوى طيب وان كنا نطلب منها مزيدا من الاتقان والتنوع وزيادة الجرعة الثقافية العالية المستوى واختيار الأصوات الحلوة والتدقيق فيها .

كما أرجو أن يرتفع مستوى التلحين والكلمة المغناة وان تعود للتمثيلية الاذاعية رونقها القديم والبرامج الغنائية وكافة ألوان الفن الإذاعى ، لأن للاذاعة رسالة خطيرة فى الارتقاء بذوق المستمع ومحاربة سوق الكاسيت الهابط مما أرجو أن تنجح فى القضاء عليه فى سنوات عمرها المقبلة .

● كيف أنشأت اذاعة الاسكندرية ؟

● يعود بنا حافظ عبد الوهاب بشرط ذكرياته الى تلك الأيام منذ ثلاثين سنة ، حينما تحدث اليه مدير الاذاعة المصرية أمين حماد فى ذلك الوقت يوم ١٤ يونية ١٩٥٤ ، وطلب اليه السفر فى اليوم التالى الى الاسكندرية لانشاء اذاعة محلية بها . فلما طلب حافظ عبد الوهاب مهلة من الوقت لاعداد نفسه لهذا الأمر ، قال له أمين حماد : المسألة لا تحتاج منك الى استعداد سوى اعداد شنطة ملابسك ثم تلحق بك أسرتك بعد العثور على مسكن فى الاسكندرية .

يقول حافظ عبد الوهاب : كان انشاء اذاعة من العدم مسألة تحتاج الى وقت واتصالات وموظفين وبرامج يتم اعدادها وغير ذلك من متطلبات الاذاعة . ولم يكن عندى فرصة كافية لاعداد كل هذا

لأن مدير الاذاعة اتصل بى تليفونيا فى أواخر يونيو ٥٤ وقال لى
أن أرتب نفسى لافتتاح الاذاعة يوم ٢٣ يوليو بمناسبة عيد الثورة ،
فقلت لأمين حماد ان هذا غير ممكن لأننى لم أفعل شيئا لأن اتصالى
بجامعة الاسكندرية غير ممكن بسبب أجازة الصيف وجامعة
الاسكندرية هى مركز الثقافة فى البلد . فقال لى مدير الاذاعة :
ألا يوجد غير الجامعة ؟ قلت له : انها النواة التى يجب أن ننطلق منها
لإقامة إذاعة ناجحة يقوم على برامجها رجال علم وثقافة وأدب ، كما
أننا لا نزال نبحث عن مكان مناسب لتسجيل فيه البرامج فكان رد
أمين حماد مفاجأة لى حيث قال : شدد حيلك لأننى رتبت مع صلاح
سالم وزير الارشاد « وزارة الاعلام حاليا » أن نفتتح إذاعة
الاسكندرية يوم ٢٣ يولية ، فاعترضت على ذلك . . .

يضيف حافظ عبد الوهاب .. وقلت لمدير الاذاعة : أنا متنازل
عن تكليفى بإقامة الاذاعة الجديدة ، وقل للسيد الوزير اننا مازلنا
فى مرحلة تكوين أنفسنا لأنشاء هذه الاذاعة ، فطلب منى أمين
حماد أن أطول رقبته وألا أسبب له احراجا أمام الوزير ، فوافقت
بشرط اعطائى مهلة كافية . . .

بعد ذلك جاءنى تليفون من مدير الاذاعة وقال لى : علشان
خاطرك أجلبنا افتتاح إذاعة الاسكندرية من ٢٣ الى ٢٦ يولية بمناسبة
خروج الملك فاروق . . .

يواصل حافظ عبد الوهاب : فكرت أن أشكو للوزير مباشرة ،
ولكنى خشيت أن مدير الاذاعة يكون قد قال له ان حافظ أخبرنى انه
جاهز ، فكنت أمام تحد رهيب قررت قبوله وسهرت ليل ونهار فى
اعداد البرامج واختيار المتحدثين والمطربين ومقدمى البرامج . وتم
الاعداد لاذاعة متكاملة افتتحت بالفعل فى ٢٦ يوليو ٥٤ وكان مقرها
٣١ شارع صلاح سالم فى شقة متواضعة مكونة من أربع غرف ،

حتى كلفت بالبحث عن مكان دائم يصلح أن يكون دارا للاذاعة
بالاسكندرية نظرا لما نرجوه لها من توسعات ، على أن يكون المبنى
الجديد أحد ممتلكات العائلة المالكة .

ولما كان الوقت متأخرا سنة ١٩٥٦ حيث استولت المصالح
المختلفة على ممتلكات الأسرة المالكة فلم أجد الا مكانا يكاد يكون
مهجورا كان قد بديء فيه اقامة الأساس لمشروع بناء قصر لأسرة
« بطوسيون » فذهبت الى الضابط المسئول عن الأموال المصادرة
وأبلغته بالأمر فاستصدرنا أمرا من وزير الارشاد بالاستيلاء على
أساسات القصر واستكملناها لتكون هي الدار الدائمة لاذاعة
الاسكندرية بباكوس منذ ٦ يونيو ١٩٥٦ وحتى الآن .

● ● ولكن ما هي الاضافات التي يمكن القول ان اذاعة
الاسكندرية قد اضافتها الى تاريخ الاذاعة المصرية ؟

- كانت اذاعة الاسكندرية سباقة في كثير من الفنون
الاذاعية، فتاريخ الاذاعة المصرية يذكر لاذاعة الاسكندرية أنها صاحبة
أول تمثيلية اذاعية كان اسمها « من القاتل » ؟ من تأليف محمد
كامل حسن المحامي ثم انتقل فن التمثيلية الاذاعية بعد ذلك من
اذاعة الاسكندرية الى اذاعة القاهرة ثم بقية الاذاعات ، ثم كان
برنامج « من النافذة » الذي كنت أقدمه وأختتمه بعبارة « موش
كده والا ايه » قامت اذاعة القاهرة بعمل برنامج شبيه له اسمه
« كلمتين ويس » ، وبرنامج آخر كنت أقدمه اسمه « زى النهاردة »
تم تنفيذه تليفزيونيا بعد ذلك بعنوان « فى مثل هذا اليوم » ،
وبرامج أخرى كانت اذاعة الاسكندرية رائدة فيها وأثبتت نجاحا
بدليل تقديمها فى الاذاعة الأم .

● ● وما هو تقييمك لاذاعة الاسكندرية بعد ثلاثين سنة من
بدء ارسالها وما رأيك فى مشروع تعميم الاذاعات المحلية لتشمل
محافظات الجمهورية ؟

- أنا أعتبر أن اذاعة الاسكندرية نجحت كأول تجربة
للاذاعات المحلية على أساس أننا مهدنا لحب جمهور الاسكندرية
لهذه الاذاعة لأننا أحسسنا أنه صاحب هذه الاذاعة وأنها جاءت
لتخدمه ، وعلى هذا الأساس فقيام اذاعات محلية جديدة تغطي
محافظات الجمهورية لا مانع من المضي فيها مادام الهدف هو خدمة
الجمهور فى الدائرة المحلية التى تخدمها هذه الاذاعات فى المحافظات
المختلفة .

● على خليل :

هذه قصة محمد نجيب مع الاذاعة

● على خليل ٠٠ واحد من الرعيل الأول الذى حمل على أكتافه « أمانة » الاذاعة المصرية فى أولى خطواتها ، كما حمل بعد ذلك تاريخها طويلا لتلك الاذاعة التى عاصرت عهدا وشهدت احدا ساهم ببقائها فى تغيير المسار التاريخى للمنطقة ، حول كل ذلك كان الحوار الذى نستطيع من خلاله « قراءة » تاريخنا الاذاعى ومعرفة خباياه ٠٠ !!

● ● كيف عرفت طريقك للاذاعة ؟

— قبل الافتتاح الرسمى للاذاعة قرأت اعلانا فى الصحف يطلب شبابا للعمل فى الاذاعة المزمع انشاؤها ، وتقدمت للامتحان الذى تكونت لجنته من الاذاعى الأول محمد سعيد لطفى باشا . وكان مستشار الاذاعة ، والمدير البريطانى للاذاعة ، ومستر فرنس ، وأحمد سالم من الرعيل الأول للاذاعيين .

أما الامتحان فكان يشتمل المعلومات العامة ، واقتان اللغة العربية . والامام المعقول باللغة الانجليزية ٠٠ ونجحت فى الامتحان وعينت فى ٥ مايو ١٩٣٤ أى قبل الافتتاح الرسمى للاذاعة بحوالى ثلاثة أسابيع ، حيث افتتحت فى ٣١ مايو ١٩٣٤ .

● ● كيف كانت الاذاعة هى اذاعة الحكومة المصرية وفى نفس الوقت كانت خاضعة للاشراف الانجليزى ؟

— كانت الاذاعة الاسلكية للحكومة المصرية ، ملكا للحكومة ، ولكن لأننا كمصريين لم نكن فى ذلك العهد نملك خبرات فى هذا المجال الجديد الذى كان جديدا نسبيا فى العالم كله ٠٠ أيضا ،

لذلك استعانت الحكومة بشركة بريطانية ، وكان الأمر الطبيعي. آنذاك اذا احتاجت مصر الى خبرات أن تستعين بخبرات بريطانية فى كل شيء . وهذا بطبيعة الحال من آثار الاحتلال ، ولا أقول الاستعمار لأن مصر لم تكن فى يوم من الأيام مستعمرة بريطانية ، ولذلك بقيت لمصر هويتها وشخصيتها .

والفضل الأكبر فى ذلك يرجع الى الوطنية المصرية التى حفظت لمصر شخصيتها ، والأزهر الشريف المحافظ للدين الحنيف. واللغة الأصلية ، ولهذا لم يحدث لنا ما أحدثه الاستعمار أو الاحتلال ، بغيرنا ، الذين كانوا أقل حظا منا ففقدوا اللغة وشوهم. هويتهم .

•• صراع مع الانجليز

● ● كيف استطعتم المحافظة على الشخصية المصرية للاذاعة. رغم الهيمنة الانجليزية عليها ؟

— كان بيننا خلاف فى السنوات التى سبقت وقوع الحرب. الثانية ، ذلك أن الشركة البريطانية كانت تريد ادارة العمل على أساس تحقيق ربح تجارى ، لأن موردها لادارة الاذاعة كان ٦٥ فى المائة من مجموع الضرائب التى كان يتم تحصيلها على أجهزة الاستقبال (الراديو) ، وهذه كانت لا تكفى ، فكنا دائما فى محاولات لمقاومة هذا البخل الذى كان له أثر على البرامج بطبيعة الحال .

• وحدثت صدامات كثيرة بيننا وبين الانجليز ابان الحرب العالمية الثانية .• فعندما أعلن « على ماهر » رئيس وزراء مصر ، استقالته فى ختام بيان القاء أمام مجلس الشيوخ والنواب وقال.

فى أسباب الاستقالة أن السفير البريطانى كان يشدد الضغط على حكومة مصر ليزج بنا فى الحرب ، وانه كان يعامل معاملة كانت تعرفها حكومات هذه البلاد فى عهود الحماية والاحتلال .

قبض على « على ماهر » وحددت اقامته ، ومن جنون السفير البريطانى أنه كان يريد أن يمنع إعادة اذاعة الخطاب الخطير ، ولكن مستشار الاذاعة سعيد لطفى باشا تصدى للمدير البريطانى ، وأذيع الخطاب مرة أخرى رغم أنف الانجليزى .

وعندما سجلنا للامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراعى ، شيخ الجامع الأزهر ، حديثا قصيرا بعد الدرس المعتاد بعد صلاة الجمعة ، وكان هو الذى طلب منا تسجيله لاداعته ، وكان قد قال فى نهاية حديثه « واللهم قنا شر هذه الحرب التى لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ، وصل خبر الحديث الخطير الى السلطات البريطانية ، وحاول المدير البريطانى منع اذاعة الحديث وساعده كبير المهندسين الانجليزى ، بأن يتم الاعتذار لشيخ الأزهر بأن حديثه المسجل قد تلف وغير صالح للاذاعة . ولكننى قلت له « انى هنا مصرى مسلم ولا أستطيع أن أكذب على شيخى وعلى وطنى » .

واستطعنا أن ننتصر على التعتى الانجليزى وأذعنا حديث شيخ الأزهر ، الذى لم تكن أقل شجاعة منه فى تلك الظروف الصعبة فى فترة الحرب العالمية الثانية ، وفى وجود قوات احتلال غاشمة .

يوم الثورة ..

● ● كيف كان الموقف بالنسبة للاذاعة يوم قيام الثورة ؟

— فى فجر ٢٣ يوليو أى قبل الساعة السادسة صباحا ،

وكان الجيش قد احتل مبنى استديوهات الاذاعة فى شوارع علوى ، وكانت تعليمات رئيس الوزراء أحمد نجيب الهلالي باشا وكان موجودا بالاسكندرية ، فى هذه الساعات الحرجة الا تصطدم الشرطة بالجيش وأشهر رئيس الوزراء بأن يتم تعطيل محطة الإرسال فى أبو زعبل ، فيعطى ذلك فرصة للحكومة والمملك بتسوية الأمر مع الثوار دون ان ينتشر نبأ الثورة .

وكانت تعليمات الحكومة الا يصطدم مصرى بمصرى ، حتى اذا كان الجيش قد سبق الى احتلال محطات أبو زعبل وأمكن بدء برنامج الاذاعة فى موعده بالقرآن الكريم فى الساعة السادسة صباحا ، كانت أوامر رئيس الحكومة الهلالي باشا . . نفسه أيضا ، ان تتركوا الجيش يستخدم الاذاعة كما يشاء . ولم يأمر - كما خطر للبعض - بأن تستعد قوات الحرس الملكى والسلاح البحرى الجوى ، بالاسكندرية ، للملاقاة المتمردين بالقاهرة ، حتى اذا مرت ساعات النهار ، وعينت الثورة على ماهر باشا ، رئيسا للوزراء ، كان هذا هو الخط الذى اتبعه ، بل ذهب الى حد أن أقنع الملك بأن الجيش ثائر ولا داعى لأية مقاومة من جانبه ، لأنها مقضى عليها بالفشل .

وهكذا تم للثورة التمكن من السلطة دون اراقة دماء .

•• بيانات الثورة ••

● ● هل كنتم كشباب •• مقبدين لنور الاذاعة فى مثل هذه الأحداث الكبرى ؟

— كنا نحن الشباب القائمين على الاذاعة معتزين بخطورة جهاز الاذاعة الذى نخدم الوطن من خلاله ، وكانت الثورة ، تدرك هذا ،

ولذلك كان من أول ما احتلته مبنى « الإذاعة » لتكون هي صلتها الوثيقة الأمانة بمواطنيها .

وجاء قائد الثورة (كما هو ظاهر لنا آنذاك) محمد نجيب ، الى دار الإذاعة ، في اليوم التالي للثورة في ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، ليذيع بيانا للشعب بنفسه وبصوته .

وفي ٢٦ يوليو أذاع قائد الثورة ، ورئيس الوزراء ، بيانات للشعب من الاسكندرية . بعد عزل الملك ومغادرته للبلاد .

ولم يكن هذا الذي يحدث مفاجأة لنا ، فالقادمي منا الذين كانوا يعملون في الإذاعة حين اقتحم هتلر النمسا ودخل الى فيينا ، اتجهت قواته أول ما اتجهت الى دار الإذاعة ، فاحتلتها . ثم قتلت السلطة الفاشية رئيس الوزراء (دريفوس) .

فقد كنا نعلم دور الإذاعة وأهميتها ، ولذلك استخدمتها الثورة ، وتفانينا في أداء مهمتنا الخطيرة بكل دقة وبكل إخلاص للوطن وبما يرضي الله .

ويطيب لي أن أقول اننا في هذه الآونة ومن قبلها ومن بعدها ، كنا دائما ننظر الى عملنا على أن مراقبنا الأول والأكبر هو الله نزعاه في وطننا ، ومن بعده المواطنون السامعون .

وأنا أشعر كشيوخ من الرعيل الأول من الإذاعيين ، أن هذا الشعور ما زال متمكنا ، ومستمرا في الأجيال الثلاثة المتعاقبة .

الاقالة واعتذار

● ● أين كانت الإذاعة في الصراع بين عبد الناصر ومحمد

نجيب ؟

في خريف ١٩٥٣ قام الرئيس محمد نجيب ، بجولة كبيرة في محافظات الصعيد ، وكان معه بطبيعة الحال فريق اذاعي للاذاعة الخطب والاجتماعات وتسجيلها ، واستمرت الاذاعة عشرة ايام تديع في المتوسط بين ساعتين وثلاث ساعات من الصعيد ، ما بين اجتماعات حية وتسجيلات .

وذات يوم قال لي صلاح سالم أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أن هذا الذي يذاع كثير ، ومن شأنه أن يضايق الناس وينفر المواطنين ، ولا بد من أن نمنع هذه الاذاعات أو نختصرها ، وذلك حتى نبقى على حب الناس للرئيس وتعلقهم به .

فاقترحت عليه حتى لا يغضب الرئيس أن نسجل كل هذه الاحتفالات والاستقبالات والاجتماعات ، ونذيعها في غير أوقات الاذاعة المعتادة . أي في الساعة الثالثة بعد الظهر (وكانت الاذاعة تتوقف من الثالثة الى الخامسة) ليستمع اليها من شاء ، بالإضافة الى هذا نذيع ملخصات لما يجري في نشرات الأخبار الرئيسية الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، والساعة الثامنة والنصف مساء . فوافق صلاح سالم .

واتبعنا هذا الأسلوب الجديد لبضعة أيام ، ثم جاءني برقية من أنسيوط - على ما أذكر - من الرئيس يحتج فيها على ما هو حادث ، فعرضتها على صلاح سالم ، فقال : سأتولى أنا الرد عليه .

ثم تمت زيارات الرئيس محمد نجيب في الصعيد ، وعاد الى القاهرة وذهب اثر عودته الى أرض المعارض بالجزيرة ، ليفتح معرضا للصناعات المحلية ، فرأني بين المستقبلين وسلم على ، وقال : احنا سنلتقي بعد الافتتاح في الاستديو .

وكان للاذاعة استديو في هذا المعرض ، وكان مرتبا أن يلقي

الرئيس نجيب كلمة بعد الافتتاح ، من هذا الاستديو ، واستقبلته لأقدمه للسامعين .

فاذا به يحتج احتجاجا شديدا على ما حدث ، فأخذت أذاع عن النظام الذى اتبعناه ، وقلت له اننا أذعنا ما يقرب من عشرين ساعة اذاعة ما بين ساعة ونصف الساعة وسبع دقائق ، وقلت له أيضا حقيقة لم يكن يعلمها وهي أن معظم الاشرطة التى جاءت بالطائرة الينا أثناء رحلته ، كانت « ملخطة » وان لجنة برئاسة الأخ الزميل حافظ عبد الوهاب ، كانت تواصل الليل بالنهار لنحاول ان نجد شيئا صالحا للاذاعة من هذه الاشرطة ذلك أن الكهرباء كانت غير منتظمة ومتقطعة ولأسباب فنية أخرى . . وهذه كلها حقائق .

ولكن الرئيس نجيب كان غاضبا وتكلم معى بغضب ولفترة من الوقت جوالى عشر دقائق أو أكثر ، وكنا داخل الاستديو والميكروفون مفتوح ، وكانت هذه الخنقة واصلة الى غرفة المراقبة الرئيسية الملحقة بالمعرض ، والى غرفة المراقبة الهندسية والاستديوهات بشارع علوى ، والى محطة الاذاعة فى أبو زعبل ، فكان غضب الرئيس محمد نجيب علينا ، على مسمع من جمع كبير من الزملاء . .

وانتهى هذا اللقاء فى الاستديو دون أن نسجل للرئيس محمد نجيب لأنه كان متعبا من أثر الرحلة التى جاء بها بالقطار الى المعرض مباشرة دون أن يذهب الى بيته .

واتفقنا على أن نسجل من مكتبه برئاسة مجلس الوزراء فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى .

ولم أذكر إطلاقا أنه كان هناك تدخل من صلاح سالم ،

وفكرت حين التقى بالرئيس نجيب في اليوم التالي أن أقدم اليه مستنداً يثبت أن الاذاعة لم تقصر ، فاتصلت بمدير التنسيق في بيته ، وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساءً ، وطلبت منه أن يذهب الى مكتبه ويعد كشفاً كاملاً باذاعات الزيارة .

ثم لحقت به بدار الاذاعة وأخذت الكشف وذهبت به الى بيتي ، وفي الصباح قلت للرئيس : انني قاربت الرقم الصحيح في عدد الاذاعات وحجمها ، وأعطيته الكشف الذي كان يحوي سبع عشرة اذاعة تتراوح ما بين ساعة ونصف الساعة ، وسبع دقائق .

ولكن الرئيس نجيب ظل غاضباً أيضاً وقال : هل أستطيع ان أحتفظ بهذا الكشف ؟ فطواه ووضعه في جيب سترته العسكرية الأيسر .

وكان هذا الكشف الذي قدمته لأبرياء ساحة الجميع هو المستند الذي استخدمه الرئيس محمد نجيب - رحمه الله - في الاحتجاج بجلسة من جلسات مجلس قيادة الثورة ، على ما صنعه الاذاعة معه في خطبه واستقبالاته .

وعلمت فيما بعد أن هذا الكشف كان هو السبب في انتهاء خدمتي في الاذاعة بقرار من مجلس قيادة الثورة ، ولكن الشهادة لله ، أرسل لي صلاح سالم فيما بعد يعتذر لي عما وقع ويقول انه كان ضحية دسيسة وانه كان في البلد شائعة تقول ان محورا مكونا من محمد نجيب والرحماني (رئيس الاذاعة) وعلى خليل ، سيقوم بانقلاب ضد مجلس قيادة الثورة ، ومعهم الاذاعة .

وكان الأميرالاي (محمد كامل الرحماني) - دكتور سفير فيما بعد - صديقا حميما لمحمد نجيب . . وكان هو كبير معلمي

الكلية الحربية حين كان جميع أعضاء مجلس الثورة من تلاميذه .
وكان على تفاهم تام مع على خليل .

وأنه « صلاح سالم » يطلب منى أن أحدد أى مكان أريد أن
أعمل به فى مصر أو بالخارج ، ومجلس قيادة الثورة سيلبى هذا
الطلب .

ولكننى لم أطلب شيئا ، وإنما طلبتنى الأمم المتحدة للعمل
بها ، فزكائى مجلس قيادة الثورة تزكية كبيرة مشكورا .

وكان خروجنا .. أنا والرحمانى وآخرين من الزملاء كصالح
جودت ، والشافعى البنا ، ومحمد المعلم ، وغيرنا ، بقرار من مجلس
قيادة الثورة حتى يكون قرارا سياديا غير قابل للطعن ، ذلك أنه
لم توجد أية اتهامات تتصل بتصرفاتنا ، وقد أعطانى صلاح سالم
شهادة تقول ان انتهاء خدمتى لم يكن لأسباب تتصل بالوطنية أو
النزاهة والشرف ..

● أحمد سعيد :

لهذا السبب تركت صوت العرب

أمجاد يا عرب أمجاد ..

كان العرب - من المحيط الهادر الى الخليج الثائر - ينتظرون
صبيحته .. يا أمة العرب ، نحن نناديكم «

ثاني :

لماذا تنادي بنا ؟ .. لا تذكرنا ! .. وبالله عليك فلتصمت ! ..

لكن أحمد سعيد كان قد صمت فعلا .. والصدى فقط هو الذي
لا يزال يتردد :

« أخي في عمان .. أخي في الكويت ، في عدن ، في تونس في
... كف على الخبز ماجورا ، فتلک أيام خلّت ... لسه فاكر ؟! ...
الشیاطین هي التي انتصرت في النهاية ، والخونة - يا أحمد سعيد -
دشنوا كابطال ! »

● ● وهل هذه هي النهاية ايها الساذج !؟

● صوت الأشباح ، والعفاريث الزرق يرتفع من جديد ..
ودنيا العرب « مسكونة » !

- ما حدث ليس هو آخر كلام !

- يعني ايه !؟

- هس ! .. لا تثرثر .. فقط ، طوبى لمن يكون وقودا جيدا
لما هو أت .. هس ! .. من يبع يضل ا و

و ٠٠٠٠ اعذروني حين تطاردني الاشباح من الماضي - ومن المستقبل - اعذروني حين تراودني مثل هذه الافكار في طريقي الى بيت أحمد سعيد مدير صوت العرب - الأسبق - مدير « امجاد يا عرب امجاد » - بيني وبينك والله زمان !

في غرفة الصالون من منزله قلت : اين انت ؟ ٠٠ وماذا تفعل الآن ؟ ٠٠ ثم استدركت : بل قبل ذلك ٠٠ لماذا تركت صوت العرب في عهد عبد الناصر ٠٠ ان ابتعادك من الاذاعة وقتها قصة لا يزال يكتنفها الغموض ٠٠ فتحدث يا أحمد سعيد ٠٠

قال : كان ذلك بعد تراكمات كثيرة نتيجة وجود جبهات متصارعة ، وكنت لا احب الانتماء لاي جبهة رغم أن هذه الجبهات حاولت كل منها أن تضمني اليها سواء جبهة المشير أو جبهة علي صبري ، وفي الاطار العام كنت متفقاً مع عبد الناصر في سياساته وان كنت قد اختلفت في بعض المواقف على الأسلوب مثل بعض الممارسات أيام الوحدة أو الانفصال عن سوريا ، وفي الواقع كان يجب ان يبقى المشير وهو نائب عبد الناصر في سوريا ، كذلك اختلفت حول تعجل عبد الناصر لتطبيق الاشتراكية لا حول الاشتراكية وان تطبيقها كان سيضع كثيراً من القوى الرأسمالية العربية الوطنية في موقع معاد للثورة ، ولكن كل ذلك أو غيره لم يجعلني اغير قناعاتي بسلامة توجهات عبد الناصر بشكل عام ، وجاء ٥ يونيو لنواجه جميعا الكارثة ونتائجها ، الى ان قيل عن مشروع للرئيس اليوغسلافي تيتو للصلح مع اسرائيل وتناثرت الأقوال ان عبد الناصر قد قبله وان كان يقال ان قبول عبد الناصر كان مناورة ، ولما سئلت في القيادة المركزية لسلح الطيران وكنت القى فيه محاضرة كان السؤال عن هذا المشروع وأجبت : ان من يقبله سينتال وأن الأمة العربية لن تعمد من يفعل ذلك ٠٠ بعدها طلب مني أن آخذ

أجازة مفتوحة فقدت استقالة مسببة فصدر قرار يفصلي وكان ذلك في سبتمبر ١٩٦٧ ، وقد زارني بعد ذلك حسن عباس زكي وزير الاقتصاد الأسبق ، بناء على تكليف من عبد الناصر ، وطلب مني الا اصطدم بالرئيس وان أعاون معه ، وقال لي : ان عبد الناصر يطلبني لزيارته في بيته ، فقلت له ان يبلغ عبد الناصر ان أحمد سعيد قد استشهد في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وصدر قرار يفصلي من الاتحاد الاشتراكي انا ومجموعة من زملائي من أعضاء مجلس الأمة ، وفي ذلك الوقت كان الفصل من الاتحاد الاشتراكي يعنى اشياء كثيرة ، منها رفع عضويتك من النقابات ومنعك من ممارسة نشاطك في المجتمع ، ولذلك أخذت وقتا طويلا استغرق سبعة شهور حتى استطعت اعادة قيدي في جدول المحامين باعتباري خريج حقوق ومحام سابق وان لم امارس المهنة الا ستة شهور فقط .

عشرون يوما في ليبيا

● ● أذن فقد عدت بعد خروجك من الأذاعة لممارسة مهنة المحاماة ؟

— أحمد سعيد : لم يحدث لأنه كان من الصعب ان امارس المحاماة بعد انقطاعي عنها مدة طويلة وكنت أفضل العمل الاعلامي ، وقد جاءني عروض كثيرة للسفر الى الخارج ولكن كان هذا مستحيلا لأنني كنت ضمن الموضوعين في قائمة الممنوعين من السفر ، الى ان طلبني بعد فترة العقيد معمر القذافي وكانت علاقته وقتها جييدة بالرئيس السادات الذي كان يعتذر الى ان صمم القذافي ذات مرة ان يضطجيني معه في طائرته « فوافق السادات على مبدأ السفر وان ظان مترددا ، ثم فوجئت بأن مدير الجوازات ، يقول لي ان لديه تعليمات الا يعطيني جواز السفر ، واقترح الذهاب الى مكتب وزير

الداخلية وكان ممدوح سالم . فقال لى مدير مكتبه وكان النبوى اسماعيل (الذى أصبح وزيرا للداخلية فيما بعد) ان حل مشكلتي فى رئاسة الجمهورية ، فأجريت بعض الاتصالات وكان منها طلب رسمى الى الرئيس السادات تسلمه حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومى ومساعدته عثمان نورى ، وفى اليوم التالى اخبرونى بأنه يمكننى ان استلم جواز سفرى وبالفعل سافرت الى ليبيا وصدر قرار بتعيينى مستشارا لمجلس قيادة الثورة للشئون العربية والاعلامية الليبية ، ولكننى لم استمر فى عملى لأكثر من عشرين يوما عدت بعدها الى مصر بسبب اختلافى معهم هناك حول السياسة الاعلامية التى يجب اتباعها فى بعض المواقف السياسية .

نشاط فى الكويت وقطر

● ● كيف سارت حياتك بعد ذلك فى القاهرة ؟

— أحمد سعيد : تلقيت دعوة من الكويت والامارات فقامت بزيارة كل من البلدين العربيين وتعاونت معهما اعلاميا بصفة شخصية وقدمت بعض الاستشارات لانتاج نوعية معينة من البرامج ، مثال ذلك ٠٠٠ الاحتفال بالقرن الهجرى الجديد بعمل دراسات خاصة تناول كل ما مر بالعالم الاسلامى يوم أول محرم بداية التقويم الهجرى ، عبر الالف والأربعمئة سنة الماضية ، وقد تولى تنظيم هذا العمل كل من الكويت وقطر ، وقد تولت قطر اخراجه فى عدة أجزاء من الكتب حيث كان عملا موسوعيا كبيرا شارك فيه أساتذة من الجامعات واستغرق انجازهم له (٣٦٠) يوما .

نموذج آخر لتعاونى الاعلامى مع الكويت وقطر أيضا فى عمل كبير آخر هو تحفيظ القرآن باللغة العربية مع شرح له باللغات الأجنبية ، والفضل فى ذلك العمل يرجع لقيادتين اعلاميتين تحملتا الكثير لى يخرجنا بهذا العمل الى النور وهما : عبد الرحمن المعضاض

مدير اذاعة قطر ، ود . عبد العزيز المنصور مدير اذاعة الكويت ، وقد انفقا على هذا العمل بسخاء يحسب لهما . عمل ثالث وهو نوع من أنواع المقارنة بين التدهور العربي الاسلامي الحال وبين القفزات الحضارية في الحرب والفكر والعلم في غصور الاسلام المزدهرة .

أيضا هناك أعمال تلفزيونية خرجت باستشارتي - لكنها للأسف لم تعرض في التلفزيون المصري - اذكر منها عملا فكاهيا بطولة سيد زيان يمثل فيه لأول وآخر مرة باللغة العربية الفصحى . وكان العمل تحت عنوان « الأحق » ويتناول التجار والمستغلين من أيام العصر الأموي واعتقد انه يصلح للعرض الآن في مصر التي تقوم فيها حملة ضد التجار الجشعين .

وأحب أن أذكر ان هذا النشاط كان يتم خلال تواجدي في القاهرة مع بعض زيارات من وقت لآخر للكويت وقطر .

آخر من يضحك

● ● من المعروف عنك انك تمارس الكتابة وخاصة الكتابة المسرحية فهل تجد وقتا كافيا لإنجازها ؟

ـ أحمد سعيد : نعم فقد الفت كتابا باسم « لا للفقر في ظل القرآن » تناولت فيه رؤيتي للمال والملكية والانفاق في ظل القرآن الكريم ، أما المسرحيات فقد كتبت مسرحية « فهد و ٦٧ » عن هزيمة ٦٧ وقد عرضت في أواخر عملي في الاذاعة .

ومسرحية « مطلوب ليمونة » وقد اعترض عليها الرئيس عبد الناصر لأنه اعتبرها تلميحا لقيادات نظام الحكم .

أما المسرحيات التي الفتها بعد خروجي من الاذاعة فهما

مسرحيتان « العالم سنة مليون » ، وتناقش الانسان في المستقبل وكيف ستتحكم فيه الآلة ، وهذه النبوءة على وشك التحقق بالفعل فقد ساقَت الاخبار انه خلال عشر سنوات ستستطيع اليابان انتاج انسان آلى له عقل يفكر ويتخذ القرار .

أما المسرحية الاخرى فهي « آخر من يضحك » وفيها اتخيل مذهبا خاصا بالموت وهو ان الحياة جديرة فقط بمن يقدم خدمة وأتخيل أن أحد الفلاحين الفراعنة قد وقع على سر كبير جدا وهو سر اله الموت نفسه ، وينجح من خلاله ان يرقى بنفسه ويصبح فرعوننا لمصر ويخرج للمجتمع .

ماذا تفعل الآن ؟

❶ ما هي أحدث مشاريعك الحالية ؟

— أحمد سعيد : مشروع لا أستطيع الآن ان اتحدث عن تفاصيله كثيرا ولا عن المشاركين فيه لأن ذلك قد يضر بنجاحه ، ولكن ملخصه اننا ندرس مشروعا خاصا بالطفل العربي والطفل في العالم الثالث وسيكون مفاجأة كبيرة ذات قيمة قومية وسيفتح افقا كبيرة جدا لتعويض الطفل العربي وطفل العالم الثالث عن النقص الذي يعانيه تربويا وثقافيا .

وقد التقيت في هذا المشروع مع زميل آخر له دراسة عن في الطفل ، وقد كان لي شرف ان أكون صاحب الفكرة والمشرف على تنفيذها واعتقد ان هذا مهم جدا كنوع من أنواع الواجب المفروض على كل انسان يصل الى فكرة جيدة يستطيع ان يخدم بها الناس .

● ● وعن سير نشاط حياتك اليومية ؟

- أحمد سعيد : استيقظ كل صباح وأن وافيت الفجر للصلاة فهذا كرم من الله ، وأقرأ كل الصحف المصرية وبعض الجرائد العربية التي تصل الى مصر .

تدهور مستمر

● ● هل تقرأها بحسك الإذاعي القديم أم بحسك العادي ؟

- أحمد سعيد : للأسف الشديد أقرأها بحسب الاعلامي وهذا ما يتعبني جدا لأنني أجد فيها ما يسوؤني ، لأنه يمكن لو ان الحال أفضل من الستينيات لشعرت بالتبلى واننى امثل جيلا فاشلا ، لكن الذى يحدث الآن انما هو تدهور مستمر ، وللأسف ينسب الى فترة الخمسينيات والستينيات أن لها علاقة بما نحن فيه ، وهذا خطأ ، أو انها فى اعتقادى علاقة لا تتجاوز العشرة فى المائة .

● ● نعود لنشاطك اليومى بعد قراءة الصحف ؟

- اذهب لمكتبى فى شارع قصر النيل بالقاهرة وهو اضلا كان مكتب حمامة ولكن لأننى لا امارس الحمامة ، فهو مكتب اعلامى للاستشارات الاعلامية اقضى فيه سحابة النهار ، ثم اعود للبيت للغداء مع الاسرة ، ثم اقوم بواجباتى الاجتماعية من استقبال اصدقاء أو معارف أو زيارتهم ، وفى المساء اتناول طعام العشاء مع الاسرة أثناء مشاهدة التلفزيون .

● ● ما الذى تحرص على مشاهدته فى التلفزيون ؟

— أحمد سعيد : انا لا اشاهد التلفزيون خصيصا الا اذا كنت امارس عملا آخر كطعام العشاء ، ولكننى مهتم بمشاهدة البرامج الاخبارية والتسجيلية وبعض البرامج كالباليه ، والموسيقى العربية ، وبعض الأفلام الأجنبية والعربية التى يكون عندي فكرة عن مستوياتها الجيد .

● ● قراءتك الى أي المجالات تتجه ؟

— أحمد سعيد : القراءات اغلبها يأخذ خط العمل الذى امارسه فى مكتبي الاعلامي ، فاذا كان مثلا عملا اعلاميا اسلاميا تتركز قراءاتي فى هذا الاتجاه ، انما هوايتي فى القراءة أساسا تتجه الى التاريخ وكل ما يتصل به .

قل : لا

● ● ما هي خلاصة قراءتك للتاريخ ؟

— أحمد سعيد : بقدر ما أنت قادر على أن تقول لا بقدر ما أنت قادر على أن تثبت وجودك ، ولو عدت لأول كلمة فى الاسلام لوجدت ان كلمة « لا » هي الأساس فى رأس قمة التوحيد وهي « لا اله الا الله » ، والشعوب التى تريد أن تتحرر وتتقدم يجب ان تقول « لا » لواقعها المتخلف ، والفرد الذى يريد ان يرقى يجب ان يتمرد على واقعه ويقول « لا » لأنك ما دمت حيا لابد ان ترفض الواقع الا اذا عجزت أو شللت ، وحتى لو كنت بيد واحدة أو عين واحدة لابد أن تتمرد وتستثمر بقية حواسك ، والا أصبحت كالسائمة .

● ● رياضاتك الأخرى غير القراءة .. ما هي ؟

— أحمد سعيد : لا يوجد سوى هواية المشي فى نادى الجزيرة .

منهج تربية اسلامي

● ● كيف تمارس حياتك الاجتماعية في البيت مع الأسرة ؟

— أحمد سعيد : على أساس العصر .. فلي من زوجتي ولد وبنت ، ربيتها على منطلق ان يكونا متفهمين للغة العصر ، ويعتمدا على نفسيهما ويفهمان ان هناك من هو أدنى منهما فيساعدانه ولا يتجبران عليه ، وان هناك من هو أعلى منهما فيحاولان الوصول الى مستواه ، كل هذا يتم طبعا في اطار اننا مسلمون ولا بد ان نرعى حق الله في كل انسان . وقد اعتمدت في تربية ابنتي وابني على المنهج الاسلامي ان لاعبهما سبعا وأربيهما سبعا وأصاحبهما سبعا ثم أترك لهما الحبل على الغارب . كما جاء في معنى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

● ● أليس فيهما من أراد ان ينهج نهجك الاعلامي ؟

أحمد سعيد : جاءت مثل هذه الفكرة لابنتي ثم تركتها وسارت في طريق التعليم التجاري وتزوجت ، أما ابني خالد فهو مهندس .

● ● كيف شاركك الزوجة مرحلة حياتك ؟

— أحمد سعيد : وقفت موقفا مشرفا وكاملا وتعاونت بكل ما لديهما من قدرات لكي نتجاوز الأزمة وتحملت تخفيض المصروفات بعد ان ظلمت بلا عمل وبلا معاش عدة شهور ، وكانت في موقفها مقدرة لكل الظروف ، ولا أستطيع أن أقول الا أن هذه هي الوقفة التي يجب ان تتفها الزوجة مع زوجها ، وكانت زوجتي في ذلك خير عون .

اين قمرنا ؟ !

● ● ما هو حصاد تجربتك المشباب العربي ؟

- أحمد سعيد : أول شيء ان يرفضوا الواقع ليس لأن الواقع ذليل ومهين ومزرى ولكن لأن رفض الواقع هو أولى خطوات التقدم ، ثم يأخذون بالعلوم المتصلة بالذرة والكيمياء والهندسة وغيرها من العلوم التي أوصلت الانسان الى عصر الفضاء ، وان يؤمنوا انهم أفراد في مجتمع ، ويعودون الى الآلة الكريمية « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، لأنه لو شعر كل انسان انه جزء من المجتمع ورعى حق ذلك المجتمع فأنا واثق أننا سنتقدم ، وبدلاً من الحملة لمقاطعة اللحوم لابد من الحملة أولاً لمقاطعة الشر الذي بداخلنا ومقاطعة الأنانية والتسبيب الذي نعانيه والذي جعل أمتنا العربية لا تستفيد بقمرها الصناعي الا بنسبة (١٣٪) وهو قمر أطلقته لها فرنسا ، بينما اسرائيل بدأت تطلق أقمارها ليس لأغراض سلمية مثلنا ولكن لأغراض عسكرية ، فمتى نتعاون كعرب بعلمائنا في مصر وأموالنا في دول كالسعودية والكويت لنضع لأمتنا قاعدة علمية لصناعتها وتقدمها ، مما أتمنى قبل موتى ان أرى بدايته ووضع حجر أساسه فنحن نملك أسطولا حربيا ولكن لا نملك قطعة غيار له مما يدل على اننا مظهريون في أخذنا بعلوم العصر ومنجزاته .

● ● ما هي أهدافك الأخرى التي تود ان تعاصرها ؟

- أحمد سعيد : أملى الذي أنا مستعد لأن أدفع عمري وعلمي اسرتي من أجله هو تحرير فلسطين ، ولابد لكى يحدث ذلك لابد ان تكون البداية بتحرير مصر من التخلف والسنبلية والآنانية. وأن تتحرر من بعض أبنائها الذين يدمرون كافة أجهزتها لأسباب

شخصية ، فليس معنى ان يخطئ شخص كصلاح نصر ان يكون كل جهاز المخابرات بانجازاته سيئا ، وليس معنى ان جهاز الشرطة به ضابط منحرف ان الجهاز كله قد انحرف ، فليعاقب المنحرف ونذبحه ولكن لا نذبح رموزنا القومية ففي دول كبرى تحدث فضائح في أجهزتها ولكن يبقى لتلك الأجهزة تقديرها واحترامها .

في البدء كان الرفض

● ● ما هي الحكمة التي ظلت فلسفة حياتك ؟

— أحمد سعيد : أولا . أولا الرفض كما قلت لك والا كان زمانى الآن قاعد على المعاش اقتات ما يأتينى من فتات دون ان أضيف لحياتى ، جديدا ، الشئ الآخر هو اننى لو غضبت أو فرحت أسرع التفكير فى مظاهر الرضى والغضب فلا يأخذنى زهو أو غضب وأتمادى وأستمر فيه سواء كان غرورا فى حالة الرضا أو حقدا فى حالة الغضب ، وانما أبدأ فى التفكير للتقييم السريع ، والتجاوز احدى نعم الله على ، وارد ذلك دائما الى الخوف من الله وخشيته فى الناس .

● صلاح جاهين :

النوم هوايتى الوحيدة

أنا فنان أكثر من صحفي .

هكذا يقول عن نفسه صلاح جاهين الذى كثيرا ما اثار عليه رسوماته عواصف وزوابع كان يخرج منها منتصرا وأيضا مبتسما ، واقتراحه بالكاريكاتير لا ينسينا اقتران اسمه بالاغنية الوطنية التى واكب بها مسيرة الثورة ليكون كاتبها الذى يشرح انجازاتها بالكلمة المغناة ليردها عبد الحليم حافظ مطرب الثورة ، كذلك كتب صلاح جاهين الصورة الغنائية وكتب الغوايز . ولنبدا معه من حيث بدا .

يقول صلاح جاهين : بدأت كرسام ودرست سنتين فى كلية « الفنون الجميلة » وكنت أهوى الصحافة فتفاعلت معها بكونى رساما مما كان سببا فى أن أكون رسام كاريكاتير وهذا يعنى فى معادلة هى : حياة صحفية لرسام بالحظ تخرج بشكل متوقع رسام كاريكاتير ، ولكى يكون متميزا يجب أن تتصف رسوماته بالجاذبية التى تشد الانسان بأى لغة ، كما يجب أن يكون عند رسام الكاريكاتير القدرة على التلخيص بحيث يعبر عن مقالة طويلة بخطوط بسيطة وقليلة .

● ● بمن تأثرت من رسامى الكاريكاتير ؟

تأثرت فى بدء حياتى بصاروخان ، رخا ، وزهيدى ، وعبد السميع وبعد أن اشتغلت بالكاريكاتير أعجبت بعبد من رسامى جيلى مثل بهجت ، ونحجازى ، وإيهاب ، ونحجازى ، ومصطفى شخصين ، ولو أنه قديم مثلنا ، ويعجبنى الرسام الفلسطينى .

العلی ، الذي كان خلال حصار بيروت يخرج كل يوم صورة جمیة
معبرة عما یحدث .

● ● بعض الناس أثارتهم رسوماتك ماذا تذكر من هذه
المواقف ؟

— آخرها كان مع المحامين حينما رافعوا علی قضية فی « ١٥ »
محكمة وحتى أدافع عن نفسی یلزمونی تأجیر تاكسى أرياف أدور به
علی محاكم الوجه البحرى لأدافع عن نفسی ، والحقیقة أننى لم أكن
أعرف لماذا هم غاضبون لأننى كنت فی أمريكا فی الوقت الذى نشرت
فيه بعض الرسومات الخاصة بالمحامين لأن القانون الخاص بهم كان
یناقش فی مجلس الشعب فی ذلك الوقت رغم أننى لم أكن أعرف
ذلك لأننى كنت فی أمريكا ، فاقتنع بعضهم وتنازل عن دعواه
وبعضهم تمسك بدعواه حتى حکم القضاء لی علی أساس أن المحامين
قضایاهم مرفوعة من غیر ذی صفة ولو كانت مرفوعة من نقابة
المحامين كانت تتفهم لكن ما حدث أن كل محام لا تعجبه رسوماتی
یسارع الی رفع قضية « یجرجرنى » فیها للمحاکم .

● ● لماذا نفقد مجالات كاريكاتورية فكاهية متخصصة مثل
البعوضة أيام زمان ؟

— لسنا فی حاجة الی مجالات كاريكاتورية لأن عندنا أشياء فی
حیاتنا مضحكة كثيرة جدا علی نعمة « شر البلية ما یضحك » فیقال
« وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا » .

● ● ما هی أنواع الأغنية الوطنیة والی أى نوع تنتمی
اغنیاتك ؟

— أنواعها كثيرة ، منها الأغنية السیاسیة ، والثوریة ،
والتهیجیة ، والتشقیفیة ، وتنتمی اغنیاتى الی الجزء التعلیمی فقد

كنت أحاول شرح الاشعراكية والثورة لأقرب ذلك الى الأذهان وكان وجود عبد الحليم حافظ يساعد على ذلك لأنه لو غنى كلمة « بس » تلاقي كل الناس ترددتها ، ورغم أنني كتبت أغاني في مستوى ما غناه عبد الحليم فلم تنتشر لأنه لا يوجد عبد الحليم فهو فرصة لكتاب الأغاني لا تعوض .

● ● كتبت « الصورة الغنائية » فما هو سر نجاح « الليلة الكبيرة » بالذات ؟ .

— الفكرة ممكن تأتي فجأة وأشتغل فيها ، ومن الممكن أنى أقعد أشتغل في اتجاه معين حتى أعثر على الفكرة ، و « الليلة الكبيرة » أنا عملتها وأنا « موش واخذ بال » ! . فلم أكن أقصد أنها تطلع بهذه الروعة فهي « طلعت كويسة غصب عني » ! .

● ● لقد قدمت الفوازير فهل ترى أنها ضرورية لشهر رمضان ؟ .

— أنا كتبت الفوازير ليللى مرتين فى التلفزيون هي « عروستى » و « الخاطبة » ، والفوازير هي شيء نتسلى به لأنه هل يعنى « المسحراتى » له ضرورة ؟ ما كل الناس « صاحبة » والتليفزيونات مفتوحة والراديوهات والنحف مولع والقهاوى مليانة ناس ، ولكن سواء الفوازير أو المسحراتى أو غيرهما فهما من مظاهر شهر رمضان .

● ● ما رايك فى فوازير « فطوطة » ؟

— فى منتهى الحلاوة وفكرتها جاءت لفهمى عبد الحميد لأنه رجل طيب ومبروك وربنا بيحبه فعندما كان جالسا وجد ابنته ترتدى ملابس أمها فجاءت له فكرة فطوطة وهي فى منتهى النجاح

وهي من الشخصيات « الميتافيزيقية » التي من الممكن أن يقرر
الإنسان عن طريقها كل ما يريده بلا حرج .

• • ماذا تذكر من رباعياتك ؟

— ما قلته في رثاء الشاعر أمل دنقل :

باحكى عن الموتى وملك الموت

يحصد أمم ويدوى فى الملكوت

يقعوا كمثل ندف الثلج غير محسوسين

أو كالجبال يقعوا بأربعها صوت

• • متى يبدأ الفن فى الانحدار ؟

عندما يبدأ تقليد الفن الجيد

• • ما هى هواياتك الى جانب الاشتغال بالكتابة والرسم ؟

— هوايتى الوحيدة هى أن أنام !

• • أيهما تفضل الاذاعة أم التلفزيون ؟

— الاذاعة لأنه يمكننى أن أكتب وأسمعها أما التلفزيون فان

جلست أمامه فقل يارحمن يارحيم .

• • أحيانا تستخر من نفسك فى رسوماتك لماذا ؟

— لأننى أريد مداعبة نفسى .

• • ما هو الحب فى حياتك ؟

— الحب يمثل لى متاعب ما صدقت تخلصت منها لأنه زمان اذا

لم أكن أحب فتاة كل يوم يتهى لى أنه ينقضى لى وطبعا كان كله
حبه من طرف واحد .

● ● هل أنت راض عن المرأة اليوم ؟

– كل الرضى خاصة الذكيات منهن وأكون فرحا جدا عندما أقابل احدهن وأقول لنفسى ، « ياليتنى كنت صغيرا لأحبهن » •

– هذه غلطتهن ! •

● ● لماذا لا توجد نساء رسامات كاريكاتير ؟

● احمد رجب :

وحديث في ١/٢ كلمة

• شر أكلية ما يضحك • ... قالوها زمان ويقولها الكاتبة
الساحرة أحمد رجب هذه الأيام

انه يتنبا بعمر خمسين عامًا ببطالة الرجال بالمساواة مع المرأة
وبإغراق السوق بمقايير للخبز والكراوية ، والكومبيوتر يقيم بطور
الحاسبة وكل من يرفع سماعة التليفون سيستمع الى جميع برامج
إذاعة القاهرة ... وثلاثون أخرى من النوع الضاحك البكمى الذى
يقولون شعبنا الذى اشتهر بخفة الدم واللبخية القاسية التى للدهشة
وتصفقنا وتشدنا من آذاننا ورغم ذلك نضحك منها ونضحك عليها ...
وعلى انفسنا ايضا ..

والهم ندع القممات للدخل فى الموضوع مباشرة ...

وكانت بداية الموضوع هذا السؤال :

● لماذا يتميز الشعب المصرى بالذات بأنه شعب سباحر
والى أى مدى هذه الروح متأصلة فيه ؟

- الشعب المصرى منذ آلاف السنين شعب سباحر يحب النكتة
وفلاد ما تعبر عنه آذان الفراعنة ونقوشهم فنجد مثلا نقشا يمثل
ثعلبا يقول قطيعا من الأوز كراع له ... واحتلت لروح السخرية فى
الشعب المصرى فيما تلاها من عصور ، ففي العصر الأيوبي نقرأ
كتاب القاشوش لى حكم قراقوش « لابن مباتى صور فيه قراقوش
وهو نائب صلاح الدين ووزيره بأنه رجل ظالم ومجنون رغم أن
قراقوش كان عادلا ولكنه كان متشدها فى التأكيد على المذهب السنى
ضد المذهب الشيعى الذى عمل على إزالته تمساحيا بعد زوال دولة

الفاطميين ، مما جعل الشعب يكره هذا التشدد من قراقوش وسخر منه ، ثم تجدد في العصر المملوكى شخصية « خيال الظل » التى ابتكرها محمد بن دانيال وهو طبيب فقدم من خلال هذه الشخصية صورا ساخرة انتقد فيها أحوال الادارة فى عهد بيبرس ، ثم فصل الى العصر العثمانى فنجد كتاب « هن القحوف فى شرح قصيدة أبو شادوف » ليوסף الشربينى انتقد فيه الأحوال السياسية وشدد الهجوم الساخر على القيادات الروحية فى الريف لأنها لم تساعد الفلاح للخروج من ظلام الجهل . ثم نعبّر الزمن الى القرن العشرين فتظهر مجلة « الكشكول » الكاريكاتورية الساخرة الانتقادية ، وهكذا كانت النكتة دائمة والكلمة الساخرة سلاحين ماضيين من أسلحة الشعب المصرى لهما دورهما الفعال القوي فى انتقاد واقع الحال طلبا لاصلاح هذا الحال .

● ● ولكن ظاهرة السخرية من وضع معين أليس ذلك عجزا عن الحركة من أجل التغيير ؟

- السخرية أو النكتة هما مرادفان للرغبة فى التغيير أو مرادفان للثورة ، وهما وجهان لعملة واحدة . فتجد عبد الله النديم ويعقوب صنوع وبرم التونسى فيما كتبوه فى شكل النكتة والسخرية دعوة إلى الثورة والرغبة فى التغيير .

وليس صحيحا ما يقال عن المصرى أنه يدور حول المشكلة وإذا لم يجد لها حلا يقول عنها نكتة فيقنع نفسه بأن المشكلة قد تم حلها بل النكتة تمثل رغبة وتطلعات الشعب كما ينبغي أن تكون وكل حاكم فى مصر يعرف أن النكتة هى جزء من شخصية الشعب المصرى وهى فى كثير من الأحيان ذات مغزى سياسى فهى رسالة مغلقة بغلاف ساخر يوجهها المصريون الى حكامهم عليهم يفهمون ويغيرون اذ الأفضل الذى يتمناه هذا الشعب ، فليست النكتة بالتالى

تعبيراً عن عجز بل هي دليل قدرة ، وليست وليدة استكثافة بل هي وليدة قوى كامنة في نفس شعبنا تتوق للثورة .

● ● هل تعنى أن النكتة السياسية تظهر في عصور معينة ؟

- هي تظهر في عصور الديكتاتورية وتختفى في جو الحرية والديمقراطية وتجد ذلك واضحاً الآن في عهد الرئيس حسنى مبارك الكل يعبر عن رأيه بلا خوف والصحف تكتب والمعارضة تقول ما شاءت أن تقول بلا رقابة ولا مصادرة ولذلك اتحدى أن يأتي لي أحد اليوم بنكتة سياسية لأن زمن الهمس قد انتهى .

● ● ماذا يميز شعبنا أيضاً غير الروح الساخرة ؟

- الإنسان المصرى أول ما يميزه هو الإيمان وقوة الاحتمال وأذكر تعبيراً لأستاذنا توفيق الحكيم فى « عودة الروح » فى حوار يقول فيه الرجل الفرنساوى للرجل الانجليزى : الانسان المصرى يعلم بقلبه لا بعقله ، والحكمة العليا فى دمه ، وحضارة آلاف السنين موجودة فى قلبه ، وهذا الذى عبر عنه أستاذنا الحكيم أسميه « الفهولة » التى يلجأ اليها المصرى عندما ينقصه العلم الحديث ، فتجد « ميكانيكى الأرياف » لديه القدرة على تجميع أجزاء سيارة من موديلات مختلفة ، وتجد شركة للولاعات تلقى بولاعاتها على أنها غير صالحة للاستعمال فيملؤها المصريون ويشغلونها ، هذه هى الفهولة التى تسعف المصرى كفرد وتسعف هذا الشعب فى انتفاضات تاريخية على مستوى الجماعة ، ولذلك تجد العامل المصرى من أعظم العمال فى الدنيا وتجد المهاجر المصرى فى الخارج تتفجر طاقاته بشكل لافت للنظر وبشكل فطيع لأنه يتجمع له العلم والميراث الحضارى مما يجعله انساناً متميزاً ، فهذه الحضارة الخرافية لا يمكن أن تذهب أبداً هباءً .

● ● هل يرجع كل ذلك الى ذكاء المصرى وقدرته على الاستيقاب ؟

- هناك أشياء لا تستطيع الا أن تسميها بأسماء معينة والا فقدت هويتها لو سميتها بأسماء أخرى. فلا تعبير يناسب قدرة المصرى على التصرف سوى الفهولة والا فقل لى تفسيراً لهذه الفلاحة التى أنقذت حياة أحد أقارب أصدقائى عندما أصطدم فى شجرة وسال دمه وسقط مغميا عليه ، فمن الذى علمها أن تفعل ذلك ؟ أنه الميراث الحضارى الذى تحمله بين جنبها كمصرية ، ثم تجد حكاية « الرفاعية » مع التعابين وقدرتهم على استئناسها . هذا أيضا ميراث حضارى قديم منذ حكاية موسى مع المصريين السحرة ، وأشياء أخرى كثيرة. تجد فيها المصرى يعلم بقلبه كما قال استاذنا الحكيم ، لأن حضارة سبعة آلاف سنة يحملها فى قلبه كل مصرى ومصرية .

● ● هل يمكن للنكتة المصرية أن يستوعبها غير المصرى وهل العكس صحيح ؟

- من الصعب جدا أن تجد مثل النكتة المصرية فى العالم لأنها نكتة حريفة ولاذعة بعكس النكتة الأوربية أو الأمريكية لأن خيال الناس لا يمكن أن يصل الى الخيال المصرى والابداع المصرى ، وكمثال أسوقه لك .. صعد رجل « حشاش » الى القمر فقابل واحد من سكان القمر وسأله عن سبب مجيئه الى هنا فأجابه الرجل الأرضى بأن الأرض مزدحمة بسكانها وجئت لأشم الهواء عندكم ! ، فقال له الرجل القمرى ألا تعلم أن كوكبنا أصغر من كوكبكم وتعداد سكاننا مثلكم مرتين ومع ذلك لا نعانى ازدحاما ، فنظر له الرجل القادم من الأرض وقال له : على كده انتم تشبقوا مَرُوقين والقمر هلال . . يضيف أدبينا الساخر أحمد رجب فيقول : مثل هذه النكتة لا يقولها

ألا فصرى ولا يستوعبها غير المصرى ، لأن النكتة المصرية جرعتهجا قوية بالنسبة لأى أجنبى حتى ليقال مثلاً عن الانجليزى أنك اذا قلت له نكتة يبتسم ، ثم يضحك لها فى اليوم التالى .

● ● ظاهرة التعبيرات المصرية التى لا تعبر عن حقيقتها مثل « المسألة فركة كعب » و « أكلحك دقيقة واحدة » ، « ثوانى وجايلك » و « عايزك فى كلمتين » و « نص كلمة .. » و « فما تحليلك لهذه الظاهرة هل هى من قبيل المبالغة لتهوين الأمور ؟

— ظاهرة التعبيرات التى لا تعبر عن حقيقتها ليست مقصورة على المصريين ولكننا نسرف اسرافا فى استعمالها أكثر من غيرنا ، وذلك يرجع الى أننا لا نحترم الوقت ، رغم أن مصر هى أكبر سوق فى الشرق الأوسط لبيع الساعات ورغم أننا كمصريين قدماء كنا أول من اخترع الساعة .

● ● هناك بعض الألفاظ الدخيلة على لغتنا العربية مثل « طماش » و « شيلنى وأشيلك » و « أحلق له » .. من أى فئة نبعث هذه اللغة الجديدة وما دلالاتها ؟

— كل فترة وكل عصر له ألفاظه وتعبيراته التى تستجد وتتقدم لتأتى تعبيرات وألفاظ أخرى لتلائم طبيعة العصر الجديد ، فمن غير الممكن مثلاً أن نقول فى عصر الممالك « راح فى الكازوزة » أو « راح فى أبو نكلة » لأنه لم تكن فى أيامهم « نكلة » ولا « كازوزة » وحتى تعبير « أبو نكلة » انفرس لأن العملة تغيرت ، فاللغة تغير جلدتها باستمرار خاصة اللغة العامية التى يتسع قاموسها غير المكتوب لكل جديد وهذا موجود فى اللغات الأخرى .. تعبيرات متقدمة وتعبيرات منبتهة تلون بلون البصر وتلبس ملابس جديدة .

● ● عالم اليوم المطحون حروبا وانانية اليس هنالك من

حل ؟

- أنا من رأى أن يستريح الرجال ويعطوا الفرصة للمرأة
لتحكم العالم .

● ● ولكن ليست هذه التجربة بالأمر الجديد ففي دول
مختلفة من العالم تربعت المرأة على عرش الحكم فماذا كانت
النتيجة ؟

- كما نقول لو أننا جربنا المرأة في الحكم ربما كانت اليوم
أقل عنفا ولكن للأسف فإنها ما أن تمسك بالسلطة لا تكون أقل
جنونا ولا أقل عنفا من الرجل وان بدت في الظاهر جميلة ناعمة .

● ● المرأة العصرية هل حصلت على كل حقوقها كما كانت
تتمنى أم كيف ترى قضية المرأة اليوم ؟

- أعتقد أنه بعد خمسين سنة سيطالب الرجال بالمساواة
مع المرأة ، وعموما فالمرأة في بلدنا قد حصلت على حقوقها ولكن رغم
ذلك فهي لا تستفيد بهذه الحقوق . ومن أهم هذه الحقوق أنها أصبحت
ممثلة للشعب في مجلس الشعب ولكننا للأسف لا نسمع صوتها .
والتضاي التي تهم المرأة يناقشها ولا يتحدث فيها غير الرجال .

● ● تعليقك على الدعوة بعودة المرأة الى بيتها حصنها الحصين
وسلطنتها التي تتربع فوق عرشها ؟

نحن مقدرون للمرأة فضلها في خروجها للعمل لتشارك زوجها
أعباء الحياة الاقتصادية ولكن بحساب المكسب في خروج المرأة للعمل
وبحساب الخسارة سنجد أن الخسارة أكثر من المكسب ، فانظر الى
وجود المرأة في العمل ليست اضافة بل هي عبء وعمالة زائدة وبطالة

مقنعة وتتقاضى مرتبا أسميه معاشا لا تستحقه لأنها تشغل وقت العمل بشغل التريكو وتجميع البامية ، دعنا من هذا فحالهن يتساوى مع الموظفين الذين يشربون القهوة ويحلون الكلمات المتقاطعة ، وانظر الى مرتب المرأة أو معاشها اذا أرادت شغالة فهل يكفل الشغالة مرتبها ومرتب زوجها ؟ ، وان تغاضينا عن ذلك لأنه لا توجد شغالات الا بالعملة الصعبة ، فمن يمكنه تربية الأولاد ؟ ، لقد انعدمت التربية وانفصلت عن التعليم لأسباب لم يعلن عنها بعد فعلى من يقع عبء التربية والأب فى العمل والأم أيضا ، ونحن عندما نقول ذلك يقولون « رجعيون يريدون العودة الى عصر الحريم » وهذا غير صحيح لأننا عصريون ، والعصرية تعنى أساسا أن تكون على مستوى العصر وما يطلبه منا وأن تنشأ لدينا أجيال على أكبر قدر ممكن من التربية وتحمل المسؤولية وهذه مهمة لن ينجح فيها أحد سوى المرأة ، وقد نبهنا حافظ إبراهيم الى ذلك عندما قال :

الأم مدرسة اذا أعددتها ..

أعددت شعبا طيب الأعراق ..

فهل يختلف معنى الجنس الآخر فى هذا الراى ؟ لا أظن بل لا أعتقد .

❁ ❁ هل تغير مفهوم الحب اليوم عنه بالأمن وكيف تراه فى المستقبل ؟

— الحب هو الحب لم يتغير من العصر الحجري الى عصر الفضاء لكن الذى تغير هو وسائل التعبير عن الحب ، ولو كان فى عصر « روميو » تليفون لم يكن قد آتعب نفسه فى محاولة إيجاد الوسيلة ليخبر عن حبه لـ « جولييت » ، ولو كان « قيس » قد وجد محطة إذاعة لم يكن قد راح يلقي بأشعاره فى الصحراء لنقلها الريح الى

« ليلي » لاني اعتقد أن « قيسا » كان يحب فتنه وأشعاره أكثر من محبه « ليلي » وإذا كان هناك زمان « الحاطبة » فالآن يوجد الكمبيوتر يقوم بهذا الدور فتعطي له مواصفات « العروس » التي تريدها ويدلك عليها ، وفي المستقبل بعد اكتشاف قارة المخ البشرى من الممكن جعل من تحبها تكرهها ومن تكرهها تحبها أو من تكرهك تحبك ، يعنى لما تقول ان جسم الانسان كيميائى وكهربائى متصلة بأعصابك وأجهزة ارسال فى المخ ومواضع الحب والكراهية والنسيان وكل ذلك ، لما نفهم هذه الأبعاد الكيميائية والكهربائية والمعادلات التي تحكمها ممكن أن نعطي عقارا معيناً لفتاة تكره انسانا وتستثقل دمه ولا تريد الزواج منه وباعطائها هذا العقار المعين تحبه وتتزوجه ، أو بدل ما الشاب يتعذب بهجر محبوبته يذهب للدكتور يعطى له حقنة كيميائية تبرمج المخ تجعله ينسى هجر محبوبته ، هذا فى المستقبل مما يجعل الحياة بفضل العلم أسهل والأمراض أقل أما الحب فمفهومه هو • هو منذ آدم وحتى آخر أبنائه •

• أنت دائماً تنتقد المسلسلات خاصة فى بطن رثها أليس هذا البطن العكاسا طبيعيا لبطن سمير الحركة فى جهيمع مظاهر حياتنا ؟ •

— بطن رتم الحركة هو ناتج من المجتمع الزراعى ، فالفلاح يرفع النبات ويتابع نموه ببطن ، بعكس المجتمع الصناعى الذى يتعامل مع الآلة بالساعات والثوانى ، وبطن الحركة ليس هو صفة المجتمع الزراعى فقط ولكنه صفة المجتمعات القديمة عموما حيث وسائل المواصلات بطيئة ووقع الحياة بطيء لذلك تجد البيوت القديمة والآثار القديمة منقوشة ومنحوتة ومخرقة بطريقة مبدعة ، ونجد « حوش » البيت كبيراً بحجم ملعب كرة القدم فكان الناس قليلين والحياة بطيئة لذلك اعتقد أن الأغنية التي يقول فيها عبد الوهاب :

« مزيت على بيت الحبايب ووقفت لحظة هنية » هي اغنية لا تصلح الا لهذه الزمن الذى أحدثك عنه فمن فى وسط هذا الزحام يستطيع أن يمر على بيت الحبيبة لحظة هنية ؟ انه سيقف ساعات وأياما حتى تسبح له اشارات المرون بالعبور. وعندما يصل ستكون هيئته غير تلك الهيئة وهندامه الذى يريد مقابلة جيبته به قد تغير ، فنحن مازلنا نعيش فى الزمن البطيء فقول « هى الدنيا هتجرى » و « فى التانى السلامة » و « امش سنة ولا تعدى قنا » و « على مهلك » الى آخره .

❁ ❁ أليست المسلسلات تعبرا عن هذا الواقع البطيء فلماذا تنتقدها ؟

— أنا أنتقدها لأننى اكتشفت أن التلفزيون يشتري المسلسلات بالتر و لو كان ثمن الثلاث عشرة حلقة مثل ثمن العشرين حلقة فسيكون هذا لصالح المشاهدين ولكن مادامت الحلقات كلما طالت لها ثمن فذلك يجعل مؤلفى المسلسلات يزدون فيها فيلجئون للتطويل ، فتجد واحد يقول لواحد صباح الخير فيقوم الثانى متباطئا ويعطى له ظهره ويسير بطول الحجرة وعرضها حتى يرد عليه الصباح فيكون المساء قد أتى وهذا كله تضيق للوقت .

❁ ❁ لماذا لا تنتقد التدخين الا من حيث علم جودة السيجارة فهل ذلك لأنك مدخن وتؤمن بقول القائل : اذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع ؟

— أنا داخل بيئة خامسة بدون تدخين وحتى لو كنت لا أزال أدخل فليست من أنصار التدخل فى حرية الغير ، لأننى أعتبر مثل هذه الأشياء حرية شخصية ليس من حقى أن أتدخل فيها لأن المدخن يدخن وهو يعرف أن السيجارة مضره ، لكننى عندما أتكلم عن

السببجارة أتكلم عنها حينما أجد أن علبة السجائر ثمنها الشيء
القلاني ثم أجد فيها أربع سجائر مضروبين هذا لا يجعلني أسكت
فلا يكفي أن شركة السجائر تشاركني في ثمن كل نفس من أنفاسي
بل تعطيني العلبة ناقصة . هذا من جانب ومن جانب آخر أننا
نصدر السجائر ولها سوق خطيرة . وعندما تأتيني خطابات من
الخارج تتحدث عن عدم جودة السجائر المصرية فهذا يجعلني
لا أسكت لأن هذه صناعة مصرية يجب أن تليق بسمعة مصر .

● ● ما هي حكاية النصف كلمة المرتبطة باسمك ؟ وهل
تجد صعوبة في كتابتها أم أن العادة قد أنهت هذه الصعوبة ؟ .

— لا عمل بدون معاناة والا فهو ليس بعمل . أما حكاية
النصف كلمة فقد بدأت فكرتها على يد المرحوم علي أمين الذي قال
لي أن الكاتب الذي يكتب عمودا في الصحافة سيجد في المستقبل
منافسة شديدة من الأدوات المتاحة كالإذاعة والتلفزيون وما يجد
كالفيديو وغيره من مخترعات العلم ، وقال لي علي أمين أكتب في
موضوع كذا بتركيز شديد وتصور نفسك ستدفع خمسة قروش
عن كل كلمة ، فكتبت وراح يحصى عدد الكلمات فنظر الى وقال :
هل أنت مجنون تدفع « ١٧٥ » جنيها ؟ ركز ما تريد أن تقوله في
أقل عدد من السطور التي لا يملها القارئ ، ومن هنا جاءت النصف
كلمة .

● ● هل قصدت الى أن تكون صحفيا ذا أسلوب خفيف الظل
أم أن هذه طبيعة في أحمد رجب ؟ .

— أنا لا أعرف ان كان أسلوبه خفيف الظل أم لا وإذا افترضنا
أن هذا صحيح فلا اعتقد أنه يمكن أن أكون قد قصدت الى أن أكون
كذلك لأن تصنع خفة الدم تجعل صاحبها ثقيلا الدم ، أي أن
النتيجة تأتي عكسية .

• • هل ننتهي الى مدرسة معينة في كتاباتك ؟ •

— أنا مصرى متعصب لمصريتى أعبر قدر ما أستطيع عن هموم
الانسان المصرى •

• • من أنت فى نصف كلمة ؟ •

— أنا لا أعرف من أنا وهذه مشكلة احتار فيها الفلاسفة حتى
سقراط نفسه لم يعرف نفسه فتركه شعارا « اعرف نفسك »
وكيف أعرف نفسى ؟ لا أعرف وان كنت أعرف أننى أحمد رجب ومن
يعرف عنى شيئا غير ذلك يدلنى وله جائزة كبرى •

• • المصادمات مع النصف كلمة كيف تتفادها ؟ •

— لقد رفعت على أكثر من دعوى ، من ذلك أن شركة كانت
تتاجر فى الورق فى السوق السوداء ، فكتبت أقول أن جميع أوراق
البنكنوت فى « محفظة » كل المستولين بالشركة مصنوعة من الورق ،
فهاجوا وراحوا رافعين دعوى ضدى فلم يأخذوا حقا ولا باطلا معى
لأننى لم أخطئ لأن أوراق البنكنوت فى جيوبهم مصنوعة من الأوراق
فعلا ، فأنا دارس جرائم نشر التى أخذناها فى كلية الحقوق ولا أترك
ثغرة فيما أكتب تمكن أحدا من أن يكسب قضية ولو فكر فى دعوى
يرفعها ففى النهاية ستحفظ •

• • من بقى من الظرفاء ؟ •

— من العيب أن نقول أن عصرا فى مجال نبوغ معين قد انتهى
فمصر دائما ولودة معطاء وهناك كثيرون من الموهوبين فى مجالات
متعددة ولكنهم لم يأخذوا فرصتهم ، والفرصة هى لقاء النبوغ بالمجد
والشهرة وأنا متأكد أن فيه عبد الوهاب جديد وأم كلثوم جديدة
لكنهم لم يأخذوا فرصتهم •

فهرس

| | | |
|-----|-----------|---|
| ٥ | • • • • • | تقديم |
| ٧ | • • • • • | المقدمة |
| ١٩ | • • | توفيق الحكيم : اقتراح للحكومة والشباب المتطرف |
| ٥٧ | • • • • • | حاكمة توفيق الحكيم |
| ٨٩ | • • | الشيخ الشعراوي بين دقادوس والوزارة وأعدائه |
| ١١٧ | • • • | اثننا عشر رجلا وامرأة يسألون نجيب محفوظ |
| ١١٧ | • • • • • | امنية نجيب محفوظ : لآلود حارتنا |
| ١٤٥ | • • | يحيى حقي : يطالب بعودة عبد الله النديم الى مصر |
| ١٦١ | • • | يحيى حقي : بعد ٦٥ سنة حصلت على ما أستحق |
| ١٦٧ | • • • • | د. حسين فوزي : وبلاد الثلاث تسعات |
| ١٧٩ | • • | خالد محمد خالد : هذا الجيل من الشباب مدلل |
| ١٨٩ | • • • • • | خالد محمد خالد : يدافع عن نفسه |
| | | امينة السعيد : وقصة الثائرة الهادئة : وهدي شعراوي |
| ٢٠٩ | • • • • • | والملكة فريدة |
| ٢٢٩ | • • • | د. مهدي علام : كنت معلما للملك فاروق |
| ٦٧٧ | | |

- د. إبراهيم مدكور : من استجواب الأسلحة الفاسدة
 ٢٥٣ الى تعريب العلم كله
- فتحى رضوان : بعيدا عن السياسة
 ٢٨٥
- أحمد بهاء الدين : وقصة معارك يومياته
 ٣٠١
- مصطفى أمين : كل رؤساء التحرير تلاميذى
 ٣١٧
- الشيخ الغزالي : لا أبرء نفسى
 ٣٣١
- يوسف ادريس : أنا أغلى كاتب فى مصر
 ٣٤٣
- الشيخ الباقورى : اقبل عذر أخيك ولو كان كاذبا
 ٣٧٣
- د. لويس عوض : تهم بعضها صحيح وبعضها ظالم
 ٣٩٧
- أنيس منصور : فصلونى بسبب حمار
 ٤٠٧
- صلاح أبو سيف : من بولاق الى العالمية
 ٤٢٥
- د. عبد العظيم رمضان : والطريقة السحرية لشعب مصر
 ٤٣٧ للتغلب على الصعوبات
- صبرى أبو المجد : نعم ألفت كتابا يشيد
 ٤٤٩ بالملك فاروق
- جمال حماد : والمبدأ الذى تحقق فى عهد مبارك ولم
 ٤٥٩ تحققه الثورة
- مكرم محمد أحمد : تأثرت بسيرة عبد الناصر وشجاعة
 ٤٦٩ السادات

- ٤٨٥ سعد زغلول فؤاد : قال لي الرئيس مبارك
- ٤٩٧ عاطف العراقي : مساحة الخرافة أكبر من مساحة العقل
- ٥٠٧ محمود عودة : ورأى علم الاجتماع فيما حدث للمجتمع المصري
- ٥١٩ أحمد شفيق : لا بدليل على التقدم العلمي
- ٥٢٩ طاهر أبو فاشا : هذه حكايتي مع شهرزاد
- ٥٣٧ صلاح طاهر : الخيال هو بداية التاريخ الحضاري
- ٥٤٥ أحمد عبد المعطي حجازي : وخطر ان يهددان الثقافة
- ٥٦٧ نزار قباني : أنا أول من أمم الشعر وجعله ديمقراطيا
- ٥٧٩ عبد الوهاب البياتي : الشعر العربي أشبه بحشرة الموتى
- ٥٩١ فاروق شوشة : الشاعر المدير
- ٦٠٥ عبد الرحمن الأنودي : لا يوجد من يلبس جلبابا لا يعرفني
- ٦١٩ حافظ عبد الوهاب : لعنت فاروق على الهواء ولكنني نجوت
- ٦٢٩ علي خليل : هذه قصة محمد نجيب مع الاذاعة
- ٦٤١ أحمد سعيد : لهذا السبب تركت صوت العرب
- ٦٥٥ صلاح جاهين : النوم هوايتي الوحيدة
- ٦٦٣ أحمد رجب : وحديث في ١/٢ كلمة

تنويه : تكملة نهاية ص ١٥٦ مشاهدة الجيد منها

.. تكرار سؤالي في صفحتي ٣٦٣ ، ٣٦٥

● صدر من هذه السلسلة :

-
- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان
 - ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
 - ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
 - ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال
 - ٥ - غارات اوربا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
عليه عبد السميع
 - ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى
 - ٧ - صلاح الدين الأيوبى
د. عبد النعم ماجد
 - ٨ - رؤية الجبرتنى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات
 - ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد أنيس
 - ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزى

- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د. نبيل راجب
- ١٣ - أكلوبة الاستعمار المصري للسودان
د. عبد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي
د. علي حسن الخربوطلي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر
د. حلمي احمد شلبي
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني
د. محمد نصر فرحات
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية
د. علي السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. احمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي
د. محمد انيس
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ١
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر
جمال بدوي

- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج.٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون فى مصر
د. حلمى أحمد شلبى
- ٣١ - خبسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج.٢
لمعى المطيعى
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان ليب رزق

- ٣٥ - إعلام، الموسيقى المصرية عبر ١٩٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د. سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د. جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة
د. عبد المنعم الدسوقي الجيمعى
- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غبريال
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز
-

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٩٢/١٩٩١

ISBN 977 - 01 - 2664 - 0

هذا الكتاب يشتمل على عدد كبير من اللقائات الصحفية التي قام
بها الصحفي الشاب إبراهيم عبد العزيز مع مفكرين وكتاب وعلماء
أمثال توفيق الحكيم ، والشيخ الشعراوي ، ونجيب محفوظ ،
وبدي حقي ، وحسين فوزي ، وخالد محمد خالد وإبراهيم مذكور
والشيخ الغزالي وغيرهم .

استنطقهم فيها ، واستولد منهم أفكارا كان من الصعب التعميم
عنها ، لأنها خاصة في فكرهم ووجدانهم ، تنتظر من يتقدم ليخرجها
إلى النور